العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بن عبد ربه الأندلسي

الجزء الثالث

الأمثال والمواعظ والزهد والنوادي والتعازي
والمراثي والنسب وفضائل العرب

مكتبة صادر بيروت   مكتبة لسان العرب

العقد العربي

٩

امثال العرب

مكتبة صادر
بيروت

أمثال العرب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب — وأقوال — ونوادر — وملح —
وتاريخ — واخبار الخ . الخ . . . .

•

أمثال العرب

هو كتاب الجوهرة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٩

أمثال العرب

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٦٧ – ١٩٥١

كتاب الجوهرة

في الأمثال

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قدْ مَضى قولُنا في العِلْم والأدب وما يتولّد منهما ، ويُنسب إليهما من الحِكَم النادرة ، والفِطَن البارعة . ونحن قائلون بعَوْن الله وتوفيقه في الأمثال التي هي وَشْيُ الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحَلْي المعاني ، والتي تخيّرتْها العربُ ، وقدّمتها العجم ، ونُطِق بها في كل زمان ، وعلى كلّ لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يَسرْ شيءٌ مَسيرها ، ولا عمّ عُمومَها ، حتى قيل : أسْيَر من مثل . وقال الشاعر :

ما أنتَ إلا مَثَلٌ سائرٌ ، يَعْرفه الجاهلُ والخابرُ

وقد ضرب الله، عزّ وجلّ، الأمثال في كتابه، وضربها رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلم ، في كلامه ، قال الله، عز وجلّ: « يا أيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ . » وقال : « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ . » ومِثْلُ هذا كثير في آي القرآن .

فأوّلُ ما نبدأ به أمثالُ رسولِ الله، صلّى الله عليه وسلّم، ثم أمثال العلماء، ثم أمثالُ أكْثَم بن صَيْفيّ وبُزُرْجُمِهر الفارسي، وهي التي كان يَسْتعملها جعفرُ بن يحيى في كلامه، ثم أمثالُ العرب التي رواها أبو عُبيد وما أشبهها من أمثال العامة، ثم الأمثالُ التي استعملها الشعراءُ في أشعارهم في الجاهلية والإسلام.

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبيُّ، صلّى الله عليه وسلم: ضرب اللهُ مثلاً صِراطاً مُستقيماً وعلى جَنْبَيِ الصراط أبوابٌ مُفتّحة، وعلى الأبواب سُتور مُرْخيّة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: ادخُلوا الصراطَ ولا تَعْوَجّوا. فالصراطُ الإسلام، والستورُ حدودُ الله، والأبواب محارمُ الله، والداعي القرآن.

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ المُؤمن كالخامة من الزرع، يُقلّبها الريحُ مرّةً كذا ومرّةً كذا؛ ومَثَلُ الكافر مثل الأرزة المُجْذِيَة[1] على الأرض حتى يكونَ انجعافُها[2] بمرّة.

وسأله حُذَيفة: أبعدَ هذا الخير شرٌّ يا رسول الله؟

فقال: جماعة على أقْذاء وهُدْنَة على دَخَن[3].

---

١ المجذية: الثابتة المنتصبة.

٢ انجعافها: انقلاعها.

٣ الاقذاء، جمع قذاة: ما يقع في العين والشراب من تراب او تبن او وسخ، أراد ان اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم. على دخن: اي على فساد واختلاف.

وقولُه حين ذكر الدنيا وزينتَها فقال : إنَّ مما يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقتُلُ حَبطاً أو يُلِمُّ[1] .

وقال لأبي سُفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفَرا[2] .

وقال حين ذكر الغُلوَّ في العِبادة : إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطع ولا ظَهْراً أبْقى[3] .

وقال : صلّى الله عليه وسلم : إيّاكم وخَضراء الدِّمَن .

قالوا : وما خَضراء الدِّمن ؟

قال : المرأةُ الحسناء في المَنْبتِ السّوء .

وذكر الرِّبا في آخر الزمان ، وافتِنان الناس به ، فقال : مَن لم يأكلْه أصابه غُبارُه .

وقال : الإيمان قَيْدُ الفَتْكَ[4] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : الولدُ لِلْفراش وللعاهر الحَجَر[5] .

---

١ الحبط : انتفاخ البطن . يلم : اراد يقرب من القتل .

٢ الفرا : حمار الوحش . مثل ، معناه ان الفرا اعظم الصيد فمن ظفر به اغناه عن كل صيد .

٣ مثل يقال للرجل اذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته ، وانبت انقطع .

٤ الفتك : ان يأتي الرجل صاحبه وهو غافل فيشد عليه فيقتله .

٥ للفراش : اي لمالك الفراش ، وهو الزوج والمولى . الحجر : الخيبة .

وقال في فَرَس : وجدتُه بَحراً .

وقال : إنّ من البيان لَسِحراً.

وقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم: لا يُلْدغ المؤمن من جُحر مرّتين.

وقال : الحرب خَدعة[1] .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أمثالٌ كثيرة غيرُ هذه، ولكنّا لم نذهب في كل باب الى استقصائه، وإنما ذهبنا الى أن نَكتَفي بالبعض ونَسْتدلّ بالقليل على الكثير، ليكون أسهلَ مأخذاً للحفظ، وأبرأ من المَلالة والهرب .

وتفسيرها : أما المثل الأول، فقد فسّره النبيُّ، صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : المؤمن كالخامة والكافر كالأرْزة، فإنّه شبّه المؤمن في تصرّف الأيام به وما يناله من بلائها بالخامة من الزّرْع تُقلّبها الريحُ مرّة كذا ومرة كذا . والخامة في قول أبي عُبيد : الغضّة الرّطبة من الزّرع . والأرْزة : واحدة الأرز، وهو شجر له ثمر، يقال له الصَّنَوْبر . والمُجْذِية : الثابتة، وفيها لغتان : جَذا يجذو، وأجذَى يُجذِي .

---

[1] اي ان الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة، فان المقاتل اذا خدع مرة واحدة لم تكن له اقالة .

والانجعاف : الانقلاع ؛ يقال : جَعفت الرجل ، إذا قلعته وصرعته وضربت به الأرض .

وقوله لحُذيفة : هُدْنة على دَخَن وجَماعة على أقذاء . أراد ما تَنطوي عليه القُلوب من الضّغائن والأحقاد ، فشبّه ذلك بإغضاء الجُفون على الأقذاء . والدّخَن : مأخوذ من الدُّخان ، جعله مثلاً لما في الصدور من الغلّ .

وقوله : إنّ مما يُنبت الرّبيع ما يَقتُل حَبطاً أو يُلِمّ . فالحَبط ، كما ذكر أبو عُبيد عن الأصمعيّ : أن تأكل الدابة حتى تَنتفخ بطنُها وتَمْرض منه ؛ يقال : حَبِطَت الدّابةُ تَحْبَط حَبَطاً . وقوله : أو يُلِمّ ، معناه : أو يَقْرُب من ذلك .

ومنه قوله إذ ذكر أهل الجنة فقال : إنّ أحدَهم إذا نَظر الى ما أعدّ الله له في الجنّة ، فلولا أنه شيء قَضاه الله له لألَمّ أن يَذهب بَصرُه ، يَعْني لما يَرى فيها ؛ يقول : لَقرُب أن يَذهب بصرُه .

وقوله لأبي سُفيان : كلُّ الصّيد في جَوْف الفَرا ، فمعناه أنك في الرّجال كالفَرا في الصّيد ، وهو الحمار الوَحْشيّ ، وقال له ذلك يتألفه على الاسلام .

وقولُه حين ذكر الغلوّ في العبادة : إن المُنْبَتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . يقول : إن المُغِذّ في السّير إذا أفرط

في الإغذاذ عَطِبت راحلتُه من قبل أن يَبْلُغ حاجَته أو يَقضي سَفَرَه ، فشبّه بذلك مَن أفرطَ في العِبادة حتى يَبْقى حَسِيراً .

وقولُه في الرّبا : من لم يأكله أصابه غُباره ؛ إنما هو مَثل لما ينال الناسَ من حُرْمته ، وليس هناك تُراب ولا غُبار .

وقولُه : الإيمانُ قَيْدَ الفَتْك ، أي مَنع منه ، كأنه قيدٌ له .

وفي حديث آخر : لا يَفْتك مؤمن .

وقوله في فَرس : وجدتُه بَحراً ، وإنّ من البيان لَسِحْراً ؛ إنما هو على التمثيل لا على التحقيق .

وكذلك قوله : الولد لِلفِراش وللعاهر الحَجَر ؛ معناه أنه لاحق له في نَسب الولد .

وقوله صلّى الله عليه وسلم : لا ترفَع عَصاك عن أهلك ؛ إنما هو الأدب بالقول ، ولم يُرد ألاّ تَرفع عنهم العصا .

وقوله : لا يُلدغ المُؤمن من جُحر مرّتين ؛ معناه أنّ لَدْغَ مرة يَحْفظ من أخرى .

وقولُه : الحرب خَدعة ؛ يريد أنها بالمكر والخديعة .

أمثال روتها العلماء

خَطب النعمانُ بن بَشير على منبر الكوفة فقال : يأهلَ الكوفة ، إني وجدتُ مَثلي ومَثلكم كالضَّبُع والثَّعلب ، أتيا الضَّبَّ في جُحْره ، فقالا : أبا حِسْل[1] .

قال : أجِبتما ؛ لِمَ جِئتما ؟

قالا : جِئناك نَختصم .

قال : في بَيْته يؤتى الحَكم .

قالت الضَّبع : فتحتُ عَيْبتي[2] .

قال : فِعْلَ النساء فعلتِ .

قالت : فلقطتُ تمرة .

قال : حلْواً جنيتِ .

قالت : فاختطفها ثُعالة ؛ قال : نفسه بَغَى – ثُعالة : اسم الثعلب ، الذكر والأنثى .

قالت : فلطمتُه لطمةً .

---

١ الحسل : ولد الضب .

٢ العيبة : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .

قال : حقًّا قضيتِ .

قالت : فلطَمني أُخرى .

قال : كان حُرًّا فانتصر .

قالت : فاحكُم الآن بيننا .

قال : حدِّث حديثين امرأة وإن لم تفهم فأربعة .

•

وقال عبدُ الله بنُ الزُّبير لأهل العِراق : وَدِدْتُ والله أن لي بكم من أهل الشام صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم .

قال له رجلٌ منهم : أتدري يا أميرَ المؤمنينَ ما مَثَلنا وَمَثَلك ومَثَل أهل الشام ؟

قال : وما ذاك ؟

قال : ما قاله أعشى بكر حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رجلاً
غيري ، وعُلِّق أخرى ذلك الرجلُ

أحببناك نحن ، وأحببتَ أنتَ أهلَ الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك بن مروان .

مثل في الرياء

يحيى بن عبد العزيز قال : حدَّثني نُعَيم عن إسماعيل عن رجلٍ من ولد أبي بكر الصِّدِّيق ، رضوانُ الله عليه ، عن وَهْب ابن مُنَبِّه قال : نصب رجلٌ من بني إسرائيل فَخّاً فجاءت عُصفورة فنزلت عليه ، فقالت : ما لي أراك مُنْحَنياً ؟

قال : لكثرة صَلاتي انحنيت .

قالت : فما لي أراك بادية عِظامُك ؟

قال : لكثرة صِيامي بَدَت عظامي .

قالت : فما لي أرى هذا الصُّوفَ عليك ؟

قال : لزُهْدي في الدُّنيا لبستُ الصُّوف .

قالت : فما هذه العَصا عندك ؟

قال : أتوكأ عليها وأقضي بها حَوائجي .

قالت : فما هذه الحبّة في يَدك ؟

قال : قُرْبان إن مرَّ بي مِسكين ناولته إياها .

قالت : فإني مِسكينة .

قال : فخذيها .

فَدَنَت فَقَبَضَت على الحبّة فإذا الفخُّ في عُنقها . فجعلت تقول : قَمِي قَعِي ، تفسيره : لا غرّني ناسكٌ مُرَاءٍ بعدك أبداً .

•

داودُ بن أبي هِنْـد عن الشَّعْبِيّ : أنّ رجلاً من بني اسرائيل صاد قُبَّرة ، فقالت : ما تُريد أن تَصنع بي ؟

قال : أذبحك فآكُلك .

قالت : والله مـا أَشْفي من قَرَم ولا أُغني من جُوع ، ولكني أُعلّمك ثلاثَ خِصال هي خَيْر لك من أَكْلي : أما الواحدة فأعلّمك إياها وأنا في يدك ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صِرْت على هذا الجَبَل .

فقال : هاتِ الأولى .

قالت : لا تَتَلَهَّفَنّ على ما فاتك .

فخلّى عنها . فلما صارتْ فوقَ الشجرة ؛ قال : هاتِ الثانية .

قالت : لا تُصَدِّقن بما لا يكون أنه يكون .

ثم طارت فصارت على الجبل ؛ فقالت : يا شَقيّ ، لو ذبحتني لأخرجتَ من حَوْصلتي دُرّةً وَزْنها عشرون مثقالاً .

قال : فعَضّ على شَفَتَيْه وتلهّف ، ثم قال : هاتِ الثالثة .

قالت له : أنت قد نَسِيت الاثنتين ، فكَيف أُعلّمك الثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تتلهفنّ على ما فاتك ؟ فقد تلهفتَ

عليّ إذ فنتك ، وقلت لك : لا تصدّقن بما لا يكون أنه يكون ، فصدّقت ، أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها !

•

وفي كتاب للهند : مَثل الدُّنيا وآفاتها ومَخاوفها والموت والمعاد الذي إليه مَصير الإنسان . قال الحكيمُ : وجدتُ مَثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات مَثلَ رَجل ألجأه خوفٌ إلى بئر تدلى فيها وتعلّق بغُصنين نابتين على سَفير البئر ، ووقعتْ رجلاه على شيء فمدّهما ، فنظر فإذا بحيّات أَرْبع قد أطْلعن رؤوسهن من جُحورهن ، ونظر إلى أسفل البئر فإذا بثُعبان فاغر فاهُ نحوَه ، فرفع بصره إلى الغُصْن الذي يتعلق به ، فإذا في أصله جُرَذان أبيضُ وأسود يَقرضان الغُصن دائبَيْن لا يَفترُان .

فبينما هو مُغتمٌّ بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته . إذ نظر فإذا بجانبٍ منه جُحْرُ نَحْل قد صَنَعْن شيئاً من عسل ، فتطاعم منه فوَجَدَ حلاوتَه ، فشَغلته عن الفِكْر في أمره والتماس النّجدة لنفسه ، ولم يَذْكُر أنّ رِجلَيْه فوق أربع حيّات لا يدري متى تُساوره إحداهن ، وأنّ الجُرَذين دائبان في قرْض الغُصْن الذي يتعلّق به ، وأنهما إذا قطعاه وقع في فم التّنّين ، ولم يزل لاهياً غافلاً حتى هلك .

قال الحكيمُ : فشبَّهت الدنيا المملوءة آفاتٍ وشرُوراً ومخاوفَ بالبئر ، وشبَّهت الأخلاط التي بُني جَسَدُ الإنسان عليها من المرَّتين والبَلغم والدَّم بالحيّات الأربع ، وشبَّهت الحياة بالغُصنين اللذين تعلَّق بهما ، وشبَّهت الليل والنهار ودورانهما في إفناء الأيام والأجيال بالجُرَذين الأبيض والأسود اللذين يَقرِضان الغُصْنَ دائبَيْن لا يَفتران ، وشبَّهتُ الموت الذي لا بد منه بالتِّنِّين الفاغر فاهُ ؛ وشبَّهْتُ الذي يرى الإنسانُ ويَسمع ويَطعم ويَلمس فيُلْهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مَصيرُه بالعُسَيلة التي تطاعمها .

من ضرب به المثل من الناس

قالت العربُ : أسخَى من حاتم ، وأشجع من رَبيعةَ بن مُكَدَّم[1] ، وأدْهَى من قَيْس بن زُهير ، وأعزُّ من كُلَيب وائل[2] ، وأوْفى من السَّمَوأل[3] ، وأذْكى من إياس بن معاوية[4] ، وأسْود من قَيْس بن عاصم[5] ، وأمْنع من الحارث بن ظالم[6] ، وأبلغ من سَحْبان وائل[7] ، وأحْلم من الأحْنف بن قيس[8] ، وأصْدق من أبي ذرّ الغفاري[9] ، وأكـذب من مُسَيلمة

---

١ ربيعة بن مكدم : احد فرسان العرب المشهورين ، وهو من كنانة .

٢ كان يحمي الكلأ فلا يقرب ، ويجير الصيد فلا يهاج . وكان اذا مر بروضة أعجبته أو غدير ارتضاه كنع كلباً ثم رمى به هناك ، فحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يرعى .

٣ السموأل بن عادياء اليهودي ، وحديث وفائه بحفظه أدرع امرىء القيس حتى ذبح ابنه ولم يسلم الدروع ، معروف .

٤ اياس بن معاوية : احد اذكياء العرب المشهورين .

٥ قيس بن عاصم ضرب المثل بسودده .

٦ الحارث بن ظالم : فارس ضرب المثل بفتكه ، وبمنعه من استجار به .

٧ سحبان وائل : احد خطباء العرب المشهورين ببلاغتهم .

٨ الأحنف بن قيس ، ويكنى ابا بحر ، اشتهر بحلمه .

٩ ابو ذر الغفاري من الصحابة .

الحنفي[١]، وأعيا من باقل[٢]، وأمضى من سُليك المقانب[٣]، وأنعم من خُرَيم النّاعم[٤]، وأحمق من هَبَنَّقة[٥]، وأفتك من البَرّاض[٦].

١ مسيلمة الحنفي ، ويلقب بالكذاب لادعائه النبوة .
٢ باقل : رجل من ربيعة ضرب المثل بعيه عن الكلام.
٣ سليك بن سلكة : تميمي من بني سعد ، وسلكة أمه ، وكانت سوداء ، كان من العدائين. والمقانب، واحدها مقنب: من الابل ما بين الثلاثين الى الاربعين .
٤ خريم بن خليفة المري ، وكان متنعماً فسمي خريم الناعم .
٥ هبنقة : هو ذو الودعات ، واسمه يزيد بن ثروان ، احد بني قيس بن ثعلبة .
٦ البراض بن قيس الكناني . فتك بعروة الرحال ، وبسبب فتكته هذه وقعت حرب الفجار بين خندف وقيس .

من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأم من البَسُوس ، وأمنع من أم قِرْفة ، وأحْمَق من دُغة ، وأبْصَر من زرقاء اليمامة — البَسوس : جارة جسّاس بن مُرّة بن ذُهْل بن شيْبان ، ولها كانت الناقةُ التي قُتل من أجلها كُلَيب بن وائل ، وبها ثارت بين بكر بن وائل وتغْلب الحرب التي يُقال لها حَرْب البَسوس . وأم قِرْفة : امرأة مالك بن حُذَيفة بن بَدْر الفزاريّ ، وكان يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً كلُّ سيف منها لذي مَحْرَم لها . ودُغَة : امرأة من عِجْل بن لُجَيم ، تزوّجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم[١] . وزَرقاء بني نُمير : امرأة كانت باليمامة تُبصر الشَّعرة البيضاء في اللبن ، وتَنْظُر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تُنذر قومها الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتيهم جَيْشٌ إلا وقد استعدُّوا له ، حتى احتال لها بعضُ مَن غزاهم ،

---

١ كان من حمقها انها حملت ، فلما جاءها المخاض ظنت انها تريد الخلاء ، فبرزت الى بعض الغيطان ، فولدت ، وتركت ولدها ظناً منها انها احدثت ، فذهبت ضرتها فأخذت الولد .

فأمر أصحابَه فقطعوا شجراً وأمسكوه أمامَهم بأيديهم ، ونَظرت الزّرقاء ، فقالت : إني أرى الشجر قد أقبل إليكم .

قالوا لها : قد خَرِفتِ ورقّ عقلُكِ وذَهَب بصرُكِ .

فكذّبوها ، وَصبّحتهم الخيلُ ، وأغارت عليهم ، وقُتلت الزّرقاء .

قال : فَقَوّرُوا عَينيها فوجدوا عُروق عَينيها قد غَرِقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

•

ما تمثلوا به من البهائم

قالوا: أشجع من أسد، وأجْبَن من الصَّافر[١]، وأمضى من لَيْث عِفِرّين[٢]، وأحْذَر من غُراب، وأبْصر من عُقاب ملاع[٣]، وأزْهى من غُراب، وأذَلُّ من قُراد بمَنْسِم[٤]، وأسْمع من فَرَس، وأنْوَم من فَهْد، وأعقّ من ضَبّ[٥]، وأجْبَن من صِفْرِد[٦]، وأحقد من جَمَل، وأضْرَع من سِنَّوْر[٧]، وأسرَق من زَبابة، وأصْبَر من عَوْد، وأظْلم من حَيّة، وأحنُّ من ناب[٨]، وأكْذَبُ من فاخِتة[٩]، وأعزُّ من بَيْض

---

١ الصافر: طائر يصفر ليلاً خيفة أن ينام فيؤخذ.

٢ ليث عفرين: ضرب من العناكب يصيد الذباب، وقيل غير ذلك.

٣ ملاع: اسم للصحراء.

٤ القراد: دويبة تتعلق بالبعير، وهي كالقمل للانسان. المنسم: خف البعير.

٥ ارادوا من ضبة فاسقطوا التاء لكثرة الاستعمال، ومن عقوقها انها تأكل اولادها.

٦ الصفرد: طائر من خشاش الطير أعظم من العصفور يألف البيوت.

٧ اضرع: اذل. السنور: الهر.

٨ الناب: الناقة المسنة، وهي اشد حنيناً الى ولدها من غيرها ليأسها من النتاج.

٩ الفاختة: الحمامة.

الأنوق[١]، وأجوع من كلبة حومل[٢]، وأعز من الأبلق العقوق[٣]. الصافر : ذو الصفير من الطير. والعود : المسن من الجمال. والزبابة : الفأرة تسرق دود الحرير. والأنوق : طير يقال إنه يبيض في الهواء. وفاختة : طير يطير بالرطب في غير أيامه.

١ الانوق : الرخمة . وعز بيضها اذ لا يظفر به لانه يكون في رؤوس الجبال والاماكن البعيدة الصعبة .
٢ حومل : امرأة من العرب كانت تجيع كلبة لها ، حتى اكلت ذنبها من الجوع .
٣ العقوق : الحامل من النوق . والأبلق من صفات الذكور ، والذكر لا يحمل ، فكأنه قال : طلب الذكر الحامل . يضرب لما يعز وجوده .

ما ضرب به المثل

من غير الحيوان

قالوا : أهْدى من النّجم ، وأجود من الدّيم ، وأصبح من الصّبح ، وأسْمَح من البَحر ، وأنْوَر من النّهار ، وأمضى من السّيل ، وأحْمَق من رِجْلَة[1] ، وأحْسن من دُمية ، وأنْزه من رَوْضة ، وأوسع من الدهناء[2] ، وآنس من جَدْول ، وأضيق من قرار حافِر ، وأوحش من مَفازة ، وأثقل من جبل ، وأبقى من الوَحي[3] في صُمّ الصّلاب ، وأخفّ من رِيش الحَواصِل .

١ الرجلة : هي البقلة التي تسميها العامة الحمقاء ، وانما حمقوها لانها تنبت في مجاري السيول فيمر السيل بها فيقتلها .

٢ الدهناء : رملة من ديار بني تميم .

٣ الوحي : الكتابة ، والمكتوب ايضاً .

ومما ضربوا به المثل

قولهم : قَوْس حاجب ، وقُرط مارِيَة ، وحَجّام ساباط ، وشقائِق النعمان ، ونَدامة الكُسَعِيّ ، وحَدِيث خُرافة ، وكَنْزُ النَّطِف ، وخُفّا حُنَيْن ، وعِطْر مَنْشِم .

أمّا قوسُ حاجب ، فقد فسّرنا خبرَه في كتاب الوفود[1] .

وأما قُرط مارية ، فإنها مارية بنتُ ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعاوية الكِنْديّ ، وأختها هِند الهُنود ، امرأة حُجْر آكل المُرار ، وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره النابغة بقوله : والحارثُ الأعرجُ خيرُ الأنام .

وإيّاها يعني حسّانُ بن ثابت بقوله :

أوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبيهمُ ،
قبرِ ابن مارِيَةَ الكريم ، المُفضِلِ

وأما حَجّام ساباط ، فإنه كان يَحْجُم الجُيوشَ بِنَسِيئةٍ إلى انصرافهم ، من شِدّة كَساده ، وكان فارسيّاً ، وساباط هو

---

[1] هو حاجب بن زرارة ، رهن قوسه عند كسرى لقاء ضمانه له عدم غدر العرب وافسادهم البلاد .

ساباط كِسرى[1]. ونُسبت شقائق النُّعمان إليه ، لأن النُّعمان ابنَ المُنذر أمرَ بأن تُحمَى وتُضرب قُبَّته فيها استحساناً لها ، فنُسِبت إليه ، والعرب تُسمّيها الشُّقِر .

وأما خُرافة ، فإنّ أنس بنَ مالك يَرْوي عن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال لعائشة ، رضي الله عنها : إن مِن أصدق الأحاديث حديث خُرافة . وكان رجلاً من بني عُذْرة سَبَتْهُ الجِنّ ، وكان معهم ، فإذا استرقُوا السمع أخبروه ، فيُخْبِرُ به أهلَ الأرض ، فيجدُونه كما قال .

وأما كَنْز النَّطِف ، فهو رجلٌ من بني يَرْبوع ، كان فقيراً يحمل الماء على ظَهْره فيَنْطُف ، أي يَقْطُر ، وكان أغار على مالٍ بَعث به باذانُ من اليمن إلى كِسْرى ، فأعْطى منه يوماً حتى غَربت الشمس ، فضَربت بـه العربُ المثَل في كَثْرة المال .

وأما خُفّا حُنَين ، فإنه كان إسكافاً من أهلِ الحيرة ساوَمه أعرابيّ بخُفّين ، فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يَغِيظ الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ أحدَ الخُفّين فألقاه في طريق الأعرابيّ ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طَريقه ، فلما مَرّ الأعرابي بالخُفّ

---

[1] ساباط كسرى : موضع بالمدائن .

الأول ، قال : ما أشبه هذا بِخُفّ حُنَين ، لو كان معه صاحبه لأخذتُه . فلما مَرّ بالآخر نَدِم على تَرْك الأول . فأناخ راحلته وانصرف إلى الأول ، وقد كَمَن له حُنَين ، فَوثب على راحلته وذهب بها ، وأقبل الأعرابيّ ليس معه غيرُ خُفَّي حُنَين ، فَذَهبت مَثَلا .

وأما عِطْر مَنْشِم ، فإنها كانت امرأة تَبيع الحنوط في الجاهليّة ، فقيل للقوم إذا تَحاربوا : دَقّوا عِطْر مَنْشِم ، يراد بذلك طِيبُ المَوْتى .

وأما نَدامة الكُسَعيّ ، فإنه رجل رَمى فأصاب وظَنّ أنه أخطأ فكَسر قوسَه ، فلما علم نَدِم على كَسر قوسه ، فضُرب به المثل .

أمثال أكثم بن صيفي

وبزرجمهر الفارسي

العقلُ بالتجارب . الصاحبُ مُناسب . الصديقُ مَن صدّق غَيْبَه . الغريبُ مَن لم يَكن له حَبيب . رُبّ بعيدٍ أقربُ من قَريب . القريبُ مَن قَرُب نفعُه . لو تكاشفْتم ما تدافنتم[1] . خيرُ أهلِك مَن كفاك . خيرُ سلاحك ما وقاك . خيرُ إخوانك من لم تَخبُره[2] . رُبَّ غريبٍ ناصحُ الجيْب[3] ، وابن أبٍ متَّهم الغَيْب .

أخوك مَن صدَقك النّصيحةَ . الأخُ مرآة أخيه . إذا عزّ أخوك فهُن . مُكْرَهٌ أخوك لا بَطل[4] . تباعدُوا في الدّيار وتقاربوا في المحبّة . أيّ الرّجال المُهذّب[5] . من لك بأخيك

---

١ تكاشفتم : تكشف عيب بعضكم لبعض .

٢ تخبره : تختبره .

٣ ناصح الجيب : أمين .

٤ مثل يضرب لمن يحمل مكرهاً على امر .

٥ مثل يضرب للرجل يعرف بالاصابة في الامور وتكون منه السقطة .

كلّه[1]. إنّك إن فرّجت لاقِ فرَجا. أحْسِن يُحْسَن إليك. ارْحَم تُرْحَم. كما تَدِين تُدان. مَن بَرّ يوماً بُرَّ به، والدهرُ لا يُغتَرّ به. عينٌ عرفتْ فذارفتْ[2]. في كلّ خِبْرة عِبْرة. مِن مَأمنه يُؤتى الحَذِر. لا يَعْدُو المرءُ رِزْقَه وإن حرَص.

إذا نزَل القدَرُ عمِي البَصر. إذا نزَل الحَين نزَل بين الأذنِ والعَيْن. الخَمْرُ مِفتاح كلّ شرّ. القَناعة مالٌ لا يَنْفد. خيرُ الغِنى غِنى النّفس. مُنْساقٌ الى ما أنت لاقٍ. خُذ من العافية ما أُعطيت. ما الإنسان إلا القلب واللّسان. إنّما لك ما أمْضَيت.

لا تتكلّف ما كُفيت ولا تُضيّع ما وَليت. القَلَم أحَدُ اللّسانَين. قِلّة العِيال أحَد اليَسارَيْن. رُبما ضاقت الدُّنيا باثنين. لن تَعْدَم الحسناءُ ذاماً[3]. لن يَعْدَم الغاوي[4] لائماً. لا تكُ في أهلك كالجنازة[5]. لا تَسْخر من شيء فيَحُورَ بك[6]. أخّر الشرّ فإذا شئتَ تعجّلته.

---

١ أي من يكفل لك بأخ كل ما فعله يرضيك.

٢ مثل يضرب لمن رأى الامر فعرف حقيقته.

٣ الذام: العيب.

٤ الغاوي: الضال.

٥ أي ميتاً لا ينتفع بك.

٦ يحور بك: يعود عليك وتبتلى به.

صَغير الشرّ يُوشِكُ يوماً أن يَكْبُر . يُبْصِرِ القلبُ ما يَعْمى عنه البَصر . الحُرّ حُرّ وإنْ مَسّه الضُرّ . العَبْد عَبْد وإن ساعدَه جَدّ .

مَن عرف قدرَه استبان أمره . مَن سَرّه بَنُوه ساءته نفسه[1] . من تَعظّم على الزمان أهانَه . من تعرّض للسلطان أرداه ومن تَطامن له تخطّاه . مِن خَطا يَخطو .

كلّ مَبْذول مَمْلول . كل ممنوع مرغوب فيه . كل عزيز تحت القُدرة ذليل .

لكلّ مقام مَقال . لكل زمان رجال . لكل أجل كتاب . لكل عَمَل ثَواب . لكل نبإٍ مُسْتَقَر . لكل سرّ مُسْتَودع .

قيمةُ كلّ إنسان ما يُحْسن . اطلُب لكلّ غَلَق مِفتاحاً . أكْثِرْ في الباطل يكُن حقّاً . عند القَنَط يأتي الفرَج . عند الصَّباح يُحمد السُّرى[2] .

الصِّدق مَنْجاة والكَذب مَهواة . الاعتراف يَهْدم الاقتراف . رُبّ قول أنفذُ من صَول[3] . رُبّ ساعة ليس بها طاعة . رُبّ عَجلة تُعقِبُ رَيْثاً[4] . رُبّ كلام أقطَعُ من حُسام .

---

١ مثل يضرب في التأسف على العمر الذاهب .

٢ مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

٣ الصول : الحملة والوثبة عند الخصومة .

٤ اي ان العجول لا يحكم الأمر فيحتاج الى اعادته فيطول عليه .

بعضُ الجَهْل أبلغ من الحِلم . وَربيعُ القَلْب ما اشتهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإله المَعْبود . الرأي نائمٌ والهوى يَقْظان . غلب عليك مَن دَعا إليك[1] .

لا راحةَ لحَسُود ولا وَفاء لِمَلُول . لا سُرورَ كطيب النفس . العُمْرُ أقصرُ من أن يَحْتَمِلَ الهجْر . أحقُّ الناس بالعَفْو أقدرُهم على العُقوبة .

خيرُ العِلم ما نَفع . خيرُ القَوْل ما اتُّبع . البِطْنَة[2] تُذهِب الفِطْنَة . شرُّ العَمى عَمى القلب . أوثقُ العُرى كلمة التَّقوى . النِّساء حَبائل الشَّيطان . الشَّباب شُعْبَة من الجنون . الشَّقيّ شَقيٌّ في بَطْن أمه . السَّعِيدُ مَن وُعظ بغَيْره .

لكلِّ امرئ في بَدَنه شُغل . مَن يَعْرف البلاءَ يَصْبر عليه . المَقادِير تُريك ما لا يَخْطُر ببالك . أفضلُ الزاد ما تَزَوّدته للمَعاد . الفَحْل أحْمى للشَّول[3] .

صاحب الحُظوة غدا مَن بَلَغ المَدى . عواقبُ الصَّبر

---

١ اي أن من ناصرك وأعانك كانت له الكلمة المسموعة عندك بيده عليك .
٢ البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل .
٣ الشول : النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية .

مَحْمودة . لا تُبْلَغ الغاياتُ بالأماني . الصَّريمةُ على قَدْر العَزيمة . الضَّيفُ يُثْني أو يَذُم . مَن تَفكَّر اعتبر .

كم شاهدٍ لك لا يَنْطِق . ليس منك من غَشَّك . ما نَظَر لامرىء مثلُ نفسه . ما سدَّ فَقرك إلا مِلْكُ يمينك . ما على عاقل ضَيعة . الغِنى في الغُرْبة وَطن والمُقِلُّ في أهله غَريب . أوَّل المَعرفة الاختبار .

يَدك منك وإن كانت شَلاّءَ . أنفُك منك وإن كان أجْدع[1] . من عُرِف بالكَذِب لم يَجُز صِدْقُه ومن عُرِف بالصِّدق جاز كَذِبه . الصِّحة داعيةُ السُّقم ، الشباب داعيةُ الهَرَم . كثرة الصِّياح من الفَشَل .

إذا قَدُمت المُصيبة تُرِكت التَّعزية . إذا قَدُم الإخاء سمُج الثَّناء . العادةُ أملكُ من الأدب . الرِّفقُ يُمن والخُرْق شُؤْم . المرأة رَيحانة وليست بقَهْرمانة . الدالُّ على الخير كفاعله . المُحاجزة قبل المناجزة[2] . قبل الرِّماية تُملأ الكَنائن . لكلِّ ساقِطَة لاقِطَة[3] .

---

١ الأجدع : المقطوع .

٢ المحاجزة : من قولك حجزت بين الشيئين . المناجزة : سرعة القتال . أي انكف عن الشر قبل وقوعه ، وعجل الفرار ممن لا طاقة لك به .

٣ الساقطة : أي لكل كلمة يخطىء فيها الانسان من يحفظها فيحملها عنه . يضرب في التحفظ عند النطق .

مَقتل الرَّجل بين فكَّيه . تَرْكُ الحَرَكة غَفلة . طُول الصَّمت حُبْسة . من خيرِ خَبَر أن تَسمَع بمطر . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخَوَنة . قيِّدوا النِّعم بالشكر .

من يَزرع المعروفَ يَحصُد الشكر . لا تَغترَّ بمودَّة الأمير اذا غشَّك الوزير . أعظمُ من المُصيبة سُوء الخَلَف منها . مَن أراد البقاء فليوطِّن نفسه على المصائب . لقاء الأحبَّة مَسلاة للهمّ . قَطيعة الجاهل كصِلة العاقل .

مَن رَضِيَ عن نفسه كَثُر الساخط عليه . قَتلَت أرضٌ جاهلَها[1] ، وقَتل أرضاً عارفُها[2] . أدْوأ الداء الخُلق الدَّنيّ واللسان البَذِيّ . إذا جعلك السلطانُ أخاً فاجعلْه ربّاً . احذر الأمينَ ولا تأمن الخائن .

عند الغاية يُعرف السابق . عند الرِّهان يُحمَد المضمار[3] . السُّؤال وإن قلَّ أكثرُ من النَّوال وإن جلَّ . كافىء المعروفَ بمثله أو انشُره . لا خَلَّة مع عَيْلة[4] ، ولا مُرُوءة مع ضُرّ ، ولا صَبر مع شَكوى .

---

١ يضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به .
٢ يريد أن الرجل العالم بالارض عند سلو كها يذللها ويغلبها بعلمه .
٣ المضمار : الأيام التي تضمر فيها الخيل للسباق
٤ الخلة : الصداقة . العيلة : الفقر .

ليس من العَذْل سُرعة العَذْل. عبدُ غيرك حرٌّ مِثْلك. لا يَعْدمُ الخيارَ مَن استشار. الوضيعُ من وَضَع نفسه. المَهِين من نَزَل وَحْده. من أكْثر أهْجَر[1]. كفى بالمرء كَذِباً أن يُحدّث بكلّ ما سَمِع. كلّ إناء يَنْضَح بما فيه. العادة طَبْعٌ ثانٍ.

١ أهجر: أفحش في كلامه.

ومن أمثال العرب

مما روى أبو عبيد

جرّدناها من الآداب التي أدخلها فيها أبو عُبيد ، إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كُتُباً غير هذا ، وضمّمنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسّرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير، فمن ذلك قولهم :

في حفظ اللسان

لِعُمَر بن عبد العزيز : التقيُّ مُلْجَم[1] .

لأبي بكر الصّديق : إنّ البلاءَ مُوكّل بالمنطق .

لابن مسعود : ما شيءٌ أولى بطُول سِجْن من لِسان .

لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يَختَزِن من لسانه ولِسان غيره .

احذَر لسانَك لا يَضرب عُنُقك . جُرْح اللّسان كجُرْح

---

١ اي كأن له لجاماً يمنعه من الميل عن الحق قولا وفعلاً .

اليد . رُبَّ كلامٍ أقطعُ من حُسام . القول يَنْفُذ ما لا تَنْفُذ الإبَرُ . قال الشاعر :

وقد يُرجَى لجُرح السَّيف بُرْءٌ،
ولا بُرْءٌ لما جرَح اللِّسانُ

اجتلَبنا هذا البيت لأنه قد صار مَثلاً سائراً للعامة ، وجعلنا لأمثال الشعراء في آخر كتابنا هذا باباً .

وقال أكثم بن صَيْفي: مَقْتَل الرَّجل بين فكَّيه . وقال : ربما أعْلَمُ فأذَرُ . يريد أنه يَدع ذِكرَ الشيء وهو به عالم لما يَحْذر من عاقبته .

•

اكثار الكلام وما يتقى منه

قالوا : مَن ضاق صَدْرُه اتَّسع لسانه . ومن أكثر أهْجَر ؛ أي خَرَج إلى الهُجْر ، وهو القبيح من القَول . وقالوا : المِكثار كحاطب ليل[1] . وحاطِبُ اللَّيل ربما نَهشَتْه الحيَّة أو لسعتْه العَقْرب في احتطابه ليلاً . وقالوا : أوَّل العيّ الاختلاط[2] ، وأسوأ القَول الإفراط .

•

١ هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكل ما يهجس في خاطره ، والجاني على نفسه بلسانه .

٢ الاختلاط : الغضب ، والغضب عي عن الجواب .

في الصمت

قالوا : الصمتُ حُكمٌ[1] وقليلٌ فاعله. وقالوا : عَيٌّ صامت خَيْرٌ من عَيٍّ ناطق. والصمتُ يُكْسِب أهله المحبّة. وقالوا : اسْتَكْثِر من الهَيبة الصَّموتُ. والندم على السكوت خيرٌ من النّدم على الكلام. وقالوا : السُّكوت سَلامة.

•

القصد في المدح

منه قولهم : من حَفَّنا أو رَفَّنا فَلْيَقْتَصِد[2]. يقول : مَن مدحنا فلا يَغْلونّ في ذلك. وقولهم : لا تَهْرِف بما لا تَعرف[3]. والهَرْف : الإطْناب في المدْح والثناء. ومنه قولهم : شاكِهْ أبا يَسار، من دون ذا يَنْفُق الحِمار. أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صَعْصعة قال : لقي أبو يسار رجلا بالمِرْبد يَبيع حِماراً ورجلا يُساومه، فجعل أبو يسار يُطْري الحِمار، فقال المشتري : أعَرَفْتَ الحمار؟ قال : نعم؛ قال : كيف سَيْرُه؟ قال : يُصْطاد به النعامُ مَعْقولاً؛ قال له البائع : شاكِهْ أبا يسار، مِن دُون ذا يَنْفق الحمار[4]. والمُشاكهة : المُقاربة والقصد.

•

---

١ حكم : حكمة.

٢ الحف : ازالة ما على الوجه من الشعر تزييناً له. الرف : التناول، مأخوذ من : رف الغزال ثمر الأراك.

٣ يضرب لمن يتعدى الحدود في مدح الشيء.

٤ ينفق الحمار : يموت.

منه قولهم : من صَدَق الله نَجا . ومنـه قولهم : سُبَّني واصْدُق . وقالوا : الكذب داء والصّدق شِفَاء . وقولهم : لا يكْذب الرائدُ أهلَه ؛ معناه أن الذي يَرْتاد لأهله منزلاً لا يكذبهم فيه . وقولهم : صَـدَقني سِنُّ بَكْرِه ؛ أصلُه أن رجـلاً ابتاع من رجل بعيراً فسأله عن سنّه ، فقال له : إنـه بازل ؛ فقال له : أنِخْه ، فلما أناخه ، قال : هِدَعْ هِدَعْ ، وهذه لفظة تُسكّن بها الصّغار من الابل ؛ فلما سمع المُشْتري هذه الكلمة ، قال : صَدَقَني سِنُّ بَكْرِه . ومنه قولهم : القَوْل ما قالتْ حَـذَام ؛ وهي امرأة لُجَيم بن صعْب والد حَنيفة وعِجْل ، ابني لجيم ، وفيها قال :

إذا قالتْ حَذامِ فصَدّقوها ، فإن القولَ ما قالتْ حَذامِ

•

من أصاب مرة وأخطأ مرة

منه قولهم : شُخْبٌ في الاناء وشُخب في الأرض ؛ شُبـه بالحالب الجاهل الذي يَحْلُب شُخْباً في الاناء وشُخْباً في الأرض . وقولهم : يَشُجّ مرة ويأسو أخرى[1] . وقولهـم : سَهْم لك

---

١ يشج ، من شج الرأس : جرحه وكسره . يأسو : يداوي . اي يخطىء مرة ويصيب اخرى .

وسهم عليك. وقولهم : اطرقي وميشي ؛ والطَّرْق : ضَرْب الصوف بالمِطْرقة ، والمَيْش أن يُخلطَ الشَّعرُ بالصُّوف ، والمِطْرقة : العُود الذي يُضْرَب به بين ما خُلط .

•

سوء المسألة وسوء الاجابة

قالوا : أساء سَمْعاً فأساء جابة ؛ هكذا تُحكى هذه الكلمة جابة بغير ألف ، وذلك أنه اسم موضوع . يقال : أجابني فلان جابةً حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابة بالألف. وقالوا : حدّث امرأة حَديثين فإن لم تَفْهم فأربعة . كذا في الأصل ، والذي أحفظ فارْبَعْ ، أي أمسِك . وقولهم : إليك يُساق الحديث .

•

من صمت ثم نطق بالفهاهة

قالوا : سكت ألفاً ونَطق خَلْفاً ؛ الخَلْف من كل شيء : الرديء .

•

المعروف بالكذب يصدق مرة

قولهم : مَع الخواطىء سَهْمٌ صائب . ورُبَّ رَمْية من

غيرِ رامٍ[1] . وقولهم : قد يَصدُق الكَذُوب .

●

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكل جواد كَبْوة ، ولكلّ صارم نَبْوة ، ولكل عالِم هَفْوة[2] . وقد يَعثُر الجواد . ومَن لك بأخيك كُلّه . وأيّ الرجال المُهذّب .

●

كتمان السر

قالوا : صَدْرك أوْسع لسرّك . وقالوا : لا تُفشِ سِرك إلى أمة ، ولا تَبُلْ على أكمةٍ . يقول : لا تُفشِ سِرّكَ إلى امرأة فتُبْديه ، ولا تَبُلْ على مكان مُرتفع فتَبْدوَ عوْرتك . ويقولون إذا أسرّوا إلى الرجل: اجعل هذا في وعاءٍ غيرِ سَرِبٍ[3] . وقولهم : سِرُّكَ من دمِك . وقيل لأعرابي : كيف كِتمانك السرّ؟ فقال : ما صَدْرِي إلاّ قبر .

●

---

١ اي قد يصيب الغرض من ليس له عهد بالرماية .

٢ كبوة : عثرة . نبوة : تجاف عن الضريبة . الهفوة : الزلة .

٣ أي غير سرب ماؤه ، لأن السيلان يكون للماء .

انكشاف الأمر بعد اكتتامه

قولهم : حَصْحَصَ الحقُّ. وقولهم : أَبْدَى[1] الصَّريحُ عن الرَّغْوَةِ. وفي الرَّغوة ثلاث لغات : فتح الراء وضمّها وكسرها. وقولهم : صَرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبْدِ[2] . وقالوا : أفْرَخَ القوم بَيْضَتَهم ، أي أخْرَجوا فَرْخَتَها ، يريدون أظهروا سِرَّهم . وقولهم : بَرِحَ الخفاء[3] ، وكُشِفَ الغِطاء .

•

ابداء السر

قالوا : أفضيتُ إليك بشُقُوري[4]، أي أخبرتُك بأمْري ، وأطلعتُك على سرّي . وقولهم : أخبرتُك بعُجَري وبُجَري ، أي أطلعتُك عن مَعايبي ؛ والعُجَر : العرُوق المُنْعقدة ، وأما البُجَر فهي في البَطن خاصّة . وتقول العامة : لو كان في جَسَدي بَرَص ما كَتَمْتُه .

•

---

١ ابدى ، لازم ومتعد ، فعلى الأول يكون المعنى : بدا الصريح عن الرغوة ، يضرب للأمر ينكشف بعد استتاره. وعلى الثاني، فالمفعول محذوف: أي أبدى الصريح نفسه .

٢ صرح : بين . المحض : اللبن الخالص الذي لا رغوة فيه .

٣ برح : زال ، أي زال السر فوضح الأمر .

٤ الشقور : الامور المهمة .

قالوا : الحديث ذو شُجون ، وهذا المثل لضَبَّة بن أدّ ، وكان له ابنان : سَعْد وسَعيد . فخرجا في طلب إبلٍ لهما ، فرجع سَعْد ولم يَرْجع سعيد ، فكان ضبّة كلما رأى رجلا مقبلا ، قال : أسَعد أم سَعيد ؟ فذهبت مثلا .

ثم إنّ ضبّة بينما هو يَسير يوماً ومعه الحارث بن كَعْب في الشّهر الحَرام إذ أتى على مكان ، فقال له الحارث : أترى هذا الموضع ؟ فإني لقيتُ فتى هيئته كذا وكذا فقتلته وأخذتُ منه هذا السيف .

فإذا بصفة سعيد ، فقال له ضَبّة : أرني السَّيفَ أنظُرْ إليه ؛ فناولَه فعَرفه ، فقال له : إن الحديث ذو شُجون .

ثم ضَربه به حتى قَتَله ؛ فلامَه الناسُ في ذلك وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام ! ؟

قال : سَبق السيفُ العَذَل ؛ فذهبت مثلا .

ومنه : ذَكّرتَني الطّعْنَ وكنتُ ناسياً . وأصل هذا أنّ رجلا حَمَل ليقتل رجلا ، وكان بيد المَحْمول عليه رُمْح ، فأنساه الدّهَشُ والجَزَع ما في يده ، فقال له الحامل : ألقِ الرُّمح .

قال الآخر : فإنَّ رُمْحي لِمَعي ! ذكّرتني الطعنَ وكنتُ ناسياً . ثم كرَّ على صاحبه فهزمه أو قتله .

ويقال : إنّ الحاملَ صَخْر أو مُعاوية السُّلَمي أخو الخنساء ، والمحمول عليه يَزيد بن الصَّعِق .

•

العذر يكون للرجل ولا يمكن ان يبديه

منه قولهم : رُبَّ سامع بخبري لم يَسْمَع عُذري . ورُبَّ مَلُوم لا ذَنْبَ له . ولعلّ له عُذراً وأنت تَلوم . وقولهم : المرْء أعلَم بشأنه .

•

الاعتذار في غير موضعه

منه قولهم : تَرْكُ الذّنب أيسرُ من التماس العُذر . وتَرْكُ الذّنب أيسرُ من طَلَب التّوبة .

•

التعريض بالكناية

منه قولهم : أعَن صَبوحٍ تُرَقّق[1] ؟ ومنه قولهم : إيّاكِ أعْني واسْمعي يا جارة .

•

---

١ الصبوح : ما يشرب صباحاً . ترقيق الكلام : تزيينه وتحسينه .

المن بالمعروف

قالوا: شوى أخوك فلما أنضج رمّد[1]. وقولهم: فضلُ القول على الفعل دناءة، وفضل الفعل على القول مكرُمة.

●

الحمد قبل الاختبار

لا تحمدنّ أمَةً عام اشترائها، ولا حرّةً عام بنائها. وقولهم: لا تَهرِف قبل أن تَعرِف. يقول: لا تمدح قبل أن تختبر. وقولهم: أدلُّ المعرفة الاختبار.

●

انجاز الوعد

قالوا: أنجز حرٌّ ما وعد. وقولهم: العِدَة عطيّة[2]. وقولهم: من أخّر حاجةً فقد ضمنها. وقالوا: وعد الحرّ فعلٌ ووعد اللئيم تسويف. وقالت العامّة: الوعد من العهد.

●

التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا

حسبُك من شرٍّ سماعُه. وما اعتذارُك من شيء إذا قيل؟

●

---

١ رمد الشيء: جعله في الرماد.

٢ العدة: الوعد. وقيل معناه أن العدة تعدل العطية.

منه قولهم للقادم من سفره: خَيْرُ ما رُدَّ في أهلٍ ومالٍ؛ أي جعلك الله كذلك. وقولهم: بَلَّغ اللهُ بك أكلأَ العُمر، أي أقصاه. وقولهم: نَعِم عَوْفُك، أي نَعِم بالُك. وقولهم في النِّكاح: على يَدِ الخَيْر واليُمْن. وقولهم: بالرِّفاء والبنين؛ يريد بالرفاء: الكَثْرة؛ يقال منه: رفأته، إذا دعوت له بالكَثْرة. وقولهم: هُنِّئْتَ ولا تُنْكَه، أي أصابك خَيْر ولا أصابك ضُرّ. وقولهم: هَوَتْ[1] أمُّه، وهَبِلَته[2] أمّه؛ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له. ونحوُه: قاتَله الله، وأخزاه الله، إذا أحسن. ومنه قولُ امرِىء القَيس:

ما له؟ لا عُدَّ من نَفَرِه

•

تعيير الانسان صاحبه بعيبه

قالوا: رَمَتْني بدائها وانسلّت. وقولهم: عَيَّر بُجَيْر بُجَرَه، نَسي بُجَيْر خَبَرَه[3]. وقولهم: مُحْتَرَس من مِثْله

---

١ هوت: سقطت.

٢ هبلته: ثكلته.

٣ بجير وبجرة: كانا أخوين في الدهر القديم، وكان بجير عير بجرة بعيب كان فيه.

وهو حارس[1]. وقولهم : تُبْصِر القَذَى في عَيْنِ أخيك ولا تُبْصِر الجِذع في عَيْنِك .

*

الدعاء على الانسان

منه قولهم : فاهًا لِفيك ، يريد الأرضَ لِفيك . وقولهم : بِفيك الحَجَر ، وبِفيك الأثْلَب[2]. وقولهم: لِليَدَيْن ولِلْفَم[3]. ولما أتي عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بسكران في رمضان ، قال له : لليدين وللفم ، أوِلدانُنا صِيامٌ وأنت مُفطِر ؟ وضربه مائةَ سَوْط . ومنه قولهم : بجَنْبه فلْتكن الوَجْبَة ، يريد الصَّرعة . ومنه قولهم : مِن كِلا جانِبَيْك لا لبَّيك ؛ أي لا كانت لك تَلْبِية ولا سَلامة من كلا جانِبَيك . والتَّلْبِية : الإقامة بالمكان . وقولهم : به لا بِظَبْيٍ . وقال الفرزدق :

أقولُ له لمَّا أتاني نَعِيُّه : به لا بِظَبْيٍ بالصَّرِيمة أعفرَا[4]

ومنه قولهم : جَدَعَ اللهُ مَسامِعَه . وقولهم: عَقْراً حَلْقاً ؛

---

١ اي كيف يكون حارساً والناس يحترسون منه ومن مثله .
٢ الأثلب : التراب او الحجارة أو فتاتها .
٣ أي أسقطه الله على اليدين وعلى الفم . يقال عند الشماتة بسقوط انسان .
٤ الصريمة : القطعة المنقطعة من معظم الرمل . الأعفر: الذي يعلو بياضه حمرة .

يريد : عَقَره الله وحَلَقه[1] . ومنه قولهم : لا لَعاً له ، أي لا أقامه الله . قال الأخطل :

ولا لعاً لبَني ذَكْوانَ إذ عَثَروا

•

ولحبيب :

صَفراء صُفرةَ صحّة، قد رَكّبت
جُثمانه في ثوْب سُقمٍ أصْفرِ

قَتَلته سِرّاً ثم قالتْ، جَهْرةً،
قولَ الفَرزدق لا بِظَبْيٍ أعْفَرِ

•

رمي الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رماه بأقحاف رأسه[2]. ورَماه بثالثة الأثافي ، يريد قطعةً من الجَبل يُجعل الى جَنْبها أثفيّتان، وتكون هي

---

١ حلقه الله : أصابه بوجع في حلقه .
٢ أي أسكته بداهية ، أو ردها عليه . القحف : اسم لما يعلو الدماغ من الرأس ولا يرميه به ما لم ينزعه عنه ، وهذا كناية عن قتله . فكأنه بلغ من الاسكات غاية ليس وراءها غاية وهو القتل ، فالمقتول لا يتكلم ، وانما قيل الاقحاف بلفظ الجمع لانهم ارادوا : رماه بقحف رأسه مرة بعد مرة .

الثالثة . ومنه : يا للعَضيهة والأفيكة[1]، إذا رماه بالبُهتان . وقولهم : كأنما أفرغ عليه ذَنوباً[2]، إذا كلّمه كلمة يُسْكته بها .

•

المكر والخلابة

منه قولهم : فتَل في ذِرْوَته[3]، أي خادَعه حتى أزاله عن رأيه . قال أبو عُبيد : ويُروى عن الزُّبير أنه حين سأل عائشةَ الخُروج الى البَصْرة فأبَتْ عليه : فما زالَ يفتِل في الذِّرْوة والغارِب حتى أجابت . وقولهم : ضَرَب أخماساً لأسْداس[4]، يريدون المُماكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤٌ مكراً جنى علَلا،
وظَلّ يَضْرِب أخماساً لأسْداسِ

ومنه قولهم : الذئب يأدو للغزال ، أي يَختِله ليُوقعه .

•

---

١ العضيهة : البهتان . الافيكة الافك .
٢ الذنوب : الدلو .
٣ الذروة : أعلى السنام . وتفتل ذروة البعير حكاً ليسكن الى صاحبه .
٤ ضرب : بيّن وأظهر . الاخماس والاسداس : جمع خمس وسدس ، ففي الخمس ترد الابل الماء في اليوم الخامس ، وفي السدس ترد في اليوم السادس ، والعرب تقول لمن خاتل : ضرب اخماساً لاسداس .

اللهو والباطل

منه قولهم : جاء فلان بالتُّرَّهِ[1] ، وجرى فلان السُّمَّهْ[2] ، وهذا من أسماء الباطل . وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من دَدٍ ولا دَدٌ مني[3] . وفيه ثلاث لغات : دَدٌ ، ودَداً ، مثل قفاً ، ودَدَن ، مثل حزَن .

•

خلف الوعد

منه قولهم : ما وَعْدُه إلا بَرْقٌ خُلَّب ، وهو الذي لا مَطَر معه . ومنه : ما وعْده إلا وَعْد عُرْقوب ، وهو رجل من العَماليق أتاه أخوه يسأله ، فقال : إذا أطلعتْ هذه النخلةُ فلك طَلْعها ؛ فأتاه للعِدَة ، فقال : دَعْها حتى تصيرَ بَلَحاً ، فلما أبْلحت ، قال : دَعْها حتى تَصِير رُطَباً ، فلما أرْطبت ، قال: دَعْها حتى تَصير تمراً ، فلما أتْمرت ، عَمَد إليها عُرقوبٌ فجزَّها ، ولم يُعْطِ أخاه شيئاً ، فصارت مثلاً سائراً في الخُلْف . قال الأعشى :

---

١ الترّه ، واحدة الترهات : الاباطيل والدواهي .
٢ سمه ، واحدها سامه : الفرس يجري جرياً لا يعرف الاعياء .
٣ اي ما انا في شيء من اللعب واللهو ولا ذلك مني اي من اشغالي . والدد : اللهو واللعب .

وَعَدْتَ، وكان الخُلْفُ منك سَجِيّةً،
مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بيَثْرِبِ

•

اليمين الغموس

منه قولهم: جذَّها جذَّ العَيْرِ الصِّلِّيانَةَ[1]، وذلك أن العَيْرَ ربما اقتلع الصِّلِّيانة إذا ارتعاها. ومنه الحديث المرفوع: اليمين الغَمُوس تَدع الدِّيار بلاقع. قال أبو عُبيد: اليمين الغموس، هي المَصْبورة[2] التي يُوقف عليها الرجل فيَحْلف بها، وسُمِّيت غَموساً لغَمْسها حالِفها في المآثم. ومنه قولهم: اليمين حِنْث أو مَنْدمة. وقال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم: من كان حالفاً فلْيَحْلف بالله.

•

١ الصليانة: البقلة.
٢ المصبورة: المحبوسة، اي الحابسة، لانها تحبس صاحبها. اسند الفعل الى المفعول على المجاز العقلي.

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

في الرجل المبرز في الفضل

قولهم : ما يُشَقّ غُبَارُه ؛ وأصله السابقُ من الخَيل . وقولهم: جَرْيَ المُذَكّي حَسَرَت[١] عنه الحُمُر؛ أي كما يَسْبق الفرسُ القارح الحُمُرَ . وقولهم : جَرْيُ المُذَكّيات غِلاء أو غِلاب[٢]. وقولهم : لَيست له هِمّة دون الغَاية القُصْوى .

•

الرجل النبيه الذكر

قولهم : ما يُحْجَر فلانٌ في العِكْم. العِكْم : الجُوالق ، يريد أنه لا يخفى مكانه . وقولهم : ما يومُ حَلِيمة[٣] بسِرّ ؛ وكانت فيه وقعة مشهورة قُتل فيها المُنْذر بن ماء السماء ،

---

١ حسرت : اعيت .

٢ المذكيات : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها . الغلاء ، واحدتها غلوة : وهي مقدار رمية السهم ، اي ان جري المذكيات يكون غلوات فتكون الغاية بعيدة . يضرب لمن يوصف بالتبريز على اقرانه .

٣ حليمة : هي بنت الحارث بن الحارث بن ابي شمر ، وكان ابوها وجه جيشاً الى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيباً فطيبتهم ، وهذا أشهر ايام العرب .

فضُربت مثلاً لِكلّ أمر مشهور . وقولهم : أشهر من الفَرَس الأبلق[1]. وقولهم : وهل يَخفى على النّاس النّهار ؟ ومثلُه : وهل يَخفى على الناظر الصّبح ؟ وقولهم : وهل يجهل فلاناً إلا مَن يجهل القمر ؟

•

الرجل العزيز يعز به الذليل

منه قولهم : إن البُغاث بأرْضنا تَستَنْسر ؛ البغاث : صغار الطير . تستنسر : تصير نُسوراً . وقولهم: لاحُرَّ بوادي عَوْف ؛ يريدون عوف بن مُحلّم الشيباني ، وكان مَنيعاً[2]. وقولهم : تَمرّد مارد وعَزّ الأبلق ؛ مارد : حِصْن بدُومة الجَنْدل ؛ والأبلق : حصن السموأل . ومَن عزّ بَزّ، ومن قَلّ ذلّ ، ومَن أَمِر فَلّ[3]؛ أمِر : كَثُر .

•

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان ألْوى بعيدُ المُستَمَرّ[4]. وقولهم : ما

---

١ الابلق : الذي فيه سواد وبياض .
٢ اي ان كل من في واديه كالعبيد مطيعون
٣ فل : غلب اعداءه .
٤ ألوى : شديد الخصومة . بعيد المستمر : قوي المراس .

بَلِلْتُ[1] منه بأفوقَ ناصِلٍ . وأصله السهم المكسور الفُوق ، الساقط النّصل ؛ يقول : فهذا ليس كذلك ولكنه كالسّهم القويّ . وقولهم : ما يُقَعْقَعُ لي بالشّنان[2] . وقولهم : ما يُصْطَلى بنارِه[3] . وقولهم : ما تُقْرَن به صَعْبَة[4] .

•

النجد يلقى قرنه

منه قولهم : إنْ كُنْتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعْصاراً ، والحديد بالحديد يُفْلح ؛ والفَلْح : الشقّ ، ومنه : فلاحة الأرض ، وهو شقها بالحرث . ولا يَفُلّ الحديدَ إلا الحديد . والنَّبْعُ[5] يَقْرع بعضُه بعضاً . ورُمِي فلان بحَجَره ، أي قِرْنٌ بمثله .

•

---

١ بللت : ظفرت . يضرب لمن لا ينال منه شيء لبخله .

٢ القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت . الشنان ، واحدها شن : القربة البالية . يضرب لمن لا يروعه ما لا حقيقة له .

٣ اي انه عزيز منيع لا يوصل اليه ولا يتعرض له .

٤ الصعبة : اي الناقة الصعبة تقرن بالجمل الذلول ليروضها ويذللها . يضرب لمن يصلح لاصلاح ما يفوض اليه .

٥ النبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي . وقرع النبع بالنبع كناية عن التلاقي والتطاعن .

الأريب الداهي

هو هِتْرٌ أهتار[1]. وصِلُّ أصلال؛ الصِّلُّ: من الحيّات، يُشبه الرجل بها. ومثله: حيّة ذَكَر، وحيّةُ وادٍ[2]. وقولهم: هو عُضْلة من العُضَل[3]. وهو باقعة من البواقع[4]. وحُوَّلٌ قُلَّب. ومُؤْدَم مُبْشَر؛ يقول: فيه لِينُ الأدمة وخُشونة البَشَرة[5]. وفلان يَعلم من حيث تُؤكل الكتِف.

•

النبيه بلا منظر ولا سابقة

قال أبو عُبيد: هو الذي تُسمّيه العربُ الخارجيَّ؛ يريدون خَرَج من غير أوليّة كانت له. قال الشاعر:

أبا مَرْوان لستَ بخارجيٍّ؛
وليس قديمُ مَجدك بانتحالِ

وقولهم: تَسمع بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تراه؛ وهو تصغير

---

١ الهتر: الداهية.
٢ اي انها قد حمته فلا يقربه شيء. يضرب للرجل المنيع الجانب.
٣ العضلة: الداهية.
٤ الباقعة: الداهية ايضاً.
٥ المراد انه جرب الأمور، فهو يصلح للشدة والرخاء.

رجل مَنسوب الى مَعدّ[1]. وقالوا : نَفْس عِصام سَوّدت عِصاما[2].

•

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لنقّاب ؛ وهو الفَطِن الذكيّ. وقالوا : إنه لَعِضّ ؛ وهو العالم النحرير. وقولُهم : أنا جُذَيلها المُحَكَّك، وعُذَيقها المُرَجَّب . قال الاصمعي: الجُذيل : تصغير الجِذْل، وهو عُود يُنْصب للابل الجَرْباء، لتحتكّ به من الجَرَب، فأراد أنه يُشْفى برأيه ؛ والعُذَيق : تصغير عَذْق، والعَذْق : النخلة نفسها، فإذا مالت النخلةُ الكريمة بَنَوْا من جانبها المائل بناء مُرتفعاً يُدَعّمها لِكيلا تَسقط ، فذلك الترجيب، وصَغّرهما للمدح . ومثلُه قولهم: إنه لَجِذْل حِكاك . ومنه قولهم : عَنِيَّته تَشفِي الجرب ؛ والعَنيّة : شيء تُعالج به الابل إذا جَربت . وقولهم : لذي الحِلْم قبل اليوم ما تُقرع العصا .

وأوّل من قُرعت له العصا سَعد بن مالك الكِنانيّ، ثم

---

١ يضرب لمن يكون خبره خيراً من منظره .
٢ هو عصام بن شهبر ، حاجب النعمان بن المنذر .

قُرِعتْ لعامر بن الظَّـرِب العَدْواني ، وكان حَكَمَ العرب في الجاهلية فكَبِر حتى أنكر عقْله ، فقال لبنيه : إذا أنا زِغْتُ فقوِّموني ؛ وكان إذا زاغ قُرِعت له العصا ، فينْزع عن ذلك .

ومنه قولُهم : إنـه لألمعيٌّ ، وهو الذي يُصيب بالظنِّ . وقولهم : ما حكَكْتُ قَرْحةً إلا أدميتها . وقولهم : الأمور تَشابه مُقبلةً وتَظهر مُدْبِرة . ولا يَعرفها مُقبلـةً إلا العالمُ النِّحرير ، فإذا أدبرتْ عرفها الجاهلُ والعالِمُ .

•

الرجل المجرب

منه قولهم : إنه لشرّاب بأنْقُع ؛ أي مُعاود للخير والشرّ . وقولهم : إنه لخرّاج ولاّج . وقولهم : حلَب الدّهر أشْطُره ، وشرِبَ أفاويقه ، أي اختَبر من الدّهر خيرَه وشرّه ؛ فالشّطر : هو شطر الحَلَبة ، والفِيقة : ما بين الحَلْبتين . وقولهم : رجل مُنجّذٌ ، وهو المُجرّب ، وأصله من النّواجذ ؛ يقال : قد عضَّ على ناجذيه ، إذا استحكم . وقولهم : أول الغزْو أخْرَق[1] . وقولهم : لا تغزُ إلا بغلام قد غزا[2] . وقولُهم : زاحِم بعَوْد

[1] وصف الغزو بالخرق لخرق الناس فيه ، على المجاز العقلي .
[2] أي لا تصحب الا رجلا مجربا .

أو دَع ، معناه : لا تَستعن إلا بمُسِنّ منْكم ، أو دَع .
وقولهم : العَوان لا تُعلّم الخِمْرة[1] . وقالت العامة : الشارف[2] لا يُصَفَّر له .

•

الذب عن الحرم

قالوا : الفَحْل يحمي شَوْله . والخيل تجري على مَساويها ؛ يقول : إن الخيل وإن كانت لها عُيوب فإنّ كرمها يحملها على الجري . وقولهم : النّساء لَحْم على وَضم إلا ما ذُبّ عنه[3] . وقولهم : النّساء حبائلُ الشّيطان . وقولهم : كل ذات صِدار[4] خالَة ؛ يريد أنه يَحميها كما يَحمي خالَته .

•

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خَير لك فيمن لا يَرى لك ما يَرى لنَفسه .
وقولهم : إنما يَضَنّ بالضنين[5] . وقولهم : خلّ سبيل من وهى سِقاؤه .

---

١ العوان : النصف في سنها . الخمرة : من الاختمار ، اسم هيئة .
٢ الشارف من الابل : المسن الهرم .
٣ الوضم : ما وقي به اللحم من الأرض من خشبة أو بارية ، والمراد أنهن في الضعف مثل ذلك اللحم لا يمتنع من أحد الا أن يدفع عنه .
٤ الصدار : قميص تلبسه المرأة .
٥ أي تمسك باخاه من تمسك باخائك .

وقولهم : ألْقِ حبلَه على غاربه . وقولهم : لو كَرِهَتْني يدي قَطَعتُها .

•

الرجل يأخذ حقه قسراً

منه قولهم: يَرْكب الصَّعبَ من لا ذَلُول له . وقولهم : مُجاهرةٌ إذا لم أجِد مَختلاً ؛ يقول : آخذ حقّي قسراً وعلانيةً إذا لم أصِل إليه بالسَّتر والعافية . وقولهم : حَلبتها بالساعد الأشدّ ؛ يقول : أخذتُها بالقوّة والشدّة إذ لم أقدِر عليها بالرّفق . وقولهم: التجلّد خيرٌ من التبلّد[1]. والمنيّة خيرٌ من الدنيّة . ومن عَزّ بَزّ .

•

الاطراق حتى تصاب الفرصة

منه قولهم : مُخرَنْبق لِينباع ؛ مُخرَنْبق : مُطْرِق ؛ لِينباع : لِينبعث . يقول : سكت حتى يُصيب فرصته فيَثب عليها . وقولهم: تَحْسَبها حمقاء وهي باخس[2] . وقولهم: خَبَرُه في صَدْره . وقولهم: أحمق بَلْغ[3]؛ يقول : مع حُمْقه يُدْرك حاجته .

•

---

١ التبلد : التحير ، والتلهف .

٢ باخس : من بخسه حقه ، ظلمه .

٣ بلغ : يبلغ ما يريد .

الرجل الجلد المصحح

أطِرِّي فإنّكِ ناعِلة ؛ أصله أنّ رجلاً قال لراعية له كانت تَرعى في السُّهولة وتَتْرك الحُزونة ، فقال لها : أطِرِّي ، أي خُذي طُرَرَ الوادي ، وهي نواحيه ، فإنك ناعلة ، يريد فإنّ عليك نَعْلين . وقولهم : به داءُ ظبي ؛ معناه أنه ليس به داء كما ليس بالظبي داء . وقالوا : الشُّجاع مُوقًّى[1] .

•

الذل بعد العز

منه قولُهم : كان جملاً فاستَنْوق ؛ أي صار ناقةً . وقولهم : كان حماراً فاستأتن ؛ أي صار أتاناً . وقولهم : الحَوْر بعد الكَوْر[2] . وقولهم : ذُلٌّ لو أجد ناصراً ؛ أصله أن الحارث ابن أبي شَمِر الغسّاني سأل أنس بن أبي الحُجَيْر عن بعض الأمر فأخبره فلَطمه الحارث ، فقال أنس : ذُلٌّ لو أجد ناصراً[3] ، فلَطمه ثانية ، فقال : لو نُهيت الأولى لم تَلْطم الثانية ، فذهبتا مثلين . وقولهم : الحُمّى أضْرعتني[4] إليك .

•

١ معناه ان الذي عرف بالشجاعة والاقدام يتحاماه الناس هيبة له .
٢ الحور : النقصان . الكور : الزيادة .
٣ تقدير المثل : هذا ذل لو أجد ناصراً لما قبلته .
٤ اضرعتني : اوهنتني . يضرب في الذل عند الحاجة .

الانتقال من ذل الى عز

منه قولهم: كنتَ كُراعاً[1] فصِرْتَ ذِراعاً. وقولهم: كنتَ عنْزاً فاستَتيَستَ. وقولهم: كنت بُغاثاً فاستنسرت، أي صِرْتَ نَسراً.

•

تأديب الكبير

قالوا: ما أشدَّ فِطام الكبير! وقولهم: عَوْد يُقلَّح[2]، أي جمل مُسِن تُنَقى أسنانه. وقالوا: من العَناء رِياضة الهَرِم. قال الشاعر:

وتَرُوض عِرْسَكَ بعدما هَرِمتْ،
ومِن العَناء رياضةُ الهَرِمِ

وقولهم: أعْييتِني بأشُر فكيف بدُرْدُر؛ يقول: أعييْتِني وأنت شابة فكيف إذا بدت دَرادِرُك، وهي مَغارز الأسنان.

•

---

[1] الكراع من الانسان: ما دون الركبة من مقدم الساق. يضرب هذا المثل للضعيف الذليل صار قوياً وعزيزاً.

[2] التقليح: ازالة القلح، وهو خضرة اسنان الابل، وصفرة اسنان الانسان.

الذليل المستضعف

منه قولهم : فلان لا يَعْوي ولا يَنْبح من ضعفه ؛ يقول : لا يتكلّم بخير ولا شر. وقولهم : أهْون مَظْلوم سِقاءٌ مُرَوَّب ؛ وهو السقاء الذي يُلَفُّ حتى يبلغ أوان المَخْض[١]. وقالوا : أهون مَظْلوم عجوز مَعقومة[٢]. وقولهم : لقد ذلّ من بالت عليه الثّعالب[٣].

●

الذليل يستعين بأذل منه

قالوا : عَبْدٌ صَرِيخه أمَةٌ[٤]. وقولهم : مُثْقَل استعان بذَقَنه ؛ وأصله البعيرُ يُحمل عليه الحِمْل الثقيل فلا يَقْدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذَقَنه. وقولهم : العَبْد من لا عَبْد له.

●

---

١ وظلمه انه يشرب قبل ادراكه ، وقبل ان تخرج زبدته .
٢ المعقومة : التي لا تلد .
٣ اصل هذا المثل ان رجلاً من العرب كان يعبد صنماً فنظر يوماً الى ثعلب جاء حتى بال عليه فقال :

أربٌ يبول الثعلبان برأسه ، لقد ذل من بالت عليه الثعالب

يضرب مثلاً للرجل المهين يظلم ولا ينتصر . والثعلبان ، بضم الثاء واللام ، ذكر الثعالب .
٤ قوله صريخه امة : اي يستغيث بأمة .

الأحمق المائق[1]

قالوا : عدوُّ الرجل حُمْقه ، وصديقه عَقْله . وقولهم : خَرقاء عَيَّابة ؛ وهو الأحمق الذي يَعيب الناس . وقالوا في الرَّجل إذا اشتدَّ حمقه جدًّا : ثأطةٌ مُدَّت بماء . الثأطة : الحمأة ، فإذا أصابها الماء ازدادت فساداً ورُطوبة .

●

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان

منه قولهم : تَجَنَّبَ رَوْضَة وأحال[2] يَعْدُو ؛ يقول : ترك الخير واختار الشقاء . وقولهم : لا يَخْلو مَسْكُ السَّوء عَن عَرْف السَّوء ؛ يقول : لا يكون جلد رديء إلا والرِّيح المُنتنة موجودة فيه . ومنه قول العامة : قيل للشقيّ : هَلُمّ إلى السعادة ، قال : حَسْبي ما أنا فيه . ومنه قول العامة : إن الشقيَّ بكل حَبْل يَختنِق .

وقولهم : لا يَعدَم الشقيُّ مُهَيْراً ، أي لا يَعْدَم الشقيُّ رياضة مُهر[3] .

●

---

١ مائق : شديد الحماقة .

٢ احال : اقبل .

٣ قوله رياضة مهر : اي زيادة في شقائه لان رياضة المهر صعبة .

الرجل تريد اصلاحه وقد أعياك أبوه قبله

منه قولهم : لا تَقْتَنِ من كلْب سَوْءٍ جِرْواً. وقال الشاعر :

تَرجو الوَليدَ ، وقد أعياكَ والدُه ،
وما رجاؤكَ بعـــد الوالدِ الولدَا ؟

•

الواهن العزم الضعيف الرأي

منه قولهم : ما له أُكْلٌ ولا صَيُّور ، أي ليس له قوّة ولا رأي .

قال الأصمعيّ : طلب أعرابي ثوباً من تاجر ، فقال : أعطني ثوباً له أُكْل ، يعني قُوة وحَصافة .

ومنه قولهم : هو إمَّعة ، وهو إمَّرة . قال أبو عُبيـد : هو الرجل الذي لا رأي له ولا عَزم . فهو يتابع كلَّ أحد على رأيه ، ولا يثبتُ على شيء ، وكذلك الإمَّرة ، الذي يتابع كل أحد على أمره .

ومنه قولهم : هو بِنْتُ الجَبل ، ومعناه الصَّدى يُجيبك من الجَبل ، أي هو مع كل متكلّم يُجيبه بمثل كلامه .

•

الذي يكون ضاراً ولا نفع عنده

منه قولهم : المِعزَى تُبْهِي ولا تُبْنِي ؛ معناه أن المِعْزى لا تكون منها الأبنية ، وهي بيُوت الأعراب ، وإنما تكون من وَبر الإبل وصُوف الضأن ، ولا تكون من الشّعر ، وربما صَعدت المِعْزى الى الخِباء فَخَرقته ، فذلك قولهم تُبهي ، يقال : أبهيْت البيت ، إذا خرقته ، فإذا انخرق ، قيل : بيتٌ باهٍ .

•

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

منه قولهم : ترى الفِتْيان كالنّخل ، وما يُدْرِيك ما الدَّخَل[1]. وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إنك لمَنظرانيّ ، قال : نعم ، ومَخبرانيّ[2].

•

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعيّ : ويقال : لن يَزال الناسُ بخير ما تَباينوا ،

---

١ الدخل : العيب الباطن .

٢ المنظراني : الحسن المنظر . المخبراني : الحسن المخبر .

فإذا تساوَوْا هَلَكوا . قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشرُّ ، والخير في القليل من الناس ، فإذا كان التّساوي فإنما هو في الشر . ومن أشدّ الهجاء قولُ القائل : سواسية كأسنان الحِمار . ومنه قولُهم : الناس سواء كأسنان المُشط . وقولهم :

الناس أشباه وشتّى في الشِّيَم .

وقولهم : الناسُ أخياف ، أي مُفترقون في أخلاقهم ؛ والأخيَف من الخيل : الذي إحدى عَينيه زرقاء ، والأخرى كَحلاء . ومنه قولُهم : بيتُ الإسكاف ، لأن فيه من كل جلد رُقعة .

•

المتساويان في الخير والشر

هما كفرَسَيْ رِهان . وكرُكبتي بَعير . وهما زَندان[1] في وِعاء ؛ هذا في الخير . وأما في الشر ، فيقال : هما كَحمارَي العِبادي[2] حين قيل له : أي حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا .

•

---

١ الزندان : الزند والزندة ، أي الأعلى والأسفل من عودي الاقتداح .
٢ يضرب للمتساويين في الشر .

الفاضلان واحدهما أفضل

منه قولهم : مرعى ولا كالسَّعْدان[1] . وقولهم : ماء ولا كَصَدّاء . وصداء : ركيّة ذات ماء عذْب. وقولهم : فتًى ولا كمالك[2]. وقولُهم: في كل الشَّجر نار. واستمجد المَرْخ والعَفار ، وهما أكثر الشَّجر ناراً .

•

الرجل يرى لنفسه فضلاً على غيره

منه قولُهم : كُلّ مُجْرٍ بالخلاء يُسَرّ. وأصله الذي يُجْرِي فرَسَه في المكان الخالي فهو يُسَرّ بما يَرى منه .

•

المكافأة

منه قولُهم : هذه بتلك . وقولهم : أضيء لي أقْدح لك، أي كُن لي أكن لك . وقولهم : اسْقِ رَقاشِ إنها سَقّاية ؛ يقول : أحسِنوا إليها إنها مُحسنة .

•

---

١ نبت له شوك وهو من افضل ما ترعاه الابل .
٢ هو مالك بن نويرة والمثل فيه لأخيه متمم .

الامثال في القربى

التعاطف من ذوي الارحام

قال ابن الكلبي ، منه قولهم : يا بَعْضي دَع بَعْضاً ؛ وأصل هذا أنّ زُرارة بن عُدَس زوّج ابنتَه من سُوَيد بن رَبيعة ، فكان له منها تِسْعَةُ بنين ، وأنّ سُويداً قتل أخاً صغيراً لعمرو بن هِنْد الملك وهَرب ولم يَقْدِر عليه ابنُ هند ، فأرسل الى زُرارة : أنِ ائتِني بوَلده من ابنتك ، فجاء بهم ، فأمر عمرو بقَتْلهم ؛ فتعلّقوا بجدّهم زُرارة . فقال : يا بَعْضي دَعْ بَعْضاً ، فذهبت مثلاً .

•

ومن أمثالهم في التحنن على الاقارب

قولهم : لكنْ على بَلْدَح[1] قَومٌ عَجْفَى . وقولهم : لكنِ بالأثَلات لحمٌ لا يُظَلّل ؛ وأصل هذا أنّ بَيْهساً الذي يلقّب بنَعامة ، كان بين أهل بَيْته وبين قوم حَرْبٌ . فقتلوا سَبْعة إخوة لبَيْهس وأسروا بَيْهساً ، فلم يَقتلوه لصِغَره

---

١ بلدح : اسم موضع .

وارتحلوا بـه ، فنزلوا منزلاً في سَفرهم ونَحَروا جَزُوراً في يوم شديد الحرّ ، فقال بعضهم : ظَلِّلوا لحم جَزُوركم لئلا يَفسد .

فقال بَيْهس : لكنْ بالأثلاث لحمٌ لا يُظَلَّل ؛ يعني لحمَ إخوته القَتلى .

ثم ذكروا كثرة ما غَنِموا ؛ فقال بيْهس : لكن على بَلدَحَ قومٌ عَجْفى .

ثم إنه أفلت أو خَلّوا سبيلَه ، فرجع الى أمه ، فقالت : أنجوتَ من بينهم ؟ وكانت لا تُحِبّه .

فقال لها : لو خُيِّرتِ لاخترتِ .

فلما لم يكن لها ولدٌ غيره رقَّتْ له وتَعطّفت عليه . فقال بَيْهس : الثُّكل أرأمها ، فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالاً .

ومنه قولهم : لا يَعْدَم الحُوَار من أمه حَنّة . وقولهم : لا يَضُر الحُوار ما وَطِئَتْه أمه . وقولهم : بأبي أوْجُه اليتامى .

•

حماية القريب وان كان مبغضاً

من ذلك قولهم : آكل لَحْمي ولا أدَعُه يُؤكل . ومنه :

لا تَعدَم من ابن عمك نصراً . وقولهم : الحَفائظُ تُحلّل الأحقاد[1]. وقولهم في ابن العم : عدوُّك وعدوُّ عدوِّك . وقولهم : كفُّكَ منك وإن كانت شلاّء. وقولهم : انصُر أخاك ظالماً أو مَظْلوماً .

•

اعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كل فتاة بأبيها مُعجَبة . وقولهم: القَرَنْبَى[2] في عين أمها حَسَنة . وقولهم : زُيّن في عَين والدٍ ولدُه . وقولهم : حسَنٌ في كلّ عين ما تَودّ. وقولهم : مَن يَمْدح العَرُوس إلا أهلُها ؟

•

تشبه الرجل بأبيه

منه قولهم : من أشبه أباه فما ظَلم. وقولهم : العُصَيّة من العَصا . وقولهم : ما أشبه حَجَلَ الجِبال بألوان صُخُورها ! وقولهم: ما أشبه الحَوَل بالقَبَل[3]! وما أشْبه الليلةَ بالبارحة !

---

١ الحفائظ ، واحدتها حفيظة : الغضب . والمعنى : أنك اذا رأيت حميمك او قريبك يظلم غضبت له وان كان في قلبك عليه حقد .

٢ القرنبي : دويبة مثل الخنفس طويلة القوائم .

٣ الحول : ظهور البياض في مؤخر العين ويكون السواد من قبل الماق ، والقبل مثله .

وقولهم: شِنْشِنة أعْرفها من أخْزم[1]. يقال هذا في الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه. قال زُهير:

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطّيَّ إلا وَشيجُه،
وتُغرَس إلا في مَنابتها النَّخلُ[2]؟

ومنه قولُ العامة: لا تَلِدُ الذّئبة إلا ذِئْباً. وقولهم: حذْوَ النّعل بالنّعل. وحَذْو القُذّة بالقُذّة؛ والقذّة: الريشة من ريش السهم تُحذى[3] على صاحبتها.

•

تحاسد الاقارب

من ذلك قولهم: الأقارب هم العقارب. وقال عُمر: تَزاوَرُوا ولا تَجاوَرُوا. وقال أكثم: تَباعدوا في الدّيار وتَقاربوا في المَحبّة. وقال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلّم، لأبي هُريرة: زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً. ومنه قولهم: فَرّق بين

---

١ الشنشنة: الطبيعة. والقول لأبي أخزم الطائي، وكان له ابن يقال له أخزم، وكان عاقاً. فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال:

ان بني ضرجوني بالدم، شنشنة أعرفها من أخزم

يعني ان هؤلاء اشبهوا أباهم بالعقوق.

٢ الخطي: الرمح، نسبة الى الخط، مرفأ في البحرين. الوشيج: شجر الرماح.

٣ تحذى: تقطع.

مَعدّ تَحابَّ ؛ يريد أن ذوي القُربى إذا تـدانَوْا تحاسدُوا وتباغضوا .

•

قولهم في الأولاد

قالوا : مَنْ سَرَّه بنوه ساءَتْه نفسُه ؛ أي من يَرى فيهم ما يسرُّه يرى في نفسه ما يَسوءُه . وقولُهم :

إنَّ بَنيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيّون ؛ أفلح مَن كان له رِبْعِيُّون

الولد الصَّيفي : الذي يولد للرجل وقد أسنّ . والرِّبعي: الذي يولد له في عُنْفوان شبابه ، أُخذ من ولد البَقرة الصَّيفي والرِّبعي . ويقال للمرأة إذا تَبنَّت غير ولدها : ابنُك مَن دَمَّى عَقبيك .

•

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : مِن مَأمنه يُؤتَى الحَذِر . وقال عَديّ بن زيد العِباديّ :

لو بِغير الماء حَلْقي شَرِقٌ ،
كُنْتُ كالغصّانِ بالماء اعتِصاري[1]

•

---

١ الاعتصار : ان يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو ان يشربه قليلاً قليلاً .

قال الأصمعي : هذا من أشرف أمثال العَرب ؛ يقول : إنّ كلّ من شَرِق بشيء يستغيث بالمـاء ، ومَن شَرق بالماء لا مُستغاث له . وقال الآخر :

كُنتُ من كُرْبتي أفِرُّ إليهم، فهمُ كُرْبتي ، فأينَ الفِرَار؟

ومثله قول العبّاس بنِ الأحنف:

قَلْبي إلى ما ضَرّني داعِي، يُكثِر أحْزاني وأوْجاعي
كيف احتراسي من عَدوّي، إذا كان عدوّي بين أضْلاعي ؟

وقال آخر :

مَن غَصّ داوَى بشُرب الماء غُصّته ،
فكيف يَصنع مَن قد غَصّ بالماء؟

الامثال في مكارم الاخلاق

الحلم

قال أبو عُبيد ، من أمثالهم في الحِلم : إذا نزل بك الشرُّ فاقعُد ، أي فاحلم ولا تُسارع إليه . ومنه قولُ الآخر : الحَليم مَطيّة الجَهول . وقولهم : لا يَنتَصف حَليمٌ من جاهل . وقولهم : أخّر الشرّ فإن شِئتَ تعجّلته . وقولهم في الحَليم : إنه لواقع الطيْرِ ، ولساكن الرّيح . وقولهم في الحُلَماء : كأنما على رؤوسهم الطيْر . ومنه قولهم : رُبّما أسمع فأذَر . وقولهم : حِلمْي أصمُّ وأُذني غيْرُ صَماء .

•

العفو عند المقدرة

منه قولهم : مَلَكتَ فأسْجِح ، وقد قالته عائشة ، رضوان الله عليها ، لعليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ، يوم الجَمَل حين ظَهر على الناس فدَنا من هَوْدجها وكلّمها فأجابته : مَلَكت فأسْجح ، أي ظَفِرت فأحْسن . فجهزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين ، حتى قَدِمت المدينة .

ومنه قولهم : إنّ المَقْدِرة تُذهِب الحَفيظة . وقولهم :

إذا ارجحنّ شاصياً فارْفعْ يَدا

يقول : إذا رأيته قد خَضَع واستكان فاكفُف عنه ؛ والشاصي هو الرّافع رجلَه .

●

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم : إذا عزّ أخوك فهُن . وقولهم : لولا الوئام هَلَك اللّئام . الوئام : المباهاة ؛ يقول : لولا المباهاة لم يفعل الناسُ خيراً[1] .

●

مداراة الناس

قالوا : إذا لم تَغْلِب فاخْلِب . يقول : إذا لم تغلب فاخدَع ودارِ والطف . وقولهم : إلاّ حِظية فلا ألِيّة . معناه : إن لم يكن حُظْوة فلا تقصير . ألية : من ألا يألو . ويأتلي، أي يقصر . ومنه قول الله ، عز وجل : « ولا يأتل أولو الفَضْل منكم والسَّعة . »

---

١ اي لولا نظر الناس بعضهم الى بعض ممن يفعلون الخير واقتداء بعضهم ببعض لهلكوا .

وقولهم : سوءُ الاستمساك خَيْرٌ من حُسن الصَّرعة . ومنه قولُ أبي الدَّرداء : إنا لَنَبَشُّ في وجوه قوم وإنَّ قلوبَنا لَتَلْعنهم. ومنه قولُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : شِرار الناس من دَارَاه الناسُ لشرِّه. ومنه قول شَبيب بن شَيْبة في خالد بن صَفْوان: ليس له صديقٌ في السرّ ولا عدوٌّ في العَلانية؛ يريد أن الناس يُدارونه لشرّه وقلوبُ الناس تُبْغِضه .

•

مفاكهة الرجل أهله

منه قولهم : كل امرىء في بَيْته صَبيّ ؛ يريد حُسن الخُلق والمفاكهة . ومنه قولُ أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب : إنا إذا خَلَوْنا قَلَلْنا[1]. ومنه قولُ النبي، صلى الله عليه وسلم: خِيَارُكم خَيْرُكم لأهله . ومنه قولُ مُعاوية : إنهنّ يَغْلبن الكِرام ويَغْلِبهنّ اللئام .

•

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمد مَغْنَم والذمُّ مَغْرَم . وقولهم : إنّ قليلَ

---

[1] قللنا : صرنا قليلاً .

الذَّمِّ غيرُ قليل . وقولهم : إنّ خيراً من الخير فاعلُه وإنّ شراً من الشرّ فاعلُه . وقولهم :

الخَيْرُ يَبْقَى ، وإن طال الزمانُ به ؛
والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ مِن زادِ

•

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم : هَوِّن عليك ولا تُولَع بإشفاقِ[1]

وقولهم: من أراد طولَ البقاء فليُوَطّن نفسه على المصائب. وقولهم : المُصيبة للصابِر واحدةٌ وللجازع اثنتان . وقال أكثم ابن صَيْفيّ : حيلةُ من لا حيلة له الصبر .

وذكروا عن بعض الحُكماء أنه أُصيب بابن له فبكى حَوْلاً ثم سَلا ، فقيل له : ما لك لا تَبْكي ؟

قال : كان جُرْحاً فَبَرِىء .

قال أبو خِرَاشٍ الهُذَلي :

بَلى إنها تَعْفو الكلوم ، وإنما
نُوكَل بالأدْنَى وإن جلَّ ما يمْضي

---

١ الاشفاق : المحاذرة ، والخوف .

ومنه قولهم : لا تَلَهَّفْ على ما فاتك .

•

الحض على الكرم

منه قولهم : اصطناع المَعروف يَقي مَصارع السُّوء . وقولهم : الجُود محبَّة والبُخل مَبْغضة . وقول الحُطَيئة :

مَن يَفْعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه ،
لا يَذْهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

•

الكريم لا يجد

منه قولهم : بَيْني يَبْخَل لا أنا . وقولهم : بالسّاعد تَبْطِش الكَفُّ . وقولهم :

ما كَلّفَ الله نَفْساً فوقَ طاقتها ،
ولا تَجُود يدٌ إلا بما تَجِدُ

وقال آخر :

يَرى المرءُ أحياناً ، إذا قَلّ مالُه ،
مِن الخَير تاراتٍ ، ولا يَستطيعُها

مَتى ما يَرُمها قصّر الفقرُ كَفَّه ،
فيَضْعُف عنها ، والغنيُّ يُضيعها

•

القناعة والدعة

منه قولهم :

وحَسْبك من غِنىً شِبَعٌ ورِيّ

وقولهم : يَكفيك ما يبلّغك المَحلّ . وقال الشاعر :

من شاء أنْ يُكْثر ، أو يُقِلّا ،
يَكْفِيه ما بَلّغه المَحَلّا

•

الصبر على المكاره يحمد العواقب

قالوا : عواقب المكاره مَحْمودة . وقالوا : عِند الصّباح يحمد القومُ السُّرى . وقولهم : لا تُدركُ الراحةُ إلا بالتّعب . أخذه حبيب فقال :

على أنّني لم أحْوِ مالاً مُجمّعاً ،
فَفُزْتُ به ، إلا بشَمْلٍ مُبدَّدِ

ولم تُعطِني الأيامُ نَوماً مُسكّناً ،
ألذُّ بِه ، إلا بنَوْمٍ مُشرَّدِ

وأحسن منه قولُه أيضاً :

بَصُرتَ بالرّاحة العُلْيا ، فلم تَرَها
تُنال إلا على جِسْرٍ مِن التّعبِ

•

الانتفاع بالمال

قالوا : خيرُ مالِك ما نفَعك . ولم يَضِع من مالك ما وَعَظك . ونظر ابنُ عبّاس الى دِرْهم بيد رجل ، فقال : إنه ليس لك حتى يَخرُجَ مِن يدك . وقولهم : تَقتيرُ المرْء على نفسه تَوفير منه على غيره . قال الشاعر :

أنتَ للمال إذا أمسكتَه ، فإذا أنفقتَه ، فالمالُ لَكْ

•

المتصافيان

منه قولهم : هما كنَدْمانَي جَذيمة الأبرش الملك . ونديماه رجلان من بَلْقَين يقال لهما : مالك وعقيل . « بَلقَين : يريد من بني القَين . » وقولهم : هما أطْول صُحْبة من الفرقدين . قال الشاعر :

وكلُّ أخٍ مُفارقُه أخوه ، لَعَمْرُ أبيكَ ، إلا الفرْقَدان

ومنه قولهم : هما أطولُ صحبةً من ابني شَمام ، وهما جَبلان .

•

خاصة الرجل

منه قولهم : عَيْبة الرجل ؛ يريدون خاصّته وموضعَ سرّه . ومنه الحديث في خُزاعة : كانوا عيبة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، مؤمنُهم وكافرُهم .

•

من يكسب له غيره

منه قولهم : ليس عليك غَزْلُه فاسْحب وجُرّ . وقولهم : ورُبّ ساعٍ لقاعد . وقولهم : خير المال عينٌ ساهرة لعَين نائمة[1] .

•

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تَجوع الحُرّة ولا تأكل بِثَدْييها[2] . وقولهم : شرّ الفقر الخُضوع ، وخَيْر الغِنَى القناعة . ومنه الحديث المرفوع : أجمِلوا في الطّلب . قال الشاعر :

---

١ مر شرح هذا المثل .

٢ لا تأكل بثدييها : أي لا تكون ظئراً وان آذاها الجوع . والظئر التي ترضع ولد غيرها بأجر . يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال .

فإذا افتقرتَ ، فلا تكن مُتجشّعاً وتَجَمَّلِ

ومنه قول هُدْبة العُذريّ :

ولستُ بمفراحٍ ، إذا الدهرُ سرَّني ،
ولا جازعٍ من صَرْفه المُتقلّبِ

ولا أتمنّى الشرَّ ، والشرُّ تاركي ،
ولكنْ متى أُحمَل على الشرّ أركبِ

•

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرْقاء[١] وجدت صُوفاً . وعَبْدٌ مَلَكَ عَبْداً فأوْلاه تَبّاً[٢] . وقولهم : من يطُل ذيلُه ينتَطق به[٣] . ومَرْعى ولا أكُولة[٤] . وعُشْب ولا بَعير . ومالٌ ولا مُنْفِق .

•

الحض على الكسب

منه قولهم : اطلُبْ تَظْفر . وقولهم : من عَجَز عن زاده

---

١ الخرقاء : التي لا تحسن العمل .
٢ التب : الخسار .
٣ أي من كثر ماله أنفق منه فيما لا يفتقر اليه كمن يطول ذيل ثوبه فيرفع فضوله ويحتبك بها .
٤ الأكولة : الشاة التي تعزل للأكل فتسمن .

اتّكل على زاد غيره . وقولهم : من العَجْز نُتِجت الفاقةُ . وقولهم : لا يَفترس الليثُ الظَّبي وهو رابض . وقول العامة : كَلب طوّاف خيرٌ من أسد رابض . وقولهم :

أوْرَدها سَعدٌ وسَعدٌ مُشتَمِلْ ؛
ما هكذا تُورَد يا سَعد الابِلْ[1]

•

الخبير بالأمر البصير به

منه قولهم : على الخَبير سَقطْتَ . وقولهم : كفَى قوماً بصاحبهم خَبيراً . وقولهم : لكل أناس في جمالهم خُبْر . وقولهم : على يَدي دارَ الحديث . وقولهم : تُعلّمني بضبّ أنا حَرَشْتُه[2] . يقول : أتُخبرني بأمرٍ أنا وَليته ؟ وقولهم : وَلّ القوسَ باريها . وقولهم : الخيلُ أعلم بفُرْسانها . وقولهم : كل قوم أعلم بصِناعتهم . وقولهم : قَتَل أرضاً عالِمُها . وقتلت أرضٌ جاهلَها .

•

---

١ سعد : هو سعد بن زيد مناة ، أخو مالك . الاشتمال : ادارة الثوب على الجسد كله . وكان مالك هذا آبل أهل زمانه ، ثم انه تزوج فأورد أخوه سعد الابل فلم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك هذا البيت .

٢ حرشته : صدته .

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه

من ذلك قولهم : ما وراءكِ يا عِصام ؟ أول من تكلم به النابغةُ الذُّبياني لِعصام صاحب النُّعمانِ ، وكان النعمانُ مريضاً فكان إذا لَقِيه النابغة ، قال له : ما وراءكِ يا عِصام ؟ وقولهم : سيأتيك بالأخبار من لم تُزوِّد . وإليك يُساق الحديث .

•

انتحال العلم بغير آلته

منه قولهم : كالحادي وليس له بَعير . وقال الحُطيئة : كالماشي وليس له حِذاء . وقولهم : إنباضٌ بِغيْرِ تَوْتير[١] . وكقابضٍ على الماء . أخذه الشاعر فقال :

ومن يأمنِ الدّنيا يكن مثلَ قابضٍ
على الماءِ ، خانَتْهُ فُروجُ الأصابعِ

وخَرْقاء ذاتِ نِيقة[٢] . يضرب للرجل الجاهل بأمر يدّعي معرفتَه .

---

١ الانباض : تحريك وتر القوس لترن . التوتير : شد وترها ، ولا يكون انباض قبل توتير .
٢ النيقة : التأنق في الامر .

•

من يوصي غيره وينسى نفسه

يا طبيبُ طِبَّ لنفسك . ومنه : لا تعظيني وتعظعظي[١] ؛ أي لا توصيني وأوصي نفسك .

•

الاخذ في الامور بالاحتياط

منه قولهم : أن ترد الماء بماء أكيس . وقول العامة : لا تصبّ ماءً حتى تجد ماء . وقولهم : عشّ ولا تغترّ ؛ يقول : عشّ إبلك ، ولا تغترّ بما تقدم عليه .

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلاً أتاهم ، فقال : كما لا ينفع مع الشرك عمل ، كذلك لا يضر مع الايمان تقصير ، فكلهم قال : عشّ ولا تغتر .

وقولهم : ليس بأول من غرّه السراب . وقولهم : اشترِ لنفسك وللسوق[٢] . ومنه الحديثُ المرفوع عن الرجل الذي قال : أأرسل ناقتي وأتوكّل ؟ قال : بل اعقلها وتوكّل .

•

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قبلَ الرمي يُراش السهم . وقولهم : قبل

---

١ تعظعظي : كفي وارتدي عن وعظك اياي .

٢ أي اشترِ ما ان امسكته انتفعت به ، وان لم ترده نفق عليك اذا بعته .

الرِّماءِ تُملأُ الكنائنُ. وقولهم: خُذ الأمرَ بقَوابله، أي باستقباله قبل أن يُدْبِر. وقولهم: شرُّ الرأيِ الدَّبَريّ[1]. وقولهم: المُحاجزة قبل المناجزة[2]. وقولهم: التقدُّم قبل التندُّم. وقولهم: يا عاقدُ اذْكُر حَلاًّ[3]. وقولهم: خيرُ الأمور أحمدُها مَغَبَّةً. وقولهم: ليس للأمر بصاحب مَن لم يَنْظُرْ في العواقب.

•

طلب العافية بمسالمة الناس

قولهم: مَنْ سَلَكَ الجَدَدَ[4] أمِنَ العِثار. واحذَرْ تَسْلَمْ. ومنه قولهم: جُرُّوا له الخَطيرَ ما انجرَّ لكم[5]؛ الخطير: زِمامُ الناقة. ومنه قولهم: لا تكُنْ أدنى العَيْرَيْن إلى السَّهم. يقول: لا تكُنْ أدنى أصحابك إلى مَوْضع التَّلف وكُن ناحيةً أو وَسطاً. قال كعب: إنّ لكلِّ قوم كَلْباً فلا تكن كلبَ أصحابك. وتقول العامّة: لا تكُنْ لسانَ قَوْم.

•

---

١ الدبري: الذي يأتي بعد فوات الامر.

٢ المحاجزة: الممانعة. المناجزة: مرعة القتال. اي انكف عن الشر قبل وقوعه وفر ممن لا طاقة لك به.

٣ الحل: نقيض العقد. يضرب مثلاً للنظر في العواقب.

٤ الجدد: الارض المستوية.

٥ اي اتبعوه ما كان لكم فيه موضع متبع، وتوقوا منه ما لم يكن فيه موضع.

من ذلك قولهم : لا تكن حلواً فتُسترط ولا مرّاً فتُعقى[1]، أي تلفظ ؛ يقال: أعقى الشيء، إذا اشتدّت مرارته. قال الشاعر :

ولا تكُ آبياً حلواً ، فتُخشى ،
ولا مُـرّاً فتَنشب في الحِلاق[2]

وتقول العامّة: لا تكن حلواً فتؤكل ولا مرّاً فتلفظ . وتوسُّط الأمور أدنى إلى السلامة . ومنه قول مُطرّف بن عبد الله بن الشّخّير : الحسنة بين السّيئتين وخيرُ الأمور أوسطها . وشرُّ السّير الحقحقة[3]. قوله : بين السيئتين ، يريد بين المجاوزة والتقصير. ومنه قولهم : بين المُمِخّة والعَجفاء[4]، يريد بين السمين والمهزول. ومنه قول عليّ بن أبي طالب ،رضي الله عنه : خيرُ الناس هذا النّمط الأوسط يَلحق بهم التالي ويَرجع إليهم الغالي .

•

١ تسترط : تبتلع . تعقى : تلفظ لمرارتك .
٢ هو مثل قولهم : خير الامور أوسطها .
٣ الحقحقة : أرفع السير واتعبه للظهر .
٤ الممخة : الشاة بدا في عظامها المخ ، اي السمينة . العجفاء : الهزيلة .

الانابة بعد الاجرام

منه قولهم: أَقْصَر لمَّا أبْصَر. ومنه أتْبِع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها. والتائبُ من الذَّنب كمن لا ذنب له. والندمُ تَوْبة. والاعترافُ يَهْدِم الاقتراف.

•

مدافعة الرجل عن نفسه

جاحَش فلان عن خَيْط رَقَبَته. وخيط الرقبة: النخاع؛ يقول: دافع عن دمه ومُهجته. وقالت العامَّة:

وأيّة نَفْس بعد نَفْسك تَنْفَع. ومنه: أدفع عن نفسي إذا لم يكن عنها دافع.

•

قولهم في الانفراد

الذئب خالياً أسدٌ؛ يقول: إذا وجدك خالياً اجترأ عليك. ومنه الحديث المأثور: الوَحِيد شيطان. وفي الحديث الآخر: عليكم بالجماعة فإن الذّئب إنما يُصيب من الغنم الشّاردة.

•

من ابتلي بشيء مرة فخافه أخرى

منه الحديث المرفوع: لا يُلْسَع المؤمن من جُحْر مرّتين؛

يريد أنه إذا لُسع مرّة منه تحفّظ من أخرى . وقولهم : مَن لدَغَتْه الحيّة يَفرَق من الرَّسَن[1]. وقولهم :

مَن يَشْتري سَيْفي ، وهذا أثرُه ؛ يُضرب هذا المثل للذي قد اختَبر وجُرِّب. وقولهم: كلُّ الحِذاءِ يَحتذي الحافي الوقع[2]؛ الوَقِع : الذي يمشي في الوَقَع، وهي الحجارة .

•

اتباع الهوى

قال ابن عبّاس : ما ذَكَرَ الله الهَوى في شيء إلا ذَمّه . قال الشعبيّ: قيل له هَوًى ، لأنه يَهْوِي به. ومن أمثالهم فيه: حُبُّكَ الشيءَ يُعْمي ويُصِمّ . وقالوا : الهَوَى إله مَعْبودٌ .

•

الحذر من العطب

قالوا : إنّ السلامةَ منها تركُ ما فيها[3]. وقولهم : أعورُ ، عينَكَ والحَجَرَ[4]. وقولهم: الليلَ وأهضامَ الوادي ؛ وأصله

---

١ يفرق : يخاف . الرسن : الحبل .
٢ معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شيء قدر عليه .
٣ هذا عجز بيت صدره : والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت .
٤ أي : يا أعور، احفظ عينك واحذر الحجر. وخص الأعور لانه اذا اصيبت عينه الصحيحة بقي لا يبصر ، فهو أحق بالتحذير من غيره .

أن يسيرَ الرجلُ ليلًا في بُطون الأودية ، حذّره ذلك. وقولهم: دَعْ خيرَها لشرّها. وقولُهم : لا تُراهن على الصَّعْبة . وقولهم: أعذرَ مَن أنذر .

•

حسن التدبير والنهي عن الخرق

الرِّفْق يُمْن والخُرْق شُؤْم. ورُبَّ أكلة تَمنَع أكلات. وقولهم : قَلِّبْ الأمرَ ظَهْراً لِبَطن . وقولهم: اضْرب وَجْهَ الأمر وعَيْنَيه . وأجْرِ الأمور على أذْلالها ، أي على وجوهها. وقولهم : وجِّه الحَجَرَ وِجْهةً ما[1]. وقولهم : وَلِّ حارَّها مَن وَلِيَ قارَّها[2].

•

المشورة

قالوا : أوّل الحَزْم المَشورة . ومنه : لا يَهلِك امرؤ عن مَشُورة . قال ابن المُسيّب : ما استشرتُ في أمرٍ واستخرتُ وأبالي على أيّ جنبيّ سقطتُ .

•

---

١ يعني أن للحجر وجهة ما ، فان لم يقع موقعه ملائماً فأدره الى جهة اخرى .
٢ القار : البارد .

أبْلِ عُذراً[١] وخلاكَ ذمٌّ ؛ يقول : إنما عليك أن تجتهد في الطلب وتُعْذِر ، لكيلا تُذَمّ فيها وإن لم تكن تُقضى الحاجة. ومنه : هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زِيَم[٢]. وقولهم : اضرِب عليه جِرْوَتك ، أي وطّن عليه نفْسك . ومنه : اجمَعْ عليه جرَاميزَك[٣]، واشدد له حيازيك[٤]. وقولهم : شَمِّر ذَيلا وادّرِع ليلا . ومنه : ائتِ به مِن حَسِّك وبَسِّك[٥]. ومنه قول العامّة : جيء به من حيثُ أيسَ وليس ؛ الأيس : الموجود ؛ والليس : المعدوم[٦].

●

التأني في الامر

من ذلك قولهم : رُبّ عجلة تُعقِب رَيثاً. وقولهم : إن

---

١ أبلى فلان عذراً : بين وجه العذر .

٢ زيم : فرس جابر بن حي التغلبي ، وفرس الأخنس بن شهاب . اي هذا وقت العدو فاستفرغي جهدك .

٣ جراميز الرجل : جسده وأعضاؤه .

٤ الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو الصدر أو وسطه . وشد الحيازيم : كناية عن التشمير للامر والاستعداد له .

٥ الحس : من الاحساس ، أي من حيث تدرك بحاستك . وبسك : اي من حيث تدركه برفقك ، من أبس الناقة : رفق بها عند الحلب .

٦ أي جيء به من حيث هو وليس هو .

المُنْبَتّ لا أرضاً قَطَع ولا ظَهراً أبقى[1]. وقـال القُطاميّ :
قد يُدْرِك المتأنّي بعضَ حاجته ، وقد يكون مع المستعجل الزَّللُ. ومنه : ضحِّ رُوَيْداً[2]؛ أي لا تَعجل. والرَّشْفُ أنقعُ ؛ أي أرْوى ، يقال : شرِب حتى نَقع. ومنه : لا يُرسِل الساق إلا مُمْسكاً ساقاً[3].

•

سوء الجوار

منه قولهم : لا يَنْفعكَ من جار سَوءٍ تَوَقٍّ. والجارُ السُّوء قِطعة من نار . ومنه : هذا أحقُّ منزلٍ بتَرْك . ومنه قولُهم : الجارَ قبل الدار. الرفيقَ قبل الطريق. ومنه قولُهم: بعتُ جاري ولم أبع داري. يقول : كنتُ راغباً في الدار إلا أني بعتُها بسبب الجار السوء.

•

سوء المرافقة

أنت تَئِقٌ وأنا مَئِق فمتى نتّفق؟ التَّئِق : السريع الشرّ؛ والمئِق : السريع البُكاء ؛ ويقـال : الممتلىء من الغضب ،

---

١ مر شرح هذا المثل .
٢ ضح ، من التضحية : أي لا تعجل في ذبحها .
٣ أصله في الحرباء يتحول من ساق شجرة الى أخرى كلما اشتد عليه حر الشمس .

والتَّشِق والمَنِق مهموزان . وقولُهم : ما يجمع بين الأَرْوى والنعام ؟ يريد أن مَسكن الأروى الجبلُ ومَسكن النعام الرَّمل. الأروى : جمع أُرْوِيّة . ومنه : لا يَجتمع السَّيفان في غِمد . ومنه : لا يَلْتاط هذا بصَفَري ؛ أي لا يَلْصق بقلبي .

•

العادة

قالوا : العادةُ أملكُ من الأدب . وقالوا : عادةُ السُّوء شرٌّ من المَغرم[1]. وقالوا : أعْطِ العبدَ ذِراعاً يَطْلُب باعاً .

•

ترك العادة والرجوع اليها

منه قولُهم : عادَ فلان في حافرته ، أي في طريقته . ومنه قوله تعالى : «أَئِنّا لَمَرْدُودُونَ في الحافِرَة .» ومنه : رجع فلان على قَرْوائه[2]. ومنه الحديث : لا تَرْجع هذه الأمة عن قَروائها .

•

اشتغال الرجل بما يعنيه

منه : كلُّ امرىءٍ في شأنه ساعٍ . وقولُهم : هَمُّك ما

١ لأن المغرم اذا أديته فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

٢ قروائه : حاله وطريقته الأولى .

أهمَّك . همك ما أذأبك . وقولُهم : وَلِيَ حارَّها من تولّى قارَّها .

●

قلة الاكتراث

منه قولُهم : ما أبالِيه بالة[1] . وسئل ابن عبّاس عن الوضوء من اللبن ، فقال : ما أبالِيه بالة[2] . وقولُهم : اسمَحْ يُسْمحْ لك . وقولُهم : الكلابَ على البقر[3] ؛ يقول : خلِّ الكلابَ وبقرَ الوَحْش .

●

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

هان على الأمْلس ما لاقى الدَّبِر[4] . ما يلقى الشَّجي من الخَلِيّ ؛ قال أبو زيد : الشجي ، مخفف ، والخليّ ، مشدد . ومنه قول العامّة : هانَ على الصّحيح أن يقول للمَريض : لا بأس عليك .

●

---

١ البالة مصدر بالاه : اكترث له .
٢ اراد لا أكرهه .
٣ يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض .
٤ الأملس : السليم الظهر من الابل . الدبر : ضده .

الجشع والطمع

منه قولُهم: تُقطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ. ومنه قولُهم: عَنْتُك خيرٌ لك من سَمينِ غيرك. وقولُهم: المسألة خُموش في وجه صاحبها. وقال أبو الأسود في رجل دنيء: إذا سُئِل أرَزَ وإذا دُعي انتهز[1]. ومنه قولُ عَوْن بن عبد الله: إذا سأل ألْحَف وإذا سُئِل سَوَّف.

•

الشره للطعام

منه قولُهم: وَحْمى ولا حَبَل؛ أي لا يُذكر له شيء إلا اشتهاه، كشَهْوَة الحُبْلى، وهي الوَحْمى. ومنه: المرءُ تَوّاق الى ما لم يَنَل. وقولُهم: يَبْعَثُ الكلابَ عن مَرابِضها، أي يَطرُدها طَمَعاً أن يَجِدَ شيئاً يأكله من تَحْتِها. ومنه قولُهم: أراد أن يأكل بيَدَيْن. ومنه الحديثُ المرفوع: الرَّغْبَة شُؤْم.

•

---

[1] أرز: تقبض. أي اذا سئل المعروف تقبض من بخله ولم ينبسط له، واذا دعي الى طعام أسرع اليه.

الغلط في القياس

منه قولهم : ليسَ قطاً مثل قُطَيّ[١] . وقال ابن الأسلت :

لِيس قطاً مثل قُطَيٍّ ، ولا ا مَرْعِيُّ ، في الأقوام ، كالراعي

ومنه قولهم : مُدَكَّبةٌ تقاس بالجِدَاع ؛ يُضرب لمن يَقيس الكَبيرِ بالصَّغيرِ ، والمُدَكَّبة هي المُسِنَّة من الخيل .

•

وضع الشيء في غير موضعه

منه : كمُسْتَبْضِع التَّمر إلى هَجَر ؛ وهَجَر : معدن التمر . قال الشاعر :

فإنّا ، ومَن يَهْدي القَصائدَ نَحْوَنا ،
كمُسْتَبْضِع تمراً إلى أهْـل خَيْبَرا

ومنه قولهم : كمُعَلِّمة أمّها الرِّضاعَ . ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حامل فِقْهٍ إلى مَن هو أفقه منه . وفيمن وَضع الشيء في غير موضعه قولهم : ظَلَم مَن استرعى الذئبَ الغنمَ . وقال ابن هَرْمة :

كتاركةٍ بَيْضَها بالعَراء ، وملْحِفة بيضَ أخرى جَناحَا

---

١ القطا : مقعد الردف . والقطي مصغرة . أي ليس النبيل كالدنيء .

يَصف النعامة التي تَحْضُن بيضَ غيرها وتُضيعُ بيضَها .

•

كفران النعمة

منه : سَمِّنْ كلبَكَ يأكلك . أَحشُّك وترُوثني ؛ قاله في مُخاطبة فرسه ، أي أعلفك الحشيشَ وتروث عليَّ ؟ ومنه قولُ الآخر :

أُعلّمه الرِّمايةَ كلَّ يوم ، فلمّا اشتدَّ ساعدُه رَماني

•

التدبير

منه قولهم : لا ماءَكِ أبقَيْتِ ولا دَرَنك أنقيتِ[1] . وقولهم : لا أبُوكَ نُشِرَ ولا التراب نَفِد . أصل هذا المثل لرجل قال : ليتني أعرف قبرَ أبي حتى آخذ من تُرابه على رأسي .

•

التهمة

منه قولهم : عسى الغُوَيرِ أبْؤُساً ؛ والأبؤس : جمع بأس ؛ قال ابن الكَلْبي : الغُوَيرِ ماء معروف لكَلْب . وهذا

---

١ الدرن : الوسخ . انقيت : طهرت .

مثل تكلّمت به الزّبّاء ، وذلك أنها وجّهت قَصيراً اللّخميّ بالعير ليَجْلِب لها من بَزّ العراق ، وكان يَطْلبها بدم جَذيمة الأبْرش ، فجعل الأحمال صناديق ، وجعل في كل صُندوق رجلاً معه السلاح ، ثم تنكّب بهم الطريقَ وأخذ على الغُوَيْر ، فسألتْ عن خَبَره فأخبِرَت بذلك ، فقالت : عَسى الغُوَيْر أبْؤساً . تقول : عسى أن يأتي الغُوَيْر بشرّ ، واستنكرت أخذَه على غير الطريق .

ومنه : سَقَطت به النصيحةُ على الظِّنّة ، أي نصحتَه فاتهمك. ومنه : لا تَنْقُش[1] الشوكةَ بمثلها فإنّ ضَلْعها معها . يقول : لا تَستَعِن في حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنْصَح منه لك .

•

تأخير الشيء وقت الحاجة اليه

منه : لا عِطْر بعد عَروس . وأصل هذا أنّ عَروساً أُهديت فوجدها الرجلُ تَفِلة[2] ، فقال لها : أين الطّيب ؟ قالت : ادّخرتُه ؛ قال : لا عِطْر بعد عَروس . وقولهم : لا بَقاء للحَمِيّة بعد

---

١ لا تنقش : لا تستخرج .
٢ تفلة : رائحتها متغيرة .

الحُزْمة . يقول : إنما يَحْمي الإنسانُ حريمَه فإذا ذهبت فلا حَميَّة له .

•

الاساءة قبل الاحسان

منه : يسبق دِرَّتَه غِرارُه . الغرار : قلة اللبن . والدِّرَّة : كَثْرته . ويسبق سيلَه مَطرُه .

•

البخل

ما عنده خَير ولا مَيْرٌ[1] . سواء هو والعَدَم . والعَدَم والعُدْم لغتان . ما بَضَّ حجره . والبَضّ : أقلّ السيلان . ما تَبُلّ إحدى يديه الأخرى .

•

الجبن

إنّ الجبانَ حَتْفه من فَوْقه[2] . ومثله في القرآن : «يحسَبُون كلّ صَيْحَةٍ عليهم.» ومنه : كلُّ أزَبّ نَفُور[3] . وقَفَّ

---

١ المير : ما جلب من الميرة ، وهي الطعام .
٢ يضرب في قلة نفع الحذر من القدر .
٣ الأزب : البعير يكثر شعر حاجبيه ، ويكون نفوراً لأن الريح تضربه فينفر .

شَعَره ، واقشعرّت ذُؤابته ؛ معناه : قام شعرُه من الفَزع .
وشَرِق بريقه .

•

الجبان يتواعد بما لا يفعل

الصِّدْق يُنْبي عنك لا الوَعيد . يُنْبي عنك : يَدفع عنك ، من يَنبو[1] . ومنه : أَوْسعتُهم سَبّاً وأَوْدَوْا بالابل[2] . وقيل لأعرابيّ خاصم امرأته الى السلطان فقيل له : ما صنعت معها ؟ قال : كَبّها اللهُ لوَجهِها ولو أُمِرَ بي الى السِّجن .

•

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قولهم : إن ذهب عَيرٌ فعَيرٌ في الرِّباط[3] . ومنه : إذا غاب منها كَوْكبٌ لاح كَوكب . وقولهم : رأسٌ برأسٍ وزيادةِ خمسمائة . قالها الفرزدق في رجل كان في جيش ، فقال صاحبُ الجيش : من جاء برأس فله خمسمائة درهم . فبرز رجل

---

١ يقول انما ينبيء عدوك عنك ان تصدقه في المحاربة لا ان تتوعده . يضرب للجبان يتوعد ثم لا يفعل .

٢ يضرب مثلاً للرجل يتهدد عدوه ويسبه وليس على عدوه منه ضرر . أودوا بالابل : ذهبوا بها .

٣ العير هنا : الحمار الوحشي . الرباط : حبالة الصائد . يقول للصائد : ان ذهب عير فلم يعلق في الحبالة فاقتصر على ما علق بها .

وقتل رجلاً من العدوّ، فأعطاه خمسمائة درهم، ثم برز ثانية، فقُتل، فبكى عليه أهلُه، فقال لهم الفرزدق: أما ترضون رأساً برأس وزيادةِ خمسمائة؟

•

المقادير

منه قولُهم: المقاديرُ تُريك ما لا يَخطُر ببالك. وقولُهم: إذا نزل القدر غَشّى البَصر. وإذا نزل الحَيْن غطّى العين. ولا يُغني حذَر من قدَر. ومن مَأمنه يُؤتى الحذِر. وقولُهم: وكيف تَوَقّي[1] ظَهْرَ ما أنت راكِبُه؟

•

الرجل يأتي الى حتفه

منه قولُهم: أتتك بحائنٍ رجلاه. لا تكُن كالباحث عن المدية[2]. وقولُهم: حتفَها تحمِل ضأنٌ بأظلافها.

•

ما يقال للجاني على نفسه

يداكَ أوْكتا وفُوكَ نفخ؛ وأصلُه أنّ رجلاً نفَخ زِقّاً

---

١ توقي، اي تتوقى: تتجنب.
٢ يقال ان رجلاً وجد صيداً ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيد بأظلافه فوقع على مدية، فذبحه الرجل بها.

وركبه في النهر، فانحلّ الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل، فاستغاث بأعرابيّ على ضفّة النهر؛ فقال: يداك أوكتا وفوك نفخ.

•

جالب الحين الى أهله

منه قولهم : دلّت على أهلها رَقاش . ورقاش : كلبة لحيّ من العرب مرّ بهم جيشٌ ليلاً ولم يَنْتبهوا لهم ، فنبحت رقاشِ فدلّت عليهم . وقالوا : كانت عليهم كراغية البكْر ؛ يعنون ناقةَ ثمود . وقال الأخطل :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ،
فدلّ عليها صوتها حيّة البَحْرِ

•

تصرف الدهر

منه قولهم : مرّةً عيش ومرّةً جيش[1]. ومنه : اليومَ خمر وغداً أمر ؛ قاله امرؤ القيس أو مهلهل أخو كليب لمّا أتاه موتُ أخيه وهو يشرب . وقالوا : عِشْ رجباً ترَ عجباً[2]. وقالوا : أتى الأبد على لُبد[3]. وقال الشاعر :

---

١ أي مرة سلم فبقاء ومرة حرب ففناء .
٢ أي عش رجباً بعد رجب ، يريد عاماً بعد عام .
٣ لبد : آخر نسور لقمان السبعة .

فيَوْمٌ علينـــا ، ويومٌ لنـا ،
ويوماً نُساء ، ويومـــاً نُسَرّ

وقولُهم : مَن يَجتمع تَتَقَعقَع عُمُدُه[1]. وأنشد :

أجارتَنـا من يَجتمع يَتَفرّقِ ،
ومَن يكُ رهناً للحوادث يَغلَقِ[2]

•

الامر الشديد المعضل

منه قولُهم : أظلَم عليـه يومُـه . وأين يَضَع المَخنوقُ يدَه ؟ ومنه قولُهم : لو كان ذا حيلة لتَحوّل . ومنه قولُهم : رأى الكوكبَ ظُهراً[3]. قال طَرفة : وتُرِيه النجمَ يَجري بالظُّهُر .

•

هلاك القوم

منه قولهم : طارت بهم العَنْقاء. وطارت بهم عُقاب مَلاعِ[4]؛

---

١ تتقعقع عمده : تصوت عند جمعها وحملها ، كناية عن الرحيل وتقويض الخيام .
٢ الغلق في الرهن : ضد الفك .
٣ أي أظلم عليه يومه حتى أبصر النجم نهاراً .
٤ ملاعِ بالبناء على الكسر وملاع بالصرف، اسم ارض، اضيفت اليها عقاب. او ملاع من نعت العقاب على تقدير عقابِ قادمة ملاع : اي سريعة .

يُقال ذلك في الواحد والجمع ، وأحسبها مَعْدولة عن مَبْلَع[1] .
والمَنايا على الحَوَايا . قال أبو عُبيد: يقال إن الحَوَايا في هذا الموضع مَرْكَب من مَرَاكب النساء ، واحدتها حويّة ، وأحسب أصلها أن قوماً قُتلوا فحُمِلوا على الحَوَايا ، فظنّ الرّاؤون أن فيها نساء ، فلما كشفوا عنها أبصروا القَتْلى فقالوا ذلك ، فصارت مثلًا . ومنه : أتتهم الدُّهَيم تَرْمِي بالرَّضْف[2]؛ معناه : الداهية العظيمة . وهذا أمر لا يُنادَى وَلِيده ؛ معناه أنّ الأمر اشتدّ حتى ذَهِلت المرأة أن تدعو وَليدَها . ومنه : التقت حَلقتا البِطان[3] ، وبَلَغ السيلُ الزُّبى[4] ، وجاوَزَ الحِزامُ الطُّبيين[5] . وتقول العامّة : بلغ السّكّينُ العظمَ .

•

اصلاح ما لا صلاح له

منه قولُهم : كدابغةٍ وقد حَلِم الأديم ؛ حَلِم: فسد . وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت :

---

١ المَبلع : السريع .
٢ الرضف : الحجارة المحماة .
٣ البطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، وله حلقتان ، فاذا التقتا فقد بلغ الشد غايته .
٤ الزبى ، واحدتها زبية : الرابية التي لا يعلوها الماء .
٥ الطبي : حلمات الضرع التي فيها اللبن من الخف والظلف والحافر والسباع . وبلوغ الحزام الطبيين كناية عن المبالغة في تفاقم الامر واشتداده .

فإنّكَ ، والكتابَ إلى عليٍّ ، كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ

في شِعر له .

•

صفة العدو

يقال في العدوّ : هو أزْرق العين ، وإن لم يكن أزرق ، وهو أسْود الكَبِد ، وأصْهب السِّبال[1] .

•

البخيل يعتل بالعسر

منه قولهم : قَبْل البُكاء كان وجهُك عابساً . ومنه : قبل النِّفاس كنتِ مُصْفَرّة .

•

اغتنام ما يعطي البخيل وان قل

منه : خُذ من الرَّضْفة[2] ما عليها . وخُذْ من جِذْع ما أعطاك . قال ابن الكلبي : وأصل هذا المثل أن غسّان كانت

---

١ السبال ، واحدتها سبلة : ما على الشارب من الشعر ، أو هي مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر .

٢ الرضفة ، واحدة الرضف : الحجارة تحمى وتطرح في اللبن ليسخن أو يجمد ، فيعلق بها شيء منه .

تُؤدّي إلى ملوك سَليح دينارين كلّ سنة عن كل رجل ، وكان الذي يَلي ذلك سَبَطة بن المُنذر السَّليحي ، فجاء سَبَطة إلى جِذَع بن عمرو الغسّاني يَسأله الدّينارين ، فَدَخل جِذَع منزله، واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سَبَطة حتى سَكَت[1]، ثم قال له : خُذ من جِذَع ما أعطاك ؛ فامتنعت غسّان من الدينارين بعد ذلك ، وصار المُلك لها حتى أتى الإسلام .

•

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه

منه قولهم : سَمْنُكم هُرِيق في أديمكم . ومنه : يا مُهْدِي المال كُلْ ما أهديت . ومنه قول العامة : الحمار جَلَبه والحمار أكله .

•

موت البخيل وماله وافر

منه : مات فلان عريضَ البِطان[2]. ومات بِبِطنته لم يَتَغَضْغَضْ منها شيء . والتَّغضغض : النقصان .

•

---

١ سكت : سكن ومات .

٢ كناية عن انتفاخ البطن .

منه قولهم : ما كانت عطيّته إلا بَيْضة العُقْر ، وهي بَيْضة الديك. قال الزُّبيري : الدّيكِ ربّما باض بَيْضة ؛ وأنشد لبشار :

قدزُرْتِني زَوْرَةً في الدّهر واحدةً ،
ثنّي ، ولا تَجْعليها بيضةَ الدّيكِ

ومنه قولُ الشاعر :

لا تَعجبن لخيرٍ زلّ من يَدِه ،
فالكوكبُ النحسُ يَسْقِي الأرضَ أحيانا

ومنه قولُهم : من الخَواطئ سهمٌ صائب . والليلُ طويل وأنت مُقمِر[1]. وأصل هذا أن سُليك بن سُلكة كان نائماً مُشْتملاً، فجَثَم رجل على صدره ، وقال له : استأسِر ؛ فقال له : الليل طويل وأنت مُقْمر ؛ ثم قال له : استأسِر يا خَبيث ؛ فضمّه ضَمّة ضَرِط منها ؛ فقال له : أضرِطاً وأنت الأعلى ! فذهبت أيضاً مثلاً .

•

---

١ يضرب مثلاً في التأني والصبر على الحاجة حتى تمكن . ومعناه اصبر على حاجتك فانك تجدها في بقية ليلتك فانها طويلة وانت مقمر ، اي ليس فيها ظلمة تمنعك من قصدها . وأقمر الرجل : ارتقب طلوع القمر .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولُهم: تسألني بِرامتَين سَلْجماً؛ وأصله أنّ امرأة تَشهّتْ على زوجها سَلْجماً، وهو ببلد قَفْر، فقال هذه المقالة. والسَّلْجم: اللّفت. ومنه: شرُّ ما رام امرؤ ما لم يَنَل. ومنه: السائلُ فوق حقّه مُسْتَحِق الحِرْمان. ومنه قولُهم:

إنّكَ، إن كلّفتني ما لم أطِق،
ساءَكَ ما سَرّكَ منّي من خُلُق

●

الرضا بالبعض دون الكل

منه: قد يَرْكب الصّعبَ من لا ذَلول له. وقولُهم: خُذ من جَذَع ما أعطاك[1]. وقولُهم: خُذ ما طَفَّ لك[2]؛ أي ارضَ بما أمكنك. ومنه قولُهم: زَوْجٌ من عُود خيرٌ من قُعود. وقولُهم: ليس الرِّيّ عن التّشاف؛ أي ليس يَرْوَى الشاربُ بشُرْب الشُّفافة كلّها، وهي بقية الماء في الإناء، ولكنه يَرْوى قبل بلوغ ذلك. وقولهم: لم يُحْرَم مَن فُصِد له؛ ومعناه: أنهم كانوا إذا لم يَقدروا على قِرى الضّيف فَصدوا له بعيراً

---

١ مر شرح هذا المثل.
٢ طف: ارتفع.

وعالجوا دمه بشيء حتى يمكن أن يأكله . ومنه قول العامة : إذا لم يكن شَحْم فنَفَس ؛ أصل هذا أن امرأة لَبِست ثياباً ، ثم مَشت وأظهرت البُهر[1] في مِشْيَتها بارتفاع نفَسها ، فلَقِيها رجل ، فقال لها : إني أعرفك مَهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شَحْم فنَفَس . وقال ابنُ هانيء :

قال لي : تَرْضى بوَعْدٍ كاذب ؟
قلتُ : إن لم يَكُ شَحْم فنَفَس

•

التوق في الحاجة

منه قولهم : فعلتَ فيها فعلَ من طَبَّ لمن أحَبّ . ومنه قولُهم : جاء تَضِبُّ لِثاته[2] على الحاجة ؛ معناه لشدة حِرْصه عليها . وقال بِشر بن أبي خازم :

خيلاً تَضِبُّ لِثاتُها للمَغْنَم[3]

•

---

١ البهر : انقطاع النفس .
٢ تضب لثاته : يتحلب ريقه .
٣ وصدر هذا البيت : وبني تميم قد لقينا منهم .

استتمام الحاجة

أَتْبِعِ الفَرَسَ لِجامَها ؛ يريد أنك قد جُدْتَ بالفرس ، واللِّجامُ أيْسرُ خَطْباً فأتِمِّ الحاجة . ومنه : تَمَامُ الرَّبيع الصيف ؛ وأصله في المطر ، فالرَّبيع أوّله والصَّيف آخره .

●

المصانعة في الحاجة

مَنْ يَطْلُبِ الحَسناءَ يُعْطِ مَهْرَها . وقولهم : المُصانعة[1] تُيَسِّر الحاجة . ومن اشترى فقد اشتوى . يقول : من اشترى لحماً فقد أكل شِواءً .

●

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّراحُ من النجاح[2] . النفسُ مُولعةٌ بحُبِّ العاجل .

●

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كلا جانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طريق . هَرْشَى : عقبة . ومنه : هو على حَبْلِ ذِراعك ؛ أي لا يخالفك .

●

---

١ المصانعة : المداهنة ، والرياء .

٢ السراح : الاسم من التسريح ، اي التسهيل . ومعنى المثل : اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فعليك ان تؤيسه منها ، فان ذلك عنده بمنزلة الاسعاف .

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إلا دَه فلا دَه . قال ابن الكلبي : معناه أن كاهناً تقاضى إليه رجلان من العرب ، فقالا : أخبرنا في أي شيء جئناك ؟ قال : في كذا وكذا ؛ قالا : إلا دَه ؛ أي انظر غير هذا النظر. قال : إلا دَه فلا دَه ؛ ثم أخبرهما بها . قال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن .

•

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قد علِقت دَلْوَك دلوٌ أخرى . وقولهم: الأمرُ يَحْدُثُ دونه الأمر. وقولهم: أخلفَ رُوَيْعياً مَظِنّتُه[١] ؛ وأصله أن راعياً اعتاد مكاناً فجاءه يرعاه ، فوجده قد تغيّر وحال عن عهده . ومنه قولهم : سَدَّ ابنُ بَيْض الطريقَ سدّاً . وابنُ بيض : رجل عقر ناقة في رأس ثنيّة فسدّ بها الطريق .

•

اليأس والخيبة

منه قولهم : مَن لي بالسانح بعد البارح ؟ أي من لي باليمن بعد الشؤم ؟ وقولهم : جاء بخُفّيْ حُنَين ؛ وقد فسّرناه في الكتاب الذي قبل هذا . ومنه : أطالَ الغيبة وجاء بالخَيْبة .

---

١ مظنه : ما يظن وجود الشيء فيه .

ونظير هذا قولهم : سَكَتَ ألفاً ونَطَقَ خَلْفاً ؛ أي أطال السكوت وتكلم بالقبيح ، وهذا المثل يقع في باب العيّ ، وله ها هنا وجه أيضاً . وقال الشاعر :

وما زِلْتُ أقطعُ عَرْضَ البِلادِ ، مِن المَشرِقَيْنِ إلى المَغرِبَيْنِ
وأدْرِعُ الخوفَ ، تحتَ الدُّجى ، وأستَصْحِبُ الجَدْيَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطْوِي ، وأنشُرُ ثوبَ الهُمومِ ، إلى أن رَجَعتُ بخُفَّيْ حُنَيْنِ

•

طلب الحاجة في غير موضعها

قالوا : لم أجد لشفْرَتي مَحَزّاً[1] . وقولهم : كَدَمْتَ غير مَكْدَمٍ[2] . وقولهم : نَفَختَ لو تنفخ في فَحَم . وقالت العامة : يَضرب في حديدٍ بارد .

•

طلب الحاجة بعد فواتها

منه قولهم : لا تطلب أثراً بعد عَيْن . وقولهم : في الصَّيف

---

١ المحز : موضع الحز ، القطع .
٢ الكدم : العض . المكدم : موضعه .

ضَيَّعتِ اللبنَ ؛ معناه أنّ الرجل إذا لم يُطرق ماشيتَه في الصَّيف كان مُضَيِّعاً لألبانها عند الحاجة .

•

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : مَن نجا برأسه فقد رَبح . وقولهم : رَضِيت من الغَنيمة بالإياب .

وقول العامة : الهزيمة مع السلامة غَنيمة .

وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ ، حتى رَضيتُ من الغَنيمة بالإياب

وقال آخر :

الليلُ داجٍ والكِباشُ تَنتطِحْ ،
فمن نَجَا برأسه فقد رَبِحْ

•

من طلب الزيادة فانتقص

منه : كطالب القَرْن جُدِعت أذْنه[1] . وقولهم : كطالب الصَّيد في عرّيسة الأسد. وقولهم : سَقَط العَشاء بها على سِرْحان ؛

---

١ زعموا أن النعام ذهب يطلب قرناً فجدعت أذنه ، ولذلك يقال له :مصلم الأذنين.

يريد دابةٌ خَرجتْ تطلب العَشاء فصادفت ذئباً. ونظير هذا من قولنا :

طلبْتُ بكَ التَّكثير ، فازددتُ قِلَّةً ،
وقـد يَخسَر الإنسان في طَلَبِ الرِّبْحِ

•

الرجل يخلو بحاجته

منه قولهم :

خلا لكِ الجوُّ فبِيضي واصفِري[1]

ومنه : رُمِي برَسَنِك على غاربك ؛ وهذا المثلُ قالته عائشة لابن أخت مَيمونة زوج النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : ذهبت والله ميمونة ورُمي برَسَنِك على غاربك[2].

•

١ يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها ، وأول من قاله طرفة بن العبد الشاعر ، وذلك انه كان نصب فخاً ليصيد قنابر فلم يصد منها شيئاً فرحل ، ثم حمل فخه وابتعد . ولما عاد الى هذا المكان رأى القنابر يلقطن ما كان نـثر من الحب فقال :

يا لك من قـبرة بمعمر ، خلا لك الجو فبيضي واصفري !

٢ اي خلي سبيلك فليس لك أحد يمنعك مما تريد .

ارسالك في الحاجة من تثق به

أرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ . وقولهم : الحريص يَصيد لك لا الجواد؛ يقول : إنّ الذي له هوًى وحِرْص على حاجتك هو الذي يقُوم بها لا القويّ عليها ولا هَوى له فيها . ومنه قولهم : لا يُرَحِّلنّ رحلَكَ مَن ليس معك[1]. ومنه في هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصْبَ عينيه ، ويَحْملها بين أذنه وعاتقه ، ولم يجعلها بظَهْر .

•

قضاء الحاجة قبل السؤال

لا تسأل الصارخ وانظر ما له؛ يريد لم يأتك مُستصرخاً إلا مِن ذُعرٍ أصابه فأغِثه قبل أن يسألك. ومنه : كفى بُرغائها منادياً[2]. ومنه : يُخْبِر عن مَجهوله مَعلومُه. وقولهم: في عَيْنِه فِرارُه؛ يَعنون في نظرك الى الفرس ما يُغنيك عن فِراره[3] .

•

---

١ اي لا تستعن الا بأهل ثقتك .

٢ أصله أن رجلاً نزل بقرب قوم وجعلت راحلته ترغو فلم يقروه فلامهم ، فقالوا : ما أحسسنا بنزولك ، فقال هذا المثل .

٣ الفرار: النظر الى اسنان الدابة لتعرف سنها .

الانصراف بحاجة تامة مقضية

جاء فلان ثانياً من عِنانه . فإن جـاء بغير قضاء حاجته ، قالوا : جاء يضْرِب أصْدرَيْه ، أي عِطْفيه . وجاء وقد لَفَظ لِجامه[1] . وجاء سَبَهْلَلاً[2] . فإن جاء بعـد شدّة قيل : جاء بعد اللّتيّا والتّي . وجاء بعد الهِياط والمِياط[3] .

●

تجديد الحزن بعد ان يبلى

منه قولهم : حَرِّكْ لها حُوارها[4] تَحِنّ ؛ وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمُعاوية حين أراد أن يَستَنصر أهلَ الشام: أخْرِج إليهم قميصَ عثمان، رضوان الله عليه، الذي قُتل فيه . ففعل ذلك مُعاوية ، فأقبلوا يَبْكون ، فعندها قال عمرو : حَرِّكْ لها حُوارَها تَحِنّ .

●

جامع امثال الظلم

منه قولُهم : الظُّلم مَرْتعه وَخيم . وفي الحديث : الظلم

---

١ اي انه انصرف عن حاجته مجهوداً من الاعياء .
٢ سبهللاً : فارغاً ، اي جاء وذهب في غير شيء .
٣ الهياط والمياط : الضجيج والشر والجلبة .
٤ الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه .

ظلمات يوم القيامة . ومنه : فإنك لا تجني من الشوك العنب .
وقولهم : الحربُ غَشوم .

•

الظلم من نوعين

منه : أحَشَفاً وسوءَ كِيلة[١] ؟ ومنه : أغُدّةٌ كغُدّة البعير وموتٌ في بيت سَلُوليّة ؟ وهذا المثل لعامر بن الطُّفيل حين أصابه الطاعونُ في انصرافه عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلجأ الى امرأة من سَلُول فهلكَ عندها .

ومنه : أغَيْرةٌ وجُبْناً ؟ قالته امرأةٌ من العرب لزوجها تُعيّره حين تخلّف عن عدوّه في مَنزله ، ورآها تَنظُر الى قِتال الناس فضَرَبها . فقالت : أغَيرةٌ وجُبْناً ؟

وقولهم: أكَسْفاً وإمساكا ؟ أصلُه الرجل يلقاكَ بعُبوس وكُلوح مع بُخل ومَنْع . وقولهم : يا عَبرى مُقبِلة ، يا سَهرى[٢] مُدْبِرة ؛ يُضرب للأمر الذي يُكره من وجهين . ومنه قول العامة :

كالمُستغيث من الرَّمْضاء بالنارِ

---

١ الحشف : أردأ التمر . الكيلة : نوع الكيل . يعني : تجمع حشفاً وسوء كيل ؛ يضرب لمن يجمع خصلتين مكروهتين او يظلم من وجهين .
٢ عبرى : باكية . سهرى : ساهرة .

وقولهم : للموت نَزَعٌ والموت بَدَرٌ[1]. وقولهم : كالأشقر إنْ تقدّمَ نُحِر ، وإن تأخّر عُقِر[2]. وقولهم : كالأرقم[3] إن يُقتَلْ يَنْقِم ، وإن يُتْرك يَلْقم ؛ يقول : إن قتلته كان له من ينتقم منك ، وإن تركته قتلك . ومنه : هو بين حاذفٍ وقاذف ؛ الحاذف : الضارب بالعصا ، والقاذف : الرّامي بالحَجَر .

●

من يزداد غماً على غمه

منه قولهم : ضِغْثٌ على إبّالة ؛ الضِّغث : الحُزمة الصغيرة من الحطب ، والإبّالة : الكبيرة . ومنه قولهم : كِفْتٌ إلى وَئِيّة ؛ الكِفْت : القِدْر الصغيرة ، والوئية : القِدر الكبيرة . يُضرب للرجل يحمل البليّة الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة . ومنه قولهم : وَقَعوا في أم جُنْدب[4]؛ إذا ظَلَموا .

●

---

١ النزع : الاشراف على الهلاك . بدر : اسرع .
٢ كالأشقر : أي كالفرس الاشقر ، والعرب تتشاءم به .
٣ الأرقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض ، وهو اخبث الحيات . وكانت العرب تزعم ان الجن تطلب بثأره اذا قتل .
٤ ام جندب : اسم من اسماء الاساءة .

المغبون في تجارته

منه قولهم : صَفقة لم يَشْهدها حاطب ؛ وأصله أنّ بعضَ أهل حاطب[1] باع بَيْعَة غُبن فيها . ومنه قولهم : أعطاه اللّفاء غيرَ الوفاء[2].

•

سرعة الملامة

منه : ليس من العَدْل سرعة العَذْل. ومنه : رُبّ مَلُوم لا ذنبَ له . وقولهم : الشّعيرُ يُؤكل ويُذمّ . وقولُ العامة : أكلاً وذمّاً. وقولُ الحجّاج : قُبّح والله منا الحَسَن[3].

•

الكريم يهتضمه اللئيم

لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْني[4]. ومنه : ذُلّ لو أجِد ناصراً.

•

---

١ هو حاطب بن ابي بلتعة ، وكان حازماً .
٢ اللفاء : القليل وما دون الحق .
٣ اي بلغ من ذم الناس لنا ان عابوا محاسننا .
٤ يريد بذات السوار : الحرة ، لان العرب قلما كانت تلبس الاماء السوار .

هذه بتلك والبادي أظلَم . ومنه : مَن لم يَذُد عن حوضه يُهدَّم[1] .

•

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه

قالوا : مَن حفر مُغَوَّاة وقَع فيها ؛ والمُغَوَّاة : البئر تُحْفَر للذِّئاب ، ويُجعل فيها جَدْيٌ فيسقط الذئبُ فيها ليَصيدَه فيُصاد . ومنه : يَغدو على كل امرىء ما يأتمر[2] . ومنه : عاد الرَّمْيُ على النَّزَعة . وهم الرُّماة يَرْجع عليهم رَمْيُهم . وتقول العامة : كالباحث عن مُدْيَة[3] . ومنه قولهم : رُمي بحَجَره ، وقُتِلَ بسِلاحه .

•

١ هذا من قول زهير :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

٢ ما يأتمر : ما تأمره به نفسه فيأتمر هو به ويمتثله ظناً منه أنه رشد .

٣ مر شرح هذا المثل .

المضطر الى القتال

مُكْرَه أخُوكَ لا بطل[1].

قد يَحْمِلِ العَيْرُ من دُعْرٍ على الأسد[2]

●

المأخوذ بذنب غيره

جانِيكَ مَن يَجني عليك[3]. ومنه: كَذِي العُرِّ يُكْوى غَيرُه وهو راتِع[4]. ومنه: كالثَّوْرِ يُضْرب لمّا عافَت البَقَر؛ يعني عافت الماء. وقال أنَس بن مُدْرِك:

إني وقَتْلي سُلَيْكاً ثم أعْقِلَه[5]،
كالثَّور يُضرب لمّا عافت البَقَر

يعني ثَوْر الماء، وهو الطحلُب[6]؛ يقال: ثار الطّحلب ثَوْراً

١ يريد انه محمول على ذلك وان ليس في طبعه شجاعة. يضرب لمن يحمل على امر ليس من شأنه.
٢ العير: الحمار.
٣ أي صاحب جنايتك من يجني عليك فلا تأخذ بالعقوبة غيره، ومعناه: ان الذي تلحقك منفعته هو الذي يلحقك عاره.
٤ العر: الجرب. وهذا عجز بيت للنابغة وصدره: فحملتني ذنب امرىء وتركته.
٥ عقل القتيل: أدى ديته
٦ وذلك ان البقار اذا أورد القطعة من البقر الماء فعافته وصدها عنه الطحلب ضربه ليفحص عن الماء فتشربه.

ونَوراناً. ومنه قولُهم : كلُّ شاةٍ بِرِجلها تُناط ؛ يُريد : لا يُؤخذ رجلٌ بغير ذَنْبه .

•

التبرىء من الشيء

ما هو من لبابي ولا سَمَرِه . مـا هو من بَزّي ولا مِن عِطْري. ما لي فيه ناقة ولا جَمَل . ومنه قولُهم : بَرِئت منه الى الله. ومنه : لستَ منكَ ولستَ منّي . وما أنا من دَدٍ ولا دَدٌ[1] منّي .

•

سوء معاشرة الناس

قالوا : الناسُ شجرة بَغْي . لا سَبيل الى السّلامـة من ألسنة العامـة . وقولهم : رِضَى الناس غايةٌ لا تُدْرَك . ومنه الحديثُ المرفوع : النّاس كإبلٍ مائة لا تَـكاد تَجد فيها راحِلة واحـدة . ومنه قولُهم : الناس يُعيِّرون ولا يَغفرون والله يَغفر ولا يُعيِّر .

وقال مالكُ بن دينار : مَن عرف نفسَه لم يَضِرْه قولُ الناس فيه . وقول أبي الدَّرداء : إنْ قارضْتَ الناسَ قارضُوك ، وإن تركتَهم لم يَتركوك .

•

---

١ الدد : اللعب واللهو .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إنَّ الجبانَ حَتْفه من فَوقه ؛ وهو من قول عمرو بن أمامة :

لقد وَجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقه ،
إنَّ الجبان حَتْفه من فَوْقه

قال أبو عُبيد : أحسبه أراد أن حَذره وتَوقّيه ليس بدافع عنه المنيّة . قال أبو عمر : وهذا غَلَط من أبي عُبيد عندي ، والمَعنى فيه أنه وَصف نفسَه بالجُبن ، وأنه وَجد الموتَ قبل أن يَذوقه ، وهذا من الجُبن ، ثم قال : إنَّ الجبان حتفُه من فوقه ، يريد أنه نظر الى منيّته كأنما تحوّم على رأسه ، كما قال الله ، تبارك وتعالى ، في المنافقين إذ وصفهم بالجبن : « يَحْسَبون كلَّ صَيْحَة عليهم هم العَدوّ . » وكما قال جرير للأخطل يُعيّره إيقاع قَيس بهم :

حَمَلتْ عليكَ رجالُ قَيْسٍ خَيْلَها ،
شُعْثاً ، عوابسَ تَحْمِلُ الأبطالا

ما زِلْتَ تَحسِب كلَّ شيءٍ ، بعدَهم ،
خيلاً ، تَكُرُّ عليكمُ ورجالا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عُبيد ما كان معناه يَدخل في هذا الباب ، لأنه باب الجبان وما يُذم من أخلاقه ، وليس أخذ الحَذر

من الجبن في شيء، لأن أخذ الحَذر محمود، وقد أمر الله تعالى به فقال: «خُذوا حِذرَكم.» والجبن مَذموم من كل وجه. ومنه الشعرُ الذي تمثّل به سعد بن مُعاذ يوم الخَنْدق:

لَبِّثْ قليلًا يُدْرِكِ الهَيجا حَمَلْ؛
ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ[1]

ومنه قولُهم: كلّ أزبّ نَفُور، وإنما يقال في الأزب من الابل لكَثْرة شَعَره، ويكون ذلك في عيْنيه، فكلّما رآه ظن أنه شَخْص يطلبه فينفِر من أجله. ومنه قولهم: بَصْبَصْنَ إذ حُدِينَ بالأذناب[2]. ومنه قولهم:

دَرْدَب لمّا عَضّه الثّقاف[3]

وقولهم: حال الجَريضُ دون القَريض[4]؛ وهذا المثل لعَبيد بن الأبرص قاله للنعمان بن المُنذر بن ماء السماء حين أراد قتله، فقال له: أنْشدني شِعْرَك:

أقْفر من أهْلـه مَلحُوب[5]

---

١ حمل: هو ابن بدر.
٢ بصبصن: حركن اذنابهن. يضرب في الخضوع والطاعة من الجبان.
٣ دردب: اعتاد، يريد: ذل وخضع. والثقاف: خشبة تسوى بها الرماح.
٤ الجريض: الغصة.
٥ ملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة.

فقال عَبِيد : حالَ الجَرِيضُ دونَ القَرِيض . ومنه : قفَّ شَعَرُه ، واقشعرّت ذُؤابته ؛ معناه : قام شعره من الفَزَع .

•

افلات الجبان بعد اشفائه

منه قولهم : أفلت وانحصَّ الذَّنَب[1] . ومنه : أفلَتَ وله حُصَاص[2] . ويُروى في الحديث : إن الشَّيطان إذا سَمِع الأذان أدْبَر وله حُصَاص . ومنه : أفلتني جُرَيعَة[3] الذَّقَن ، إذا كان منه قريباً كقُرْب الجَرْعة من الذَّقن ، ثم أفلته . ومنه قول العامة : إن يُفلت العَيْرُ فقد ذَرَق . وقولهم : أفلتني وقد بَلَّ النَّيْفَق[4] ، الذي تُسمّيه العامة النَّيفق .

•

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان يَنْفُض مِذْرَوَيه ، أي يتوعّد ويتهدد .

---

١ انحص الشعر : تناثر . واصله أن رجلاً أخذ بذنب بعيره فأفلت البعير ، وبقي شعر الذنب في يده .
٢ الحصاص : الاسراع في العدو .
٣ جريعة : تصغير جرعة ، ويريد أن نفسه صارت في فيه وقريباً منه ، كقرب الجرعة من الذقن .
٤ النيفق : الموضع المتسع من السروال .

والمِذْرَوان : فَرْعا الأليَتَين[1]. ولا يكاد يُقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة . ومنه : أَبْرِق لمن لا يَعْرفك. واقْصِد بذَرْعك[2]. ولا تُبْقِ إلا على نفسك[3].

•

تصرف الدهر

منه : مَن يجْتمع تَتَقَعْقَع[4] عُمُدُه ؛ أي أن الاجتماع داعية الافتراق . ومنه : كل ذات بَعْل ستَئيم[5]. ومنه البيت السائر :

وكلُّ أخٍ مُفارقُه أخوه، لَعَمْرُ أبيك، إلا الفرْقَدانِ

ومنه : لم يَفُت مَن لم يَمُت .

•

الاستدلال بالنظر على الضمير

منه قولهم: شاهد البُغْض اللَّحْظ . وجَلَّى محبٌّ نَظَرَه[6].

---

١ وقيل : المذروان : فرعا المنكبين .
٢ الذرع : الذراع . ويريد به القوة والطاقة . اي توعد بما في قدرتك .
٣ أي اجهد جهدك ، ولا تشفق الا على نفسك . فلست ابالي وعيدك .
٤ التقعقع : صوت العمد وهي تجمع للرحيل .
٥ ستئيم : أي تصير أيما بلا زوج .
٦ جلى : حسن أي أن نظر المحب الى الحبيب يؤذن بحبه له وان لم يبح به .

قال زُهَير :

فإنْ تَكُ في صَديقٍ أو عدوٍّ ، تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقال ابن أبي حازم :

خُذْ مِن العَيْش ما كَفَى ، ومِنَ الدَّهْرِ ما صَفَا
عَيْنُ من لا يُحِبُّ وَصْـ لَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

●

نفي المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَة ولا مَعْنَة[1]، معناه : لا شيء له. ومنه : ما له هِلَّع ولا هِلَّعة ، وهما الجَدْي والعَنَاق[2]. ومنه : ما له هارب ولا قارب ؛ معناه : ليس أحد يَهْرُب منه ، ولا أحدٌ يقرب إليه ، فليس له شيء . وقولهم : ما له عافِطة ولا نافِطة ، وهما الضَّائنة والماعِزة . وما به نَبَض ولا حَبَض . قال الأصمعيّ : النَّبَض : التحرّك ، ولا أعرف الحَبَض . وقال غيرُه : النَّبَض والحَبَض في الوتر ، فالنَّبَض : تحرُّك الوَتَر ، والحَبَض : صوته . وقال :

والنَّبْلُ يَهْوِي نَبَضاً وحَبَضا

١ السعنة : الكثرة من الطعام . المعنة : القلة منه .
٢ العناق : الأنثى من أولاد المعزى .

ومنه قولهم: ما له سَبَد ولا لَبَد، هما الشَّعر والصُّوف. ولم يَعْرِف الأصمعيُّ السَّعْنة والمَعْنة.

•

اذا لم يكن في الدار احد

منه قولهم: ما بالدار شَفْر[1]، ولا بها دُعْوِيّ، ولا بها دُبِّيّ؛ معناه: ما بها من يدعو ومن يَدِب. وما بها من عريب ولا بها دُورِيّ ولا طُورِيّ، وما بها وابِر، وما بها صافر، وما بها ديَّار، وما بها نافخ ضَرَمة[2]، وما بها أرِم؛ معنى هذا كله: ما بها أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات والايجاب، وإنما يقولونها في النَّفي والجَحْد.

•

اللقاء واوقاته

منه: لَقِيت فلاناً أولَ عَيْن، يعني أول شيء. وقال أبو زيد: لقيتُه أولَ عائنة، ولقيتُه أولَ وَهْلة، ولقيته أول ذات يَدَيْن، ولقيته أولَ صَوْك وأولَ بَوْك[3]. فإن لقيته فجأة من غير أن تُريده قلتَ: لَقِيته نِقاباً، ولَقِيتُه التِقاطاً،

---

١ شفر: أحد.

٢ الضرمة: ما اضرمت فيه النار.

٣ اول صوك واول بوك: اول شيء واول مرة.

إذا لَقِيتَه من غير طَلَب. وقال الراجز: ومَنْهل وردته التقاطا.

وإن لقيته مُواجهة قلت: لَقِيتُه صِفاحاً، ولقيته كِفاحاً[١]، ولقيتُه كَفَّةَ كَفَّةَ[٢].

قال أبو زيد: فإن عَرَض لك من غير أن تذكُرَهُ قلت: رُفع لي رفعاً، وأُشِبَّ لي إشباباً. فإن لقيتَه وليس بينك وبينه أحدٌ قلتَ: لقيتُه صَحْرة بَحْرَة، وهي غيرُ مُجْراة[٣]. فإن لقيتَه في مكان قَفر لا أنيسَ به قلتَ: لقيتُه بوحش إصْمتَ[٤]، غير مُجْرى أيضاً، ولقيته بين سَمع الأرض وبَصرها. فإن لقيتَه قبل الفجر قلتَ: لقيتُه قبل كل صَبْحٍ ونَفْر. النفر: التفرق. وإن لقيتَه بالهاجرة قلت: لقيتُه صَكَّةَ عُميّ[٥] وصَكَّةَ أعمى. قال رؤبة يصف الفلاة إذ لمعت بالسراب في الهاجرة:

شبيه يَمّ بين عِبْرَيْن معا،
صَكّةَ أعمى زاخرٍ قد أتْرعا

١ صفاحاً: بصفح وجهه. المكافحة: مصادفة الوجه للوجه.
٢ الكفة: المرة من الكف، وكفة كفة، أي مواجهة، كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته الى غيره، أي منعه.
٣ قوله غير مجراة اي غير مصروفة كأنها جعلت اسماً مركباً.
٤ اصمت: موضع.
٥ الصكة: شدة الهاجرة. وصكة عمي، وصكة أعمى: اشد الهاجرة، اي حين كاد الحر يعمي.

فإن لقيتَه في اليومين والثلاثة قلت : لقيتُه في الفَرَط ، ولا يكون الفَرَط في أكثر من خمس عشرة ليلة . فإن لقيته بعد شهر ونحوه ، قلت : لقيتُه من عُفُر . فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هَجْر . فإن لقيتَه بعد أعوام قلت : لقيته ذات العُوَيم . فإن لقيته في الزمان قلت : لقيته ذات الزُّمين . والغِبّ في الزيارة : هو الإبطاء فيها . والاعتمار في الزيارة : هو التردد فيها .

•

في ترك الزيارة

منه قولُهم : لا آتيك ما حنّت النِّيبُ ، وما أطّت الإبل[1]، وما اختلفت الدِّرّة والجِرّة[2]، وما اختلف المَلَوان ، وما اختلف الجديدان. ولا آتيك الشمسَ والقمرَ، وأبدَ الأبد؛ ويقال : أبد الآبدين ، ودهرَ الداهرين . وحتى يرجع السهمُ الى فُوقه[3] ، وحتى يَرْجع اللبنُ في الضرع . ولا آتيك سِنَّ الحِسْل. تفسيره : النِّيب جمع ناب ، وهي المُسِنّة من الإبل.

---

١ النيب ، واحدتها ناب : الناقة المسنة . اطت الابل : انت حنيناً وتعباً .

٢ الدرة : سيلان اللبن وكثرته. الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. واختلافهما ان الدرة تسفل الى الرجلين ، والجرة تعلو الى الرأس .

٣ الفوق : موضع الوتر من السهم .

والدِّرة : الحَلْبة من اللبن . والجِرّة : من اجترار البعير .
والملوان والجديدان : الليل والنهار . والحِسْل : هو ولد
الضبّ . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

•

استجهال الرجل ونفي العلم عنه

منه قولهم : ما يعرف الحوّ من اللوّ . وما يعرف الحيّ من الليّ[1] ، ولا هَرِيراً من غَرِيرٍ[2] ، ولا قَبيلاً من دَبيرٍ . وما يعرف أيّ طَرَفَيْه أطول وأكبر . وما يعرف هِرّاً من بِرّ ؛ أي ما يعرف من يَهِرُّه[3] ممن يَبَرّه . والقبيل : ما أقبلتَ به من فَتْل الحَبْل . والدَّبير : ما أدبرت به منه . وأيّ طرفيه أطول : أنسَبُ أبيه أم نسب أمّه ؟

•

١ الحو والحي : الحق . اللو واللي : الباطل .
٢ الهرير : سوء الخلق . الغرير : حسنه .
٣ يهره : يكرهه .

أمثال مستعملة في الشعر

قال الأصمعي : لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوّله مَثَلٌ وآخرُه مَثَلٌ إلا ثلاثة أبيات ، منها بيت للحطيئة :

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعْدَم جوازيَه ،
لا يذهبُ العُرْفُ بينَ الله والناسِ

وبيتان لامرىء القيس :

وأفلتهنّ عِلباءٌ جَريضاً ،
ولو أدرَكْنَهُ صفِرَ الوِطابُ[1]

---

١ علباء : هو ابن الحارث ، أحد بني اسد ، وكان قتل أبا امرىء القيس ثم انذر قومه بغارة امرىء القيس عليهم في بكر وتغلب . فلجأوا الى بني كنانة ثم خافوهم فرحلوا عنهم دون أن يعلموهم . واقبل امرؤ القيس في بكر وتغلب حتى انتهى الى بني كنانة ، وهو يحسبهم بني اسد ، فوضع السلاح فيهم . ثم علم الخبر فتركهم في طلب بني اسد ففاتوه ليلهم ، فقال هذا الشعر . جريضاً : اي بعد جهد ومشقة . الجرض : الغصص بالريق . والضمير في « افلتهن » و « ادركنه » يرجع للخيل التي كروا بها عليهم . الوطاب : واحدها وطب : سقاء اللبن . صفر : فرغ وخلا ، ومعنى صفر الوطاب ، اي مات ، جعل روحه بمنزلة اللبن الذي في الوطب ، وجعل الوطب بمنزلة الجسد .

وقـاهم جَدُّهم ببني أبيـهـم ،
وبالأشْقَيْنَ مـا كان العِقـاب[1]

ومثلُ هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف أغفل القديمَ منه الأصمعيُّ ؛ فمنه قولُ طرفة :

ستُبْدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ،
ويأتيكَ بالأخبـار من لم تُزَوِّدِ

وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوّة . ومن ذلك قولُ الآخر :

مـا كلّفَ الله نفساً فوق طاقتها ؛
ولا تجود يـدٌ إلا بمـا تَجِدُ

ففي الصّدْر مَثَل وفي العجز مَثَل . ومن ذلـك قولُ الحسن بن هانىء :

أيها المُنتـاب عن عُفْرِهْ لستَ من لَيْلِي ولا سَمَرِهْ[2]

---

١ بنو ابيهم : اراد بهم بني كنانة ، لأن اسداً وكنانة ابني خزيمة ، اخوان . الجد : الحظ . الاشقين : جمع اشقى . اي وقى بني اسد حظهم اذ وقـع العقاب بالاشقين بني ابيهم ، وهم كنانة .

٢ في ديوان ابي نواس ، المنتاب عن عفره : اي الزائر بعد غياب شهر .

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ، قد بلوتُ المُرَّ من ثَمَرِه[1]

إنَّ العربَ تقول : انتاب فلان عن عُقرِه ، أي تباعد عن أصله . لستَ من ليلي ولا سمره، مثَلٌ ثانٍ . وليس في البيت الثاني إلا مثلٌ واحد . ومن قولنا في بيتٍ أوله مثلٌ وآخره مثل :

قد صَرَّحَ الأعداء بالبَيْنِ ، وأشرقَ الصُّبحُ لذي العَيْنِ

وبعده أبياتٌ في كل بيتٍ منها مثَل ، وذلك :

وعادَ مَنْ أهْوَاه ، بعد القِلا ، شَقيقَ رُوحٍ بين جِسْمَيْنِ
وأصْبحَ الدّاخل ، في بَيْننا ، كساقِطٍ بيْنَ فِراشَيْنِ
قد ألبِسَ البِغْضَة ذا وذا ، لا يَصْلُحُ الغِمْدُ لسَيْفَيْنِ
ما بالُ من ليست له حاجةٌ ، يكون أنفاً بين عَينَيْنِ؟

ومن قولنا الذي هو أمثالٌ سائرة :

قالوا : شبابُكَ قد ولّى ! فقلتُ لهم:
هل من جديدٍ على كرِّ الجديدينِ ؟[2]

صِلْ مَنْ هَوِيتَ وإنْ أبدَى مُعاتبة،
فأطيبُ العَيْشِ وَصلٌ بين إلفينِ

---

١ اذود : امنع .
٢ الجديدان : الليل والنهار .

واقْطع حبائلَ خِلٍّ لا تلائمُه،
فربما ضاقتِ الدنيا على اثنين

وقلت بعد هذا في المدح :

فكَّرْتُ فيك ، أبحرٌ أنت أم قمرٌ ؟
فقد تحيَّر فِكْرِي بين هذين

إنْ قلتُ بحراً وجدتُ البحرَ منحسراً ،
وبحرَ جودك ممتدُّ العُبابَيْن[1]

أو قلتُ بدراً ، رأيت البدرَ منتقصاً ،
فقلت شتَّانَ ما بين البُدَيْرَيْن[2]

•

ومن الأمثال التي لم تأتِ إلا في الشعر أو في قليل من الكلام ، من ذلك قول الشاعر :

ترْجو النجاةَ ، ولم تسلُكْ مسالكَها،
إنّ السفينةَ لا تجْري على اليَبَسِ

•

---

١ عباب البحر : معظم مائه .
٢ البديرين : تصغير البدرين .

وقال آخر :

متى تَنقَضي حاجاتُ من ليس صابراً
على حاجـةٍ ، حتى تكون له أخْرى

•

قيل ولما بلغ حاتماً قول المُتَلَمِّس :

وأعلمُ عِلْمَ صِـدقٍ ، غيرَ ظَنٍّ ،
لَتَقْوى الله مِنْ خَيْرِ العَتَادِ[1]

وحِفظُ المالِ أيْسَرُ من بُغاه ،
وسَيْرٌ في البلاد بغـير زاد

وإصْـلاحُ القليلِ يَزيدُ فيه ،
ولا يَبْقى الكثيرُ مع الفساد

قال: قَطَعَ الله لسانَهُ ! يحمِل الناسَ على البُخل ؛ ألا قال:

لا الجودُ يُفني المالَ ، قبلَ فَنائه ،
ولا البُخلُ ، في مال الشَّحيحِ ، يزيدُ

فلا تَلتَمِسْ مـالاً بعيْشٍ مُقتَّرٍ ؛
لكـلِّ غدٍ رزقٌ يعـود جديد

•

---

[1] العتاد : كل ما هيء من سلاح ودواب وآلة حرب .

وقال غيرُه :

إذا كنتُ لا أعفو عن الذّنب من أخٍ ،
وقلتُ أُكافيه ، فأينَ التفاضُلُ ؟

فإنْ أقطَعِ الاخوانَ ، في كلّ عَثرَةٍ ،
بَقيتُ وحيداً ليس لي مَنْ أُواصِلِ

ولكنني أُغضِي الجُفونَ على القَذَى ،
وأصْفَحُ عمّا رابَني وأُجامِلِ

متى ما يَرِبني مِفصَلٌ فقَطَعتُهُ ،
بقيتُ وما لي للنُّهُوضِ مفاصِلِ

ولكن أُداويه ، فإن صَحَّ سرَّني ،
وإنْ هو أعيا كان فيه التّحامُلُ

•

وقال :

يُديفُونَ لي سُمّاً ، وأسْقِيهِمُ الحَيا ،
ويَقْرونَني شَرّاً ، وشَرّي مُؤَخَّرُ[1]

كأنّني سَلبْتُ القومَ نُورَ عُيونِهم ؛
فلا العُذرُ مقبولٌ ولا الذّنبُ يُغْفَرُ

---

١ يديفون : يخلطون . الحيا : المطر .

وقد كان إحساني لهم غيرَ مرّة ،
ولكنّ إحسان البَغيض مُكَفَّر[1]

•

ولغيره :

لم يبْقَ من طلَبِ الغِنى إلا التّعرُّض للحتُوف
فلأقبِلنّ ، وإن رأيتُ الموْتَ يَلمعُ في الصّفوف
إنّي امرؤٌ ، لم أوتَ مِن أدَبٍ ، ولا حَظٍّ سَخيف
لَكِنّهُ قدرٌ يزولُ من القويّ إلى الضعيف

•

---

١ مكفر : مستور .

أمثال العرب

العقد الفريد

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ أخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢

العقد الفريد

١٠

سحر البيان

مكتبة صادر
بيروت

سحر البيان

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

سحر البيان

هو كتاب الزمردة الاولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

١٠

سحر البيان

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣

كتاب الزمردة

في المواعظ والزهد

قال أحمدُ بن محمّد بن عبد ربه : قد مضى قولُنا في الأمثال، وما تَفَنَّنوا فيه على كلّ لسان ، ومع كلّ زمان ، ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه ، بالقول في الزُّهد ورجاله المشهورين به ، ونذكر المُنْتَخَلَ[1] من كلامهم، والمواعظَ التي وَعظت بها الأنبياء، واستَخْلصها الآباءُ للأبناء ، وجرَت بين الحكماءِ والأدباء ، ومَقامات العُبّاد بين أيدي الخُلفاء . فأبلغ المواعظ كلّها كلام الله تعالى الأعزّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفه تنزيلٌ من حكيم حَميد .

قال الله تبارك وتعالى : « ادْعُ الى سبيلِ رَبّك بالحِكمةِ والموعِظةِ الحَسَنَة » الى آخر السورة . وقال جلّ ثناؤه : « كَيفَ تَكفُرونَ بالله وكُنتُمْ أمواتاً فأحياكُم ثمّ يُميتُكم ثمّ يُحييكُم ثمّ إليه تُرْجَعُون . » وقال : « أوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذا هُوَ

1 المنتخل : المنتقى ، المختار .

خَصِيمٌ مُبِينٌ » الى قوله : « عليم » . فهذه أبلغُ الحُجَجِ وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلواتُ الله عليهم ، ثم مواعظُ الآباء للأبناء ، ثم مواعظُ الحكماءِ والأدباء ، ثم مقامات العُبّاد بين أيدي الخُلفاء . ثم قولهم في الزُّهد ورجاله المعروفين به ، ثم المشهورين من المُنتَسِبين إليه .

والموعظةُ ثقيلةٌ على السمْع ، مُحَرّجة على النفس[1] ، بعيدة من القبول ، لاعتراضها الشَّهوة ، ومُضادّتها الهوى ، الذي هو ربيع القَلب ، ومَراد الرُّوح ، ومَربع اللّهو ، ومَسْرح الأماني ، إلا مَن وَعظه عِلْمُه ، وأرشده قلبُه ، وأحكمَتْه تجربتُه .

قال الشاعر :

لَن تَرْجِعَ الأنفسُ عن غيِّها ،
حتى يُرى منها لها واعظُ

وقالت الحكماء : السَّعيد مَن وُعِظ بغيره ، لا يَعْنُون مَن وَعظه غيرُه ، ولكنْ من رأى العِبَرَ في غيره فاتّعظ بها في نفسه . ولذلك كان يقول الحَسَن : اقْدَعوا[2] هذه النفوس

---

١ محرجة على النفس : مضيقة عليها .
٢ اقدعوا : كفوا .

فإنها طُلَعَةٌ[1]، وحادثوها بالذِّكر[2]، فإنها سريعة الدُّثور، واعصُوها فإنها إن أُطيعت نَزَعَتْ الى شرِّ غاية .

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختْم موعظته : يا لها من موعظة لو صادفتْ من القلوب حياةً .

وكان ابن السمَّاك يقول إذا فرَغ من كلامه : ألْسُن تَصف ، وقلوبٌ تعرف ، وأعمال تُخالِف .

وقال يونس بن عُبَيد : لو أُمِرْنا بالجزَع لَصبَرنا ؛ يريد ثِقَل الموعظة على السمْع ، وجنوحَ النفس الى مُخالفتها .

ومنه قولهم :

أحَبُّ شيءٍ الى الإنسانِ ما مُنِعا

وقولهم :

والشيءُ يُرغَبُ فيه حين يَمتنِعُ

والموعظةُ مانعةٌ لك مما تشتهي، حاملةٌ لك على ما تكره ، إلاّ أن تلقّاها بسَمْعٍ قد فتَقتْه العِبْرة ، وقلبٍ قدَحت فيه الفِكْرَة ، ونفسٍ لها من عِلْمها زاجر ، ومن عقلها رادع ، فيُفتح لك باب التوبة ، ويُوَضّحُ لك سبيلُ الإنابة .

---

١ طلعة : كثيرة التطلع الى الشيء.

٢ حادثوها بذكر الله .

قالَ النبي ، صلى الله عليه وسلم : حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكاره ، وحُفَّتِ النار بالشَّهوات ؛ يريد أنَّ الطريقَ الى الجنَّة احتمالُ المكاره في الدنيا ، والطريقَ الى النار ركوبُ الشهوات.

وخيرُ الموعظة ما كانت من قائل مخلص الى سامع مُنصِف.

وقال بعضُهم : الكلِمة إذا خَرَجَتْ من القلب وقعَتْ في القلب ، وإذا خرَجَت من اللّسان لم تُجاوز الآذان .

وقالوا : ما أحسنَ التاجَ ! وهو على رأسِ المَلِك أحسَنُ ؛ وما أحسنَ الدُّرَّ ! وهو على نَحر الفتاة أحسن ؛ وما أحسنَ الموعظة ! وهي من الفاضل التَّقيّ أحسنُ .

وقال زياد : أيها الناسُ ، لا يَمْنَعَنْكم سوءُ ما تعلمون منّا أن تنتفعوا بأحسنِ ما تسمعون منّا .

قال الشاعر :

اعْمَلْ بقولي ، وإنْ قَصَّرتُ في عَمَلي ،
يَنْفَعْكَ قولي ، ولا يَضرُرْكَ تَقْصيري

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : ما انتفعتُ بكلام أحدٍ بعدَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما انتفعتُ بكلامٍ كتبَهُ إليَّ عليُّ بن أبي طالب ، رضي اللهُ عنه . كتبَ إليَّ : أمّا بعد ، فإن المرءَ يَسرُّه إدراكُ ما لم يكُن ليَفوتَه ، ويسوؤه فوتُ ما

لم يَكُن لِيُدرِكه ، فَلْيَكن سرورُك بما نِلْتَ من أمر آخرتك ، ولْيَكن أسفُك على ما فاتَك منها . وما نِلْتَ من أمرِ دنياك فلا تكن به فَرِحاً ، وما فاتَك منها فلا تأسَ عليه جَزَعاً ، وليكن هَمُّك ما بعد الموت .

ووقَف حكيم بباب بعض المُلوك ، فحُجِب فتلطّف برُقعة أوْصَلَها إليه . وكتب فيها هذا البيت :

أَلَم تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرجى له الغِنى ،
وأنّ الغِنى يُخشى عليه من الفَقْرِ ؟

فلمّا قرأ البيتَ لم يلبث أن انتعل[١] وجعل لاطئةً[٢] على رأسه وخرج في ثوب فِضال[٣] ؛ فقال له : والله ما اتعظتُ بشيء بعد القرآن اتعاظي ببيتك هذا ؛ ثم قضى حوائجه .

●

١ انتعل : أدخل رجليه في نعليه .
٢ لاطئة : قلنسوة أو نحوها مما يلصق بالرأس .
٣ الفضال : الذي يلبس في البيت ويبتذل للنوم .

مواعظ الانبياء عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، يرفعه الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : يكفي أحَدَكم من الدنيا قدرُ زادِ الرّاكب .

وقال صلى الله عليه وسلم : ابنَ آدم ، اغتَنِمْ خَمْساً قبل خمس : شبابَك قبل هَرَمك ، وصِحَّتك قبل سَقَمِك ، وغِناك قبل فَقْرِك ، وفَراغَك قبل شُغلك ، وحياتك قبل مَوتك .

عبدُ الله بن سلاّم قال : لمّا قدِم علينا رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلّم ، المدينة أتيتُه ، فلمّا رأيتُ وجهه علِمْتُ أنه ليس بوجهِ كذّاب ، فسمعتُه يقول : أيها الناسُ ، أطعِموا الطعامَ ، وأفشوا السلامَ ، وصلّوا والناسُ نيام .

•

وقال عيسى بنُ مريم ، عليه السلام : ألا أخبِرُكم بخيرِكم مجالسة ؟

قالوا : بلى يا روحَ الله .

قال : مَن تُذكّرُكم بالله رؤيتُه ، ويزيد في عَمَلكم مَنطقه ، ويشوّقكم الى الجنّة عملُه .

وقال عيسى بن مريم ، عليهما السلام ، للحواريّين : ويلكم يا عبيد الدُّنيا ! كيف تُخالِف فروعُكم أصولَكم ، وأهواؤكم عقولَكم ، قولُكم شفاءٌ يبرئ الداء ، وفعلُكم داء لا يقبلُ الدواء ، لستم كالكَرْمة التي حسُنَ ورَقها ، وطابَ ثمرُها ، وسَهُلَ مُرتقاها ، ولكنكم كالسَّمُرة التي قلَّ ورَقُها ، وكثُر شوكها ، وصَعُبَ مُرتقاها .

ويلكم يا عبيدَ الدنيا ! جعلتم العمل تحت أقدامكم ، من شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم ، لا يمكن تناولها ، فلا أنتم عبيدٌ نُصحاء ، ولا أحرارٌ كِرام .

ويلكم يا أجَراءَ السُّوء ! الأجْرَ تأخذون ، والعملَ تفسدون ، سوف تَلْقون ما تحذرون ، إذا نظر ربُّ العمل في عَمَلِه الذي أفسدتم ، وأجرِه الذي أخذتم .

وقال عليه السلام للحواريّين : اتّخِذوا المساجِدَ بُيوتاً ، والبيوتَ منازلَ ، وكُلُوا بَقْل البرّيّة ، واشربوا الماءَ القَراح ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام للحواريّين : لا تنظُروا في أعمال الناس كأنكم أرْباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناسُ رجلان : مُبتَلى ومُعافى ، فارحموا أهلَ البلاء واحمدوا الله على العافية .

وقال عليه السلامُ لهم أيضاً : عجَباً لكم تَعْملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عَمل ، ولا تَعملون للآخرة وأنتم لا تُرزَقون فيها إلاّ بعمل !

•

وقال يحيى بن زكريا ، عليه السلام ، للمُكَذّبين من بني اسرائيل : يا نَسْلَ الأفاعي ، من دلّكم على الدخول في مَساخط الله المُوبقة لكم ؟ ويْلكم ! تقرّبوا بعَمَل صالح ، ولا تَغُرّنكم قرابتكم من إبراهيم ، عليه السلام ، فإن الله قادر على أن يَسْتخرج من هذه الجنادل[1] نسلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وُضِعَتْ في أصول الشجر ، فأخْلِق بكلّ شَجَرَة مُرّة الطّعم أن تُقطع وتُلقى في النار .

•

وقال شَعْياء لبني إسرائيل إذ أنطق الله لسانه بالوَحي : إن الدابّة تزداد على كَثْرة الرياضة لِيناً ، وقلوبكم لا تزداد على كَثْرة الموعظة إلاّ قَسْوة . إنّ الجسد إذا صَلَح كفاه القليلُ من الطّعام ، وإنّ القَلْبَ إذا صَحّ كفاه القليلُ من الحِكمة . كم من سراج قد أطفأته الرّيحُ ، وكم من عابدٍ قد أفسده العُجْب .

---

١ الجنادل ، واحدها جندل : الصخر العظيم .

يا بني اسرائيل ، اسمعوا قولي ، فإن قائلَ الحكمة وسامعها شريكان ، وأَوْلاهما بها مَن حقّقها بعمله .

•

وقال المسيحُ ، عليه السلام : إنَّ أَوْليـاءَ الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نَظروا إلى باطن الدُّنيـا إذ نظر الناس الى ظاهرها ، وإلى آجلها إذ نَظروا إلى عاجلِها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتهم وتركوا ما علموا أن سَيترُكهم ، هم أعداءٌ لما سالم الناسُ ، وسَلْمٌ لما عادى الناسُ ، لهم خبرٌ وعندهم الخبر العَجيب ، بهم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الهدى وبه عَلِموا ، لا يَرَوْن أماناً دون ما يَرْجون ، ولا خوفاً دون ما يَحذرُون .

•

وَهْب بن مُنبّه قال : قال داودُ ، عليه السلام : يا رَبِّ ، ابنُ آدم ليس منه شَعرَةٌ إلاّ وتحتها لك نعْمة ، وفوقَها لك نعمة ، فمن أيْن يكافئك بما أعطيتَه ؟

فأوحى الله إليه : يا داود ، إني أعطي الكثير ، وأرضى من عبادي بالقليل ، وأرضى من شُكْر نِعمتي بأن يعلم العبدُ أن ما به من نِعْمة فمن عِندي لا من عند نفسه .

•

ولما أمر الله ، عزّ وجلّ ، إبراهيم ، عليه السلام ، أن يَذبح ولده ويجعلَه قرباناً ، أسرّ بذلك الى خليل له يقال له العازر ، وكان له صديقاً ، فقال له الصديق : إن الله لا يَبْتلي بمثل هذا مِثلَك ، ولكنه يريد أن يختبِرك أو يختبر بك ، وقد علمتَ أنه لا يبتليك بمثل هذا لِيَفْتنك ، ولا ليُضلك ، ولا ليُعنتك ، ولا لِيَنقُصَ به بصيرتَك وإيمانك ويقينك ، فلا يَروعنَّك هذا ، ولا يَسُوأنّ بالله ظنك ، وإنما رَفع الله اسمك في البلاءِ عنده على جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمهم مِحنة في نفسك وولدك ، ليَرفعك بقدر ذلك في المنازل والدرجات والفَضائل ، فليس لأهل الصبر في فضيلة الصّبر إلاّ فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلاّ فضلُ ثوابك ، وليس هذا من وجوه البلاء الذي يَبتلي الله به أولياءه ، لأن الله أكرمُ في نفسه وأعدل في حكمه وأرحم بعباده من أن يجعلَ ذبح الولد الطيّب بيد الوالد النبيّ المصطفى ، وأنا أعوذ بالله أن يكون هذا مني حتماً على الله او ردّاً لأمره أو سُخطاً لحُكمه ، ولكنْ هذا الرّجاء فيه والظنّ به ، فإن عزَم ربُّك على ذلك فكُن عند أحسَن علمه بك ، فإني أعلمُ أنه لم يعرّضك لهذا البلاء الجسيم والخَطْب العظيم إلاّ لحُسنِ عِلمه بك وصِدقك وتَصبُّرك ، ليجعلك إماماً ، ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

من وحي الله تعالى

الى انبيائه

أوحى الله ، عزّ وجلّ ، الى نبيّ من أنبيائه : إني أنا الله مالكُ الملوك ، قلوبُ الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتُ الملوكَ عليهم رحمةً ، ومَن عصاني جعلتُ الملوك عليهم نِقْمَةً .

ومما أنزل اللهُ على المسيح ، عليه السلام ، في الإنجيل : شوّقناكم فلم تشتاقوا ، ونُحْنا لكم فلم تبكوا . يا صاحبَ الخمسين ، ما قدّمْتَ وما أخّرْتَ ؟ ويا صاحبَ السّتين ، قد دنا حَصادُكَ ؛ ويا صاحبَ السّبْعين ، هلمّ الى الحساب .

وفي بعض الكُتُب القديمة المنزّلة يقول الله ، عزّ وجلّ ، يومَ القيامة : يا عِبادي ، طالما ظَمِئتُم ، وتقلّصت في الدنيا شفاهُكم ، وغارت أعينكم عطَشاً وجوعاً ، فكُلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

وأوحى الله تعالى الى نبيّ من انبيائه : هَبْ لي من قلبك الخشوع ، ومن نفسك الخضوع ، ومن عَينيْك الدموع ، وسَلْني فأنا القريب المجيب .

وفي بعض الكتب : عبدي ، كم أتحبّب إليك بالنِّعم وتتبغّض إليّ بالمعاصي ! خيري إليك نازل ، وشرّك إليّ صاعد.

وأوحى الله الى نبيّ من أنبيائه : إن أردتَ أن تسكن غداً حظيرةَ القدس فكُن في الدنيا فريداً وحيداً ، طريداً مهموماً حزيناً ، كالطير الوحْداني يَظلّ بأرض الفلاة ، ويَرِدُ ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا جنّ عليه الليلُ أوى وحدَهُ استيحاشاً من الطير ، واستئناساً بربّه .

•

ومما أوحى الله الى موسى في التوراة : يا موسى بن عمران ، يا صاحبَ جبل لبنان ، أنت عبدي وأنا الملك الديّان ، لا تستذلّ الفقير ، ولا تَغبِط الغني بشيءٍ يسير ، وكُن عند ذكري خاشعاً ، وعند تلاوة وحيي طائعاً ، أسْمِعني لذاذة التوراة بصوت حزين .

وقال وَهْب بن مُنبّه : أوحى الله الى موسى عند الشجرة : لا تُعْجبك زينة فِرعون ، ولا ما مُتّع به ، ولا تَمُدّنّ الى ذلك عينَك ؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا ، وزينةُ المُترَفين ؛ ولو شئتُ أن أوتيك زينة يعلم فِرعون حين ينظر إليها أن مقدِرتَه تَعجِزُ عنها فعلتُ ، ولكني أرغبتُك عن ذلك ، وأزوَيتُهُ عنك ؛ فكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ولذاتها كما يذود

الراعي الشفيقُ غنَمه عن مراتع الهَلَكة ، وإني لأحميهم عيشَها وسَلْوتَها[1] ، كما يَحمي الرّاعي ذَوْدَه عن مَبارك العُرّ[2] .

•

وذُكر عن وَهْب بن مُنَبِّه : أنّ يوسف لما لَبِثَ في السجن بِضْع سنين أرسل الله جبريلَ إليه بالبِشارة بخروجه ، فقال : أما تَعْرِفُني أيها الصّدّيق ؟

قال يوسف : أرى صورةً طاهرة ورُوحاً طيّباً لا يُشبِه أرواح الخاطئين .

قال جبْريلُ : أنا الرُّوح الأمين ، رسولُ ربّ العالمين .

قال يوسف : فما أدْخلك مَداخل المُذْنبين ، وأنت سيّد المرسَلين ، ورأسُ المُقرّبين ؟

قال : ألم تَعلم أيها الصّدّيق أن الله يُطَهّر البيوت بطُهْر النبيّين ، وأن البُقعة التي تكون فيها هي أطهرُ الأرَضين ، وأن الله قد طهّر بك السجن وما حوله يابن الطّاهرين ؟

قال يوسف : كيف تُشَبّهني بالصالحين ، وتُسمّيني بأسماء الصادقين ، وتَعُدُّني مع آبائي المُخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟

---

١ السلوة : رخاء العيش .
٢ الذود : الابل . العر ، واحدها الاعر : الجمال الجرب .

قال جبريل : لم يَكْلَم قلبَكَ الجزع ، ولم يُغيّر خُلقَكَ البلاء ، ولم يتعاظمْكَ السجن ، ولم تَطَأْ فراشَ سيّدك ، ولم يُنْسِكَ بلاءُ الدُّنيا الآخرة ، ولم يُنْسِكَ بلاءُ نفسك أباكَ ، ولا أبوكَ ربَّك ، وهذا الزّمان الذي يَفُكُّ الله فيه عُنُقك ، ويَعتِق فيه رَقبتك ، ويبيِّن للناس فيه حِكْمتَك ، ويُصدِّقُ رؤياك ، ويُنْصفك ممن ظَلَمك ، ويجمع لك أحبَّتك ، ويَهَب لك مُلْك مصر ، تملِك ملوكها ، وتُعبِّد جبابرتها ، وتُصغِّر عظماءها ، ويُذِلّ لك أعِزَّتها ، ويُخْدِمك سُوقتها ، ويُخوِّلك خَوَلها ، ويرحم بك مساكينَها ، ويُلقي لك المودّة والهيْبة في قلوبهم ، ويجعل لك اليد العُليا عليهم ، والأثرَ الصالح فيهم ، ويُري فرعونَ حُلْماً يفزَعُ منه حتى يسهرَ ليلَه ، ويُذهِبَ نومَه ، ويُعمِّي عليه تفسيرَه وعلى السَّحَرة والكهنة ، ويُعلِّمك تأويلَه .

•

مواعظ الحكماء

قال عليٌّ بن أبي طالب، كرّم الله وَجْهَه : أُوصيكم بخمس لو ضرَبتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً : لا يَرْجُوَنّ أحدكم إلا ربَّه ، ولا يَخافنّ إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول : لا أعلم . وإذا لم يَعلم الشيء أن يتعلّمه . واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضاً : من أراد الغِنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحوّل من ذُلّ المَعصية إلى عزّ الطاعة ، أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه .

وقال الحسنُ : مَن خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كلّ شيء ، ومَن خاف الناسَ أخافه اللهُ من كل شيء .

•

وقال بعضُهم : من عَمِلَ لآخرته كَفَاه الله أمرَ دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومَن أخلص سريرته أخلص الله علانيته .

قال العُتْبيّ : اجتمعت العربُ والعجم على اربع كلمات ؛ قالوا : لا تَحْملنّ على قلبك ما لا يُطيق ، ولا تعملنّ عملاً ليس لك فيه منفعة ، ولا تثِقْ بامرأة ، ولا تغترّ بمال وإن كثُر .

•

وقال أبو بكر الصدّيق لعُمَر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما ، عند موته حين استخلفه : أُوصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يَقبَله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يَقبله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدّى الفرائض ، وإنما ثَقُلت موازينُ مَن ثقُلت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الحقّ وثِقَله عليهم ، وحُقّ لميزانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقّ أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفّت موازينُ من خفّت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الباطل في الدُّنيا وخِفّته عليهم ، وحُقّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

وإن الله ذكر أهلَ الجنّة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلتَ : إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء ؛ وذكرَ أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلتَ : أنا خيرٌ من هؤلاء ؛ وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكونَ العبدُ راغباً راهباً لا يتمنى على الله غيرَ الحق .

فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، وهو آتيك، وإن ضيّعتَ وصيّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أكرَه إليك من الموت، ولن تُعجِزه.

•

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهتم يعودُهُ في مرضه، فرآه يُصوِّب بصره في صُندوق في بيته ويُصعِّده، ثم قال: أبا سَعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق لم أؤدِّ منها زكاةً، ولم أصِل منها رَحِماً؟

قال: ثَكِلَتْكَ أمك، ولمن كنتَ تجمعها؟

قال: لِرَوْعة الزمان، وجَفوة السلطان، ومُكاثرة العشيرة.

قال: ثم مات، فشَهِدَه الحسنُ، فلما فرَغ من دَفنِه، قال: انظروا الى هذا المسكين، أتاه شيطانُه فحذّره رَوْعة زمانه، وجَفوة سُلطانه، ومُكاثرة عشيرته، عما رزقه الله اياه وغَمره فيه، انظروا كيف خرج منها مَسلوباً محروباً[1].

ثم التفتَ الى الوارث فقال: أيها الوارث، لا تُخدَعَنَّ كما خُدِعَ صُوَيْحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالاً، فلا يكونَنَّ عليك وبالاً، أتاك عفواً صفواً، ممن كان له جَموعاً مَنوعاً،

---

١ محروباً: مسلوب المال.

من باطل جَمَعه ، ومن حقٍّ منَعه ، قطع فيه لُجَجَ البِحار ، ومَفاوِزَ القِفار ، لم تَكْدح فيه بِيَمين ، ولم يَعْرَق لك فيه جَبين ، إنّ يوم القيامة يومٌ ذو حسَرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيا لها عثْرة لا تُقال ، وتوبة لا تُنال !

•

ووعظَ حكيم قوماً فقال : يا قوم ، استبْدِلوا العَوارِيَ بالهِبات تَحْمَدوا العقْبى ؛ واستقْبِلوا المصائب بالصَّبْر تستحِقُّوا النُّعْمى ، واستَدِيموا الكَرامة بالشُّكر تَسْتَوْجِبوا الزِّيادة ، واعرفوا فَضْل البَقاء في النِّعمة ، والغِنى في السلامة ، قبل الفِتْنَة الفاحِشة ، والمَثُلة[1] البيِّنة ، وانتقال العمَل ، وحُلول الأجَل ، فإنما أنتم في الدُّنيا أغراض المَنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نِعْمَة إلا بفِراق أخرى ، ولا يَستقبل مُعَمَّرٌ منكم يوماً من عُمره إلا بانتقاص آخرَ من أجَله ، ولا يَحيا له أثر إلا مات له أثر . فأنتم أعوان الحُتُوف على أنفسكم ، وفي معايشكم أسبابُ مَناياكم ، ولا يمنعكم شيء منها ، ولا يَشغَلكم شيء عنها . فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكم صَريعٌ مُنعَفِر ، وقائم يَنْتظر ، فمن أيِّ

---

١ المثلة : العقاب والعذاب .

وجهٍ تَطْلُبون البَقاء وهذان الليلُ والنهارُ ، لم يَرْفَعا شيئاً قَطُّ إلاَّ أسرَعا الكَرَّةَ في هَدْمِه ، ولا عَقَدا أمراً قطُّ إلاَّ رَجَعا في نقضه .

•

وقال أبو الدَّرْداء: يا أهل دِمَشْق ، ما لكم تَبْنُون ما لا تَسْكنون ، وتأمُلون ما لا تُدرِكون ، وتَجمعون ما لا تأكلون ؟ هذه عادٌ وثمود قد ملأوا ما بين بُصْرى وعَدَن أموالاً وأولاداً ، فمن يَشتري منّي ما تركوا بدرهمين ؟

•

وقال ابن شُبْرُمَة : إذا كان البَدَن سقيماً لم يَنْجَع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مُغْرَماً بِحُبِّ الدنيا لم تَنْجَع فيه الموعظة .

وقال الربيع بن خُثَيم : أقْلِل الكلام إلا من تِسْع : تكبيرٍ وتهليل وتَسْبيح وتَحميد وسؤالِكَ الخير وتَعَوُّذِك من الشرّ وأمرِكَ بالمعروف ونَهْيِكَ عن المُنْكر وقراءتك القرآن .

•

قال رجل لبعض الحُكماء : عِظْني . قال : لا يَراك الله بحيث نَهاك ، ولا يَفقِدك من حيثُ أمرَك .

وقيل لحكيم : عِظْني . قال : جميعُ المواعظ كلّها مُنتظمة في حرف واحد .

قال : وما هو ؟

قال : تُجْمِع على طاعة الله ، فإذا أنت قد حوَيت المواعظ كلّها .

•

وقال أبو جعفر لسُفْيان : عِظْني . قال : وما عمِلتَ فيما علِمتَ فأعِظَك فيما جهلتَ ؟

•

قال هارون لابن السمّاك : عِظني . قال : كفى بالقرآن واعظاً . يقول الله تبارك وتعالى : « ألمْ ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعاد . إرَمَ ذاتِ العِماد . التي لم يُخلَق مثلُها في البلاد » الى قوله « فصَبَّ عليهم ربُّك سَوْط عَذاب . إنّ ربَّك لَبالمِرصاد . »

•

مكاتبة جرت بين الحكماء

عتبَ حكيمٌ على حكيم ، فكتب المعتوبُ عليه الى العاتب : يا أخي ، إنّ أيام العُمر أقصرُ من أن تحتمل الهجْر . فرَجع إليه .

•

وكتب الحسنُ الى عُمرَ بن عبد العزيز : أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكُن ، وبالآخرة لم تزَل ، والسلام .

وكتب إليه عُمر : أما بعد ، فكأن آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات ، والسلام .

•

ابنُ المُبارك قال : كتب سلمان الفارسيّ الى أبي الدّرداء : أما بعد ، فإنك لن تنال ما تُريد إلا بترْكِ ما تشتهي ، ولن تنال ما تأملُ إلا بالصّبر على ما تكْرَه . فليكُن كلامُك ذِكْراً ، وصَمْتك فِكراً ، ونظرك عِبراً ، فإن الدُّنيا تتقلب ، وبهجتها تتغيّر ، فلا تغترّ بها ، وليكن بيتُك المسجدَ ، والسلام .

فأجابه ابو الدّرداء : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإني أُوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صِحّتِك لِسقَمِك ، ومن شبابك

لِهَرَمك ، ومن فراغك لِشُغلك، ومن حياتك لِمَوْتك ،ومن جَفائك لمودّتك، واذكر حياةً لا موتَ فيها في إحدى المنزلتين، إما في الجنة ، وإما في النار ، فإنك لا تدْري إلى أيهما تَصير.

•

وكتب أبو موسى الأشعريّ إلى عامر بن عبد القَيْس : أما بعد ، فإني عاهدتُكَ على أمر وبلَغني أنك تغيَّرت ، فإن كنتَ على ما عَهِدْتُك فاتّقِ الله ودُمْ ، وإن كنتَ على ما بلغني فاتّقِ الله وعُدْ .

•

وكتب محمد بن النّضر إلى أخ له : أما بعدُ ، فإنك على مَنْهج ، وأمامك منزلان لا بدَّ لك من نُزول أحدهما ، ولم يأتِكَ أمانٌ فتَطْمَئنّ ، ولا براءة فتتّكل .

•

وكتب حكيم إلى آخر : اعلم ، حَفِظك الله ، أنّ النفوس جُبِلت على أخْذِ ما أُعْطِيتْ ومَنْعِ ما سُئِلتْ ، فاحْمِلها على مَطيّة لا تُبطىءُ إذا رُكبت ، ولا تُسْبَق إذا قُدِّمتْ ، فإنما تحفظ النفوسُ على قدْر الخوف ، وتَطْلُب على قدْرِ الطمع ، وتطْمَع على قدر السبب . فإذا استطعت أن يكون معك خوف المُشْفِق وقناعة الرّاضي فافعل .

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة : أما بعد ، فإنه مَن أكثر من ذِكْر الموت اكتفى باليسير ، ومن عَلِم أنّ الكلامَ عملٌ قلّ كلامُه إلا فيما يَنْفَعه .

•

وكتب عمر بن الخطاب إلى عُتْبة بن غزوان عامِله على البَصْرة : أما بعد ، فقد أصبحتَ أميراً تقول فيُسمع لـك ، وتأمر فينفذ أمرُك ، فيا لها نعمةٌ إن لم تَرْفعك فوق قَدْرك ، وتُطْغِك على مَن دونك ، فاحترِس من النّعمة أشدّ من احتراسك من المُصيبة ، وإياك أن تَسْقُطَ سَقْطَة لا لعا لها ، أي لا إقالة لها ، وتَعْثُرَ عَثْرَة لا تُقالها ، والسلام .

•

وكتب الحسنُ إلى عمَر : إن فيما أمرك الله بـه شُغلاً عما نهاك عنه ، والسلام .

•

وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الحسن : اجمع لي أمْرَ الدنيا وصِفْ لي أمرَ الآخرة .

فكتب إليه : إنما الدُّنيا حلُم والآخرة يَقَظَة والموت متوسّط ، ونحن في أضغاث أحلام ، من حاسَبَ نَفْسَه رَبح ، ومن غفلَ عنها خَسِر ، ومن نَظر في العواقِب نَجا ، ومن

أطاعَ هواه ضَلّ ، ومن حلُم غنِم ، ومن خافَ سَلِمَ ، ومن اعتَبَرَ أبصر ، ومن أبصَرَ فَهِم ، ومن فَهِمَ عَلِمَ ، ومن عَلِمَ عَمِلَ ، فإذا زللتَ فارْجع ، وإذا ندِمْتَ فأقلع ، وإذا جَهِلْتَ فاسأل ، وإذا غضِبْتَ فأمْسِك ، واعلم أن أفضلَ الأعمال ما أكرِهَت النفوس عليه .

•

مواعظ الآباء للابناء

قال لُقمانُ لابنه : إذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارمِهِمْ بسَهْمِ السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذِكْرِ الله فأجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتَخَلَّ عنهم وانهض.

وقال : يا بُنيَّ ، استَعِذْ بالله من شِرَارِ الناس وكُنْ من خِيارهم على حَذَرٍ .

ومثلُ هذا قولُ أكثم بن صَيْفي : احذر الأمين ولا تأمن الخائن ، فإنَّ القلوب بيد غيرك .

وقال لُقمان لابنه : لا تَرْكَنْ إلى الدُّنيا ، ولا تَشْغَل قلبَك بها ، فإنك لم تُخْلَق لها ، وما خَلَق الله خَلْقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمُطيعين ، ولا بلاءَها عقوبة للعاصين .

يا بُنيَّ ، لا تضحك من غير عَجَب ، ولا تَمْشِ في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يَعنيك .

يا بُنيَّ ، لا تُضَيِّع مالك وتُصْلِح مالَ غيرك ، فإن مالك ما قدَّمت ، ومالَ غيرك ما تركت .

يا بنيّ ، إنه من يَرْحم يُرْحَم ، ومن يَصْمُتْ يَسْلم ، ومن يَقُل الخير يَغْنم ، ومَنْ يقُل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لِسانه يندم .

يا بنيّ ، زاحم العلماءَ بِرُكْبتَيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ، فإنّ القلب يَحيا بنور العُلماء كما تحيا الأرض الميّتة بمطَر السماء .

●

وقال خالدُ بن صفوان لابنه : كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً ، أقلّ ما تكون في الباطن مآلاً ، ودَعْ من أعمال السرّ ما لا يصْلُح لك في العلانيَة .

وقال أعرابيٌّ لابنه : يا بُنيّ ، إنه قد أسْمَعك الدّاعي ، وأعذر إليك الطالب ، وانتهى الأمرُ فيك الى حدّه ، ولا أعرِف أعظمَ رزية ممن ضَيّع اليقين وأخطأه الأملُ .

وقال عليُّ بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بني هاشم : يا بنيّ ، اصْبِر على النّوائب ، ولا تعرّض للحُتوف ، ولا تُجِبْ أخاك من الأمر الى ما مَضرّته عليك أكثر من منفعَته لك .

وقال حكيم لبنيه : يا بَنيّ ، إياكم والجزَعَ عند المَصائب ، فإنه مَجلبة للهم وسوء ظَنٍّ بالرب وشماتةٌ للعدوّ ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مُغترين ، ولها آمنين ، فإني والله ما سَخِرْت من شيء إلا نزل بي مثله ، فاحذَروها وتوقّعوها ، فإنما الانسان

في الدُّنيا غرَضٌ تتَعاوره السّهام ، فمُجاوزٌ له ومُقصّر عنه وواقع عن يَمِينه وشماله ، حتى يُصيبه بعضها ؛ واعلموا أنّ لكل شيء جزاءً ولكل عمل ثواباً . وقد قالوا : كما تَدِين تُدان ، ومن بَرّ يوماً بُرّ به .

•

وقال الشاعر :

إذا ما الدّهر جرّ ، على أناس ، حوادثَه ، أناخَ بآخَـرينا
فقُل للشّـامتين بنا أفيقوا ، سَيَلقى الشامِتون كما لقِينـا

•

وقال حكيم لابنه : يا بُنَيّ ، إني مُوصيك بوصيّة ، فإن لم تحفظ وصيتي عنّي لم تَحفَظها عن غيري : اتّقِ الله ما استطعتَ ، وإن قَدَرْتَ أن تكون اليومَ خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليومَ فافعل ، وإياكَ والطمعَ فإنه فَقرٌ حاضِر ، وعليك باليأس فإنك لن تيأسَ من شيء قطُّ إلا أغناكَ الله عنه ، وإياكَ وما يُعتَذَر منه فإنك لن تَعتَذر من خير أبداً ، وإذا عَثر عاثر فاحمَد الله أن لا تكون هو .

يا بُنَي ، خذِ الخيرَ من أهله ، ودع الشرّ لأهله ، وإذا قُمتَ الى صَلاتك فصَلّ صلاة مُودّع ، وأنت ترى أن لا تُصلّي بعدها أبداً .

•

وقال عليُّ بن الحُسين، عليهما السلام، لابنه: يا بُنيّ، إن الله لم يَرْضَكَ لي فأوْصاكَ بي، ورَضِيَني لك فحذّرني منك، واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تدعُه المودة الى التفريط فيه، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يَدعُه التقصيرُ الى العُقوق له.

وقال حكيم لابنه: يا بُنيّ، إن أشدّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجل كَسَبَ مالاً من غير حِلّه فأدخله النارَ، وأوْرَثه مَنْ عَمِل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة.

•

عَمْرو بن عُتْبَة قال: لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي: يا بُنيّ، قد تَقطّعَتْ عنك شرائع الصِّبا فالزَم الحياء تكن من أهله، ولا تُزايِلْه فتَبِينَ منه، ولا يَغرّنّك من اغترّ بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافَه من نفسك، فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلَم إذا رَضِي، قال فيك من الشر مثلَه إذا سَخِط. فاستأنس بالوحْدة من جُلساء السّوء تَسْلَم من غِبّ عواقبهم.

•

وقال عبد الملك بن مَرْوان لبَنيه: كُفّوا الأذى، وابذُلوا المعروف، واعْفوا إذا قَدَرْتم، ولا تَبْخَلوا إذا سُئلتم، ولا تُلْحِفوا إذا سألتم، فإنه من ضَيّق ضُيّق عليه، ومن أعطى أخْلَفَ الله عليه.

وقال الأشعثُ بن قيس لبنيه : يا بَنيّ ، لا تذِلّوا في أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ، ولتَخِفّ بُطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم ، فإنّ لكلّ امرىء تَبِعة .

وإياكم وما يُعتذر منه أو يُستحى ، فإنما يُعتذر من ذنب ، ويُستحى من عَيب ؛ وأصلِحوا المالَ لجفوة السُّلطان وتغيُّر الزمان ، وكُفُّوا عند الحاجة عن المسألة ، فإنه كفى بالردّ منعاً ، وأجمِلوا في الطلب حتى يوافق الرّزق قدَراً ، وامنعوا النساءَ من غير الأكفاء ، فإنكم أهلُ بَيْت يتأسّى[1] بكم الكريمُ ، ويتشرّف بكم اللئيم ؛ وكونوا في عوامّ الناس ما لم يَضطرب الحبْلُ ، فإذا اضطرب الحبلُ فالحقوا بعشائركم .

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غَيْبة غابها : أمّا بعد ، فإنّ مَن اتقى الله وَقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكَرَ له زاده ، ومن أقرَضه جزاه ؛ فاجعل التّقوى عِمارة قلبك وجَلاءَ بَصرك ، فإنه لا عمَل لمن لا نِيّة له ، ولا خيرَ لمن لا خَشْيَة له ، ولا جديد لمن لا خُلق له .

•

وكتب عليُّ بنُ أبي طالب إلى وَلده الحَسن ، عليهما السلام : من عليّ امير المؤمنين الوالدِ الفان ، المقرّ للزّمان ، المستَسْلم

---

١ يتأسى : يتشبه .

للحَدَثان ، المُدْبِر العُمر ، المُؤمِّل ما لا يُدْرِك ، السالك سبيل من قد هَلَك، غرَض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبْد الدنيا ، وتاجر الغُرور، وأسير المنايا ، وقرين الرَّزايا ، وصريع الشهوات ، ونُصْب الآفات ، وخليفة الأموات .

أما بعد ، يا بُنيّ ، فانّ فيما تفكّرت فيه من إدبار الدُّنيا عني ، وإقبال الآخرة إليّ ، وجُموح الدهر عليّ[1]، ما يُوَعّبني عن ذكر سواي ، والاهتمام بما ورائي ، غيرَ أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس ، فَصَدَقني رأيي وصرَفني عن هواي وصَرّح بي مَحْضُ أمري ، فأفْضى بي إلى جِدٍّ لا يُزْري به لَعِب ، وصِدْقٍ لا يَشوبه كَذِب .

وَوَجَدْتُك يا بُنيّ بَعضي ، بل وجدْتُك كُلّي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابني ، وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني ، فعند ذلك عَناني من أمرِك ما عَناني من أمر نَفْسي .

كتبتُ إليك كتابي هذا يا بُنيّ مُستظهراً به إن أنا بَقيت لك أو فَنيت ، فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمارة قلبك بذكره والاعتصام بحَبْله ، فإن الله تعالى يقول : « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً ولا تَفرّقُوا وَاذكُرُوا نِعْمَةَ الله عَليكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعداءً فألّفَ بينَ قُلوبِكُمْ فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْواناً » .

---

١ جموح الدهر : استعصاؤه .

وأيُّ سبب يا بُنيَّ أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به ؟

أحي قلبكَ بالموعظة ، ونوِّره بالحكمة ، وأمِتْه بالزُّهد ، وذلِّلهُ بالموت ، وقوِّهِ بالغِنى عن الناس ، وحَذِّرْه صولةَ الدَّهر ، وتقلُّبَ الأيام والليالي ، واعْرِضْ عليه أخبارَ الماضين وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظرْ ما فعلوه وأين حلُّوا ، فإنك تَجِدهم قد انتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة .

وكأنَّكَ عن قليل يا بُنيَّ قد صِرْتَ كأحدهم ، فَبِعْ دُنياك بآخرَتِك ، ولا تَبِع آخرتك بدُنياك ، ودَعِ القولَ فيما لا تَعْرِف ، والأمرَ فيما لا تُكلَّف ، وأمُرْ بالمعروف بيدِكَ ولسانك ، وانْهَ عن المُنكر بيدك ولسانك ، وبايِنْ مَنْ فعلَه ، وخُض الغَمَراتِ للحق ، ولا تأخُذْكَ في الله لومةُ لائم ، واحفظ وَصِيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحاً ، فلا خير في عِلم لا ينفع .

واعلم أنَّ أمامكَ طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة ، وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْنِ الارتياد[1] ، مَع بلاغك من الزَّاد . فإن أصَبْتَ من أهل الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافيك به في مَعادِك فاغتَنِمه ، فإن أمامك عَقَبَةً كؤوداً لا يجاوزها إلا

---

[1] الارتياد : الطلب .

أخفَّ الناس حِمْلاً ، فأجْمِلْ في الطلب ، وأحْسِنِ المكتَسب ، فرُبَّ طَلَبٍ قد جرَّ إلى حَرَبٍ[١] ، وإنما المحْرُوب من حُرِب دِينُه ، والمسلوبُ من سُلِب يقينه .

واعلم أنه لا غِنى يَعْدِلُ الجنَّة ، ولا فقرَ يعْدِل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

•

وكَتَب إلى ابنه محمد بن الحنفيَّة : أنْ تَفقَّه في الدِّين ، وعَوِّد نفسَك الصَّبرَ على المكروه ، وكِلْ نفسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجل ، فإنك تَكِلُها إلى كَهف . وأخْلِص المسألة لربِّك فإنَّ بيده العَطاء والحِرْمان ، وأكثِر الاستخارة له .

واعلم أنَّ من كانت مَطيَّته الليلَ والنهار فإنه يُسار به وإن كان لا يَسير ، فإنَّ الله تعالى قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعمارةَ الآخرة . فإن قَدَرْتَ أن تزْهد فيها زُهْدَكَ كلَّه فافعل ذلك ، وإن كنتَ غير قابل نَصيحتي إيَّاك فاعلَم عِلْماً يَقيناً أنك لن تَبْلُغ أملك ، ولن تَعْدو أجلك ، وأنك في سَبيل من كان قَبْلك .

فأكرم نفسَك عن كل دنيَّة وإن ساقتك الى الرغائب ، فإنك لن تَعتاض بما تَبْذُل من نفسك عوضاً .

---

١ الحرب : سلب المال .

وإيّاكَ أن تُوجِفَ[1] بكَ مَطايا الطَّمع وتقول : متى ما أخَّرتُ نزعتُ ، فإنّ هذا أهلَكَ مَن هلكَ قَبْلَك .

وأمْسِكْ عليكَ لسانك ، فإنّ تَلافِيكَ ما فرط من صَمْتك أيْسر عليك من إدراك ما فات من مَنْطقك ، واحفَظْ ما في الوِعاء بشَدّ الوِكاء ، فحُسن التّدبير مع الاقتصاد أبْقى لك من الكثير مع الفَساد ، والحُرْفة[2] مع العفّة خير من الغِنى مع الفُجور ، والمَرْء أحفظُ لسِرّه ، ولربما سعى فيما يَضُره .

وإياكَ والاتّكالَ على الأماني ، فإنها بضائع النّوكى وتُثَبّط عن الآخرة والأولى .

ومن خير حظّ الدنيا القَرين الصالح ، فقارِنْ أهلَ الخير تَكُن منهم ، وبايِنْ أهلَ الشرّ تَبِنْ عنهم ، ولا يَغلبَنّ عليك سوء الظنّ ، فإنه لن يَدَع بينك وبين خليل صُلحاً .

أذكِ قلبَك بالأدب كما تُذكى النّارُ بالحَطَب ، واعلم أنّ كُفْر النّعمة لُؤْم ، وصُحْبة الأحمق شُؤم ، ومن الكَرَم منْع الحُرَم ، ومَن حلُم ساد ، ومن تَفَهّم ازداد .

امْحَض أخاكَ النصيحةَ ، حسنةً كانت أو قبيحة . لا تَصْرم

---

١ توجف : تسرع .
٢ الحرفة : الضيق والاقلال .

أخاك على ارتياب ، ولا تَقْطعه دون استعتاب ، وليس جزاء من سرّك أن تسُوءه .

الرّزق رِزْقان : رِزْق تَطْلبه ورزق يَطلبك ، فإن لم تأتِه أتاك .

واعلم يا بُنيّ أن ما لَكَ من دُنياك إلا ما أصْلحت به من مَثْواك ، فأنفق من خيْرك ، ولا تكُنْ خازِناً لِغَيرك ، وإن جَزعْت على ما يُفلت من يديك فاجزَع على ما لم يَصِل إليك .

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه ، وأبصر الأعمى رُشْدَه ، ولم يَهْلك امرؤ اقتصد ، ولم يَفْتَقر من زَهد .

من ائتمن الزمانَ خانه ، ومن تَعظّم عليه أهانه .

رأسُ الدين اليقين ، وتمامُ الإخلاص اجتناب المَعاصي ، وخيرُ المَقال ما صَدّقَته الفِعال .

سَلْ عن الرّفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدّار ، واحمل لِصَديقك عليك ، واقبل عُذر من اعتذر إليك ، وأخِّر الشرّ ما استطعت ، فإنك إذا شِئْت تعجّلته .

لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صِلَته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان .

لا تُملِّكنَّ المرأة من الأمر مـا يُجاوز نفسها ، فإن المرأة رَيْحانة ، وليست بقَهْرمانة ، فإنّ ذلك أدوم لحالها، وأرخى لبالها.

واغضُض بصرَها بسِتْرك ، واكفُفها بحجابك .

وأكرم الذين بهم تَصُول ، وإذا تطاولتَ بهم تَطُول .

أسأل اللهَ أن يُلْهمك الشكر والرّشد، ويُقوّيك على العمل بكل خَيْر ، ويَصرف عنك كلَّ محذور برحمته ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

•

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجَليل بين يدي المهديّ فقال له : إنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك قُمْنا مَقام الأداء عنهم وعن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بإظْهار ما في أعناقنا من فَريضة الأمْر والنّهْي عند انقطاع عُذْر الكِتْمان ، ولا سيّما حين اتّسمتَ بميسم التّواضع ، ووعدتَ الله وحَمَلة كتابه إيثارَ الحق على ما سواه ، فَجَمَعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص .

وقد جاء في الأثر : مَن حَجَبَ الله عنه العِلْم عَذّبه على الجَهل ، وأشدُّ منه عذاباً من أقبل إليه العلمُ فأدبر عنه .

فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهْدِي اليك من ألسنتنا قَبولَ تحقيق وعمل ، لا قبول سُمعةٍ ورياء ، فإنما هو تَنْبيه من غَفْلة ، وتذكير من سَهْو ، وقد وطّن الله ،عزّ وجلّ ، نَبيّه ، عليه السلام ، على نُزولها ، فقال تعالى : « وإمّا يَنزَغَنّك[1] من الشّيطان نَزْغ فاستَعِذ بالله إنه هو السّميع العَليم . »

---

[1] ينزغنك : يحثك على المعاصي .

مقام رجل من العباد

عند المنصور

بينما المنصورُ في الطّواف بالبيْت ليلاً إذ سَمِع قائلاً يقول: اللهم إني أشكو إليك ظُهور البَغْي والفساد في الأرض ، وما يحولُ بين الحقّ وأهله من الطّمع .

فخرج المنصورُ ، فجَلس ناحية من المَسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه . فصلّى رَكْعتين واستَلم الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة ، فقال المنصورُ : ما الذي سمعتُك تذكُر من ظُهور الفَساد والبَغْي في الأرض ؟ وما الذي يَحول بين الحقّ وأهله من الطّمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مسامعي ما أرْمَضَني[1] .

فقال : إنْ أمّنتني يا أمير المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصولها ، وإلاّ احتجرتُ منك واقتصرتُ على نفسي فلي فيها شاغل .

قال : فأنتَ آمنٌ على نفسك فقُل .

---

١ أرمضني : أوجعني وآلمني .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الذي دخله الطمعُ وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبَغْي لأنت .

فقال : فكيف ذاك وَيْحك ! يَدْخلني الطّمع والصفراء والبَيضاء في قبضتي والحُلو والحامض عندي ؟

قال : وهل دَخل أحداً من الطمع ما دخلك ؟ إنّ الله استرْعاك أمرَ عِباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجَمْع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجَصّ والآجُرّ ، وأبواباً من الحديد ، وحرّاساً معهم السّلاح ، ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها ، وبعثتَ عُمّالك في جبايات الأموال وجَمْعها ، وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكُراع[1] ، وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلانٌ وفلانٌ نفراً سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المَظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضّعيف الفقير إليك ، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقّ .

فلما رآك هؤلاء النفرُ الذين استَخْلصتهم لنفسك ، وآثرتَهم على رعيّتك ، وأمرتَ أن لا يُحجَبوا دونك ، تَجْبي الأموالَ وتَجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نَخُونه ؟ فائتمروا أنْ لا يصلَ إليك من عِلْم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا ،

---

١ الكراع : الخيل .

ولا يخرُجَ لك عاملٌ فيُخالفَ أمرهم إلاّ خوّنوه عندك ونفَوْه، حتى تسقطَ منزلتُه.

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمَهم الناسُ وهابوهم وصانعُوهم، فكان أولَ من صانعَهم عُمّالُك بالهدايا والأموال، ليَقْووا بها على ظُلم رعيّتك، ثم فعل ذلك ذوو المقْدرة والثّروة من رعيّتك، لينالوا ظُلْمَ مَن دونهم، فامتلأت بلادُ الله بالطّمع، ظُلْماً وبغياً وفساداً، وصار هؤلاء القومُ شركاءك في سُلْطانك وأنت غافل.

فإن جاء مُتظلّم حِيل بينك وبينه. فإن أراد رَفْع قِصّته إليك عند ظُهورك، وجدك قد نَهَيْتَ عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً يَنْظر في مَظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلّم فبلغ بطانتك خبرُه، سألوا صاحبَ المظالم أن لا يرْفع مَظلَمته إليك، فإنّ المتظلّم منه له بهم حُرْمة، فأجابهم خوفاً منهم، فلا يزال المظلومُ يَختلف إليه ويَلوذ به، ويَشكو ويَستغيث وهو يَدْفعه، فإذا أُجْهد وأُخرج ثم ظَهرْتَ صرخ بين يديك، فيُضرب ضرباً مُبرّحاً يكون نَكالاً لغيره، وأنت تَنظر فما تُنكر، فما بقاء الإسلام على هذا؟

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر الى الصّين، فقدِمتها مرّةً وقد أُصيب ملكُها بسَمْعه، فبكى بُكاءً شديداً، فحثّه

جلساؤه على الصبر ؛ فقال : أمَا إني لستُ أبكي للبليّة النازلة بي ، ولكنّني أبكي لمظلوم يصرُخ بالباب فلا أسمع صوته .

ثم قال : أمَا إذ قد ذهب سمْعي فإنّ بَصري لم يَذهب ، نادُوا في النّاس أن لا يَلْبس ثوباً أحمرَ إلا مُتظلّم .

ثم كان يركب الفيلَ طرَفي النهار وينظُر هل يَرى مظلوماً .

فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ، بلغتْ رأفته بالمُشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيّه لا تغلبك رأفتك بالمُسلمين على شُحّ نفسك .

فإن كنتَ إنما تَجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبَراً في الطّفل يَسقط من بَطن أمه ما له على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شَحيحة تَحْويه ، فما يَزال الله يلطُف بذلك الطفل ، حتى تعْظُم رغبة الناس إليه .

ولستَ الذي تُعطي ، بل الله الذي يُعطي من يشاء ما يشاء .

فإن قلتَ إنما تَجْمَع المال لتَشُدّ به السلطان ، فقد أراك الله عِبَراً في بني أميّة ، ما أغنى عنهم جمعُهم من الذّهب ، وما أعدُّوا من الرّجال والسلاح والكُرَاع حين أراد الله بهم ما أراد .

وإن قلتَ إنما تجمع المالَ لطلب غايةٍ هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ لا تُدْرَك إلا بخلاف ما أنتَ عليه .

يا اميرَ المؤمنين ، هل تُعاقِب مَن عَصَاك بأشدّ من القتل ؟

فقال المنصور : لا .

فقال : فكيف تَصنع بالمَلِك الذي خوّلك مُلْكَ الدنيا وهو لا يُعاقب مَن عَصاه بالقتل ، ولكن بالخُلود في العذاب الأليم ؟ قد رأى ما عُقِد عليه قلبُك ، وعَمِلته جوارحك ، ونَظر إليه بَصرك ، واجترَحتْه يداك ، ومَشَتْ إليه رِجْلاك ، هل يُغني عنك ما شَحِحْتَ عليه من مُلْك الدُّنيا إذا انتزعَه من يدك ودعاك إلى الحِساب ؟

قال : فَبكى المنصورُ ، ثم قال : ليتني لم أُخْلق ، ويحك فكيف أحتال لِنفسي ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفزَعون إليهم في دينهم ، ويَرْضَوْن بهم في دُنياهم ، فاجعلهم بِطانَتك يرشدوك ، وشاوِرْهم في أمرِكَ يُسدّدوك .

قال : قد بعثتُ إليهم فهربوا مني .

قال : خافوك أن تَحملهم على طريقتِك ، ولكن افتح بابَك ، وسهّل حِجابك ، وانصُر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخُذِ الفَيءَ والصدقات من حِلّها ، واقسمها بالحقّ والعدْلِ على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويُساعدوك على صلاح الأمة .

وجاءَ المؤذّنون فسلّموا عليه ، فصلّى وعاد الى مَجلسه ، وطُلِب الرجلُ فلم يوجد .

مقام الاوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعيّ : دخلتُ عليه فقال لي : ما الذي بَطَّأ بك عني ؟

قلتُ : وما تُريد مني يا أمير المؤمنين ؟

قال : الاقتباس منك .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، انظُر ما تقول ، فإنّ مكحولاً حدّثني عن عطيّة بن بُسْر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ بَلغتْه عن الله نصيحةٌ في دِينه فهي رحمةٌ من الله سِيقت إليه ، فإن قَبِلها من الله بِشُكْر وإلاّ فهي حُجّة من الله عليه ، ليزداد إثماً ويزدادَ الله عليه غضباً ؛ وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السُّخط ، ومَن كرهه فقد كره الله ، عزّ وجلّ ، لأن الله هو الحق المبين .

ثم قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة ، وقد عُرِضت على السّموات والأرض فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وَأشْفَقْنَ مِنْها . وقد جاء عن جَدّكَ عبد الله بن عبّاس في تفسير قول الله ، عزّ وجلّ : « لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاّ أحْصاها . » قال : الصّغيرة : التبسّم . والكبيرة :

الضحك. فما ظنّك بالقول والعمل؟ فأعيذك بالله يا أميرَ المؤمنين أن ترى أنّ قرابتك من رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، تنفعك مع المخالفة لأمره، فقد قال صلّى الله عليه وسلم: يا صفيّة عمة محمّد، ويا فاطمة بنت محمّد، استوهبا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً.

وكذلك جدّك العبّاس سأل إمارةً من النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، فقال: أيْ عمّ، نفسٌ تُحْييها، خيرٌ لك من إمارة لا تُحْصيها. نظراً لعمه وشفقةً عليه من أن يَليَ فيحيدَ عن سُنّتِهِ جناحَ بعوضة، فلا يستطيع له نفعاً، ولا عنه دفعاً.

وقال صلّى الله عليه وسلم: ما من راعٍ يبيتُ غاشّاً لرعيّته إلا حرّمَ الله عليه رائحة الجنّة. وحقيقٌ على الوالي أن يكونَ لرعيّته ناظراً، ولِما استطاع من عوْراتهم ساتراً، وبالحق فيهم قائماً، فلا يتخوّف مُحْسنهم منه رَهقاً، ولا مُسيئهم عُدْواناً.

فقد كانت بيد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، جريدةٌ يَستاكُ بها، ويَرْدَعُ المنافقين عنه، فأتاه جبريلُ، فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة التي معك؟ اتْرُكها لا تملأْ قلوبَهم رُعْباً. فما ظنّك بمن سفك دِماءَهم، وقطّع أستارهم، ونهب أموالهم؟

يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخّر ، دعا الى القِصاص من نَفْسه بِخَدْشٍ خَدَشه أعرابياً لم يتعمَّده ، فقال جبريلُ : يا محمد ، إنَّ الله لم يَبْعَثك جبّاراً تَكْسِر قُرون أُمّتك .

واعلم يا أميرَ المؤمنين أن كلَّ ما في يدك لا يَعدِلُ شَرْبةً من شَراب الجنّة ، ولا ثمرةً من ثِمارها ، ولو أن ثوباً من ثِياب أهلِ النار عُلّق بين السماء والأرض لأهْلَك الناسَ رائحتُه ، فكيف بمن تَقَمَّصه ! ولو أن ذَنوباً[1] من صَديد أهل النار صُبَّ على ماء الدُّنيا لأحَمَّه[2] ، فكيف بمن تجرَّعه ! ولو أن حَلْقة من سَلاسل جهنّم وُضعت على جَبل لأذابتْه ، فكيف بمن يُسْلَك فيها ، ويُردّ فَضْلُها على عاتقه !

•

---

١ الذنوب : الدلو .

٢ أحمه : سخنه .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حجّ سُليمان بن عبد الملك ، فلما قَدِمَ المدينةَ للزيارة بَعث الى أبي حازم الأعرج وعنده ابنُ شِهاب ، فلما دخل قال : تكلّم يا أبا حازم .

قال : فيمَ أتكلّم يا أمير المؤمنين ؟

قال : في المَخرج من هذا الأمر .

قال : يَسيرٌ إن أنت فعلتَه .

قال : وما ذاك ؟

قال : لا تأخذ الأشياء إلاّ من حِلّها ، ولا تَضَعْها إلا في أهلها .

قال : ومن يقوى على ذلك ؟

قال : مَن قلّدَه اللهُ من أمر الرعيّة ما قلّدك .

قال : عِظني يا أبا حازم .

قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بمَوْت من كان قَبْلك ، وهو خارجٌ من يديك بمثل ما صار إليك .

قال : يا أبا حازم ، أشِرْ عليّ .

قال : إنما أنت سُوق فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شرّ ، فاختَر أيّهما شئتَ .

قال : ما لك لا تأتينا ؟

قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدْنَيْتَني فَتَنْتَني ، وإن أقصيتني أخزَيْتَني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عِنْدي ما أخافُك عليه .

قال : فارفع إلينا حاجتَك .

قال : قد رفعتُها الى مَن هو أقدرُ منك عليها ، فما أعطاني منها قَبِلتُ ، وما مَنَعَني منها رَضيتُ .

•

مقام ابن السماك

عند الرشيد

دَخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عِظْني يابن السَّماك وأوْجز .

قال : كفى بالقُرآن واعظاً يا أميرَ المؤمنين ، قال الله تعالى : « بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيم . وَيْلٌ لِلمُطَفِّفِينَ[1] الَّذينَ إذا اكْتالُوا على النَّاسِ يَسْتَوْفُون » الى قوله « لِرَبِّ العالمين » . هذا يا أمير المؤمنين وَعيدٌ لمن طَفَّفَ في الكَيْل فما ظَنُّك بمن أخذه كُلَّه ؟

وقال له مرة : عِظْني وأُتي بماء ليشرَبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حُبِسَتْ عنك هذه الشَّرْبةُ أكنتَ تَفْديها بمُلكك ؟

قال : نعم .

قال : فلو حُبِس عنك خُروجها أكنت تَفْديها بمُلْكك ؟

قال : نعم .

---

١ المطففين ، من طفف المكيال : نقصه قليلاً .

قال : فما خيرٌ في مُلْكٍ لا يُساوي شَرْبة ولا بَوْلة .

قال : يابن السماك ، ما أحسن ما بلغني عنك !

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لي عيوباً لو اطّلع الناسُ منها على عيبٍ واحد ما ثبتتْ لي في قلب أحد مودّة ، وإني لخائفٌ في الكلام الفِتْنة ، وفي السرّ الغِرّة ، وإني لخائفٌ على نفسي من قِلّة خوفي عليها .

•

كلام عمرو بن عبيد عند المنصور

دخل عمرو بن عُبيد على المنصور وعنده ابنُه المهديّ ، فقال له أبو جعفر : هذا ابنُ أمير المؤمنين ، ووليُّ عهد المسلمين ، ورَجائي أن تدْعو له .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أراك قد رَضيتَ له أموراً يصير إليها وأنت عنه مَشغول .

فاستَعْبر أبو جعفر ، وقال له : عِظْني أبا عثمان .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله أعطاك الدّنيا بأسرها ، فاشترِ نفسَك منه ببَعْضها ، هذا الذي أصبح في يديك لو بَقي في يدِ مَن كان قبلك لم يَصِلْ إليك .

قال : أبا عثمان ، أعِنّي بأصحابك .

قال : ارفع عَلم الحق يَتبعْك أهلُه .

ثم خرج ، فأتبعَه أبو جعفر بصُرّة ، فلم يَقْبلها وجعل يقول : كُلّكم يَمْشي رُوَيدْ ، كُلّكم خاتِلُ صيدْ[1] ، غيرَ عمرو بنِ عُبيد

---

[1] ختال صيد : مخادع . يقال: ختال الصياد ، اي مشى قليلاً قليلاً لئلا يحس الصيد به .

خبر سفيان الثوري

مع أبي جعفر

لَقِي أبو جعفر سُفْيان الثَّوريّ في الطواف ، وسُفيان لا يَعرفه ، فَضرب بيده على عاتِقه وقال : أتعرفني ؟

قال : لا ، ولكنّك قَبضت عليّ قَبْضة جبّار .

قال : عِظْني أبا عبد الله .

قال : وما عملتَ فيما علِمتَ فأعِظَك فيما جَهِلْت ؟

قال : فما يَمْنعك أن تأتينا ؟

قال إن الله نهى عَنْكم ، فقال تعالى : « وَلا تَرْكَنُوا إلى الّذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكم النّار . »

فمسح أبو جعفر يدَه به ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : ألقَينا الحَبّ إلى العُلماء فلَقطوا إلاّ ما كان من سُفيان فإنه أعْيانا فراراً .

كلام شبيب بن شيبة للمهدي

قال العُتبي : سألتُ بعضَ آل شَبيب بن شَيْبة : أتَحفظون شيئاً من كلامه ؟

قالوا : نعم ، قال للمهديّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله إذ قَسَم الأقسام في الدُّنيا جعل لك أسناها وأعلاها ، فلا تَرْضَ لنفسك في الآخرة إلاّ مثلَ ما رَضي لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقْوى الله ، فَعلَيكم نزَلت ، ومِنكم أُخذت ، وإليكم تُرَدّ .

•

من كره الموعظة

لبعض ما يكون فيها من الغلظ أو الخرق

قال رجل للرّشيد : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أعِظك بعِظةٍ فيها بعضُ الغِلْظة فاحتَمِلْها .

قال : كلاّ ، إنّ الله أمر مَن هو خيرٌ منك بالإلانة القول لمن هو شرٌّ مني ، قال لنبيّه موسى ، عليه السلام ، إذ أرسله إلى فرعون : « فقولا له قَولاً ليِّناً لَعلّه يَتَذَكَّر أو يَخْشى . »

•

دخل أعرابيّ على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني مُكلّمك بكلام فاحتَمِلْه إن كرهتَه ، فإن وراءه ما تُحب إن قبلتَه .

قال : هات يا أعرابيّ .

قال : إني سأطلق لساني بما خَرستْ عنه الألسُن من عِظتك تأديةً لحق الله تعالى وحقّ إمامتك ، إنه قد اكتَنفك رجالٌ أساؤوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دُنياك بدينهم ، ورضاك بسُخط ربهم ، خافُوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْب للآخرة ،

سلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالاً ، والأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دُنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقةً يوم القيامة وأعظمهم غبناً من باع آخرته بدُنيا غيره .

قال سليمان : أما أنت يا أعرابيّ فقد سللت لسانك وهو أحدّ[1] سيفيك .

قال : أجلْ يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك .

•

ووعظ رجلٌ المأمون فأصغى إليه منْصِتاً ، فلما فرغ قال : قد سمعتُ موعظتك ، فاسألِ اللهَ أن ينفعنا بها وبما علمنا ، غيرَ أنّا أحوجُ إلى المُعاونة بالفعال منّا إلى المُعاونة بالمقال ، فقد كثُر القائلون ، وقلّ الفاعلون .

•

العُتْبِيّ قال : دخل رجلٌ من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ ، قال أبي له : لو اتّعظنا بما علمنا لانتفعنا بما عملنا ، ولكنّا علمنا علماً لزمتنا فيه الحُجّة ، وغفلنا غفلةً من

---

[1] احد : أقطع .

وَجبت عليه النِّقمة ، فوُعظنا في أنفسنا بالتَّنقل من حال إلى حال ، ومن صِغَر إلى كِبَر ، ومن صِحّة إلى سَقم ، فأبينا إلا المُقام على الغَفْلة ، وإيثاراً لعاجلٍ لا بقاءَ لأهله ، وإعراضاً عن آجل إليه المصير .

•

سعد القصير قال : دَخل أناسٌ من القُرّاء على عُتْبة بن أبي سُفيان فقالوا : إنّك سَلّطت السيفَ على الحقّ ولم تسلّط الحقّ على السّيف ، وجئتَ بها عَشْوة[1] خَفيّة .

قال : كَذبتُم ، بل سلّطت الحقّ وبه سُلّطتُ ، فاعرفوا الحقّ تَعْرفوا السيفَ ، فإنكم الحاملون له حيثُ وَضْعه أفضل ، والواضعون له حيثُ حَمْله أعدل ، ونحن في أول زمان لم يأتِ آخرُه ، وآخرِ دهْر قد فات أولُه ، فصار المَعْروف عندكم مُنْكَراً ، والمُنْكَر معروفاً ، وإني أقول لكم مهْلاً قبلَ أن أقول لنفسي هلا .

قالوا : فَنَخْرج آمنين ؟

قال : غيرَ راشدين ولا مَهْديّين .

•

---

١ العشوة : الأمر الملتبس .

حاد قومٌ سَفْرٌ عن الطريق فَدَفعوا الى راهب مُنفرد في صَومعتـه ، فنادَوه ، فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ها هنا ، وأومأ بيده الى السماء ، فعَلِموا ما أراد ؛ فقالوا : إنا سائِلوك .

قال : سَلـُوا ولا تُكثِروا ، فإن النهار لا يَرجع ، والعُمْرَ لا يعود ، والطالبَ حثيث .

قالوا : علامَ الناسُ يومَ القيامة ؟

قال : على نيّاتهم وأعمالهم .

قالوا : الى أين المَوئِل ؟

قال : الى ما قدّمتم .

قالوا : أوْصِنا . قال : تزَوَّدوا على قَدْر سَفركم ، فخَير الزاد ما بلّغ المحلّ .

ثم أرشدهم الجادّة وانقمع .

●

وقـال بعضُهم : أتيتُ الشامَ فمررتُ بدَيْر حَرْملة فإذا فيه راهبٌ كأنَّ عَينيه مَزادتان[1] ، فقلت له : ما يُبْكيك ؟

قال : يا مُسلم ، أبكي على ما فرّطت فيه من عُمري ، وعلى يوم يَمْضي من أجَلي لم يَحْسُن فيه عَمَلي .

---

[1] المزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء .

قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقيل لي : إنه قد أسلم وغزا الرومَ وقُتل .

•

قال أبو زَيْد الحيريّ : قلت لثوبانَ الراهب : ما معنى لُبْس الرّهبان هذا السواد ؟

قال : هو أشبهُ بلباس أهل المصائب .

قلت : وكلّكم معشرَ الرُّهبان قد أُصيب بمُصيبة ؟

قال : يَرْحمك الله ، وهل مُصيبة أعظمُ من مَصائب الذُّنوب على أهلها ؟

قال أبو زَيد : فما أذكُر قوله إلا أبكاني .

•

حبيبُ العَدَويّ عن موسى الأسْوارِيّ قال قال : لما وقعت الفِتْنة أردتُ أن أحْرِزَ ديني فخرجتُ الى الأهْواز ، فَبلغ آزادمَرْد قُدومي ، فبعثَ إليّ متاعاً ، فلما أردتُ الانصراف بلغني أنه ثَقيل ، فدخلتُ عليه فإذا هو كالخُفّاش لم يَبقَ منه إلا رأسُه ، فقلت : ما حالُك ؟

قال : وما حال من يُريد سفراً بعيداً بغير زاد ، ويَدْخل قبراً مُوحِشاً بلا مؤنس ، ويَنْطلق الى مَلِك عَدْل بلا حُجَّة ؟

ثم خرجتْ نفسُه .

•

العُتبيّ قال : مررتُ براهب باكٍ فقلتُ : ما يُبكيك ؟

قال : أمْرٌ عَرفتُه وقَصُرت عن طلبه ، ويومٌ مضى من عُمري نَقص له أجلي ولم يَنْقُص له أملي .

•

كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العُبّاد : ما أقامكم في الشّمس ؟ قالوا : طَلَبَ الظّلّ .

•

قال علقمةُ لأسودَ بن يَزيد : كم تُعذّب هذا الجسدَ الضّعيف ؟

قال : لا تُنال الراحةُ إلا بالتّعب .

وقيل لآخر : لو رفقتَ بنفسك .

قال : الخيرُ كلّه فيما أُكْرِهت النفوسُ عليه ، قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : حُفّت الجنّة بالمكاره .

•

وقيل لِمَسروق بن الأجْدع : لقد أضررتَ ببدنك .

قال : كرامتَه أريد .

وقالت له امرأته فيْروز لما رأته لا يُفْطِر من صيام ولا يَفتُر عن صلاة : ويلك يا مَسروق ! أما يَعبد اللهَ غيرُك ، أما خُلقت النارُ إلا لك ؟

قال لها : وَيحك يا فيروز ! إن طالبَ الجنّة لا يَسأم ، وهاربَ النار لا ينام .

وشكت أم الدَّرداء الى أبي الدَّرداء الحاجة ، فقال لها : تَصبَّري فإنَّ أمامَنا عقَبةً كَؤوداً لا يُجاوزها إلا أخفُّ الناس حِملاً .

•

ومر أبو حازم بسُوق الفاكهة ، فقال : موعدكِ الجنّة .

ومرَّ بالجزّارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سَمين فاشترِ .

قال : ليس عندي ثمنُه .

قالوا : نُؤخّرك .

قال : أنا أؤخر نفسي .

وكان رجل من العُبّاد يأكل الرُّمّان بقِشره ، فقيل له : لِمَ تفعل هذا ؟

فقال : انما هو عدوٌّ فأثخِن فيه ما أمكنك .

•

وكان عليّ بن الحُسين ، عليهما السلام ، إذا قام للصلاة أخذتْه رِعْدةٌ ، فسُئِل عن ذلك ، فقال : وَيحكم ! أتَدْرُون إلى من أقُوم ومَن أريد أن أناجي ؟

وقال رجل ليُونس بن عُبيد : هل تَعلم أحداً يَعمل بِعَمل الحسن ؟

قال : لا والله ، ولا أحداً يقول بقَوله .

وقيل لمحمد بن عليّ بن الحُسين ، أو لعليّ بن الحُسين ، عليهم السلام : ما أقلّ وَلدَ أبيك !

قال : العجبُ كيف وُلِدْتُ له ! وكان يصلي في اليوم والليلة ألفَ ركعة ، فمتى كان يَتفرّغ للنساء ؟ وحَجَّ خمساً وعشرين حِجّة راجلًا .

•

ولما ضُرِبَ سعيدُ بن المُسيّب وأقيم للناس قالت له امرأة : يا شَيْخ ، لقد أقمت مُقام خِزْية .

فقال : من مُقام الخزية فررتُ .

وشكا الناسُ إلى مالك بن دينار القحطَ ؛ فقال : أنتم تستبطئون المَطر وأنا أستبطىء الحِجارة .

وشكا أهلُ الكوفة إلى الفُضيل بن عِياض القحطَ ؛ فقال : أمُدَبّراً غيرَ الله تُريدون ؟

•

وذكر أبو حنيفة أيوبَ السَّختياني ، فقال : رحمه الله تعالى ، ثلاثاً ، لقد قَدِمَ المدينةَ مرّةً وأنا بها ، فقلت : لأقعدنّ إليه لعلّي أتعلّق منه بسَقْطة ، فقام بين يدي القبر مَقاماً ما ذكرتُه إلا اقشعرّ له جلْدي .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عَطاء بن أبي رَباح فيكم ؟

قالوا : كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فضلُها حتى تُفْقد .

وكان عطاء أفْطَس أشَل أعرج ثم عَمِي ، وأمه سَوداء تسمَّى بَرَكة .

وكان الأوقص المَخزُومِيّ قاضياً بمكة فما رُئِي مثلُه في عَفافه وزُهْده ، فقال يوماً لِجُلسائه : قالت لي أمي : يا بُني ، إنك خُلِقْتَ خِلْقة لا تصلح معها لِمَجَامع الفِتْيان عند القِيان ، إنك لا تكون مع أحدٍ إلا تَخَطَّتْكَ إليه العيون ، فعليك بالدِّين فإنَّ الله يَرْفَع به الخَسِيسة ، ويُتِمُّ به النَّقيصة . فنفعني الله تعالى بكلامها ، وأطعتُها فوليتُ القضاء .

•

الفُضَيل بن عِياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالكُ بن دينار في مجلس بالبصرة ، فقال مالكُ بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار .

فقال محمد بن واسع : ما هو كما تقول ، ليس إلا عَفْو الله أو النار .

قال مالك : صدقتَ . ثم قال مالك : إنه يُعجبني أن يكون للرجل مَعِيشة على قدر ما يَقُوته .

قال محمد بن واسع : ولا هو كما تقول ، ولكن يُعْجبني أن يُصبح الرجل وليس له غَدَاء ، ويُمسي وليس له عَشَاء ، وهو مع ذلك راضٍ عن الله .

قال مالك : ما أحْوَجني إلى أن يُعلّمني مثلك .

•

جعفر بن سُليمان قال : سمعتُ عبد الرحمن بن مَهديّ يقول : ما رأيتُ أحداً أقْشَف من شُعبَة ، ولا أعبدَ من سُفيان الثوريّ ، ولا أحفظَ من ابن المُبارك ، وما أُحِبُّ أن ألقَى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بِشْر بنِ مَنصور ، مات ولم يَدَع قليلاً ولا كثيراً .

عبد الأعلى بن حمّاد قال : دخلت على بِشْر بن مَنصور وهو في الموت ، فإذا به من السُّرور في أمر عظيم ، فقلتُ له : ما هذا السّرور ؟

قال : سُبحان الله ! أخرُج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمُغتابين وأقْدَم على أرحم الراحمين ولا أُسَرّ ؟

•

حَجّ هارون الرّشيد ، فبلغه عن عابدٍ بمكة مُجاب الدّعوة مُعتَزِل في جبالِ تِهامة ، فأتاه هارون الرشيدُ فسأله عن حاله ، ثم قال له : أوْصِني ومُرْني بما شِئْت ، فوالله لا عَصَيتك .

فسكت عنه ولم يَرُدّ عليه جواباً . فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابُه : ما مَنعك إذ سألك أن تأمرَه بما شِئْتَ ،

وقد حلَف أن لا يَعْصيك ، أن تأمرَه بتقوى الله والإحسان إلى رعيّته ؟

فخَطَّ لهم في الرَّمل : إني أعظمُ الله أن يكونَ يأمره فيَعْصِيه وآمرُه أنا فيطيعني .

•

عليّ بن حمزة ابن أُخت سُفيان الثوري قال : لما مَرِض سُفيان مَرَضه الذي مات فيه ذهبتُ ببَوْله إلى دَيْرانيّ ، فأرَيته إياه ، فقال : ما هذا ببول حَنيفي .

قلت : بلى والله ، من خِيارهم .

قال : فأنا أذهب معك إليه .

قال : فدخل عليه وجَسَّ عِرْقه ، فقال : هذا رجُلٌ قطَع الحُزنُ كَبِدَه .

•

الأصمعي عن ابن عَوْن قال : رأيت ثلاثة لم أرَ مثلَهم : محمدَ بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاءَ بن حَيْوة بالشام .

العُتْبيّ قال : سمعت أشياخنا يقولون : انتهى الزُّهد الى ثمانية من التابعين : عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن البصْريّ ، وهَرِم بن حيّان ، وأبي مُسلِم الخَولاني ، وأُوَيْس القَرَني ، والرَّبيع بن خُثَيم ، ومَسْرُوق بن الأجدع ، والأسوَد ابن يزيد .

كيف يكون الزهد

العُتبيّ يرفعه قال: قيل لرسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: ما الزُّهد في الدنيا؟

قال: أما إنه ما هو بتَحريم الحَلال، ولا إضاعة المال، ولكنّ الزهدَ في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك.

وقيل للزُّهريّ: ما الزُّهد؟

قال: أما إنه ليس تَشعيثَ اللِّمّة، ولا قَشَفَ الهيئة، ولكنّه صرْف النفس عن الشَّهْوَة.

وقيل لآخر: ما الزُّهد في الدنيا؟

قال: أن لا يَغلب الحرامُ صَبْرَك، ولا الحلالُ شُكرَك.

•

وقيل لرسول الله، صلى الله عليه وسلّم: يا رسول الله، مَنْ أزهدُ الناس في الدنيا؟

قال: مَن لم يَنْس المَقابر والبِلى، وآثرَ ما يَبقى على ما يَفْنى، وعَدّ نفسه مع الموتى.

وقيل لمحمد بن واسع : مَن أزهَدُ الناس في الدُّنيا ؟

قال : مَنْ لا يبالي بِيَد مَن كانت الدنيا .

وقيل للخليل بن أحمد : مَن أزهدُ الناس في الدُّنيا ؟

قال : من لم يَطلب المَفْقود حتى يَفْقد المَوجود .

•

وقال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : الزُّهد في الدُّنيا مِفتاح الرَّغبة في الآخرة ، والرَّغبة في الدُّنيا مِفتاح الزُّهد في الآخرة .

وقالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمَثَل رجل له امرأتان ضَرّتان ، إن أرْضى إحداهما أسْخط الأخرى .

وقال النّبي ، صلّى الله عليه وسلّم : مَن جعل الدنيا أكبرَ همّه نزَع الله خوفَ الآخرة من قلبه ، وجعلَ الفقْر بين عيْنَيه ، وشَغله فيما عليه لا له .

•

وقال ابنُ السمّاك : الزاهدُ الذي إن أصاب الدنيا لم يَفرح ، وإن أصابتْه الدنيا لم يحزن ، يضحك في المَلا ، ويَبْكي في الخَلا. وقال الفُضيل : أصلُ الزهد في الدنيا الرّضا عن الله تعالى .

•

صفة الدنيا

قال رجل لعليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه : يا أميرَ المؤمنين ، صِفْ لنا الدّنيا .

قال : ما أصِف مِن دارٍ أولُها عَناء ، وآخرُها فَناء ؛ حَلالُها حساب ، وحَرامها عِقاب ؛ مَن استغنى فيها فُتِن ، ومن افتقر فيها حَزِن .

قيل لأرسطاطاليس : صِف لنا الدنيا .

فقال : ما أصِف من دار أولها فَوْت ، وآخرها مَوْت .

وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا .

قال : أمَلٌ بين يديك ، وأجَل مُطِلٌّ عليك ، وشَيْطان فتّان ، وأمانيُّ جرّارة العِنان ؛ تدعوك فتَستجيب ، وترجُوها فتَخيب .

وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا .

قال : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضة للمُبْرَم ، مُرتجعة للعطية ، وكلٌّ مَن فيها يجري الى ما لا يَدْري .

وقيل لبكر بن عبد الله المُزنيّ : صِف لنا الدنيا .

فقال : ما مَضى منها فحُلُم ، وما بَقي فأمانيّ .

وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صِف لنا الدنيا .

قال : أمْسُك مَذموم منـك ، ويومُك غير محمود لك ، وغَدك غير مأمون عليك .

وقال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : الدنيا سِجن المُؤمن وجنّة الكافر .

وقال : الدنيا عَرَضٌ حاضِر ، يأكُل منه البَرُّ والفاجر ، والآخرة وعد صِدْق يحكم فيها ملك قادر ، يفصل الحقّ من الباطل .

وقال : الدنيا خَضِرَة حُلْوَة ، فمن أخذها بحقّها بُورك له فيها ، ومَن أخذها بغير حقها كان كالآكِل الذي لا يَشْبع .

وقال ابنُ مَسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضَيْف على الدنيا وماله عارية ، فالضَّيْف مُرتحِل ، والعارية مردودة .

وقال المسيح ، عليه السلام: الدنيا لابليس مزْرَعة وأهْلُها حُرّاث .

وقال إبليسُ : ما أبالي إذا أحبّ الناس الدنيا أن لا يَعْبدوا صَنماً ولا وَثناً ، الدنيا أفتَنُ لهم من ذاك .

وكان النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، يُسمّي الدنيا أمّ دَفْر . والدفر : النتن .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للضحّاك بن سُفيان : ما طعامُك ؟

قال : اللحم واللبن .

قال : ثم إلى ماذا يَصير ؟

قال : يصير إلى ما قد علمت .

قال : فإنّ الله ، عزّ وجلّ ، ضَرَب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وقال المسيحُ ، عليه السلام ، لأصحابه : اتخذوا الدنيا قَنطرة فاعبروها ولا تَعْمُروها .

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : مَن خدَمني فاخدُميه ، ومن خدمك فاستخدميه .

وقيل لنُوح ، عليه السلام : يا أبا البَشر ويا طَويل العُمر ، كيف وجدتَ الدنيا ؟

قال : كَبَيْتٍ له بابان ، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر .

وقال لُقمان لابنه : إنّ الدنيا بَحْر عريض ، قد هلك فيه الأوّلون والآخِرون ، فإن استطعت فاجعل سَفينتك تقوى الله ، وعُدّتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح ، فإن نجوتَ فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

وقال محمد بن الحنفيّة : مَن كَرُمت عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال : إنّ الملوك خلّوْا لكم الحكمة فخلّوا لهم الدنيا .

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدُّون .

قال : إنما رضي بالدُّون من رضي بالدنيا .

وقال المسيحُ ، عليه الصلاة والسلام ، للحواريّين : أنا الذي كفأتُ الدنيا على وجهها ، فليس لي زوجةٌ تموت ولا بَيْتٌ يخرَب .

شكا رجل إلى يُونس بن عُبيد وَجَعاً يَجِده ؛ فقال له : يا عبد الله ، هذه دارٌ لا تُوافقك ، فالتمس لك داراً تُوافقك .

لقي رجلٌ راهِباً ، فقال : يا راهب ، صِف لنا الدنيا .

فقال : الدنيا تُخْلِق الأبدان ، وتُجَدّد الآمال ، وتُباعد الأمْنِيّة ، وتُقرّب المنيّة .

قال : فما حالُ أهلها ؟

قال : مَنْ ظَفِرَ بها تَعِب ، ومن فاتته نَصِب .

قال : فما الغِنى عنها ؟ قال : قَطْعُ الرّجاءِ منها .

قال : فأين المَخْرَج ؟

قال : في سُلوك المَنْهَج .

قال : وما ذاك ؟

قال : بَذْل المجهود ، والرّضا بالمَوجود .

قال الشاعر :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبِها ،
فحيثما انقلبت يوماً بـه انقلَبوا

يُعظِّمون أخا الدنيا ، وإن وَثبت ،
يوماً عليه بمـا لا يَشتَهي ، وَثبوا

•

وقال آخر :

يا خاطبَ الدنيا إلى نفسه ، تَنَحَّ عن خِطبَتِها تَسلَمِ
إنَّ التي تَخطُبُ غدّارةٌ ، قريبةُ العُرسِ من المأتَمِ

•

داود بن المُحبّر قال : أخبرنا عبدُ الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الرُّوم ، حتى إذا كُنّا بين الرُّصافة وحِمص سمعنا صوتاً مِن تلك الجبال ، تَسمعه آذاننا ولا تُبصره أبصارنا ، يقول : يا مَستُور يا مَحفوظ ، انظر في سِتر مَن وحِفظ مَن أنت ، إنما الدنيا شوك ، فانظر أين تَضع قدَميك منها .

•

وقال أبو العتاهية :

رَضيتُ بذي الدنيا كَكُلِّ مُكاثِر ،
مُلِحٍّ على الدنيا ، وكلِّ مُفاخِرِ

أَلمْ تَرَهَا تَسْقِيه ، حتى إذا صَبا ،
فَرَتْ حَلْقَه منها بِشَفْرَة جازر؟[1]

ولا تَعْدِلُ الدنيا جَناحَ بَعوضة ،
لدى الله ، أو مقدارَ نَغْبَةِ طائر[2]

فلم يَرْضَ بالدنيا ثواباً لمؤمن ؛
ولم يَرْضَ بالدنيا عِقاباً لكافر

•

وقال أيضاً :

هِيَ الدنيا ، إذا كَمَلتْ ، وتَمَّ سُرورُها خَذَلتْ
وتَفعل في الذين بَقُوا ، كما فيمن مَضى فَعلت

•

وقال بعض الشعراء يصِف الدنيا :

لقد غرّتِ الدنيا رجالاً ، فأصبحوا
بمنزلةٍ ما بعدها مُتَحَوَّلُ

فساخطُ أمرٍ لا يُبَدَّل غيرَه ؛
وراضٍ بأمرٍ غيرَه سيُبَدَّل

---

١ صبا : اخذته جهلة الفتوة . فرت : شقت . الجازر : الناحر .
٢ النغبة : الحسوة يحسوها الطائر من الماء .

وبالغُ أمرٍ كان يأمُلُ دونَــهُ ،
ومُختَرَمٌ من دون ما كان يأمُلُ[1]

•

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صِفي لنا نفسكِ ، وكانت ممن يَنطق ، ما وَصفت نَفسَها بأكثر من قول أبي نُواس :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ ، تكشّفت
له عن عــدوٍّ ، في ثياب صَديقِ

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالـكٍ ،
وذو نَسَبٍ ، في الهالكين ، عَريقِ

•

وقال آخر في صفة الدنيا :

فَرُحنا ، وراح الشامِتون عَشيّةً ،
كأنّ على أكتافنا فِلَقَ الصَّخرِ

لحا الله دُنيا يَدخـل النارَ أهلُها ،
وَتَهتِكُ ما بين الأقارب من سِتر

•

ولأبي العتاهية :

كُلُّنا يُكثِرُ الملامةَ للدُّنـ ـيا ، وكلٌّ بحُبّها مَفتُونُ

---

١ المخترم : الهالك .

والمقاديرُ لا تناوَلُها الأوْ هام، لُطفاً، ولا تراها العُيون
ولِرَكْبِ الفناء في كلّ يوم، حرَكاتٌ كأنّهنّ سُكون

•

ومن قولنا في وصف الدنيا :

ألا إنّما الدُّنيا نضارة أيْكَةٍ،
إذا اخْضَرّ منها جانبٌ جَفّ جانبُ

هِيَ الدّار، ما الآمالُ إلا فجائعٌ
عليها، ولا اللّذات إلا مَصائب

فكم سَخُنَت بالأمس عينٌ قَريرَةٌ؛
وقَرّت عُيونٌ دمعُها اليومَ ساكِب

فلا تَكتَحِل عَيْناك فيها بعَبْرَةٍ،
على ذاهبٍ منها، فإنك ذاهب

•

وقال أبو العتاهية :

أصْبحت الدُّنيا لنا فتنةً؛ والحمد لله على ذلِكا
قد أجْمَعَ الناسُ على ذَمّها، ولا أرى منهمْ لها تارِكا

•

وقال إبراهيم بن أدهم :

نُرَقِّع دُنيانا بتَمزيقِ دِينِنا ،
فلا دِينُنا يَبقى ، ولا ما نُرَقِّع

•

وما سمعتُ في صفة الدُّنيا والسبب الذي يُحبُّها الناسُ لأجله بأبلغ من قول القائل :

نُراع بذِكْر المَوت في حينِ ذِكْره ،
وتَعْتَرِض الدنيا ، فنَلْهُو ونَلْعَبُ

ونحن بنُو الدُّنيا خُلقْنا لغيرها ،
وما كُنتَ منه ، فهو شيءٌ مُحبَّب

فذكر أنَّ الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبَّب إليه . واعلم أنَّ الانسانَ لا يُحب شيئاً إلا أن يُجانسَه في بعض طبائعه ، وأنَّ الدنيا جانَسَت الانسان في طَبائعه كلها فأحبَّها بكل أطرافه .

•

وقال بعضُ ولد ابن شُبْرُمة : كنتُ مع أبي جالساً قبل أن يَلي القضاءَ ، فمرَّ به طارقُ بن أبي زِياد في مَوكب نَبيل ، فلما رآه أبي تَنفَّس الصُّعَداء وقال :

أراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنها
سحابةُ صَيفٍ ، عن قليل ، تَقَشَّعُ

ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دُنياهم .

فلما ابتُلي بالقضاء ، قلتُ : يا أبتِ ، أتذكر يومَ طارق ؟ فقال : يا بُني ، إنهم يَجدون خَلَفاً من أبيك وإنّ أباك لا يَجد خَلَفاً منهم ، إن أباك حَطَب في أهوائهم ، وأكل من حَلْوائهم .

•

وقال الشعبي : ما رأيتُ مَثَلَنا ومَثَلَ الدنيا إلا كما قال كُثَيّر عَزّة :

أَسيئي بنا ، أو أحْسني ، لا مَلُومةٌ
لَدَينا ، ولا مَقْليّةٌ إنْ تَقلّتِ[1]

•

وأحكمُ بيتٍ قيل في تمثيل الدنيا قولُ الشاعر :

ومَن يأمَن الدنيا يكن مثلَ قابضٍ
على الماء ، خانَتْه فُروجُ الأصابعِ

•

---

١ تقلت : تبغضت . وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة .

وحدّث العبّاس بن الفرَج الرّياشي قال : رأيتُ الأصمعيّ يُنْشد هذا البيتَ ويَستحسنه في صفة الدنيا :

ما عُذْر مُرْضِعَـةٍ ، بكا   سِ الموت، تَفْطِمَ مَنْ غذَتْ

•

ولقَطريّ بن الفُجاءَة في وَصف الدُّنيا خُطْبَةٌ مجرّدة تَقَع في جملة الخُطَب في كتاب الواسطة .

•

قولهم في الخوف

سُئل ابنُ عبّاس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صَدَقُوا الله في مخافة وَعيده ، فقلوبهم بالخَوْف قَريحة ، وأعينُهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على خُدودهم جارية ؛ يقولون : كيف نَفْرح والموتُ من ورائنا ، والقُبورُ من أمامنا ، والقِيامة مَوعدنا ، وعلى جهنم طريقُنا ، وبين يدَي ربّنا مَوقفنا ؟

•

وقال عليّ ، كرّم الله وَجْهَه : ألا إنّ لله عباداً مُخْلصين ، كمن رَأى أهلَ الجنّة في الجنّة فاكهين ، وأهْلَ النار في النار مُعذّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم مَحْزونة ، وأنفسُهم عفيفة ، وحوائجهم خَفيفة ، صبَرُوا أيّاماً قليلة ، لِعُقْبَى راحة طويلة ؛ أمّا بالليل فَصَفّوا أقدامَهم في صَلاتهم ، تَجْري دُموعُهم على خُدُودهم ، يَجأرون إلى ربّهم : ربّنا ربّنا ، يَطلبون فَكاكَ قلوبهم ؛ وأمّا بالنهار فعُلماء حُلماء ، بَررة أتْقياء ، كأنهم القِداح — القِداح : السهام ، يريد في ضُمرتها — يَنْظر إليهم الناظرُ فيقول : مَرْضَى ، وما بالقوم من مَرض ، ويقول : خُولطوا ، ولقد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

•

وقال منصور بن عمّار في مجلس الزهد : إن لله عباداً جعلوا ما كُتب عليهم من الموت مثالاً بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتّصلة بقلوبهم من علائق الدنيا ، فهم أنضاءُ عبادته ، حُلفاء طاعته ، قد نضحوا خدودهم بوابل دُموعهم ، وافترشوا جباههم في محاريبهم ، يُناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم .

•

ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ، وفيهم شابٌّ ذابلٌ ناحل . فقال له عُمر : يا فتى ، ما بلغ بك ما أرى ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين ، أمراضٌ وأسقام .

قال له عمر : لتَصدُقَنّي .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذُقت يوماً حلاوةَ الدنيا فوجدتُها مُرّةً عواقبُها ، فاستوى عندي حجرُها وذهبها ، وكأنّي أنظر الى عرش ربّنا بارزاً ، وإلى الناس يُساقون الى الجنة والنار ، فأظمأتُ نهاري ، وأسهرتُ ليلي ، وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه .

•

وقال ابن أبي الحَواريّ : قلتُ لسُفيان : بلغني في قول الله ، تبارك وتعالى : « إلاّ مَنْ أتى الله بِقلْبٍ سَليم » الذي يلْقى ربّه وليس فيه أحدٌ غيره .

فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا التفسير .

وقال الحسنُ : إنّ خوفك حتى تلقى الأمنَ خيرٌ من أمنك حتى تلقى الخوف .

وقال : ينبغي أن يكون الخوفُ أغلبَ على الرجاء ، فإنّ الرجاء إذا غلَبَ الخوفَ فَسَدَ القلبُ .

وقال : عجباً لمن خافَ العِقابَ ولم يَكُفّ ، ولمن رَجا الثوابَ ولم يَعْمل .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرّمَ الله وجهَه ، لرجل : ما تَصْنع ؟ فقال : أرجُو وأخاف ؛ قال : مَن رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

وقال الفُضَيْل بن عياض : إني لأَسْتحي من الله أن أقول : توَكّلتُ على الله ، ولو توكلت عليه حقّ التوكل ما خِفْتُ ولا رَجَوْتُ غيره .

وقال : من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يَخف الله أخافَه الله من كل شيء .

وقال : وعْدٌ من الله لمن خافَهُ أن يُدْخِله الله الجنةَ ؛ وتلا قولَه عزّ وجلّ : « ولِمَنْ خافَ مَقام رَبّه جَنّتان . »

•

وقال عمر بن ذرّ: عبادَ الله، لا تغترّوا بطول حلم الله، واحذروا أسفه، فإنه قال، عزّ وجلّ: «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين. فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين».

وقال محمد بن سلاّم: سمعتُ يونس بن حبيب يقول: لا تأمن مَن قطع في خمسة دراهم أشرفَ عضو فيك أن تكون عقوبته في الآخرة أضعافَ ذلك.

وقال الربيعُ بن خُثيم: لو أنّ لي نفسين إذا غلقتْ إحداهما سعت الأخرى في فكاكها، ولكنها نفس واحدة، فإن أنا أوثقتُها مَن يفكّها؟

وفي الحديث: مَن كانت الدنيا همّه طال في الآخرة غمّه، ومن أخلف الوعدَ لها عما يُريد، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعاً بما في يديه.

•

وقال محمود الورّاق:

يا غافلاً ترنو بعينَيْ راقدٍ،
ومُشاهِداً للأمر غيرَ مُشاهِدِ

تصِلُ الذّنوب الى الذّنوب، وترتجي
دركَ الجِنان بها، وفوزَ العابدِ

ونسيتَ أنَّ اللهَ أخرَجَ آدمـــاً
منها ، إلى الدُّنيا ، بذنْبٍ واحـد

•

وقال نابغة بني شَيْبان :

إنَّ مَنْ يرْكَبُ الفواحشَ سرّاً ،
حين يَخْلو بسرِّه ، غـــيرُ خالِي

كيف يَخْلو ، وعنـده كاتباه ،
شاهـــداه ، وربُّه ذو الجَلال ؟

•

قولهم في الرجاء

قال العلماء : لا تشهد على أحد من أهل القِبْلة بجنّة ولا بنار ، يُرْجى للمُحْسن ويُخاف عليه ، ويُخاف على المُسيء ويُرْجى له .

وفي الحديث المرفوع : إنّ الله يَغْفر ولا يُعيّر ، والنّاسُ يُعيّرون ولا يَغْفرون .

وفي حديث آخر : لا تُكَفّروا أهل الذنوب .

•

وتُوفّي رجلٌ في عهد رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكان مُسرفاً على نفسه ، فرفع برأسه وهو يجود بنَفْسِه ، فإذا أبواه يَبْكيان عند رأسه ، فقال : ما يُبْكيكما ؟

قالا : نَبْكي لإسرافك على نفسك .

قال : لا تَبْكيا ، فوالله ما يَسُرُّني أنّ الذي بيد الله من أمري بأيديكما .

ثم مات . فأتى جبريلُ ، عليه الصلاة والسلام ، النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره أنّ فتًى تُوفّي اليومَ فأشْهَده بأنه من أهل الجنة .

فسأل رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أبويه عن عَمله ، فقالا : ما عَلِمنا عنده شيئاً من خَيرٍ إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا .

فقال رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم : من هاهنا أُوتي ، إنّ حُسنَ الظنّ بالله من أفضل العَمل عنده .

وتُوفّي رجل بجوار ابن ذَرّ وكان مُسرِفاً على نفسه ، فتحامى الناسُ من جِنازته ، وبلغ ذلك عُمَرَ بن ذَرّ ، فأوصى أهلَه : إذا جهّزتموه فآذِنوني ؛ ففعلوا ، فَشَهِدَه والناسُ معه ، فلما أُدْلِيَ وَقَفَ على قبره فقال : رَحِمك الله أبا فلان ، فلقد صَحِبتَ عُمْرَك بالتّوحيد ، وعفّرْتَ وَجهك لله بالسّجود ، فإنْ قالوا مُذنِب وذو خَطايا ، فمن مِنّا غيرُ مُذنب وغيرُ ذي خطايا ؟

•

وتمثّلَ معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموتُ لا مَنجى من الموت ، والذي
نُحاذِر بعد الموت أنكى وأفظَعُ

ثم قال : اللهم فأقِل العَثْرَة ، واعفُ عن الزّلّة ، وعُدْ بحِلمك على جهل من لم يَرجُ غيرَك ، ولم يَثِق إلا بك ، فإنك واسع المَغفِرة . يا رب ، أين لذي الخطإ مَهْرب إلا إليك ؟

قال داود بن أبي هِنْد : فبلغني أنّ سعيد بن المُسيّب قال حين بلغه ذلك : لقد رغبَ الى مَن لا مَرغبَ إلا إليه كَرْهاً، وإني أرجو من الله له الرحمة .

•

الأصمعيُّ قال : سمعتُ أعرابيّاً يقول في دُعائه وابتهاله : إلهي ، ما توهمتُ سَعة رحمتك ، إلا وكانت نَغْمة عفْوك تقْرَع مسامعي : أن قد غفَرتُ لك . فصَدّق ظني بك ، وحقّق رجائي فيك يا إلهي .

•

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :

وإني لأرجُو الله ، حتى كأنّني
أرى ، بجَميل الظّنّ ، ما اللهُ صانعُ

•

قولهم في التوبة

مرَّ المسيحُ بن مَريم ، عليه السلام ، بقَوم من بني اسرائيل يَبكون ، فقال لهم : ما يُبْكيكم ؟

قالوا : نَبكي لذنوبنا .

قال : اتركوها تُغفَر لكم .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه : عجباً لمن يَهْلِك ومعه النجاة !

قيل له : وما هي ؟

قال : التوبة والاستغفار .

•

وقالوا : كان شابٌ من بني اسرائيل قد عَبَد الله عشرين حِجّةً ثم عصاه عشرين حِجّة ، فبينما هو في بَيتِه يتراءى في مرآته نَظَر الى الشَّيْب في لِحْيَته فساءَهُ ذلك فقال : إلهي ، أطعتُك عشرين سنةً ، وعَصيتك عشرينَ سنة ، فإن رجعتُ إليك تَقبلني ؟ فسَمع صوتاً من زاوية البيت ولم يرَ شَخصاً : أحْبَبتنا

فأحْبَبْناك ، وتَرَكْتَنا فتركناك ، وعَصَيْتنا فأمْهَلْناك ، وإن رَجَعت إلينا قَبِلناك .

•

عبدُ الله بن العَلاء قال : خَرَجنا حُجّاجاً من المدينة ، فلما كُنا بالحُلَيفة نَزَلنا ، فوَقف علينا رجلٌ عليه أثوابٌ رثّة له منظر وهَيْئة ، فقال : مَنْ يَبْغي خادماً ؟ من يَبغي ساقياً ؟ من يملأ قِرْبة أو إداوَة ؟

فقُلنا : دونك هذه القِرَبَ فاملأها .

فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى أقبل ، وقد امتلأت أثوابه طيناً ، فوَضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال : لكم غيرُ هذا ؟ قلنا : لا ؛ وأطْعَمناه قارِصاً حازراً[1] ، فأخَذه ، وحَمِد الله وشَكَرَه ، ثم اعتزل وقعد يأكل أكلَ جائع ، فأدْرَكَتْني عليه الرّقة ، فقمتُ إليه بطَعام طيّب كثير ، وقلتُ : قد علمتُ أنه لم يَقع منك القارص موقعاً فدُونك هذا الطعامَ فكُله .

فنَظَر في وجْهي وتَبَسَّمَ وقال : يا عبدَ الله ، إنما هي فَوْرَةُ هذه النار قد أطفأتُها ، وضَرب بيده على بطنه .

---

١ القارص : اللبن يحذي اللسان . الحازر : الحامض .

فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيتُ من هيبته . فقال لي رجلٌ كان الى جانبي : أتعرفه ؟

قلتُ : ما أعرفه .

قال : هذا رجل من بني هاشم من وَلد العبّاس بن عبد المُطّلب ، كان يَسكُنُ البَصرةَ ، فتاب وخرجَ منها ففُقِدَ وما يُعرف له أثر .

فأعجبني قولُه ، ثم لحقتُ به وناشدتُه الله ، وقلتُ له : هل لك أن تُعادلني ، فإن معي فضلاً من راحلتي وأنا رجلٌ من بعض أخوالك ؟

فجزاني خيراً ، وقال : لو أردتُ شيئاً من هذا لكان لي مُعَدّاً .

ثم أنِس إليّ وجعَل يُحدّثني ، وقال : أنا رجلٌ من ولد العبّاس كنتُ أسكُنُ البَصْرة وكُنت ذا كِبْر شديد وجَبَرُوت وبَذَخ ، وإني أمرتُ خادماً أن تَحْشو لي فِراشاً ومِخدّة من حرير بوَرْدٍ نَثير ، ففعلَتْ ، فإني لنائم إذ أيقظتني قِمَع وَرْدة أغفلتْه الخادمُ ، فقمتُ إليها فأوجعتها ضَرباً . ثم عُدتُ الى مضجعي بعد أن خرجَ ذلك القِمَع من المِخدّة ، فأتاني آتٍ في منامي في صُورة فَظيعة فنَهَرَني وزَبَرَني[1] ،

---

[1] زبرني : نهرني .

وقال : أفِق من غَشْيَتك وأبصِرْ من حَيْرَتك ؛ ثم أنشأ يقول :

يا حَـدُ إنـّكَ إنْ تُوَسّدْ لَيِّناً ،
وُسِّدْتَ ، بعد الموتِ ، صُمّ الجَنْدَلِ

فامْهَدْ لِنَفسِك صالِحاً تَنجُو به ،
فلَتَنْدَمَنْ غـداً ، إذا لم تَفعَلِ[1]

فانتبهتُ فَزِعاً وخرجتُ من ساعتي هارباً بديني الى ربّي .

●

وقالوا : علامةُ التوبة الخروجُ من الجهل ، والندمُ على الذنب ، والتجافي عن الشَّهْوَة ، وتَرْكُ الكذب ، والانتهاءُ عن خُلق السّوء .

وقالوا : التائب من الذنب كمنْ لا ذنبَ له ، وأولُ التوبة الندم .

●

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا ويلَنا من مَوْقِفٍ ، ما به أخوفُ مِن أن يَعدِلَ الحاكمُ
أبارز الله بعصيانـه ، وليس لي من دُونه راحم
يا ربّ غُفْرانَك عن مُذْنِب ، أسْرَفَ إلاّ أنـه نادم[2]

●

---

١ لم يجزم تنجو في جواب الأمر ، وهذا جائز .
٢ الغفران هنا في معنى الصفح ولذلك عداه بعن عوضاً عن اللام .

وقال بعض أهل التفسير في قول الله، تبارك وتعالى «يا أيُّها الذين آمنُوا تُوبُوا الى الله توبَةً نَصُوحاً»: إنَّ التوبةَ النَّصُوح أن يتوب العبدُ عن الذنب ولا يَنْوِي أن يعود إليه.

وقال ابنُ عبّاس في قول الله، عزَّ وجلَّ «إنّما التَّوبةُ على الله لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بجَهالةٍ ثم يَتُوبُونَ من قريب»: إنَّ الرجل لا يَرْكَبُ ذنباً ولا يأتي فاحشةً إلا وهو جاهل.

وقوله «ثم يَتُوبُونَ من قَرِيب» قال: كلُّ ما كان دون المُعاينة فهو قريب، والمُعاينة أن يُؤخَذ بِكَظْمِ[1] الإنسان، فذلك قوله: «إذا حَضَرَ أحدَهم المَوتُ قال إني تُبْتُ الآن.»

قال أهلُ التفسير: هو إذا أُخِذ بكَظْمه.

وقال ابنُ شُبْرُمة: إني لأعجب ممن يَحتَمي مخافةَ الضرر ولا يدعُ الذنوبَ مخافةَ النار.

•

١ الكظم: مخرج النفس.

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله، عزّ وجلّ: «وَسارِعُوا الى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم وجَنّة .»

وقال تعالى: «والسّابِقُونَ السّابقُونَ أُولئكَ المُقَرَّبُون.»

وقال الحسن: بادِروا بالعمل الصالح قبل حُلول الأجَل، فإنّ لكم ما أمْضيتم لا ما أبْقَيْتم.

وقالوا: ثلاثة لا أناة فيهن: المُبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميّت، وإنكاح الكُفء.

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلّم: ابنَ آدم، اغتنم خمساً قبل خمْس: شبابك قبل هرَمك، وصِحتك قبل سَقمك، وفراغَك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك، وغِناك قبل فقرك.

وقال الحسن: ابنَ آدم، صُمْ قبل أن لا تَقْدر على يوم تَصُومه، كأنك إذا ظَمِئت لم تكُن رَوِيت، وكأنك إذا رَوِيت لم تكن ظَمِئت.

وكان يزيد الرّقاشي يقول: يا يزيدُ، من يَصُوم عنك أو يُصلّي لك، أو يَتَرضّى لك ربّك إذا مِتّ؟

•

وكان خالدُ بنُ مَعْدان يقول :

إذا أنت لم تَزرَع ، وأبصرتَ حاصداً ،
نَدِمْتَ عَلى التّفريط في زمن البذْرِ

•

وقال ابنُ المُبارك : رَكِبْتُ مع محمد بن النّضْر في سفينة ، فقلتُ : بأي شيء أستَخرِج منه الكلامَ ؟ فقلتُ له : ما تقول في الصّوم في السفر ؟

فقال : إنما هي المبادرة يابن أخي .

فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشّعبي .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ الى التّوبةِ الخلْصاء مُجتهداً ،
والموتُ ، وَيْحكَ ، لم يَمْدُد إليك يَدا

وارْقُبْ ، من الله ، وَعداً ليسَ يُخلفُهُ ؛
لا بُدّ لله من إنجاز ما وَعَدا

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لأصحابه : فيمَ أنتم ؟ قالوا : نَرجُو ونَخاف .

قال : مَن رجا شيئاً طلبَه ، ومن خاف شيئاً هَرب منه .

•

وقال الشاعر[1] :

تَرجُو النجاةَ وَلم تَسلُكْ مَسالكها ؛
إنّ السّفينَةَ لا تَجْري على اليَبَسِ

•

وقال آخر :

اعمل ، وأنتَ من الدُّنيا على حَذَر ؛
واعلم بأنّكَ ، بعد المَوت ، مَبعُوثُ

واعلم بأنّك ما قدّمْتَ من عَمَل
يُحصَى عَليك ، وما خلّفتَ مَوروث

•

وقدّمَت عائشةُ ، رضي الله عنها ، الى النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، صَحفَةَ فيها خُبزُ شَعيرٍ وقطعة من كَرِش ، وقالت : يا رسولَ الله ، ذبحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها غيرَ هذا ؛ فقال : بل كلّها أمسكتم غير هذا .

---

١ ابو نواس .

العجز عن العمل

قال رجلٌ لمُوَرِّق العِجْلي : أشكُو إليك نفسي ، إنها لا تُريد الصلاة ولا تَستَطيع الصبرَ على الصِّيام .

قال : بئس الثناءُ أثنيتَ به على نفسك ، فإذا ضعُفْتَ عن الخير فاضْعُف عن الشرّ ، فإن الشاعر قال :

احزَنْ على أنّكَ لا تَحزَنُ ؛ ولا تُسِيءْ إن كُنتَ لا تُحسنُ
واضعُف عن الشرّ ، كما تَدّعي ضَعْفاً عن الخيرِ ، وقد يُمكِنُ

●

وقال بكرُ بن عبد الله : اجتهدوا في العَمل ، فإن قَصَّرَ بكم ضَعْفٌ فأمسكوا عن المعاصي .

وقال الحسنُ ، رحمه الله : من كان قوياً فَلْيَعتمد على قوّته في طاعة الله ، ومن كان ضعيفاً فلْيَكُفّ عن مَعاصي الله .

وقال عليُّ بن أبي طالب ، عليه السلام : لا تَكُن كمن يَعجِزُ عن شُكر ما أُوتي ، ويَبْتغي الزيادة فيما بَقِي ، ويَنْهى الناسَ ولا يَنتهي .

●

وكان الحسنُ إذا وَعظ يقول : يا لها موعظةً لو صادفت من القُلوب حياةً، أسمَع حَسيساً ولا أرى أنيساً، ما لهم تفاقدوا عقولَها ، فَراش نار وذباب طَمَع .

وكان ابن السمّاك إذا فرَغ من مَوعظته يقول : ألسِنةٌ تَصِف ، وقلوب تَعرف ، وأعمال تُخالِف .

وقال : الحسنةُ نورٌ في القَلب وقُوّةٌ في العَمَل ، والسيّئة ظلمة في القلب وضَعف في العمل .

•

وقال بعضُ الحُكماء : يا أيُّها المشيَخَة الذين لم يَترُكوا الذنوب حتى تَركَتْهُم الذُّنوبُ، ثم ظَنُّوا أنّ تَرْكها لهم توبة، وليتهم إذ ذهبتْ عنهم لم يَتَمنَّوا عودَها إليهم .

وكان مالكُ بن دِينار يقول : ما أشدّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَروض عِرسَك، بعدما هَرِمَت،
ومن العَناء رياضةُ الهَرِم

•

ومن حديث محمد بن وضّاح قال : إذا بلَغ الرّجلُ أربعين سنة ولم يَتُب مَسَح إبليسُ بيده على وَجْهه وقال : بأبي وَجهٌ لا أفلَح أبداً .

•

قال الشاعر :

فإذا رأى إبليسُ غُرَّةَ وَجْهِهِ
حَيّا، وقال: فَديتُ من لا يُفْلِحُ

•

وقال رجل للحسن : أبا سعيد، أردتُ أن أُصَلّي فلم أستَطع ؛ قال : قَيَّدَتْكَ ذنوبك .

•

قولهم في الموت

قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، لعمر بن الخطّاب، رضوانُ الله عليه: ما عندكَ من ذِكر الموت أبا حَفْص؟

قال: أُمْسِي فما أرى أني أُصْبِح، وأُصْبِح فما أرى أني أُمْسي.

قال: الأمرُ أوشكُ من ذلك أبا حَفْص، أما إنه يَخرُج عنّي نَفَسِي فما أرى أنه يعود إليّ.

•

وقال عبد الله بن شدّاد: أرى داعي الموت لا يُقلِع، وأرى مَن مضى لا يَرجع، ومَن بَقي فإليه يَنزع.

وقال الحسن: ابنَ آدم، إنما أنتَ عدَد، فإذا مضى يومُك فقد مَضى بعضُك.

•

وقال أبو العتاهية:

النّـــاس في غَفَلاتِهم؛ ورَحى المَنيّة تَطحَنُ

•

وقال عمر بن عبد العزيز: مَن أكثرَ من ذِكر الموت اكتفى باليسير، ومَن عَلِم أنّ الكلامَ عملٌ قلَّ كلامُه إلا فيما يَنفع.

وكان أبو الدّرداء إذا رأى جنازة ، قال : اغدي فإنا رائحون ، أو روحي فإنا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلانٌ فجأة .

فقال : لو لم يَمُتْ فجأةً لَمَرِضَ فجأة ثم مات .

وقال يعقوب ، صلواتُ الله عليه ، للبَشير الذي أتاه بقَميص يوسف : ما أدري ما أثيبك به ، ولكن هَوّن الله عليك سكراتِ الموت .

•

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جَلستُ الى جَريرٍ وهو يُملي على كاتبه :

وَدّع أمامةَ حان منك رَحيلُ

ثم طلعت جِنازةٌ فأمسك وقال : شَيَّبَتْني هذه الجنائز .

قلت : فَلِم تسُبُّ الناس ؟

قال: يَبدَأونني ثم لا أعفو، وأعتدي ولا أبتدي، ثم أنشد يقول:

تُرَوّعنا الجنائزُ مُقبِلاتٍ ، فنلهُو حين تذهب مُدْبراتِ

كَرَوعة هَجمةٍ لمُغار سَبْعٍ ، فلما غابَ عادتْ راتعاتِ[١]

•

---

١ الهجمة من الابل : ما بين الأربعين أو السبعين الى المئة .

وقالوا : مَن جعل الموتَ بينَ عَينَيه لها عما في يَديه .

وقالوا: اتخذ نوحٌ بيتاً من خُصّ ؛ فقيل له: لو بَنيتَ ما هو أحسنُ من هذا ؟ قال : هذا كثيرٌ لمن يموت .

•

وأحكم بيتٍ قالتْه العربُ في وَصف الموت بيتُ أميّة بن أبي الصّلت ، حيث يقول :

يوشِكُ من فرّ من مَنيّته ، في بعض غِرّاته يُوافِقُها
من لم يمُتْ عَبطةً يَمُتْ هرَماً ، للموتُ كأسٌ، والمرءُ ذائقُها[1]

•

وقال أصبَغ بن الفرَج : كان بنَجْران عابدٌ يَصيح في كلّ يوم صَيحتين بهذه الأبيات :

قَطَعَ البقاءَ مَطالعُ الشمس ، وغُدوُّها من حيث لا تُمْسِي
وطلوعُهــا حمراءَ قانيةً ؛ وغُروبُها صفراءَ كالوَرْس
اليومُ يُخبِر ما يجيء به ، ومَضى بفضْل قَضائه أمس

•

---

١ عبطة : من دون علة .

وقال آخر :

زيّنتَ بيتك جاهلاً وعمَرتَه ، ولعلّ غيرك صاحبُ البيتِ
مَن كانت الأيامُ سائرةً بـه ، فكأنه قد حـلّ بالموت
والمرءُ مُرتهَن بسوف وليتني ، وهلاكُه في السّوف والليْتِ
لله درُّ فتى تَدبّرَ أمرَه ، فغَدا وراح مُبادِرَ الفَوت

•

وقال صريع الغواني :

كم رأينا من أناس هَلكوا ، قد بَكَوا أحبابَهم ثم بُكُوا
تركُوا الدُّنيا لمن بعدهمُ ، وُدُّهم لو قدّمُوا ما تركوا
كم رأينا من مُلوكٍ سُوقَة ؛ ورأينا سُوقةً قد ملَكوا

•

وقال الصّلتان العبْديّ :

أشابَ الصّغيرَ ، وأفنى الكبيـ رَ ، كرُّ الغَداة ، ومرُّ العَشِي
إذا ليلةٌ أهرمَتْ يومَـها ، أتى ، بعـدَ ذلك ، يومٌ فَتي
نَروح ونَغـــدو لحاجاتِنا ، وحاجةُ مَن عاش لا تَنقَضي
تَموت مع المرء حاجـاتُه ، وتَبقى له حاجةٌ مـا بَقي

•

وكان سُفيان بن عُيينة يَستحسن قولَ عَدِيّ بن زَيد :

أينَ أهلُ الديار من قوم نُوحٍ، ثم عادٌ، من بعدها، وثمودُ
بينما هُمْ على الأسِرّة والأنْـ ـماط، أفضت، الى التراب، الخدود
وصحيحٌ أمسى يعُودُ مريضاً، وهو أدنى للموت ممّن يَعُود
ثم لم ينقضِ الحديثُ، ولكنْ، بعـد ذا كلّه وذاك، الوعيد

•

وقال أبو العتاهية في وصف الموت :

كأنّ الأرض قد طُويت عليّا، وقد أخرجْتُ مما في يَديّا
كأن قد صرتُ منفرداً وحيداً ومُرتَهَناً هناك بما لَديّا
كأنّ الباكياتِ عليّ يوماً، ولا يُغني البُكاءُ عليّ شَيّا
ذكرتُ مَنِيّتي، فنعيتُ نفسي؛ ألا أسعِدْ أُخَيّك يا أُخَيّا

وقال :

ستَخلقُ جِدّةٌ وتجُود حالُ؛ وعِند الحقّ تُختَبَر الرّجالُ
وللدُّنيا ودائعُ في قلوبٍ، بها جَرَت القَطيعة والوصال
تَخَوّفُ ما لَعلّك لا تَراه، وترجُو ما لعلّك لا تَنال
وقد طَلع الهلالُ لِهَدم عُمري، وأفرحُ كلّما طَلع الهلال

وله أيضاً :

من يعشْ يكبرْ ومن يكبرْ يمتْ؛ والمنايا لا تُبالي من أتتْ
نحن في دار بَلاءٍ وأذى ، وشقاءٍ وعناءٍ وعَنَتْ
منزلٌ ما يَثبُتُ المرءُ به سالماً إلا قليلاً إن ثَبَتْ
أيها المَغرور ما هذا الصِّبا ؟ لو نَهيتَ النفسَ عنه لانتهتْ
رَحِمَ الله امرأً أنصَفَ مِن نفسه، إذ قال خيراً ، أو سكتْ

•

ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جُدتُ بين الأهل والولدِ ،
وكان منّيَ نحو الموت قَيْدَ يدِ [1]

والدَّمعُ يهمُلُ والأنفاسُ صاعِدةٌ ،
فالدَّمعُ في صَبَبٍ والنّفس في صُعُدِ

ذاكَ القضاءُ الذي لا شيءَ يَصرِفه ،
حتى يُفرّق بينَ الرُّوح والجسَدِ

ومن قولنا فيه :

أتلهو بين باطيةٍ وزيرٍ ، وأنت من الهلاك على شَفيرِ؟ [2]

---

١ جدت : أي بروحي .
٢ الباطية : من أواني الخمر . الزير : الدن .

فيا مَن غرّهُ أملٌ طويلٌ ، يؤدّيه الى أجلٍ قصير
أتفرحُ ، والمنيّةُ كلَّ يومٍ تُريكَ مكانَ قبرِك في القبورِ؟
هي الدُّنيا ، فإن سرّتكَ يوماً ، فإنّ الحُزنَ عاقبةُ السُّرور
ستُسلَبُ كلَّ ما جمّعتَ منها ، كعاريةٍ تُردُّ الى المُعير
وتَعتاضُ اليقينَ من التظنّي ، ودارَ الحقِّ من دارِ الغُرور

•

ولأبي العتاهية :

وليس مِن منزلٍ يأويه ذو نفَسٍ ،
إلا ولِلموتِ سيفٌ فيه مسلولُ

وله أيضاً :

ما أقربَ الموتَ منّا ! تجاوزَ اللهُ عنّا
كأنّه قد سقانا بكأسه ، حيثُ كُنّا

وله أيضاً :

أؤمّلُ أنْ أخلّدَ ، والمنايا يثِبنَ عليَّ من كلِّ النّواحي
وما أدري ، إذا أمسيتُ حيّاً ، لعلّي لا أعيشُ الى الصّباح

•

وقال الغزّال :

أصبحتُ ، والله ، مجهوداً على أملٍ ،
مِنَ الحياة ، قصيرٍ ، غيرِ ممتدِّ

وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه ،
إلا حَسِبْتُ فِراقي آخرَ العَهْدِ

انظُرْ إليَّ ، إذا أدرجْتُ في كَفَني ؛
وانظُرْ إليَّ ، إذا أدرجْت في اللَّحْدِ

واقعُدْ قليلا ، وعايِنْ مَنْ يُقيم معي
ممن يُشيِّعُ نَعْشي من ذَوي وُدّي

هَيهاتَ ! كلُّهُمُ في شأنِهِ لَعِبٌ ،
يَرمي الترابَ ويَحثُوه على خَدّي

•

وقال أبو العتاهية :

نَعى لكَ ، ظِلَّ الشَّباب ، المشيبُ ،
ونادتْكَ باسمٍ سواكَ الخُطوبُ

فكُنْ مُستَعِداً لرَيْب المَنُون ،
فإنَّ الذي هو آتٍ قريب

وقَبْلَكَ داوى الطبيبُ المريضَ ،
فعاش المريضُ ، ومات الطَّبيب

يَخافُ على نَفْسِه مَن يَتُوبُ،
فكَيْفَ تَرى حالَ من لا يَتُوبُ؟

وله أيضاً :

أخيَّ ادّخرْ، مهما استطعْـ ـتَ ليومِ بؤسِكَ وافتقارِكْ
فلتَنزِلَنَّ بمنزِلٍ، تَحتاجُ فيه الى ادّخارِكْ

•

وقال أبو الأسود الدُّؤليّ :

أيُّها الآمِلُ ما ليسَ لَه! ربّما غَرّ سَفيهاً أمَلُهْ
رُبَّ من باتَ يُمَنّي نفسَه، حالَ مِن دونِ مُناه أجَلُهْ
والفتى المُحتالُ فيما نابَه، ربّما ضاقَت عليه حِيَلُهْ
قُلْ لمن مَثَّلَ في أشعارِه: يَهلِكُ المرءُ، ويَبقى مثَلُهْ
نافِسِ المُحسِنَ في إحسانِهِ، فسيَكفيكَ سَناءً عَمَلُهْ

•

وقال عديّ بن زيد العِباديّ :

أينَ كِسرى، كِسرى الملوكِ أنوشِروانَ،
أمْ أيْنَ قَبْلَه سابورُ؟

وبَنُو الأصفرِ الكِرامِ، مُلوكُ الرُّومِ،
لم يَبْقَ منهمُ مَذكُورُ

وأخُو الحَضْرِ، إذ بَناه، وإذ دِجلةُ
تُجْبَى إليـه والخابُورُ[1]

شادَهُ مَرْمَراً وجلَّلَـه كِلْساً،
فللطَّـيرِ في ذُراه وُكُورُ

لم يَهَبْه رَيْبُ المَنونِ فبانَ المُلكُ
عنـه، فَبابُـهُ مَهْجُور

وتبيَّن رَبُّ الخَوَرنق إذ أشرَفَ
يوماً وللهُدى تفكـير[2]

سَرَّهُ مالُه، وكَثرةُ ما يَملِكُ،
والبحرُ مُعرِضـاً والسَّدِيرُ[3]

فارْعَوى قلبُه، وقـال: فما غِبْطة
حيٍّ الى المَمـات يَصيرُ؟

---

١ الحضر: حصن عظيم كان على شاطىء الفرات، قالوا بناه ساطرون من أجداد النعمان بن المنذر. الخابور: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.

٢ الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة، بناه النعمان بن امرىء القيس، وكان من أشد الملوك بأساً ثم زهد وفر هارباً الى الفلوات والجبال.

٣ السدير: قصر بالحيرة أيضاً من منازل آل المنذر.

ثم بعد الفَلاح والمُلك والنّعمة
وارَتْهُمُ، هناك، القُبُور

ثم صاروا، كأنّهُم وَرَقٌ جفّ،
فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبور

•

وقال حُرَيْث بن جَبلة العُذري:

يا قلبُ إنّكَ في الأحياء مَغرورُ،
فاذكُرْ، وهل يَنفَعَنْكَ اليوم تذكيرُ

حتى متى أنتَ فيها مُدنَفٌ وَلِهٌ،
لا يَستَفِزّنّكَ منها البُدّن الحُورُ[1]

قد بُحتَ بالجَهْلِ لا تُخفيه عن أحَد،
حتى جَرتْ بك أطلاقاً محاضيرُ[2]

تُريد أمراً، فما تدري أعاجِلُه
خيرٌ لِنَفْسِك، أم ما فيه تأخيرُ

فاستقدِرِ اللهَ خيراً وارضَيَنّ به،
فبينما العُسْرُ إذ دارتْ مَياسيرُ[3]

---

١ البدن، واحدتها بدينة: السمينات.
٢ الأطلاق، واحدها طلق: الشوط. المحاضير من الخيل: الشديدة العدو.
٣ استقدر الله: اطلب منه أن يقدر لك.

وبينا المرءُ في الأحيــاء مُغتبطٌ،
إذ صار في الرَّمس تَعفُوهُ الأعاصير

حتى كأن لم يَكُنْ إلاَّ توهمه،
والدَّهر في كلّ حالَيْه دَهــارير[1]

يَبكي الغريبُ عليه، ليس يَعرفُهُ،
وذو قرابتــه في الحيّ مسرور

فذاك آخرُ عَهْدٍ من أخيك إذا
ما ضَمَّنَت، شِلْوَهُ اللَّحْدَ، المحافير[2]

•

---

١ دهر دهارير : شديد .

٢ المحافير ، واحدها محفار ، ومحفر : آلة الحفر .

قولهم في الطاعون

قال أبو عُبيدة بن الجرّاح لعمر بن الخطّاب، رضوانُ الله عليه، لمّا بلغه أنّ الطاعونَ وَقَعَ في الشام فانصرف بالناس : أفراراً من قَدَرِ الله يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة ، نعم نَفِرُّ من قَدَرِ الله الى قَدَرِ الله ، أرأيت لو أنّ لك إبلاً هَبَطَتْ بها وادياً له جِهتان إحداهما خَصيبة والأخرى جَديبة ، أليس لو رعيتَ الخصيبة رعيتَها بقَدَرِ الله، ولو رعيتَ الجديبة رعيتَها بقدَرِ الله ؟

وكان عبدُ الرحمن بن عَوْف غائباً فأقبل،فقال: عِندي في هذا عِلمٌ سمعتُه من رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، قال : إذا سمعتم به في أرض فلا تَقْدَموا عليها ، وإذا وَقع في أرض، وأنتم بها ، فلا تَخرُجوا فِراراً منه .

فَحَمِدَ اللهَ عُمر ثم انصرَفَ بالناس .

•

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرّ من الطاعون : يا أميرَ المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : « قُل لَنْ يَنفعَكم الفِرارُ إن فَرَرْتُم من المَوْتِ أو القَتل وإذاً لا تُمَتَّعُون إلاّ قليلاً . »

قال : ذاكَ القليلَ تَطْلُبُ .

•

العُتْبيّ قال : وَقع الطاعونُ بالكُوفة ، فخرج صَديق لشُرَيح إلى النَّجَف ، فكتب إليه شُرَيح : أما بعد ، فإن المَوْضع الذي هرَبْتَ منه لم يَسُق إلى أجلك تمامه ، ولم يَسْلُبْه أيامه ؛ وإنّ الموضع الذي صِرت إليه لَبِعَيْنِ مَنْ لا يُعجزه طَلبٌ ولا يَفوتُه هرَب ؛ وأنا وإيّاك على بِساط مَلِك ، وإنّ النَّجَف من ذي قُدْرةٍ لَقَريب .

•

لما وقع الطاعون الجارفُ أطاف الناسُ بالحَسن ، فقال : ما أحسنَ ما صَنع بكم ربُّكم ، أقْلَع مُذنِبٌ وأنفق مُمْسك .

•

وخرج أعرابيّ هارباً من الطاعون فلدغَتْه أفعى في طريقه فمات ، فقال أخوه يَرْثيه[1] :

طافَ يَبْغي نَجْوَةً　　من هَلاكٍ ، فَهَلَكْ
لَيْتَ شِعْري، ضَلّةً ،　　أيُّ شيءٍ قتَلَك
أجُحافٌ سائلٌ　　من جِبالٍ حَمَلَك؟[2]

١ تروى هذه الابيات لأم السليك بن السلكة .
٢ الجحاف : السيل .

والمنايا راصداتٌ ، للفتى حيثُ سلك
كلُّ شيءٍ قاتلٌ ، حين تلقى أجلك

•

حُكيَ أنّ ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات ، فقطع الحسنَ بن وَهْب عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيّات ، فكتب اليه الحسن :

يوضح العذرَ ، في تراخي اللقاءِ ، ما توالى مِن هذه الأنواءِ
فسَلامُ الإله أهديه منّي ، كلَّ يــوم ، لسيّد الوزراءِ
لستُ أدري ماذا أذمُّ وأشكو من سماءٍ تعوقني عن سماءِ ؟
غيرَ أني أدعو لهاتيك بالثُّكْل ، وأدعـو لهذه بالبقـاءِ

•

اتصل بأحمد بن أبي دُواد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون بيتاً ، فقال :

أحسنُ من تسعينَ بيتاً ، سدًى ، جَمْعُكَ معناهنَّ في بيتِ
ما أحوجَ الناسَ الى مَطْرةٍ ، تُزيلُ عنهم وضَرَ الزّيتِ

فبلغ قوله محمداً فقال :

يأيّها المأفونُ رأياً ، لقد عرّضْتَ لي نفسَكَ للموتِ

فَبَيَّرتُم المُلْكَ، فلم نُنْقِهِ،   حتى قلَعنا القارَ بالزَّيت

الزَّيتُ لا يُزري بأحسابِنا؛   أحسابُنا مَعروفـةُ البَيْت

•

وقيل لابن أبي دواد: لِمَ لا تسأل حوائجك الخليفةَ بحضرة محمد بن عبد الملك؟ فقال: لا أحب أن أعلِمَه شأني.

وقد حدّث أبو القاسم جعفَر أن محمداً الحَسَنيّ قال: أخبرنا محمد بن زكريا الغلابيّ، قال: حدثنا محمد بن نجيع النُّوبَختي، قال: حدثنا يحيى أن سليمان قال: حدثني أبي، وكان ممن لَحِق الصحابة، قال: دخلتُ الكوفة فإذا أنا برجل يُحدّث الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: بكر بن الطِّرِمّاح، فسمعته يقول: سمعتُ زَيد بن حُسين يقول: لمّا قُتِل أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، عليه السلام، أتى بنَعْيِه الى المدينة كُلثوم بن عَمرو، فكانت تلك الساعة التي أُتي فيها بنَعيه أشْبَه بالساعة التي قُبِضَ فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من باكٍ وباكية، وصارخٍ وصارخةٍ، حتى إذا هَدأت عَبْرَة البُكاء عن الناس، قال أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: تعالوا حتى نَذهَبَ الى عائشة زوجِ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فنَنْظُرَ حُزْنَها على ابن عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

فقام الناسُ جميعاً حتى أتَوا منزلَ عائشة، رضي الله عنها،

فاستأذنوا عليها فوجدوا الخبرَ قد سبَق اليها ، وإذا هي في غَمْرَةِ الأحزان وعَبرَةِ الأشجان ، ما تَفتُر عن البُكاء والنَّحيب منذُ وقتِ سَمِعَتْ بخبره . فلما نَظَر الناسُ الى ذلك منها انصرفوا .

فلما كان من غدٍ قيل إنها غدَت الى قبرِ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، فلم يَبْقَ في المَسجد أحدٌ من المهاجرين إلا استَقبلها يُسلّم عليها ، وهي لا تُسلّم ولا تَرُدّ ولا تُطيق الكلامَ من غزارة الدَّمعة ، وغَمْرة العَبْرة ، تتخنّق بعَبرتها ، وتتعثّر في أثوابها ، والناسُ من خلْفها ، حتى أتت الى الحُجرة ، فأخذت بعِضادة الباب ثم قالت : السلامُ عليك يا نبيَّ الهدى ، السلامُ عليك يا أبا القاسم ، السلامُ عليك يا رسولَ الله وعلى صاحبَيك .

يا رسول الله ، أنا ناعيةٌ إليك أحظى أحبابك ، ذاكرةٌ لك أكرمَ أوِدّائك عليك . قُتل والله حبيبُك المُجتَبى ، وصفيُّك المُرتَضى . قُتل والله مَن زوّجته خيرَ النّساء . قُتِل والله من آمَن ووَفّى ، وإني لنادِبة ثَكلى ، وعليه باكيةٌ حَرّى . فلو كُشِف عنك الثّرى لقلتَ : إنّه قُتل أكرمهم عليك وأحظاهم لديك . ولو قُدّر أن نَتَجنّب العِداء ما كان ، ما تَعرّضت له منذُ اليوم ، والله يُجْري الأمور على السّداد .

•

قال المبرّد : عزّى أحمدُ بن يوسف الكاتب ولدَ الرَّبيع ، فقال : عُظّم أجركم ، ورحم الله فقيدكم ، وجعل لكم من وَراء مُصيبتكم حالاً تجمعُ شَمْلكم ، وتَلُمُّ شَعَثَكم ، ولا تُفرّق مَلأكم .

وقيل لأعرابية مات لها بَنُون عِدّة : ما فعل بنوك ؟

قالت : أكلَهم دهرٌ لا يَشبع .

وعزّى رجل الرشيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك .

•

ومما رُوي أن عبد الله بن عبّاس ، رضي الله عنهما ، نُعيت إليه ابنتُه وهو في السفَر ، فاسترجع[1] ، ثم قال : عَورةٌ سترَها الله ، ومَؤونة كفاها الله ، وأجرٌ ساقَه الله .

وقال أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما : لمّا عُزّي رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بابنته رُقيّة ، قال : الحمد لله ، دَفْن البنات من المكرُمات . وفي رواية : من المكرمات دفن البنات .

وقال الغزّال : ماتت ابنة لبعض مُلوك كِنْدة ، فوَضَع

---

١ استرجع : قال : انا لله وانا اليه راجعون .

بين يديه بَدْرَةً من الذهب وقال : مَن أبلغَ في التّعزية فهي له . فدخل عليه أعرابيٌّ ، فقال : أعظم الله أجرَ الملك ، كُفِيتَ المؤونة ، وسُتِرتَ العَورة ، ونِعْمَ الصّهْر القبْر .

فقال له الملك : أبلغْتَ وأوجَزْتَ ؛ وأعْطاهُ البَدْرة .

•

من أحب الموت ومن كرهه

في بعض الأحاديث: لا يَتمَنَّى أحدُكم الموتَ ، فعسى أن يكون محسناً فيزداد في إحسانه ، أو يكون مُسيئاً فينزِع عن إساءَته .

وقد جاء في الحديث: يقولُ الله، تَبارك وتعالى : إذا أحبَّ عَبْدي لِقائي أحْبَبْتُ لِقاءه ، وإذا كَرِه لقائي كَرِهْتُ لقاءه . وليس معنى هذا الحديث حُبَّ المَوتِ وكَراهِيَتَه ، ولكن مَعناه : من أحبَّ الله أحبَّه الله ، ومن كَرِه الله كَرِهَه الله .

•

وقال أبو هُرَيرة: كَرِه الناسُ ثلاثاً وأحْبَبْتهنّ: كَرِهوا المَرَض وأحببْتُه ، وكَرِهوا الفقرَ وأحببْتُه ، وكَرِهوا الموت وأحببْتُه .

عبد الأعلى بن حمّاد قال : دَخَلْنا على بِشْر بن مَنصور ، وهو في المَوت ، وإذا هو من السُّرور في أمرٍ عَظيم . فقلنا له : ما هذا السُّرور ؟

قال : سُبْحان الله ! أخرُج من بين الظّالمين والحاسدين والمُغتابين والباغِين ، وأقدَم على أرْحَم الرّاحمين ولا أُسَرّ!

•

ودخل الوليدُ بن عبد الملك المسجدَ ، فَخَرج كلُّ من كان فيه إلاّ شيخاً قد حَناه الكِبَر ، فأرادوا أن يُخرِجوه، فأشار اليهم أن دَعُوا الشيخ ؛ ثم مضى حتى وقَف عليه ، فقال له : يا شيخُ ، تُحبُّ الموت ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، ذهَبَ الشبابُ وشرُّه وأتى الكِبَرُ وخيرُه ،فإذا قمتُ حمِدتُ الله، وإذا قعدتُ ذَكرتُه، فأنا أحِب أن تدوم لي هاتان الخَلّتان .

قال عبدُ الله بن عمر : جاء رجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما لي لا أُحِبُّ الموت ؟

قال : هل لك مال ؟

قال : نعم .

قال : فقدّمه بين يديك .

قال : لا أُطِيق ذلك .

فقال النبيُّ ، عليه الصلاة والسلام : إن المرء مع ماله ، إن قدّمه أحبَّ أن يَلحَقَه ، وإنْ أخّره أحبَّ أن يتخلّف معه .

•

وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تُشَجِّعني هِندٌ ، فقلتُ لها :
إن الشَّجاعةَ مقرونٌ بها العَطبُ

لا ، والذي مَنعَ الأبْصارَ رُؤيَتَه ،
ما يَشْتَهي الموتَ عندي من له أدَبُ

•

وقالت الحكماء : الموت كريهٌ .

وقالوا: أشدُّ من الموت ما إذا نزلَ بك أحببتَ له الموت، وأطيبُ من العَيش ما إذا فارقتَه أبغضتَ له العَيش .

•

التهجد

المُغيرة بن شُعْبة قال : قام النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، حتى وَرِمَت قدماه .

وقيل للحَسَن : ما بال المُتهجّدين أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : إنّهم خلَوا بالرّحمن فأسفر نورُهم من نورِه .

وكان بعضهم يصلّي الليلَ حتى إذا نظرَ الى الفَجْر قال : عند الصَّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى .

وقالوا : الشّتاءُ ربيعُ المؤمنين ، يطولُ ليلُهم للقيام ، ويَقْصُر نهارُهم للصيام .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : أطعِموا الطّعام وأفشُوا السلامَ وصَلّوا بالليل والناسُ نِيام .

وقال الله، تبارك وتعالى: « وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرون. » وهذا يُوافق الحديثَ الذي رَواه أبو هُريرة عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : إن اللهَ ، تبارك وتعالى ، يَنزل الى سماءِ الدُّنيا في الثّلث الأخير من اللّيل فيقول : هل من سائلٍ فأعطيَه ؟ هل

من داعٍ فأستجيبَ له ؟ هل من مُستَغفِرٍ فأغفرَ له ؟ هل من مُستَغيث فأغيثَه ؟

أبو عَوانة عن المُغيرة قال : قلتُ لابراهيم النَّخَعي : ما تقولُ في الرَّجل يرى الضَّوءَ باللَّيل ؟

قال : هو من الشيطان ، لو كان خيراً لأريَه أهلَ بَدْر .

•

البكاء من خشية الله عز وجل

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : حَرَّم الله على النار كلَّ عَين تبكي من خَشْيَة الله ، وكلَّ عَينٍ غَضّت عن محارم الله .

وكان يزيد الرَّقاشي قد بكى حتى سقطت أشفارُ عينيه .

وقيل لغالب بن عبد الله : أما تخاف على عَيْنيك من العَمى من طُول البكاء ؟

فقال : شِفاءَهما أريد .

وقيل ليزيدَ بن مَزْيد : ما بالُ عَيْنك لا تَجِفّ ؟

قال : أيْ أخي ، إن الله أوعَدَني إن عَصَيْتُه أن يَحبسَني في النار ، ولو أوعدني أن يَحبسني في الحمّام لكنتُ حَرِيّاً أن لا تَجِفّ عيني .

•

وقال عمر بن ذَرّ لأبيه : ما لَكَ إذا تكلّمتَ أبكَيْتَ الناسَ ، فإذا تكلّم غيرُك لم يُبكِهم ؟

قال : يا بُنيّ ، ليست النائحة الثَّكلى مثلَ النائحة المستأجَرَة .

وقال الله لنبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لي من قلبك الخُشوع ، ومن عَينَيك الدُّموع ، ثم ادْعُني أستَجِب لك .

ومن قولنا في البكاء من خشية الله تعالى :

مدامعٌ قد خدّدت في الخدودْ ... وأعينٌ مكحولة بالهُجُودْ[1]

ومعشرٌ أوعدهم رَبُّهم ، ... فبادَروا خشيةَ ذاك الوعيدْ

فهُم عُكُوفٌ في محاريبهم ، ... يبكون من خوف عقاب المَجيد

قد كاد أن يُعشب ، من دمعهم ، ... ما قابلتْ أعيُنُهم في السُّجود

•

وقال قيسُ بن الأصم في هذا المعنى :

صلّى الإله على قومٍ شهدتُهُمُ ،
كانوا ، إذا ذكَروا ، أو ذُكّروا ، شهِقوا

كانوا ، إذا ذكَروا نارَ الجحيم بكَوا ؛
وإن تَلا بعضُهم تخويفَها صُعِقوا

من غير همزٍ من الشيطان يأخذُهم ،
عند التلاوة ، إلا الخوفُ والشفقُ

صَرعى من الحُزن ، قد سجّوا ثيابَهمُ ،
بقيّةُ الرُّوح في أوداجهم رَمَق

حتى تخالهم ، لو كنت شاهدَهم ،
من شدّة الخوفِ والاشفاق ، قد زهِقوا

---

[1] الهجود هنا : السهر .

النهي عن كثرة الضحك

في الحديث المرفوع : كَثْرَةُ الضَّحك تُميت القلب وتُذهِب بهاء المُؤمن .

وفيه : لو علمتُمْ لَبَكَيْتُم كثيراً وضَحِكتُم قليلاً .

وفيه : إنّ الله يَكره لكم العَبَث في الصلاة والرّفَث في الصّيام والضَّحِك في الجنائز .

•

ومرّ الحسنُ بقوم يَضحكون في شَهر رَمَضان ، فقال : يا قوم ، إنّ الله جعل رمضان مِضْماراً لِخَلقِه يَتسابقون فيه الى رَحمَتِه ، فسَبَق أقوامٌ ففازوا ، وتخلّف أقوامٌ فخابوا ، فالعَجَب من الضاحِكِ اللاّهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المتخلّفون ؛ أما واللهِ لو كُشِف الغِطاء لَشَغَلَ مُحسناً إحسانُه ومُسيئاً إساءتُه .

ونظر عبدُ الله الى رجل يضحك مُستَغرِقاً ، فقال له : أتضحك ولعلّ أكفانَك قد أُخِذَت من عند القَصّار ؟

وقال الشاعر :

وكم مِن فتًى يُمسي ويُصبح آمِناً ،
وقد نُسِجَتْ أكفانُه ، وهو لايَدْري

النهي عن خدمة السلطان

واتيان الملوك

لقي أبو جعفر سُفيانَ الثوريّ في الطواف، فقال : ما الذي يَمنعك أبا عبد الله أن تأتينا ؟

قال : إن الله نهانا عنكم فقال : « وَلا تَرْكَنُوا الى الذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكم النار . »

وقدِم هِشامُ بن عبد الملك المدينةَ لزِيارة القَبر ، فدخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : ما يمنعك أبا حازم أن تأتينا ؟

فقال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ، إن أدْنيتني فَتَنْتَني، وإن أقصيتني أخزَيتني، وليس عندي ما أخافك عليه ، ولا عندك ما أرجوك له .

•

قال عمرُ بنُ الخطّاب، رضي الله عنه: مَن دخل على المُلوك خَرج وهو ساخِطٌ على الله .

أرسل أبو جعفر الى سُفيانَ ، فلما دَخل عليه قال : سَلْني حاجتَك أبا عبد الله .

قال : وتَقْضيها يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم .

قال : فإن حاجتي إليك أن لا تُرسل إليّ حتى آتيك ، ولا تُعطيني شيئاً حتى أسألك .

ثم خرج . فقال أبو جعفر : أَلْقينا الحَبَّ الى العُلماء فلَقَطوا إلا ما كان من سُفيان الثَّوري ، فإنه أعيانا فِراراً .

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: الدُّخولُ على الأغنياء فِتْنةٌ للفُقراء .

•

وقال زيادٌ لأصحابه : مَن أغبطُ الناس عيشاً ؟

قالوا : الأميرُ وأصحابه .

قال : كلاّ ، إنّ لِأعْواد المِنْبر لَهَيْبةً ، ولِقَرع لِجام البريد لَفَزعة ، ولكنّ أغبطَ الناس عيشاً رجلٌ له دار يسكُنُها ، وزوجَة صالحة يأوي إليها في كَفافٍ من عَيْش ، لا يَعْرِفنا ولا نَعْرِفه ، فإن عَرَفنا وعَرفناه أفسَدْنا عليه آخرته ودُنياه .

•

وقال الشاعر :

إنّ المُلوك بلاءٌ حيثما حلّوا ،
فلا يَكُن لك في أكنافِهم ظِلُّ

ماذا تُريد بقوم ، إن هُمُ غَضِبُوا
جارُوا عليك ، وإن أرضَيْتَهم مَلُّوا؟

فاستَغْنِ بالله عن إتيانهم أبداً ،
إنّ الوقوف ، على أبوابهم ، ذُلُّ

•

وقال آخر :

لا تَصْحَبَنَّ ذوي السُّلطان في عَملٍ ،
تُصْبِحْ عَلى وَجَلٍ تُمْسي عَلى وَجَلِ

كُلِ التراب َ ، ولا تَعْمل لهم عملاً ،
فالشرُّ أجْمَعُه في ذلك العَمَل

•

وفي كتاب كليلة ودِمْنة : صاحبُ السلطان مثلُ راكب الأسد لا يَدْري متى يَهيجُ به فيَقْتُله .

•

دخل مالكُ بنُ دِينار على رَجُل في السِّجن يَزوره ، فنظر الى رجل جُنديّ قد اتكأ ، في رِجلَيه كُبُول[1] قد قرَنت بين

---

[1] الكبول : القيود ، الواحد : كبل .

ساقيه ، وقد أتي بسفرة كثيرة الألوان، فدعا مالكَ بنَ دينار الى طعامه ؛ فقال له : أخشى إن أكلتُ من طعامك هذا أن يُطرح في رجليّ مثلُ كبولك هذه .

•

وفي كتابِ الهند: السلطانُ مثلُ النار ، إن تباعدتَ عنها احتجتَ اليها ، وإن دنوتَ منها أحرقتك .

•

أيوب السَّختياني قال: طُلب أبو قلابة لقضاء البصْرة فهَرب منها الى الشام ، فأقامَ حيناً ثم رَجع . قال أيوب : فقلتُ له: لو وَليتَ القضاء وعدلْتَ كان لك أجران .

فقال: يا أيّوب ، إذا وقع السابحُ في البحر كَم عسى أنْ يَسْبح ؟

•

وقال بَقيّة: قال لي إبراهيم: يا بقيّة ، كن ذنَباً ولا تكن رأساً ، فإنّ الرأسَ يهلك والذَّنب ينجو .

•

ومن قولنا في خِدمة السلطان وصُحبته :

تجنَّبْ لِباسَ الخزّ، إنْ كُنتَ عاقلاً،
وَلا تَختَتِمْ يوماً بفَصِّ زَبَرْجَدِ

ولا تَتَطَيَّب بالغَوالي تَعَطُّـراً،
وتَسْحَبَ أذْيالَ المُلاءِ المعَضَّد[1]

ولا تَتَخَيَّرْ صَيِّتَ النَّعْلِ زاهِياً؛
ولا تَتَصَدَّرْ في الفِراشِ المُمَهَّد[2]

وكُنْ هَمَلاً في الناس أغْبَرَ شاعثاً،
تَروحُ وتَغْدو في إزارٍ وبُرْجُد[3]

يَرى جِلدَ كَبْشٍ، تحتَهُ، كلما استوى
عليْه، سريراً فَوقَ صَرْحٍ مُمَرَّد[4]

ولا تَطْمَحِ العينان منك الى امرىءٍ،
له سَطَواتٌ باللِّسان، وباليَـد

تَراءتْ له الدُّنيا بزِبْرِجِ عَيْشِها،
وقادَتْ له الأطماع من غيرِ مِقْوَد[5]

فأسْمَنَ كَشْحَيْه، وأهْزلَ دِينَه،
ولم يَرْتَقِب في اليوم عاقبةَ الغد

---

١ المعضد من الثياب : الذي له علم في موضع العضد .
٢ الصيت : ذو الصوت لجدته .
٣ البرجد : كساء غليظ .
٤ الممرد : المسوى ، المملس .
٥ الزبرج : الزينة من وشي ونحوه .

فيوماً تراهُ تحتَ سَوْطٍ مُجَرَّداً،
ويوماً تَراه فوق سَرْجٍ مُنَضَّـد

فَيُرْحَمُ تاراتٍ ، ويُحْسَدُ تارةً،
فـذا شرُّ مَرْحوم وشَرُّ مُحَسَّد

•

القول في الملوك

الأصمعيّ قال : بَلغني أنّ الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسيرُ الجُوع، صريع الشِّبَع، إنّ قوماً لبِسوا هذه المَطارف العتاق، والعمائم الرّقاق، ووسّعوا دُورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وأهزلوا دِينَهم، يَتّكيء أحدُهم على شِماله، ويأكل مِن غير ماله ، فإذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية ، هاتي هاضُومَك ، ويلك ! وهل تَهْضِم إلا دِينَك ؟

•

يحيى بنُ يحيى قال : جَلس مالكٌ يوماً فأطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسَه فقال : يا حَسْرةً على المُلوك ، لأنهم تَركوا في نَعيم دُنياهم ، وماتوا قبل أن يَمُوتوا حُزناً على ما خلّفوا ، وجزَعاً مما استقبلوا .

•

وقال الحسن ، وذُكِر عنده الملوك : أما إنّهم وإنْ هَمْلَجتْ[1] بهم البِغال ، وأطافت بهم الرّجال ، وتعاقبت لهم

---

[1] هملجت : مشت مشية سهلة في سرعة .

الأموال، إنّ ذُلّ المَعْصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه .

•

الأصمعيُّ قال : خَطَب عبدُ الله بن الحسَن على مِنْبر البَصرة فأنشد على المِنبر :

أينَ المُلوك التي عَن حَظّها غفِلت ،
حتى سَقاها، بِكأس المَوْت، ساقيها ؟

•

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبيُّ، صلّى الله عليه وسلّم: المُؤمن كالخامَةِ[1] من الزَّرع تَميل بها الرِّيح مرة كذا ومرة كذا، والكافر كالأَرْزة المُجْذِيَة[2] حتى يكون انجعافُها[3] مرّةً.

ومعنى هذا الحديث: تردُّد الرزايا على المؤمن وتجافيها عن الكافر ليزداد إثماً.

وقال وَهْب بنُ مُنَبِّه: قرأتُ في بعض الكُتُب: إني لأذودُ عبادي المخْلصين عن نَعيم الدُّنيا كما يذُود الرَّاعي الشَّفيقُ إبلَه عن مَوارد الهَلَكة.

وقال الفُضَيل بن عِياض: ألا تَرَوْنَ كيف يَزْوِي الله الدنيا عمن يُحب من خَلْقه ويُمَرْمِرها[4] عليه مرّةً بالجوع ومرّةً بالعُري ومرّةً بالحاجة، كما تصنع الأمّ الشّفيقة بولدها، تَفْطِمه

---

[1] الخامة: الغضة.

[2] المجذية: الثابتة.

[3] انجعافها: انقلاعها.

[4] يمرمرها: يميزها ويعديها.

بالصَّبر مرّة، وبالحُضَض[1] مرّة، وإنما تريد بذلك ما هو خيرٌ له.

•

وفي الحديث: إن النبي، صلّى الله عليه وسلّم، قال: أخبرني جبريل عن الله، تبارك وتعالى، أنه قال: ما ابتليتُ عَبْدي ببليّة في نفسه أو ماله أو ولده فتلقّاها بصَبر جميل إلاّ استحييت يوم القيامة أن أرفَع له ميزاناً أو أنشر له ديواناً.

•

[1] الحضض: عصارة نبات مر.

كتمان البلاء اذا نزل

قال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : من ابتُلي ببَلاء فكتَمَه ثلاثة أيام صبراً واحتساباً كان له أجرُ شهيد .

•

وسمِع الفُضَيل بن عياض رجلاً يشكو بلاءً نزَل به ، فقال : يا هذا ، تشكو مَن يرحَمُك الى مَن لا يَرحمك !

وقال: مَن شكا مُصيبةً نزَلت به فكأنما شكا ربَّه .

•

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة يرْثي أخاه عبد الله بن الصِّمَّة :

قليلَ التَّشكّي للمصائب ، ذاكراً،
من اليوم ، أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

•

وقال تأبَّطَ شرّاً :

قليلَ التشكّي للمُلِمّ يُصيبه ،
كثيرَ النَّوى، شتّى الهوى والمسالكِ

•

الشَّيباني قال : أخبرني صديقٌ لي قال : سَمِعَني شُريح وأنا

أشتكي بعض ما غمّني الى صديق لي ، فأخذ بيدي وقال : يابن أخي ، إياك والشكوى الى غير الله ، فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدوّاً ، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدوّ فيشمت بك .

انظرُ الى عيني هذه ، وأشار الى إحدى عينيه ، فوالله ما أبصرتُ بها شخصاً ولا طريقاً منذُ خمسَ عشرةَ سنة ، وما أخبرتُ بها أحداً الى هذه الغاية ، أما سمعت قول العبد الصالح : « إنما أشكو بثّي وحزني الى الله » ? فاجعله مشكاك ومفزعك عند كل نائبة تنوبك ، فإنه أكرمُ مسؤول ، وأقربُ مدعوٍّ إليك .

•

كتب عقيل الى أخيه عليّ بن أبي طالب ، رضوانُ الله عليهما ، يسألهُ عن حاله ، فكتب إليه :

فإن تسألني كيف أنت ، فإنني
جليدٌ على ريبِ الزّمان ، صليبُ
عزيزٌ عليّ أنْ ترى بي كآبةٌ ،
فيفرحَ واشٍ ، أو يُساءَ حبيب

•

وكان ابن شُبْرُمة إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سَحابة صَيْف عن قليل تَقَشَّع .

•

وكان يُقال : أرْبع من كنُوز الجنّة : كِتمان المُصيبة ، وكِتمان الصَّدقة ، وكِتمان الفاقة ، وكِتمان الوجَع .

•

القناعة

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمناً في سِرْبه مُعافىً في بَدنه عنده قوتُ يومه كان كمن حِيزَتْ له الدُّنيا بحذافيرها .

السَّرب : المَسْلَك ؛ يقال : فلان واسع السَّرب ، يعني المسلك والمذهب .

•

وقال قيس بن عاصم : يا بَنيّ ، عليكم بحِفظ المال فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم ، ويُستَغْنى به عن اللئيم . وإياكم والمسألةَ ، فإنها آخر كَسْب الرَّجُل .

•

وقال سعد بن أبي وقّاص لابنه : يا بُنيّ ، إذا طلبتَ الغِنى فاطْلُبهُ بالقَناعة ، فإنها مالٌ لا يَنفَد ؛ وإياك والطمعَ ، فإنه فَقر حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لا تيأس من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه .

•

وقالوا : الغَنيُّ من استغنى بالله ، والفقيرُ من افتقر الى الناس .

•

وقالوا : لا غنى إلا غنى النّفس .

•

وقيل لأبي حازم : ما مالُك ؟

قال : مالان ، الغِنى بما في يدي عن الناس ، واليأسُ عما في أيدي الناس .

•

وقيل لآخر : ما مالُك ؟

فقال : التجمُّل في الظاهر ، والقَصْد في الباطن .

•

وقال آخر :

لا بُدَّ ممّـا ليس منه بـدُّ ، اليأسُ حرٌّ والرجاءُ عَبْدُ
وليس يُغْني الكَدُّ إلا الجَدُّ

•

وقالوا : ثمرةُ القناعة الرّاحة ، وثمرةُ الحِرْص التعب .

•

وقال البحتري :

إذا ما كان عندي قُوتُ يومٍ ، طَرَحْتُ الهمَّ عنّي، يا سعيدُ
ولم تَخْطُرْ هُمومُ غدٍ ببالي ، لأنَّ غداً له رِزْقٌ جديد

•

وقال عُروة بن أُذَيْنة :

وقد عَلِمتُ ، وخيرُ القولِ أصدقُه ،
بأنّ رِزقي ، وإنْ لم يَأتِ ، يأتيني

أسعى اليه فيُعيِيني تَطَلُّبه ،
ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنّيني

•

ووفد عُروة بن أُذَيْنة على عبد الملك بن مَروان في رجال من أهل المدينة ، فقال له عبد الملك : ألستَ القائلَ يا عُروةَ:

أسعى اليه فيُعْيِيني تَطلُّبه؟

فما أراك إلا قد سعيتَ له .

فخرج عنه عُروة وشخص من فَورِه الى المدينة . فافتقده عبدُ الملك، فقيل له: توجّه الى المدينة؛ فبَعث اليه بألف دينار. فلما أتاه الرسول قال: قل لأمير المؤمنين: الأمرُ على ما قلت، قد سَعيتُ له فأعياني تطلُّبه ، وقعدتُ عنه فأتاني لا يُعنّيني.

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنّ رُوح القُدس نفثَ في رُوعِي أنّ نفساً لن تموت حتى تستوفي رِزقَها، فاتّقوا اللهَ وأجمِلوا في الطّلب .

•

وقال تعالى فيما حكي عن لقمان الحكيم: «يا بُنيَّ إنّها إن تَكُ مِثْقالَ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فتكُنْ في صخْرَةٍ أوْ في السَّمَوَاتِ أوْ في الأرْضِ يَأتِ بها اللهُ إنّ اللهَ لطيفٌ خبيرٌ.»

•

وقال الحسن: ابنَ آدمَ، لستَ بسابقٍ أجَلك، ولا ببالغ أمَلك، ولا مَغلوبٍ على رِزقِكَ، ولا بمرزوق ما ليس لك، فعلامَ تَقْتل نفسَك؟

•

وقال ابنُ عبد ربه: قد أخذتُ هذا المعنى فنظمتُه في شعر فقلت:

لستُ بقاضٍ أمَلي، ولا بعادٍ أجَلي
ولا بمَغلُوبٍ على الرِّزْ قِ، الذي قُدِّرَ لي
ولا بمُعطىً رِزْقَ غَيْـ ـري بالشَّقا، والعمَل
فليتَ شِعري ما الذي أدخلني في شُغُلي؟

•

وقال آخر:

سيكون الذي قُضِي، غَضِبَ المرءُ أمْ رَضِي

•

وقال محمودُ الورّاق :

أما عجبٌ أن يَكفُلَ الناسُ بعضُهم
ببعضٍ ، فيرضى بالكفيلِ المُطالِبُ

وقد كفَلَ اللهُ الوَفيّ بعَهدِه ،
فلم يَرْضَ ، والإنسانُ فيه عجائبُ[1]

عليمٌ بأنّ اللهَ مُوفٍ بوَعْدِه ،
وفي قلبِه شكٌّ على القلبِ دائبُ

أبى الجهلُ إلا أن يَضُرَّ بعِلمِه ،
فلم يُغْنِ عنه عِلمُهُ والتّجارب

وله أيضاً :

أتطلبُ رِزْقَ اللهِ من عند غيرِه ،
وتُصبِح من خوفِ العواقبِ آمِنا

وترضى بعرّافٍ ، وإنْ كانَ مُشرِكاً ،
ضَميناً ، ولا ترضى بربّكَ ضامنا؟

وقال أيضاً :

غِنى النّفسِ يُغنيها ، إذا كنتَ قانِعاً ،
وليسَ بمُغنيك الكثيرُ من الحِرْص

---

١ لم يرض : الضمير يعود الى المطالب في البيت السابق .

وإنَّ اعتقادَ الهمِّ للخيرِ جامعٌ،
وقِلَّةَ همِّ المَرْءِ تدْعُو الى النَّقص

وله أيضاً:

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم يَقنَعْ، فذاك المُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ من كان قَنوعاً، وإنْ كان مُقِلاً، فهُو المُكْثِرُ
الفَقرُ في النَّفس، وفيها الغِنى، وفي غِنى النَّفس الغِنى الأكبر

•

وقال بَكْر بن حَمّاد:

تبارَكَ مَن ساسَ الأمورَ بعِلْمِه،
وذلَّ له أهلُ السَّموات والأرضِ

ومَن قسَّمَ الأرزاق بين عِباده،
وفضَّلَ بعضَ النَّاس فيها على بَعض

فمن ظَنَّ أنَّ الحِرْص فيها يَزيدُه،
فقُولوا له يزداد في الطول والعَرْض

•

وقال ابن أبي حازم:

ومُنتَظِرٍ للموت في كل ساعةٍ،
يَشيدُ ويَبْني، دائباً، ويُحَصِّنُ

لهُ حِينَ تَبْلُوهِ حقيقةُ مُوقِنٍ،
وأفعالُه أفعالُ من ليس يُوقِنِ

عِيانٌ كإنكارٍ، وَكالجَهْلِ عِلْمُه،
يَشُكُّ به في كلِّ ما يَتَيَقَّنُ

وقال أيضاً:

اضْرَعْ الى الله لا تَضْرَعْ الى النَّاسِ؛
واقنَعْ بيأسٍ فإنّ العِزَّ في الياسِ

واستَغنِ عن كل ذي قُربى وذي رَحِمٍ؛
إنّ الغنيَّ مَنِ استغنى عن النّاسِ

وله أيضاً:

فلا تَحْرِصَنَّ، فإن الأمور، بكفِّ الاله، مَقاديرُها
فليسَ بآتيك مَنْهِيُّها، ولا قاصرٍ عنك مأمورها

وله أيضاً:

كم، الى كم أنت، للحِرْ صِ وَللآمال، عَبْدُ
ليس يُجدي الحِرصُ والسَّعْ يُ، إذا لم يَكُ جَدُّ
ما، لما قد قَدَّرَ اللّ هُ مِنَ الأمرِ، مَرَدُّ
قد جرى بالشرِّ نَحْسٌ؛ وجرى بالخير سَعْدُ

وجرى الناسُ على حجز يهما، قبلُ وبعد
أمِنوا الدهرَ، وما للدّ هرِ والأيّام عهد
غالَهُم، فاصطَلَم الجمْ عَ، وأفنى ما أعدّوا[1]
إنّما الدنيا، فلا تحْ فِل بها، جزرٌ ومدّ

•

وقال الأضبطُ بن قُرَيع:

ارضَ من الدّهر ما أتاك به، مَن يَرضَ يوماً بعَيشِهِ نَفَعَهْ
قد يَجمع المالَ غيرُ آكله؛ ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمعَه

•

وقال مُسلم بن الوليد:

لن يُبْطِئَ الأمرُ ما أمّلتَ أوبتَه،
إذا أعانك فيه رِفقٌ مُتّئِدِ

والدّهرُ آخذُ ما أعطى، مُكدّرُ ما
أصْفى، ومُفسِدُ ما أهوى له بيد

---

١ اصطلم: استأصل.

فلا يَغُرَّنْكَ من دَهْرٍ عطيَّتُهُ ،
فليس يَترُكُ ما أعطى على أحد

•

وقال كُلثوم العَتّابي :

تَلُومُ ، على تَرك الغِنى ، باهِليَّةٌ
لوى الدهرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وَتالِدِ[1]

رأت حولها النسوانَ يَرفُلنَ في الكُسى ،
مُقلَّدَةً أجيادُها بالقلائد

يَسُرُّكِ أني نلتُ ما نالَ جَعفرٌ ؛
وما نال يحيى ، في الحياة ، ابن خالد

وأنَّ أميرَ المؤمنين أعضَّني ،
مُعَضَّهُما ، بالمُرْهَفات الحدائد[2]

ذَريني تَجِئني مِيتَتي مُطمَئِنَّةً ،
ولم أتَجَشَّم هَولَ تلك المَوارِدِ

فإنَّ الذي يَسمو الى الرُّتَب العُلا ،
سيُرمى بألوان الدُّهى والمكايد

---

١ الطرف : المال الطارف والحديث . التالد : المال الموروث .
٢ أعضه بالسيف : ضربه به .

وَجَدتُ لَذاذاتِ الحياة مَشُوبَةً
بمُستودعات في بطـــون الأساوِد

وقال :

حتى متى أنا في حِلٍّ وتَرحـــالِ ،
وطُولِ شُغلٍ بإدبارٍ وإقبـــالِ

ونازح الدار مــا أنفكُّ مُغترباً
عن الأحبّة ، ما يَدرُون مــا حالي

بِمَشْرِق الأرض، طوراً، ثم مَغرِبها،
لا يخطُر الموت من حِرص على بالي

ولو قَنِعتُ أتاني الرّزق في دَعَةٍ؛
إنّ القُنوع الغِنى ، لا كثرةُ المال

•

وقال عبدُ الله بن عباس : القناعة مالٌ لا نَفاد له .

•

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه : الرّزق رِزقان:
رزقٌ تطلبه ورزقٌ يطلبك ، فإن لم تأتِه أتاك .

•

وقال حبيب :

فالرّزق لا تَكْمَدْ عليه ، فإنه   يأتي ، ولم تَبْعث اليه رسولا

•

وفي كتاب للهند: لا ينبغي للمُلتمس أن يَلتمس من العيش إلا الكَفاف الذي به يَدفع الحاجة عن نَفسه، وما سِوى ذلك إنما هو زيادة في تعَبه وغمّه .

ومن هذا قالت الحكماء : أقلُّ الدنيا يَكفي وأكثرُها لا يَكفي .

•

وقال أبو ذُؤيب :

والنّفسُ راغبةٌ ،إذا رَغّبْتَها،   وإذا تُرَدُّ الى قليلٍ تَقْنَعُ

•

وقال المسيح ، عليه السلام : عجباً منكم ، إنكم تعملون للدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عمل، ولا تَعْملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها الا بالعمل .

وقال الحسن : عَيّرَت اليهودُ عيسى ، عليه السلام ، بالفقر، فقال : مِن الغنى أُتيتم .

أخذ هذا المعنى محمودٌ الورّاق فقال :

يا عائبَ الفقرِ ألا تَزْدَجِر؟   عَيْبُ الغِنى أكثرُ لو تَعتَبِرْ

مِن شَرَفِ الفقْرِ، ومن فَضْلِه   على الغِنى، إنْ صَحَّ منكَ النَّظر

أنكَ تَعْصي كي تنالَ الغِنى،   وليس تَعصي اللهَ كي تَفتقِر

•

سُفيان عن مُغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يَكرَهون الطَّلب في أطارف الأرض.

•

وقال الأعمش: أعطاني البُنانيُّ مَضارِبه أخرُج بها الى ماهٍ[1]، فسألتُ إبراهيم، فقال لي: ما كان يَطلبون الدنيا هذا الطلب. وبين ماهٍ وبين الكوفة عشرةُ أيام.

•

الأصمعيّ عن يونس بن حَبيب قال: ليس دون الايمان غنى ولا بعده فَقْر.

•

قيل لخالد بن صَفوان: ما أصْبَرَكَ على هذا الثَّوْب الخَلَق؟ قال: رُبَّ مَملولٍ لا يُستطاع فِراقه.

•

وكتب حكيم الى حكيم يشكو اليه دهرَه: إنه ليس من أحَدٍ أنْصَفَه زمانُه فتصرَّفت به الحالُ حسب استحقاقه، وإنك لا ترى الناسَ إلا أحدَ رجلين: إمّا مُقدَّم أخَّره حظه، أو

---

١ ماه: بلدة.

مُتأخّر قدّمَه جَدُّه ، فارض بالحال التي أنت عليها وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً ، وإلا رضيت بها اضطراراً .

•

وقيل للأحنف بن قيس: ما أصبرك على هذا الثوب؟ فقال: أحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى مُفارقته سَبيل .

•

قال الأصمعيُّ : رأيت أعرابيةً ذات جمال تسأل بمِنى ، فقلت لها : يا أمَةَ الله تسألين ولك هذا الجمال ؟

قالت : قَدَرُ الله فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاجّ ، نسقيهم ونغسل ثيابهم .

قلت : فإذا ذهب الحاجّ فمن أين ؟

فنظرت إليّ وقالت : يا صَلْتَ الجبين[1] ، لو كنّا نعيش من حيث نعلم ما عِشْنا .

•

وقيل لرجلٍ من أهل المدينة: ما أصْبَرَك على الخُبز والتَّمْر؟ قال : ليتَهما صَبَرا عليّ .

---

[1] صلت الجبين : واضحه .

الرضا بقضاء الله

قالت الحكماء: أصلُ الزُّهد الرِّضا عن الله.

•

وقال الفُضيل بن عِياض: استَخيروا الله ولا تتَخيَّروا عليه، فرُبَّما اختار العبدُ أمراً هلاكُه فيه.

•

وقالت الحكماء: رُبَّ محسود على رَخاء هو شَقاؤه، ومَرحوم من سُقم هو شِفاؤه، ومَغبوط بنِعْمة هي بَلاؤه.

•

وقال الشاعر:

قد يُنعِم الله بالبَلْوى، وإن عَظُمَت،
وَيبتَلي اللهُ بَعضَ القوم بالنِّعَمِ

•

وقال بعضُهم: خاطَبني أخٌ من إخواني وعاتبني في طلب الرُّتَب، فأنشدته:

كم افتقرتُ، فلم أقعُد على كَمَدِ؛
وكم غَنيتُ، فلم أكبُر على أحدِ

إني امرؤ هانت الدنيا عليَّ، فما
أشتاق فيها الى مالٍ ولا وَلَدِ

وقالوا : من طلب فوق الكفاية رجع من الدهر الى أبعد غاية .

من قتر على نفسه

وترك المال لوارثه

زياد عن مالك قال: مَن لم يكُن فيه خيرٌ لنفسه لم يَكُن فيه خيرٌ لغيره، لأن نفسَه أولى الأنفس كُلّها، فإذا ضيّعها فهو لما سِواها أضيَع؛ ومن أحبَّ نفسه حاطها وأبقى عليها وتَجنَّب كلَّ ما يَعيبها أو يَنْقُصها، فَجنَّبها السَّرِقة مَخافَةَ القَطْع، والزِّنى مخافةَ الحَدِّ، والقتْل خوفَ القِصاص.

•

عليُّ بن داود الكاتِب قـال: لما افتتح هارون الرَّشيدُ هِرَقْلة[1] أباحها ثلاثة أيّام، وكان بِطْرِيقها الخارجُ عليه بَسيل الرُّومي، فنظر إليه الرَّشيدُ مُقبِلًا على جِدار فيه كتابة باليُونانية، وهو يُطيل النظَرَ فيه، فدَعا به وقال له: لِمَ تركتَ النظر الى الانتهاب والغَنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه؟

---

١ هرقلة: مدينة ببلاد الروم.

فقال : يا أمير المؤمنين ، قرأتُ في هذا الجدار كتاباً هو أحبُّ إليَّ من هِرَقْلة وما فيها .

قال له الرشيد : ما هو ؟

قال : بسمِ الله المَلكِ الحقّ المُبين . ابنَ آدم ، غافص[1] الفُرصة عند إمكانها ، وكِلِ الأمور الى وليّها ، ولا تَحمِل على قلبك همَّ يومٍ لم يأتِ بعدُ ، إنْ يَكُنْ من أجَلِكَ يأتِك الله بِرِزْقك فيه ، ولا تَجْعَلْ سَعْيَك في طلب المـــال أُسوة بالمَغْرورين ، فرُبَّ جامع لِبَعْلِ حَليلته ، واعلم أنّ تقتير المرء على نَفْسه هو تَوفيرٌ منه على غيره ، فالسعيدُ من اتعظ بهذه الكلمات ولم يُضيِّعها .

قال له الرّشيد : أعِدْهـــا عليَّ يا بَسيل ، فأعادَها عليه حتى حَفِظها .

•

وقال الحسن : ابنَ آدم ، أنتَ أسيرٌ في الدنيا ، رَضيتَ من لذّتها بما ينقضي ، ومن نَعيمها بما يَمضي ، ومن مُلكها بما يَنفد ، فلا تَجمع الأوزار لِنَفسك ولأهلك الأموال ، فإذا مِتّ حملتَ الأوزار الى قبرك ، وتركتَ أموالك لأهلك .

---

١ غافص : فاجىء .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أبقيتَ مالَكَ ميراثاً لوارثِه ،
فليتَ شِعْرِيَ ما أبقى لكَ المالُ

القومُ بعدكَ في حالٍ تسرُّهم ،
فكيفَ بعدهم دارت بكَ الحالُ ؟

ملّوا البُكاء ، فما يَبْكيكَ من أحد ؛
واستَحْكَمَ القيلُ في الميراث والقال

•

وفي الحديث المرفوع : أشدُّ الناس حسرةً يوم القيامة رجلٌ كسب مالاً من غير حِلّه فدخلَ به النارَ ، وورّثه مَن عَمِل فيه بطاعة الله فدَخل به الجنة .

•

وقيل لعبد الله بن عُمر : تُوفّي زيد بن حارثة وترك مائة ألف ؛ قال : لكنّها لا تتركه .

•

ودَخل الحسنُ على عبد الله بن الأهتم يَعوده في مَرضه فرآه يُصَعّد بصرَه في صُندوق في بَيْته ويُصوّبه ، ثم التفت الى الحسن ، فقال : أبا سَعيد ، ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق لم أؤدِّ منها زكاة ، ولم أصِل بها رحماً ؟

فقال له : ثَكِلَتْكَ أمّك ! ولمن كنت تجمعها ؟

قال : لِروعة الزمان ، وجَفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة .

ثم مات ، فشهد الحسنُ جنازَته ، فلما فرَغ من دَفْنه ضرَب بيده القبر ، ثم قال : انظُروا الى هذا ، أتاه شيطانه فحذّره رَوعة زمانه ، وجفوة سُلطانه ، ومكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله واستعمره فيه ، انظُروا إليه يَخرُج منها مَذمُوماً مَدْحُوراً .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدَعَنّ كما خُدعَ صُوَيْحبك بالأمس ، أتاك هذا المالُ حلالاً فلا يكونُ عليك وَبالاً ، أتاك عفْواً صفْواً ممن كان له جَمُوعاً منوعاً ، من باطلٍ جَمَعه ، ومن حقٍّ منَعه ، قَطع فيه لُجج البحار ، ومَفاوز القِفار ، لم تَكدح فيه بيَمين ، ولم يَعْرق لك فيه جَبين ، إنّ يوم القيامة يومُ حَسْرة وندامة ، وإن من أعظم الحَسرات غداً أن ترى مالَك في ميزان غيرك ، فيا لها حسرةً لا تُقال ، وتوبةً لا تُنال !

•

لما حضَرَتْ هِشامَ بن عبد الملك الوفاةُ ، نظَر الى أهله يَبْكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدُّنيا وجُدتم له بالبُكاء ، وترك لكم ما جَمع وتركْتُم له ما عَمِل ، ما أعظمَ مُنقلَب هشام إن لم يَغْفر الله له !

نقصان الخير وزيادة الشر

عاصم بن حُميد عن مُعاذ بن جَبَل قال : إنكم لن تَرَوْا من الدنيا إلا بلاءً وفتنة ، ولا يزيد الأمر إلا شدّة ، ولا الأئمة إلا غِلَظاً ، وما يأتيكم أمرٌ يَهُولكم إلا حقّرَه ما بعده .

•

قال الشاعر :

الخَيرُ والشرُّ مُزدادٌ ومُنتقِصٌ ،
فالخيرُ مُنتقِصٌ والشرُّ مُزدادُ

وما أسائل عن قومٍ عرَفتُهُمُ ،
ذوِي فَضائلَ ، إلا قيل قد بادوا

•

العزلة عن الناس

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : استأنِسوا بالوَحدة عن جُلساء السوء .

وقال : إنّ الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعةُ حتى يعود غريباً كما بدأ .

•

قال العتّابي : ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : خَيرُكم الأتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يُعْرَفوا ، وإذا غابوا لم يُفتقَدوا .

وقال : لا تَدَعوا حَظّكم من العُزْلة فإنّ العُزلة لكم عبادة .

•

وقال لُقمان لابنه : استَعِذ بالله من شِرار الناس وكُن من خِيارهم على حَذَر .

•

وقال إبراهيم بن أدْهم : فِرّ من الناس فِرارَك من الأسد .

وقيل لابراهيم بن أدهم : لِمَ تَجْتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

ارْضَ بالله صاحبَـــا ، وَذَرِ الناس جانبَـــا

قَلِّبِ الناسَ ، كيف شئـ ـتَ ، تجــدهم عقاربا

•

وكان محمد بن عبد الملــك الزيّات يأنَسُ بأهل البَلادة ويَستوحش من أهل الذكاء ، فسُئِل عن ذلك ، فقال: مَؤونة التحفُّظ شديدة .

•

وقال ابنُ مُحَيْرِز : إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرَف ، وتَسأل ولا تُسأل ، وتمشي ولا يُمشى إليك ، فافعل .

•

وقال أيوب السّختياني : ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يُشْعَر به .

•

وقيل للعتّابي : من تُجالس اليوم ؟

قال : من أبْصُق في وجهه ولا يَغضَب .

قيل له : ومن هو ؟

قال : الحائط .

•

وقيل لِدِعْبل الشاعر : ما الوَحْشة عندك ؟

قال : النظر الى الناس ؛ ثم أنشأ يقول :

ما أكثرَ الناسَ ، لا بَلْ ما أقلَّهم ؛
الله يَعْلَم أني لم أقُــلْ فَنَدا

إني لأفتح عَيْنِي ، حين أفتحُها ،
على كثيرٍ ولكن لا أرى أحــدا

•

وقال ابن أبي حازم :

طِبْ عن الامرة نَفْسا ، وارضَ بالوَحْشَـة أنسا
ما عليها أحــدٌ يَسْـوَى ، على الخِبرة ، فَلْسا

•

وقال آخر :

قد بلوتُ الناسَ طُرّاً ، لم أجِد في النّاس حُرّا
صارَ أحلى الناسِ في العَـيْن ، إذا ما ذِيق ، مُرّا

•

اعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مُهلِكات : شُحٌّ مُطاع ، وهوًى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء بنَفسه .

•

وفي الحديث : خيرٌ من العُجْب بالطاعة أن لا تأتي طاعةً .

•

وقالوا: ضاحكٌ مُعْتَرِف بذنبه خيرٌ من باكٍ مُدلٍّ على ربّه .

•

وقالوا : سيئةٌ تُسيئك خيرٌ من حَسنة تُعجِبك .

•

وقال الله، تَبارك وتَعالى : « ألم تَرَ الى الذين يُزَكُّون أنفُسَهم بَلِ اللهُ يُزَكّي مَن يَشاء . »

•

وقال الحسن : ذَمُّ الرجلِ لنفسه في العَلانية مَدْحٌ لها في السَّريرة .

•

وقالوا : مَن أظهر عَيْبَ نفسه فقد زَكّاها .

•

وقيل : أوحى الله الى عبده داود : يا داود، خالِقِ الناسَ

بأخلاقهم ، واحتَجز الايمان بيني وبينك .

•

وقال ثابت البُناني : دخلتُ على داود ، فقال لي : مــا جاء بك ؟

قلتُ : أزورك .

قال : ومن أنا حتى تزورَني ؟ أمِن العُبّـاد أنا ؟ لا والله ، أم من الزهّاد ؟ لا والله .

ثم أقبل على نفسه يوبّخها، فقال: كنتُ في الشّبيبة فاسقاً، ثم شِبتُ فصِرت مُرائياً ، والله إنّ المُرائي شرّ من الفاسـق .

•

لقي عابدٌ عابداً ، فقال أحدُهما لصاحبه : والله إني أحبّـك في الله .

قال : والله لو اطّلعتَ على سَريرتي لأبْغَضْتني في الله .

•

وقال معاوية بنُ أبي سُفيان لرجل : مَن سيّد قومك ؟

قال : أنا .

قال : لو كنتَ كذلك لم تَقلْه .

•

وقال محمود الورّاق :

تَعْصي الإله، وأنت تُظهر حُبّه، هذا مُحالٌ في القياس بَديعُ
لو كنتَ تُضمِر حُبّه لأطَعته، إنّ المُحِبّ لمن أحَبّ مُطيع
في كل يوم يَبْتليك بنِعْمةٍ منه، وأنت لشُكْر ذاك مُضيع

الرياء

زيادٌ عن مالك قال: قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم: إياكم والشِّركَ الأصغر .

قالوا : وما الشِّرك الأصغر يا رسول الله ؟

قال : الرِّياء .

•

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : سمعتُ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : لا رِياء ولا سمعة ، من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرؤٌ سريرةً إلا ألبسه الله رِداءها ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌ .

•

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدةً هي أهلٌ للحذر .

قال : وما هي ؟

قال: إياكَ أن تُريَ الناس أنك تَخْشى الله وقلبُك فاجر .

•

وفي الحديث : من أصلح سريرَته أصلح الله علانيتَه .

•

وقال الشاعر :

وإذا أظهرتَ شيئاً حسناً ، فليكُن أحسنَ منه ما تُسِرّ
فمُسِرُّ الخير مَوْسومٌ به ؛ ومُسِرُّ الشرّ مَوسوم بِشَرّ

•

صلى أشعب ، فخفّف الصلاة، فقيل له : ما أخفَّ صلاتَك!
قال : إنه لم يُخالِطْها رياء .

•

وصلى رجلٌ من المُرائين ، فقيل له : ما أحسنَ صلاتـك !
فقال : ومع ذلك إني صائم .

•

وقال طاهرُ بن الحُسين لأبي عبد الله المَرْوزيّ : كم لك منذ نزلتَ بالعِراق ؟
قال: منذُ عشرين سنةً ، وأنا أصوم الدهر منذُ ثلاثين سنة .
قال : أبا عبد الله ، سألتُك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين .

•

الأصمعيُّ قال : أخبرني إبراهيمُ بن القَعقاع بن حَكيم ، قال : امر عمر بن الخطّاب لرجل بكيس ، فقال الرجُل : آخُذ الخيْط ؟
قال عمر : ضع الكيس .

•

قال رجل للحسن ، وكتب عنده كتاباً : أتجعلني في حِلّ من تراب حائطك ؟

قال : يابن أخي ، ورَعُك لا يُنكر .

•

وقال محمود الورّاق :

أظهَرُوا للنّاس دِيناً ، وعلى الدّينار داروا
وله صامُوا وصلّوا ؛ وله حَجّوا وزاروا
لو بَدا فوق الثّريّا ، ولهم رِيشٌ ، لطاروا

•

وقال مُساور الورّاق :

شمّر ثِيابَك واستعدّ لقائلٍ ، واحكُك جبينَك للقَضاء بثُوم[1]
وعليك بالغَنَويّ ، فاجلس عنده ، حتى تُصِيب وَديعةً لِيتيم
وإذا دخلتَ على الربيع مسلّماً ، فاخصُص سَبابةَ منك بالتّسليم

وقال :

تصوّفَ كيْ يُقال له أمين ، وما يَعْني التّصوّفَ والأمانَهْ

---

١ اراد بالقائل : من يقول الخير. احكك جبينك بثوم: تظاهر بكثرة السجود ليترك أثراً في جبينك .

ولم يُرد الإلهَ به ، ولكنْ أراد به الطريقَ الى الجِبانه

•

وقال الغزّال :

يقولُ ليَ القاضي مُعاذٌ مُشاوراً ،
وولّى امرأً، فيما يَرى،من ذوي العَدْلِ

قَعيدَكَ ! ماذا تَحْسَبُ المرءَ فاعلاً؟
فقلتُ: وماذا يَفعل الدَّبْر في النَّحْلِ؟[1]

يَدُقّ خَلاياها ، ويأكل شَهْدَها،
ويَترك للذّبّان ما كان من فَضْلِ

•

وقال أبو عثمان المازني لبعض من رأى فهتك الله ، عز وجل ، سِتره :

بَينا أنا في تَوبتي مُستَعبراً، قد شَبّهوني بأبي دُوادِ[2]
وقد حملتُ العِلمَ مُستظهراً، وحَدّثوا عني بإسناد
إذ خَطر الشيطان لي خَطْرةً، نُكستُ منها في أبي جاد[3]

•

---

١ قعيدك : نشدتك الله . الدبر : الزنابير .
٢ هذا البيت يختلف في وزنه عن البيتين التاليين،فهو من الرجز،وذانك من السريع.
٣ يقال : وقع فلان في أبي جاد ، أي في اختلاط واضطراب من الأمر .

وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي الى صُوفيٍّ قد قَيَّر إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك؛ فقال : النَّظرُ الى الدنيا بكلتا عينيَّ إسراف .

قال : ثم بدا له في ذلك فاتصل الخبر بأبي فكتب اليه :

أُقَيِّرَ عينِه وَرَعا ، أردتَ بذلك البِدَعا
خَلَعْتَ ، وأخبثُ الثقليـن صُوفيٌّ ، إذا خَلَعا[1]

•

يحيى بن عبد العزيز قال : حدَّثني نُعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبي بكر الصدِّيق ، عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال: نصب رجلٌ من بني إسرائيل فخّاً ، فجاءت عُصفورة ، فوقعت عليه ، فقالت : ما لي أراك مُنحنياً ؟

قال : لكثرة صلاتي انحنيتُ .

قالت : فما لي أراك بادية عِظامُك ؟

قال : لكثرة صيامي بَدَت عِظامي .

قالت : فما لي أرى هذا الصُّوف عليك ؟

قال : لزَهادتي في الدُّنيا لبستُ الصُّوف .

---

١ الثقلان : الانس والجن .

قالت : فما هذه العصا عندك ؟

قال : أتوكّأ عليها وأقضي بها حوائجي .

قالت : فما هذه الحبّة في يدِك ؟

قال : قُربان إن مرّ بي مِسكين ناولتُه إياه .

قالت : فإني مسكينة .

قال : فخُذيها .

فقَبضت على الحبّة فإذا الفخُّ في عُنقها ، فجعلت تقول : قِمي قِعي . قال الحسن : تفسيره : لا غرّني ناسكٌ مُراءٍ بعدك أبداً .

•

الدعاء

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : الدُّعاء سِلاحُ المؤمن ، والدُّعاء يَرُدُّ القدَرَ ، والبِرُّ يزيد في العُمر .

•

وقالوا : الدُّعاء بين الأذان والإقامة لا يُردُّ .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : استَقبلوا البلاءَ بالدُّعاء.

•

وقال الله تعالى : « ادْعوني أسْتَجِبْ لكُم . »

وقال تعالى : « فلوْلا إذْ جاءَهم بأسُنا تَضرَّعوا ولكِنْ قَسَتْ قُلوبُهم . »

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : إذا دعوتَ الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فإن الصلاة عليه مقبولة، والله أكرم من أن يَقبل بعضَ دُعائك ويرُدَّ بعضاً .

•

وقال سعيدُ بن المُسيّب: كنتُ جالساً بين القبْر والمِنْبر، فسمعتُ قائلا يقول: اللهم إني أسألك عملا بارّاً، ورِزقاً دارّاً، وعَيْشاً قارّاً. فالتفتُّ فلم أرَ أحداً.

•

هشامُ بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنتُ نائمةً مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، ليلةَ النّصف من شعبان، فلما ألْصق جِلْدي بجِلده أغفيتُ، ثم انتبهتُ، فإذا رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلّم، ليس عندي، فأدْركني ما يُدرك النّساء من الغَيرة، فلفَفْت مِرطي[1]، أمَا والله ما كان خزّاً ولا قزّاً ولا دِيباجاً ولا قُطناً ولا كتّاناً.

قيل: فما كان يا أمّ المؤمنين؟

قالت: كان سَداه من شعَر، ولُحْمته من أوبار الإبل.

قالت: فنحوت إليه أطلبُه، حتى ألفيتُه كالثّوب الساقط على وَجهه في الأرض وهو ساجدٌ يقول في سجوده: سَجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، هذه يَدي، وما جَنيتُ بها على نفسي، يا مَن تُرَجّى لكل عَظيم، فاغفر لي الذّنب العَظيم.

---

[1] المرط: كل ثوب مخيط.

فقلتُ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنّك لفي شأن ، وإني لفي شأن .

فرَفع رأسَه ثم عاد ساجداً ، فقال : أعوذُ بوَجْهك الذي أضاءت له السموات السّبع ،والأرضون السّبع ،من فَجْأةِ نقْمتك ، وتحوّل عافيتك ، ومن شرّ كتاب قد سبَق ، وأعوذ برِضاك من سُخْطك ، وبعَفوك من عُقوبتك ، وبك مِنْك ، لا أحْصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نَفْسك .

فلما انصرف من صَلاته تقَدّمت أمامه حتى دخلتُ البيت ولي نَفَسٌ عالٍ ، فقال : ما لك يا عائشة ؟

فأخبرتُه الخَبر .

فقال : ويْح هاتين الرُّكبتين ما لَقِيتا في هذه اللّيلة !

ومَسح عليهما . ثم قال : أتَدْرين أيّ ليلة هذه يا عائشة ؟

فقُلتُ : اللهُ ورسولُه أعلم .

فقال صلّى الله عليه وسلّم : هذه الليلةُ ليلةُ النّصف من شعبان ، فيها تُوَفّى الآجال ، وتُثبّت الأعمال .

•

العُتبي عن أبيه قال : خرجتُ مع عُمَر بن ذرّ الى مكة

فكان إذا لَبَّى[1] لم يُلَبِّ أحدٌ من حُسن صوته ، فلما جاء الحَرم قال : يا ربّ ، ما زِلنا نَهْبط وَهْدَة ، ونَصْعد أكمة ، ونَعْلو نَشْزاً[2] ، ويَبْدو لنا عَلَمٌ[3] ، حتى جِئناك بها نَقِبَةً[4] أخفافُها ، دَبِرَةً[5] ظُهورها ، ذابلةً أسنِمَتُها ، وليس أعظمُ المَؤونة علينا إتعابَ أبداننا ، ولكن أعظم المؤونة علينا أن تُرْجِعَنا خائبين من رَحمتك ، يا خيرَ من نَزَلَ به النازلون .

وكان آخرُ يدعو بعَرفاتَ : يا ربّ ، لم أعْصِك إذ عصيتُك جَهْلاً منّي بحقّك ، ولا استخفافاً بعقوبتك ، ولكنّ الثقةَ بعَفْوِك ، والاغترارَ بستِرك المُرْخى عليّ ، مع الشِّقوة الغالبة ، والقدَر السابق ، فالآنَ مِن عذابك مَن يَستَنقذني ؟ وبِحَبْل مَن أعتَصِم إن قطعْتَ حبْلك عنّي ؟ فيا أسفي على الوقوف غداً بين يَدَيْك ، إذا قيل للمُخِفّين جوزوا ، وللمُذنبين حُطّوا .

●

---

١ لبى : قال : لبيك اللهم لبيك ، وهو من التلبية ، اجابة المنادي ، أي اجابتي لك يا رب .
٢ النشز : المكان المرتفع .
٣ العلم : الجبل .
٤ نقبة : حافية .
٥ دبرة : معقورة .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُبير يقول في مُناجاته بعد أن قُطِعت رِجلُه ومات ابنُه : كانوا أربعةً ، يعني بنيه ، فأخذتَ واحداً وأبقيتَ ثلاثة ، وكُنَّ أربعاً ، يعني يديه ورجليه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثاً ، فلئن ابتليتَ لطالما عافيتَ ، ولئن عاقبتَ لطالما أنعمت .

•

وكان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : نامت العيونُ ، وغارت النجومُ ، وأنت حيٌّ قيُّوم ، اغفر لي ذنبي العظيم فإنه لا يغفِرِ الذنبَ العظيمَ إلا العظيم ، إليك رفعتُ رأسي ، نظرَ العبدِ الذليل الى سيِّده الجليل .

•

وكان من دُعاء يوسف : يا عُدَّتي عند كُربتي ، ويا صاحبي في غُربتي ، ويا غايتي عند شدَّتي ، ويا رجائي إذا انقطعت حيلتي ، اجعل لي فرَجاً ومَخرجاً .

•

وكان عبدُ الله بنُ ثعلبة البصْريّ يقول : اللهم أنت من حلْمك تُعصى وكأنك لا ترى ، وأنت من جُودك وفضْلك تُعطي وكأنك لا تُعطي ، وأيّ زمان لم يَعْصِك فيه سُكان أرضك فكُنتَ عليهم بالعفوِ عوّاداً وبالفضْل جواداً ؟

•

وكان من دعاء علي بن الحسين ، رضي الله عنه : اللهم إني أعوذ بك أن تُحسِّن في مرأى العيون علانيتي ، وتُقبِّح في خفيّات القلوب سريرتي ، اللهم وكما أسأتُ فأحسنتَ إليّ ، إذا عُدتُ فعُدْ عليّ ، وارزقني مُواساة مَن قتَّرتَ عليه ما وسّعتَ عليّ .

•

الشيبانيّ قال : أصاب الناسَ ببغداد ريحٌ مُظلِمة ، فانتهيتُ الى رجل في المسجد وهو ساجد يقول في سُجوده : اللهم احفظ محمداً في أمته ، ولا تُشمِت بنا أعداءنا من الأمم ، فإن كنتَ أخذتَ العوامّ بذنبي ، فهذه ناصيتي بين يديك .

•

وكان الفُضيل بن عِياض يقول : إلهي ، لو عذّبتني بالنار لم يَخرُج حُبُّك من قلبي ، ولم أنسَ أياديك عندي في دار الدنيا .

•

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : اللهم وَسِّع عليّ في الدنيا وزهِّدني فيها ، ولا تزْوِها عنّي وتُرغِّبني فيها .

•

مرّ أبو الدّرداء برجل يقول في سُجوده : اللهم إني سائلٌ

فقير فأغنني من سَعةِ فَضلك ، خائفٌ مُستجير فأجِرْني من عذابك .

•

الأصمعيُّ قال : كان عطاءُ بنُ أبي رَباح يقول في دُعائه : اللهم ارحم في الدُّنيا غُربتي ، وعند الموت صَرعتي ، وفي القُبور وَحدتي ، ومَقامي غداً بين يديك .

•

العُتبيّ قال : حدّثني عبدُ الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي فكتب الى أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعوَ له ، فكتب إليه : حقّ لمن عَمِل ذنباً لا عُذرَ له فيه، وخاف مَوتاً لا بُدّ له منه، أن يكون مُشفِقاً ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجاب لي بقُوّةٍ في عَمل وبراءة من ذَنب .

•

العُتبي قال : كان عبدُ الملك بن مرْوان يَدعو على المِنبر : يا ربّ ، إنّ ذُنوبي قد كَثُرت وجلّت عن أن تُوصف، وهي صَغيرة في جَنب عفْوك ، فاعفُ عنّي .

كيف يكون الدعاء

سُفيان بن عُيَينة عن أبي مَعْبد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال : الاخلاص هكذا ، وبَسط يدَه اليُسرى وأشار بإصبعه من يده اليُمنى ؛ والدعاء هكذا ، وأشار براحتيه الى السماء ؛ والابتهال هكذا، ورفع يدَيه فوق رأسه وظُهورُهما الى وجهه .

•

سُفيان الثّوري قال: دخلتُ على جَعفر بن محمد، رضي الله عنهما ، فقال لي: يا سُفيان ، إذا كثُرَت هُمومك فأكثِر مِن لا حَولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم ، وإذا تَداركَتْ عليك النّعم فأكثِر من الحَمْد لله ، وإذا أبطأ عنك الرّزق فأكثِر من الاستغفار .

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : لا كَبيرةَ مع استغفار ، ولا صغيرةَ مع إصرار .

•

وقال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : عجباً ممن يَهلِك والنّجاة معه .

قيل له : وما هي ؟

قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر الصديق وعمر رضوان الله عليهما

أمُّ سَلَمة قالت : كان أكثرُ دعاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دِينك .

المُغيرة بن شُعبة قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم، إذا سلّم من الصلاة يقول: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له المُلك وله الحَمْد وهو على كلّ شيء قدير .

•

وكان آخرُ دعاء أبي بكر الصدّيق ، رضي الله عنه ، في خُطْبته: اللهمّ اجعلْ خيرَ زماني آخرَه ، وخيرَ عملي خواتِمَه ، وخيرَ أيّامي يومَ لِقائك .

•

وكان آخرُ دعاء عمرَ ، رضي الله عنه ، في خُطبته : اللهمّ لا تَدَعْني في غَمْرة ، ولا تأخُذني في غِرّة ، ولا تَجْعلني مع الغافِلين .

الدعاء عند الكرب

عبدُ الله بن مسعود قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما مِن عَبْدٍ أصابه همٌّ فقال : اللهم إني عبدُك وابنُ عَبْدِك وابنُ أمَتِك، ناصيتي بيَدِك، ماضٍ فيَّ حُكمُك ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكلّ اسمٍ سَمَّيت به نَفْسَك ، أو ذَكَرْتَه في كتابك ، أو عَلّمته أحداً من خَلْقك ، أو استأثرتَ به في عِلم الغَيْب عندك ، أن تَجعل القرآن ضِياءَ صَدري ، وربيعَ قلبي ، وجَلاء حُزني ، وذَهاب هَمّي ؛ إلاّ أذهَب اللهُ هَمَّه وبَدّله مَكانَ حُزنه فرحاً .

•

وقالوا : كلماتُ الفَرَج من كلّ كَرْب : لا إله إلا الله الكريم الحَليم ، وسُبحان الله رَبّ العرش العظيم ، والحمدُ لله ربّ العالمين .

•

الكلمات التي تلقى آدم من ربه

اللهمّ لا إله إلا أنتَ سُبحانك وبحمدك ، عَمِلتُ سُوءًا وظلمتُ نفسي فتُبْ عليّ إنك أنتَ التوّاب الرّحيم .

اسم الله الاعظم

عبدُ الله بن بُرَيد عن أبيه قال : سَمِعَ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم، رجلاً يقول: اللهمّ إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصّمد الذي لم يَلِد ولم يُولد ولم يَكن له كُفُواً أحد .

فقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : لقد سألتَ الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئِل به أعطى .

أسماءُ بنت يَزيد عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: اسم الله الأعظم فيما بين الآيتين : « وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرّحمَن الرّحيم » ، وفاتحة آل عمران : « الم . اللهُ لا إله إلاّ هو الحَيُّ القَيُّوم . »

الاستغفار

شَدّاد بن أوس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: سيّد الاستغفار أن تقول: اللهمّ أنتَ ربي لا إله إلاّ أنتَ خلقتني وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذ بك من شَرّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ[1] لك بنِعْمَتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي إنّه لا يَغفر الذُّنوب إلاّ أنت.

•

الأسْوَدُ وعَلْقمة قالا: قال عبدُ الله بن مَسعود: إنّ في كتاب الله آيتين ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثم استغفر اللهَ إلاّ غُفر له: «والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم» الى آخر الآية «ومَن يَعْمَلْ سُوءاً أو يَظْلم نَفْسَه ثم يَستغفرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رحيماً.»

•

أبو سعيد الخُدْريّ قال: مَن قال: أستغفر اللهَ الذي لا إله إلاّ هو الحيُّ القَيُّوم وأتوب إليه. خمس مرّات غُفِر له ولو فَرّ من الزّحف.

•

---

[1] أبوء: أقر، واعترف.

دعاء المسافر

عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سَفَراً قال : اللهمّ أنت الصاحبُ في السّفر ، والخَليفة في الحَضَر . اللهمّ إني أعوذ بك من وعثاء السّفر ، وكآبة المُنقلَب ، والحَور بعد الكَور[1]، ومن سُوء المَنظر في الأهل والمال .

•

الشّعبيُّ عن أمّ سَلَمة قالت : كان النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إذا خرج في سَفَر يقول : اللهم إني أعوذ بك أنْ أذِلّ أو أَضِلّ أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجْهل أو يُجْهل عليّ .

وقالت : مَن خَرج في طاعة الله فقال : اللهمّ إني لم أخرُج أشَراً ولا بَطَراً ولا رِياء ولا سُمْعة ، ولكني خرجتُ ابتغاء مَرضاتك واتقاء سُخْطك ، فأسألك بحقّك على جميع خَلقك أن تَرزُقني من الخير أكثرَ ممّا أرجو ، وتَصْرف عني من الشرّ أكثرَ مما أخاف ، استُجيب له بإذن الله .

---

١ الحور : النقصان . الكور : الزيادة .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال: إذا دخلتَ على السلطان وهو مَهيبٌ تخاف أن يَسْطو عليك فقُل: الله أكبرُ وأعزّ مما أخاف وأحذر، اللهمّ ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم، كُن لي جاراً من عَبدك فلان وجُنوده وأشياعه وأتباعه، تباركَ اسمُك وجلّ ثناؤك وعزّ جارُك ولا إله غيرك.

•

أبو الحسن المدائنيّ قال: لما حجّ أبو جَعْفر المنصور مَرّ بالمدينة فقال للرّبيع: عليّ بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتله.

فمَطَل به، ثم ألحّ فيه، فحَضر. فلما كُشِف السّترُ بينه وبينه ومَثَل بين يَدَيه، هَمَس جعفر بشَفَتَيْه، ثم تقرّب وسلّم؛ فقال: لا سلّم الله عليك، يا عدوّ الله، تَعْمَل عليّ الغوائلَ في مُلكي، قتلَني الله إن لم أقتُلك.

فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إن سُليمان، صلى الله عليه وسلم، أُعْطي فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصَبَر، وإنّ يوسف ظُلم فغَفَر، وأنت على إرثٍ منهم وأحقُّ من تأسّى بهم.

فنكَسَ أبو جعفر رأسَه مَلِيّا ثم رفع إليه رأسَه وقال : إليّ يا أبا عبد الله ، فأنتَ القريبُ القَرابة ، وإنك ذو الرَّحِم الواشِجة ، السَّلِيم الناحية ، القليل الغائلة ؛ ثم صافحه بيَمينه وعانقه بيَساره وأجْلسه معه على فِراشه وانحرف له عن بَعْضه وأقبَل عليه بوجْهه يُسائله ويُحادثه ، ثم قال : عجِّلوا لأبي عبد الله إذنَه وكُسْوته وجائزته .

قال الرَّبيع : فلما خَرج وأسْدل السِّتر أمسَكتُ بثوبه فارتاع ، وقال : ما أرانا يا رَبيع إلا قد حُبِسنا .

قلتُ : هذه منّي لا منه .

قال : فذلك أيْسَر ، قُلْ حاجتَك .

قلت : إني منذ ثلاث أُدافع عنك وأداري عليك ، ورأيتُك إذ دخلتَ همَسْتَ بشَفَتيك ، ثم رأيتَ الأمرَ انجلى عنك ، وأنا خادم سُلطان ولا غِنى بي عنه ، فأحِب منك أن تُعلِّمنيه .

قال : نعم ، قُل : اللهم احرُسني بعَينك التي لا تنام ، واكنُفني بكنَفك الذي لا يُرام ، ولا أهلِك وأنت رَجائي ، فكم من نِعمة أنعمْتَها عليّ قلّ عندها شُكري فلم تَحرِمني ، وكم من بليّة ابتليتَني بها قلّ عندها صَبري فلم تَخذلني ، اللهم بك أدْرَأ[1] في نَحره ، وأعوذ بخَيرِك من شرّه .

---

[1] أدرأ : أدفع شديداً .

الدعاء على الطعام

مَن قال على طعامه : بسم الله خيرِ الأسماء في الأرض وفي السماء، ولا يَضُر مع اسمه داء، اللهم اجعل فيه الدَّواء والشِّفاء؛ لم يضُرَّه ذلك الطعام كائناً ما كان .

وكان النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، إذا فرَغ من طعامه قال : الحمد لله الذي مَنَّ علينا وهدانا، وأطعَمنا وأروانا، وكلَّ بلاء حسن أبْلانا .

•

الدعاء عند الاذان

مَن قال إذا سَمِع الأذان : رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد نبيّاً ؛ غفر له ذُنوبه .

وقال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : إذا سَمِعتم الأذان فقولوا مِثل ما يقول المُؤذن .

الدعاء عند الطيرة

قال النبيُّ، صلّى الله عليه وسلّم : مَن رأى من الطّير شيئاً يَكرَهه فقال : اللهم لا طَيْرَ إلا طَيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ؛ لم يَضِرْه .

•

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

الفُضَيل عن أبي حازم عن أبي سَلمة بن عبد الرحمن عن ناسٍ من أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنهم أجْمعوا أنّ الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء آخر ساعة من يوم الجُمعة .

التعويذ

أنَس بن مالك قال : كان النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عِلم لا يَنْفَع ، وقَلب لا يَخشَع ، ودُعاء لا يُسمَع ، ونَفس لا تَشبَع . اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : من قال إذا أمسى وأصْبَح : أعوذ بكلمات الله التامّات المباركات التي لا يجاوزهنّ بَرّ ولا فاجر ، من شرّ ما يَنزل من السماء ، ومن شرّ ما يَعرُج فيها ، ومن شرّ ما ذَرَأ[1] في الأرض وما يَخرُجُ منها ؛ لم يَضِرْه شيء من الشياطين والهوامّ .

•

مَسروق عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم، يُعَوِّذ الحَسن والحُسين، رضي الله عنهما ، بهذه الكلمات : أُعيذكما بكلمات الله التامّة ، من كل

---

١ ذرأ : خلق .

عينٍ لامّة[1]، ومن كل شيطان وهامّة .

وكان إبراهيمُ ، صلّى الله عليه وسلم ، يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق .

•

وقال أعرابيّ يصف دعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض ، تَبْتَغي
مَحَلاً ، ولم يَقْطَعْ بها البِيدَ قاطعُ

سَرَتْ حيثُ لم تَسْرِ الرِّكابُ ، ولم تُنِخْ
لِوِرْدٍ ، ولم يَقْصُرْ لها القَيْدَ مانعُ

تَظَلُّ وراءَ الليل ، والليلُ ساقطٌ
بأرْواقه ، فيه سميرٌ وهاجعُ[2]

تَفَتَّحُ أبوابُ السماءِ لِوَفْدِها ،
إذا قَرَعَ الأبوابَ منهنّ قارعُ

إذا سألتْ ، لم يَرْدُدِ اللهُ سُؤْلَها
على أهلها ، واللهُ راءٍ وسامعُ

---

١ اللامة : المصيبة بسوء .
٢ أرواق الليل : ظلمته .

وإني لأرجو الله ، حتى كأنما
أرى بجميل الظنّ ما الله صانع

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

بُنيّ لئن أعيا الطبيبَ ، ابنَ مُسْلِم ،
ضَناك ، وأعْيا ذا البَيان المُسجَّعِ

لأبْتَهِلنْ تحت الظَّلام بدَعْوة ،
متى يَدْعُها داعٍ ، الى الله ، يُسمَع

يُقلقل ما بين الضلوع نَشيجُها ،
لها شافِعٌ من عَبْرَةٍ وتضرُّع

إلى فارج الكَرْب المُجيب لمن دعا ،
فَزَعْتُ بكَرْبي ، إنه خير مَفْزَع

فيا خيرَ مَدعُوٍّ دعوتُك ، فاسْتَمِع ،
وما لي شَفيع غيرُ فضْلك ، فاشْفَع

•

سحر البيان

العقد الفريد

« تم »

٢٠٠ غ.ل.

العقد الفريد

١١

دموع الأحزان

مكتبة صادر
بيروت

١١

دموع الاحزان

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

دموع الاحزان

هو كتاب الدرة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

١١

دموع الأحزان

مكتبة صادر
بيروت

كتاب الدرة

في النوادب والتعازي والمراثي

قال أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولُنا في الزُّهد ورجاله المشهورين. ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه في النّوادب والمراثي والتّعازي بأبلغ ما وَجدناه من الفِطَر الذكيّة، والألفاظ الشجيّة، التي ترقّ القلوبَ القاسية، وتُذيب الدُّموع الجامدة، مع اختلاف النّوادب عند نزول المصائب، فنادبة تُثير الحُزْن من رَبضته، وتَبعث الوَجْد من رَقْدته، بصوتٍ كترجيع الطَّير، تُقطِّع أنفاسَ المآتم، وتترك صَدْعاً في القلوب الجلامد؛ ونادبة تَخفِض من نَشيجها، وتَقصِد في نَحيبها، وتَذهب مَذهَبَ الصَّبر والاستسلام، والثّقة بجزيل الثواب.

•

قال عمر بن ذَرّ: سألتُ أبي : ما بالُ الناس إذا وعظتَهم بَكَوا، وإذا وَعظهم غيرُك لم يَبكوا؟

قال: يا بُني، ليست النائحة الثَّكلى مثلَ النائحة المُستأجَرة.

•

وقال الأصمعيّ : قلتُ لأعرابيّ : ما بالُ المراثي أشرفَ أشعاركم ؟

قال : لأنّا نقولُها وقلوبنا مُحترقة .

•

وقالت الحكماء : أعظم المصائب كلّها انقطاع الرّجاء .

وقالوا : كلُّ شيء يَبْدُو صغيراً ثم يَعْظُم إلا المصيبةَ فإنها تَبْدو عظيمة ثم تَصْغُر .

•

القول عند الموت

الأصمعيّ عن معتمر عن أبيه ، قال : لقّنوا موتاكم الشّهادة ، فإذا قالوها فدعوهم ولا تضجروهم .

•

وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشّروه ليلقى ربّه وهو حسن الظّنّ به ، وإذا كان حيّاً فخوّفوه .

•

ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله ، فرآه كاسفاً متغيّراً لونه ، فقال : ما لي أراك متغيّراً لونك ؟

قال : لكلمة سمعتها من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم اسأله عنها .

قال : وما ذاك ؟

قال : سمعته يقول : إني أعلم كلمة من قالها عند الموت محّصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر ، فأنسيت أن أسأله عنها .

قال أبو بكر : أعلمكها ، وهي : لا إلهَ إلاّ الله .

•

أبو الحُباب قال : لما احتُضر مُعاذ قال لخادمته : وَيْحكِ ! هل أصْبَحْنا ؟

قالت : لا .

ثم تركها ساعةً ثم قال لها : انظُري .

فقالت : نعم .

قال : أعوذ بالله من صباحٍ الى النار .

ثم قال : مَرحباً بالموت ، مَرحباً بزائر جاء على فاقة ، أفلح من نَدِم ، اللهم إنك تَعلم أني لم أُحِبَّ البقاء في الدُّنيا لِجَرْي الأنهار ، وغَرس الأشجار ، ولكن لمُكابدة اللَّيل الطويل ، وظمأ الهَواجر في الحرّ الشديد ، ومُزاحمة العُلماء بالرُّكَب في مجالس الذِّكر .

•

ولما حضرت الوفاةُ عمرَ بن عُتبة قال لرفيقه : نَزَلَ بي الموتُ ولم أتأهّب له ، اللهم إنك تَعلم أنه ما سَنح لي أمران لك في أحدهما رِضاً ولي في الآخَر هَوًى ، إلا آثرتُ رِضاك على هَواي .

•

ولما حضرَت الوفاةُ عُمَرَ بنَ الخطاب قال لوَلده عبد الله

ابن عُمَر : ضَع خدّي على الأرض علّ رَبّي أن يتعطّف عليّ ويرحمني .

•

ابنُ السمّاك قال : دخلتُ على يزيد الرّقاشي وهو في الموت ، فقال لي : سَبَقَني العابدون وقُطع بي ، والهفاه !

•

موسى الأسواريّ قال : دخلتُ على أزْدامَرْد وهو ثقيل فإذا هو كالخُفّاش لم يَبْق منه إلا رَأسُه ، فقلْتَ له : يا هذا ، ما حالُك ؟

قال : وما حالُ من يُريد سَفراً بعيداً بغير زاد ، ويَنطلق الى ملك عَدل بغير حُجّة ، ويَدخُل قبراً مُوحشاً بغير مؤنس ؟

•

قال عمرُ بن عبد العزيز لأبي قِلابَة ، وقد وَلِي غَسْل ابنه عبد الملك : إذا غسّلته و كفّنْتَهُ فآذنّي قبل أن تُغطّي وجهه . فَفَعل ، فنظر إليه وقال : رَحمك الله يا بُني وغفر لك .

•

ولما مات محمد بن الحجّاج جَزِع عليه جزَعاً شديداً ، وقال : إذا غسّلتموه و كفّنتموه فآذنوني .

ففعلوا ، فنَظر إليه وقال متمثّلاً :

الآن لمّا كنتَ أكملَ مَنْ مشى،
وافترّ نابُك عن شَباة القارحِ[1]

وتكاملتْ فيك المُروءةُ كلُّها،
وأعَنْتَ ذلك بالفَعال الصالح

فقيل له : اتّقِ الله واسترجع .
فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

•

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تَجِدك يا بُني ؟

قال : أجِدُني في الموت فاحتَسِبْني فإنّ ثوابَ الله خيرٌ لك منّي .

قال : والله يا بُني لأن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكون في ميزانك .

قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبُّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحب .

•

---

١ الشباة : حدّ كل شيء . القارح ، من ذي الحافر : الذي شق نابه وطلع .

لما احتُضِر عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك ، فأذِن له وأمره أن يُخفّف الوَقْفة ، فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أميرَ المؤمنين عنّا خيراً ، فلقد ألنْتَ لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذِكراً .

•

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك، قال : كانت فاطمةُ جالسةً عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتراكبت عليه كُرَب الموت ، فرفع رأسه وقال : واكَرْباه ! فبكت فاطمة وقالت : واكَرْباه لكَرْبك يا أبتاه !

قال : لا كَرْب على أبيك بعد اليوم .

•

الرّياشي عن عثمان بن عُمَر عن إسرائيل عن مَيْسرة بن حبيب عن المِنهال بن عمرو عن عائشة بنت طَلْحة عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيتُ أحداً من خَلْق الله أشبه حَديثاً وكلاماً برسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من فاطمة ، وكانت إذا دخلتْ عليه أخذ بيدها فقبّلها ورَحّب بها وأجلسها في مَجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورَحّبَت به وأخذت بيده فقبّلتها . فدخلت عليه في مَرضه الذي تُوفّي

فيه ، فأسَرّ إليها فبكت ، ثم أسرّ إليها فضحِكت . فقلتُ : كنتُ أحسَبُ لهذه المرأة فضلاً على النّساء ، فإذا هي واحدةٌ منهنّ ، بينا هي تبكي إذا هي تَضْحَك . فلما تُوفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سألتُها ، فقالت : أسَرّ إليّ فأخبرني أنه ميّت فبكيتُ ، ثم أسرّ إليّ أني أولُ أهل بيَته لُحُوقاً به فضحكت .

•

القاسم بن محمد عن عائشة أمّ المؤمنين رضي اللهُ عنها : أنها دخَلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبتِ ، اعهد إلى خاصّتك ، وأنفذ رأيَك في عامّتك ، وانقل من دار جَهازك الى دار مُقامك ، وإنك محضور ومُتّصِل بقلبي لوْعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع لوْنك ، فإلى الله تعْزيتي عنك ، ولديه ثوابُ صَبري عليك ، أرْقأ فلا أرْقأ[1] ، وأشكو فلا أشكى .

فرفعَ رأسَهُ فقال : يا بُنيّة ، هذا يومٌ يُحلّ فيه عن غِطائي ، وأعاين جزائي ، إنْ فرَحاً فدائم ، وإنْ ترَحاً فمقيم . إنّي اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النّكوص إضاعةً ،

---

١ أرقأ فلا أرقأ : أسكن نفسي فلا تسكن .

والحذر تفريطاً، فشهيدي الله ما كان بقلبي إلاّ إياه، فتبلّغت بصَحْفتهم، وتعلّلت بدرّة لَقْحَتهم، وأقمت صَلاي[1] معهم، لا مُختالاً أشِراً، ولا مُكابِراً بطِراً، لم أعْدُ سَدّ الجوْعة، وتوْرية[2] العَوْرة، من طَوّى مُمغص تهْفو له الأحشاء، وتَجِبُ له الأمعاء؛ واضطُررتُ إلى ذلك اضطرار الجَرِض[3] الى الماء المَعيف[4] الآجن، فإذا أنا مِتُّ فرُدّي إليهم صَحْفَتهم ولَقْحَتهم وعَبْدَهم ورَحاهم، ودِثارة ما فوقي اتقيت بها أذى البرد، ووِثارة[5] ما تحتي اتقيتُ بها أذى الارض، كان حَشْوُها قِطَع السّعَف.

•

ودخل عليه عمر فقال: يا خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لقد كلّفتَ القومَ بعدك تَعَباً، ووَلّيْتهم نَصَباً، فهيهاتِ مِن شَقّ غُبارك، فكيف باللحاق بك.

•

---

١ الصلا: وقت الظهر. والمراد ساويتهم بنفسي.
٢ تورية: ستر.
٣ الجَرِض: الذي يبتلع ريقه بجهد.
٤ المعيف: المكروه.
٥ وثارة: شيء يوطأ به الفراش.

وقالت عائشة وأبوها يُغَمِّض :

وأبيَض يُستَسقى الغَمامُ بوجهِهِ ،
رَبيع اليَتامى ، عِصمة للأرامِلِ

قالت عائشة : فنظر إليّ كالغضبان وقال : ذلك رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم . ثم أغمي عليه ، فقالت :

لَعمرُكَ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتى ،
إذا حَشرَجَت يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ

قال : فنظرَ إليّ كالغضبان وقال لي : قولي : وجاءَتْ سَكرَةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كنتَ منه تَحيد .

ثم قال : انظروا مُلاءَتَيّ فاغسلوهما وكفّنوني فيهما ، فإن الحيّ أحوجُ إلى الجديدِ من الميّت .

•

وقال مُعاوية حين حَضَرته الوفاة :

ألا ليتَني لم أغْنَ في المُلكِ ساعةً ،
ولم أكُ في اللّذّاتِ أعشى النّواظِرِ

وكنتُ كذي طِمْرَيْنِ عاش ببُلْغَةٍ ،
ليالِيَ ، حتى زارَ ضَنكَ المقابِرِ

•

لما ثَقُلَ مُعاوية ويزيدُ غائبٌ أقبَلَ يزيد ، فوجد عثمان ابنَ محمّد بن سُفيان جالساً فأخذ بيده ، ودَخلَ على مُعاوية وهو يجود بنَفْسه ، فكلّمهُ يزيدُ فلم يُكلّمه ، فبكى يزيدُ وتَضوّر[1] مُعاوية ساعةً ، ثم قال : أي بُني ، إنّ أعظمَ ما أخافُ اللهَ فيه ما كنت أصنع لك . يا بُني ، إني خرَجتُ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا مضى لحاجته وتوضأ ، أصُبّ الماء على يدَيه ، فنَظَرَ الى قميص لي قد انخرق من عاتقي ، فقال لي : يا مُعاوية ، ألا أكْسُوك قميصاً ؟

قلت : بلى .

فكَساني قميصاً لم ألبَسْه إلا لَبْسةً واحدة ، وهو عندي ؛ واجتزّ ذات يوم فأخذتُ جزازة شَعَرِه وقُلامَةَ أظفاره ، فجعلتُ ذلك في قارورة ، فإذا مِتّ يا بُنيّ فاغسِلْني ، ثم اجعل ذلك الشّعر والأظفار في عَينَيّ ومِنْخَري وفمي ، ثم اجعل قميص رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شِعاراً من تحت كَفَني ، إن نَفَع شيء نفع هذا .

•

لما احتُضِر عمرو بن العاص ، جمع بَنيه فقال : يا بَنيّ ،

---

[1] تضور : تلوى من وجع .

ما تُغنون عني من أمر الله شيئاً .

قالوا : يا أبانا ، إنه الموت ، ولو كان غـيره لوَقَيْناك بأنفسنا .

فقال : أسْنِدُوني .

فأسْنَدوه . ثم قال : اللهم إنك أمرتني فلم أأتمر ، وزجَرتني فلم أزْدَجِر ، اللهم لا قويّ فأنتصر ، ولا بَريء فأعتذر ، ولا مُستكبر بل مُستغفر، أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سُبحانك إني كُنتُ من الظالمين .

فلم يَزَل يُكرّرها حتى مات .

قال : واخبرنا رجالٌ من أهل المدينة أنّ عمرو بن العاص قال لبنيـه عند موتـه : إني لستُ في الشّرك الذي لو مِتُّ عليـه أدخِلتُ النار ، ولا في الاسـلام الذي لو مِتُّ عليه أدْخِلت الجنّة ، فمهما قصّرْتُ فيه فإني مُستَمْسِك بلا إله إلا الله .

وقَبَض عليها يده ، وقُبض لوقته . فكانت يده تُفْتَح ، ثم تُترَك فتَنْقَبض .

وقال لبَنيه : إن أنا مِتّ فـلا تَبكوا عليّ ، ولا يَتبعني

مادحٌ ولا نائح ، وشُنُّوا[1] عليَّ التراب شَنّاً ، فليس جَنْبي الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ، ولا تجعلوا في قبري خَشَبةً ولا حَجَراً ، وإذا وارَيْتُموني فاقعدوا عند قَبري قَدْرَ نَحْر جَزُور وتَفْصيلها أستأنس بكم .

•

١ شنوا ، من شن الماء : صبّه متفرقاً

الجزع من الموت

الفُضَيل بن عِياض قال : ما جَزِع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ما جَزِع سُفيان الثوريّ ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هـذا الجزَع ؟ أليس تـذهَب الى من عَبدْتـه وفررْتَ ببدنك إليه ؟

فقال : ويحكم ! إني أسلكُ طريقاً لم أعرفه ، وأقْدَمُ على ربٍّ لم أره .

•

ولما تُوُفّي سعيدُ بن أبي الحسن وَجد عليه أخوه الحسنُ وَجْداً شديداً ، فكُلّم في ذلك ، فقال : ما رأيتُ الله جعل الحُزْن عاراً على يَعقوب .

•

وقال صالح المرّي : دخلتُ على الحسن وهـو في الموت وهو يُكثِر الاسترجاعَ ، فقال له ابنُـه : أمِثلك يَسترجع على الدنيا ؟

قال : يا بُني ، مـا أستَرجع إلا على نفسي التي لم أُصَب بمثلها قطُّ .

•

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الادْبَر وأصحابـه ، بَعث إليهم أكفانَهم وأمر بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليهـا . فلما قُدِّم حجْر بن الأدبر الى السيف جَزِعَ جَزَعاً شديداً ، فقيل لهُ : أمثلُك يَجزع من الموت ؟

فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهـوراً ، وكفَناً منشوراً ، وقـبراً محفوراً ؟

•

البكاء على الميت

الشَّعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البُكاء إلا من فَضْلِ قُوة ، فإذا اشتدَّ الحُزن ذهَب البكاء . وأنشد :

فلئن بَكَينَاهُ لَحُقٌّ لنا ؛
ولئن تَرَكنا ذاك للصَّبرِ

فَلِمثلِهِ جرَت العُيونُ دماً ؛
ولِمثلِه جَمَدت ولم تَجرِ

•

مرَّ الأحنف بامرأة تبكي مَيْتاً ورجل ينهاها ، فقال : دَعْها فإنها تَندُب عَهْداً قريباً وسفراً بعيداً .

•

قالوا : لما تُوُفِّي إبراهيم بن محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بكى عليه . فسُئِل عن ذلك ، فقال : تدمع العينان ويحزن القلب ولا نقول ما يُسْخِط الرب .

•

ومرّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، بنِسْوة من الأنصار يَبكين مَيتاً ، فزَجَرهنّ عمر ، فقال له النبي ، صلى الله عليه وسلم : دَعْهنّ يا عُمر ، فإنّ النفسَ مُصابة ، والعينَ دامعة ، والعهدَ قريب .

•

ولما بكت نساءُ أهل المدينة على قتلى أحُد ، قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلم : لكنّ حمزةَ لا باكيةَ له . فسمع ذلك أهلُ المدينة ، فلم يَقُمْ لهم مأتم بعدها الى اليوم إلاّ ابتدأ النّساء فيه بالبكاء على حمزة .

قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلم : لولا أن يُشقّ على صَفيّة[1] ما دفنتُه حتى يُحْشَرَ من حواصلِ الطيرِ وبُطون السّباع .

•

ولما نُعي النّعمان بن مُقرّن الى عمرَ بن الخطاب وضع يَدَه على رأسه وصاح : يا أسفي على النّعمان !

•

ولما استُشهِدَ زيد بن الخطّاب باليمامة ، وكان صَحِبه رجلٌ

---

١ هي صفيّة بنت عبد المطلب عمة النبي .

من بني عَدِيّ بن كعب فَرجع الى المدينـة ، فلما رآه عُمر دمَعَت عيناه ، وقال :

وخَلَّفْتَ زيداً ثاوياً وأتيتني

وقال عمرُ بنُ الخطاب، رضي الله عنه : ما هَبَّت الصَّبا إلا وجدتُ نَسيم زَيد . وكان إذا أصابته مصيبة قال : قد فقدتُ زيداً فصبرت .

●

ولما تُوفي خالدُ بن الوليد أيام عمرَ بنِ الخطـاب ، وكان بينهما هجرة ، فامتنع النساء من البكاء عليه . فلما انتهى ذلك الى عمر ، قال : وما على نساء بني المُغيرة أن يُرِقنَ من دمعهن على أبي سُليمان ما لم يكن لَغواً ولا لَقْلَقة[1] .

●

وقال معاوية، وذُكر عنده النساء : ما مَرَّض المَرضى ولا نَدَبَ الموتى مِثلُهنّ .

●

---

[1] اللقلقة : كل صوت فيه حركة واضطراب .

وقال أبو بكر بن عيّاش : نزلت بي مُصيبة أوجعتني ، فذكرتُ قولَ ذي الرُّمة :

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِبُ راحةً
منَ الوَجدِ ، أوْ يَشفي شَجيَّ البلابلِ

فخلوتُ فبكيتُ فسلوتُ .

وقال الفرزدق في هذا المعنى :

ألم ترَ أنّي يومَ جَوِّ سُويقة ،
بَكيتُ فنادتني هُنَيْدةُ ما ليا

فقلتُ لها : إنّ البكاءَ لَراحةٌ ،
به يَشْتَفي من ظَنَّ أنْ لا تلاقيا

قَعيدَكِما اللهَ الذي أنتما له ،
ألم تَسْمعا بالبِيضتَين المُناديا ؟[1]

حَبيبٌ دعا ، والرمل بَيني وبينه ،
فأسمَعني سَقياً لذلك داعيا

يقال : قعيدَك اللهَ ، وقِعْدَك اللهَ ، معناه : سألتُك اللهَ .

•

---

[1] البيضتان : ما حول البحرين من البرية .

القول عند المقابر

قال بعضُهم: خرجنا مع زَيْد بن عليّ نُريدُ الحجّ، فلما بلغنا النّبّاج[1] وصِرنا إلى مقابرها التفت إلينا، فقال:

لكلِّ أُناسٍ مَقبَرٌ بفِنائهم،
فهم ينقُصون، والقُبور تزيدُ

فما إن تزالُ دارُ حيٍّ قد اخرِبت،
وقبرٌ بأفناءِ البُيوت جديدُ

هُمُ جيرةُ الأحياء، أما مَزارُهم
فدانٍ، وأما المُلتقى فبَعيدُ

•

وقال: مررتُ بيزيد الرّقاشيّ، وهو جالسٌ بين المدينة والمقبرة، فقلت له: ما أجلسك ها هنا؟

قال: أنظرُ إلى هذين العَسكرين، فعسكرٌ يقذِفُ الأحياء وعسكرٌ يلتقِم الموتى.

---

١ النباج: موضع قرب مكة.

ثم نادى بأعلى صوته : يا أهلَ القبور الموحشة ، قد نطق بالخراب فناؤها ، ومُمَهّدَ بالتراب بِناؤها ، فمحلُها مُقتَرب ، وساكنُها مُغتَرب ، لا يتواصلون تواصل الاخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله البِلى ، وأكلتهم الجنادل والثّرى .

•

وكان عليُّ بن أبي طالب ، كرّم الله وَجهه ، إذا دخل المقبرة قال : أما المنازل فقد سُكِنت ، وأما الأموالُ فقد قُسّمت ، وأما الأزواج فقد نُكِحَت ، فهذا خَبَرُ ما عِندنا ، فليتَ شِعْري ما عندكم ؟

ثم قال : والذي نفسي بيَده ، لو أُذِن لهم في الكلام لقالوا : إن خير الزّاد التّقوى .

وكان عليُّ بن أبي طالب إذا دَخَل المقبرةَ قال : السلامُ عليكم يا أهل الدّيار المُوحِشة ، والمَحالّ المُقفِرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، اللهمّ اغفر لنا ولهم ، وتَجاوَز بعفوك عنّا وعنهم.

ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كِفاتاً[1] ، أحياءً وأمواتاً ، والحمد لله الذي منها خَلَقنا وجعل اليها مَعادنا ،

---

[1] كفاتاً : اي تكفتنا ، تحفظنا على ظهرها احياء ، وفي بطنها امواتاً .

وعليها مَحْشَرنا ؛ طُوبى لمن ذكر المَعاد ، وعمل الحسنات ، وقنِع بالكَفاف ، ورضي عن الله عزّ وجلّ .

•

وكان النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إذا دخل المقبرة قال : السلامُ عليكم دارَ قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون .

وكان الحَسَن البصريّ إذا دخل المقبرة قال : اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية ، والعِظام النّخرة ، التي خرَجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنة ، أدْخِل عليها رَوحاً منك وسَلاماً منّا .

•

وكان عليُّ بن الفَضل إذا دخل المقبرة يقول : اللهم اجعل وفاتَهُم نجاةً لهم مما يَكرَهون ، واجعل حِسابهم زيادة لهم فيما يُحِبّون .

•

الوقوف على القبور وتأبين الموتى

وقف أعرابيٌّ على قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : قلتَ فقبِلْنا ، وأمرتَ فحَفِظْنا ، وبلَّغتَ عن ربك فسَمِعْنا . «ولو انهم إذ ظلَموا أنفُسَهم جاؤوكَ فاستَغْفَرُوا الله واستَغْفَرَ لهم الرَّسولُ لوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحيماً» . وقد ظَلمنا أنْفُسنا وجِئْناك فاستَغفِر لنا .

فما بَقِيَت عينٌ إلا سالَتْ .

•

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

إنا فقَدْناكَ فَقْدَ الأرض وابلَها ،
وغابَ مُذ غِبْتَ عنا الوحيُ والكُتُبُ

فليتَ قبلَك كان الموتُ صادفَنا
لمَّا نُعيتَ ، وحالَتْ دونك الكُثُبُ

•

حمَّاد بن سَلَمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لمَّا فرَغنا من دَفن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقبلَتْ عليّ

فاطمة فقالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحثُوا على وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، التراب ؟

ثم بكت ونادت :

يا أبتاه ! أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه ! مِن ربّه ما أدناه، يا أبتاه ! مَن ربُّه ناداه، يا أبتاه ! الى جبريل ننعاه، يا أبتاه ! جنّة الفِرْدوس مأواه .

قال : ثم سكتتْ ، فما زادت شيئاً .

•

ولما دُفِن عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، أقبل عبدُ الله ابن مسعود وقد فاتته الصلاةُ عليه ، فوقف على قبره يبكي ويطرح رِداءه ، ثم قال : والله لئن فاتتني الصلاة عليك لا فاتني حسنُ الثّناء ، أما والله لقد كنتَ سخيّاً بالحقّ ، بخيلاً بالباطل ، ترْضى حين الرّضا ، وتسخط حين السُّخْط ، ما كنتَ عيّاباً ولا مدّاحاً ، فجزاك الله عن الاسلام خيراً .

•

ووقف عليٌّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، على قبر خبّاب، فقال : رَحِمَ الله خبّاباً ، لقد أسلم راغباً ، وجاهد طائعاً ،

وعاش زاهداً ، وابتُلِيَ في جسمه فصَبر ، ولن يُضَيّعَ الله أجرَ من أحسن عملاً .

•

ولما تُوفي عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، قام الحسنُ ابن عليّ، رضي الله عنهما ، فقال : أيها الناس، إنه قُبِض فيكم الليلةَ رجلٌ لم يَسبقه الأولون ولم يُدرِكه الآخِرون ، قد كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَبعثه فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، لا يَنثني حتى يَفتح اللهُ له ، ما ترَكَ صفراء ولا بَيضاء إلا سَبعمائة دِرهم أعدّها لخادم له .

•

عبدُ الرحمن بن الحسن عن محمد بن مُصْعَب قال : لما مات داود الطائي تكلّم ابنُ السمّاك فقال : إنّ داودَ نَظر الى ما بين يَديه من آخرته ، فأغشى بَصَرُ القَلب بصرَ العَين ، فكأنه لم يَنظر الى ما إليه تَنظرون ، وكأنكم لم تَنظُروا الى ما إليه نَظر ، وأنتم منه تَعجبون ، وهو منكم يَعجَب ، فلما رآكم مَفتُونين مَغرورين، قد أذهلَت الدُّنيا عقُولَكم ، وأماتت بحُبّها قُلوبَكم ، استوحش منكم ، فكنتَ إذا نظرتَ إليه حَسبتَه حياً وَسْط أموات .

يا داود ، ما أعجبَ شأنَك بين أهل زمانك ! أهَنْتَ

نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتعبتها وإنما تريد راحتها. أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه ، وأخشنت الملبس وإنما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تقبر ، وعذبتها قبل أن تعذب . سجنت نفسك في بيتك ولا محدث لها ولا جليس معها ، ولا فراش تحتك ، ولا ستر على بابك ، ولا قلة تبرد فيها ماءك ، ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك .

يا داود ، ما تشتهي من الماء بارده ، ولا من الطعام طيبه ، ولا من اللباس لينه ، بلى ، ولكن زهدت فيه لما بين يديك ، فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما رغبت وأملت !

لم تقبل من الناس عطية ، ولا من الاخوان هدية ، فلما مت شهرك ربك بفضلك ، وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حضرك علمت أن ربك قد أكرمك وشرفك.

•

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنشد :

فوالله ، لا أنسى قتيلا ، رزئته
بجانب قوسى ، ما مشيت على الأرض [1]

---

[1] قوسى : بلد بالسراة .

بلى إنّها تعفو الكُلوم، وإنّما
نُوكَّلُ بالأدنى، وإن جلَّ ما يمضي

•

ووقف محمد بن الحَنَفِيَّة على قبر الحُسين بن علي، رضي الله عنهما، فخَنَقَتْه العَبْرة، ثم نَطَق فقال: يَرْحمك الله أبا محمد، فلئن عزَّت حياتُك فلقد هَدَّت وفاتُك، ولَنِعْم الرُّوح روحٌ ضَمَّه بَدَنُك، ولَنِعْمَ البَدن بَدَنٌ ضَمَّه كَفَنُك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيّة وَلدِ الأنبياء، وسليل الهُدى، وخامس أصحاب الكِساء[1]، غَذَتْك أكُفُّ الحقّ، ورُبِّيت في حِجْر الاسلام، فطِبْتَ حياً وطِبت ميتاً، وإن كانت أنفُسنا غيرَ طيّبة بفِراقك، ولا شاكّة في الخيار لك.

•

ووقفت عائشةُ على قبر أبي بَكْر فقالت: نَضَّر الله وجْهَك، وشَكرَ لك صالح سَعْيك، فقد كنتَ للدنيا مُذِلاً بإدْبارك عنها، وكنتَ للآخرة مُعِزّاً بإقبالك عليها، ولئن

---

١ أصحاب الكساء هم: النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين خامسهم، وقيل لهم ذلك لالتفافهم بالكساء اليماني في بيت فاطمة فقال النبي: هؤلاء عترتي وأهل بيتي.

كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رُزْؤُك ، وأعظم المصائبِ بعده فقدُك ، إنّ كتاب الله لَيَعِد بحُسن الصبر فيك وحُسْن العوَض منك ، فأنا أنتجز موعود الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار لك ، فعليك السلامُ ورحمة الله ، توْديعَ غير قاليةٍ لك ، ولا زارية على القضاء فيك . ثم انصرفت .

•

لما قُبِض أبو بكر ، رضي الله عنه ، سُجِّي بثوب ، فارتَجَّت المدينةُ بالبُكاء عليه ودهِش القوم كيوم قُبِض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وجاء عليٌّ بن أبي طالب باكياً مُسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول : رَحمك الله أبا بكر ، كنت والله أولَ القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدّهم يقيناً ، وأعظمَهم غَناء ، وأحفظَهم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأحدبَهم على الاسلام ، وأحناهم على أهلِه ، وأشبههم برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خُلُقاً وفَضْلاً وهَدْياً وسَمْتاً ؛ فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المُسلمين خيراً .

صدّقتَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين كَذّبه الناس ، وواسيتَه حين بَخِلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، سمّاك

الله في كتابه صِدّيقاً فقال : «والذي جاءَ بالصّدق وصدّق به» يريد محمداً ويُريدك .

كنتَ والله للاسلام حِصْناً ، وعلى الكافرين عَـذاباً ، لم تُفلَل حُجّتُك ، ولم تَضْعُف بصيرتُك ، ولم تَجبُن نفسك .

كنتَ كالجبل لا تُحرّكه العواصف ولا تُزيله القَواصف .

كنتَ كما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نَفْسك ، عظيماً عند الله ، قليلاً في الأرض ، كثيراً عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مَطْمَع ، ولا لأحدٍ عندك هَوادة ، فالقويُّ عندك ضعيفٌ حتى تأخذَ الحقّ منه ، والضعيفُ عندك قويٌّ حتى تأخذ الحقّ له ، فلا حَرَمنا الله أجرَك ، ولا أضلّنا بعدك .

•

وقف عبد الملك بن مَروان على قبر معاوية فقال : تالله إن كنت إلا كما علمت ، يُنْطِقك العِلم ، ويُسْكِتك الحِلم . ثم أنشأ يقول :

وما الدّهرُ والأيّامُ إلاّ كما ترى ،
رَزِيّةُ مالٍ ، أو فِراقُ حَبيبِ

•

الهيثم بن عدي قال : لما هَلَكَ زياد استعمل مُعاوية

الضحّاك على الكوفة ، فلما دخلها ، سأل عن قبر زياد ، فدُلّ عليه ، فأتاه حتى وقف به ، ثم قال :

أبا المُغيرةِ ، والدنيـا مفجّعةٌ ،
وإنّ من غرّت الدُّنيا لمغرُورُ

قد كان عندك للمعروف معرفةٌ ،
وكان عنـدك للنُّكْراء تنكيرُ

لو خلّد الخيرُ والاسلامُ ذا قدمٍ ،
إذاً لخلّدك الاسلامُ والخيرُ

والأبيات لحارثة بن بدر يرثي زياداً .

•

المدائني قال : لما دفن عليُّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، فاطمةَ عليها السلام تمثّل عند قبرها فقال :

لكلّ اجتماعٍ من خليلين فُرقةٌ ،
وكلُّ الذي دون المَمات قليلُ

وإنّ افتقادي واحداً ، بعد واحدٍ ،
دليلٌ على أنْ لا يدُومَ خليل

•

لما مات الحسن بن عليّ، عليهما السلامُ، ضَربت امرأته فُسطاطاً على قبره وأقامت حولاً، ثم انصرفت الى بيتها، فسمعَتْ قائلاً يقول: أدْرَكوا ما طلبوا. فأجابه مُجيب: بل ملّوا فانصرفوا.

•

ابن الكلبي قال: وقفت نائلة بنتُ الفُرافِصَة الكلبية[1] على قبر عثمان فترحّمت عليه، ثم قالت:

وما ليَ لا أبكي، وتبكي صَحابتي،
وقد ذهبَتْ عنّا فُضول أبي عَمْرو

ثم انصرفتْ الى منزلها، فقالت: إنّي رأيتُ الحُزْنَ يَبْلى كما يَبْلى الثوبُ، وقد خِفْتُ أن يَبْلى حُزْنُ عثمان في قلبي.

فدعَت بفِهْر[2] فهشّمت فاها وقالت: والله لا قعد منّي رجل مَقْعد عثمان أبداً.

•

لما هلك الاسكندر قامت الخُطباء على رأسه، فكان من قولهم:

---

١ نائلة: هي زوجة عثمان بن عفان.

٢ فهر: حجر رقيق تسحق به الادوية.

الاسكندر كان أمسِ أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس. أخذ هذا المعنى أبو العتاهية ، فقال عند دَفنه ولداً له:

كَفى حَزَناً بدَفنِك ، ثم أنّي
نفضتُ تُرابَ قَبرِك من يَديّا

وكنتَ ، وفي حياتك لي عِظاتٌ ،
فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حيّا

•

وقف أبو ذَرّ الهَمْداني على قبر ابنه ذَرّ فقال : يا ذَرّ ، شغلني الحزنُ لك عن الحُزن عليك ، فليتَ شِعْري ما قُلتَ وما قيل لك .

ثم قال : اللهم إنّي قد وهبتُ لك إساءَته إليّ ، فهَبْ له إساءَته إليك .

فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال : يا ذرّ ، قد انصرفنا وتَرَكْناك ، ولو أقمنا ما نَفعناك .

•

وَقف محمد بن سُليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ، فحقّق رجائي وآمِن خوفي .

•

وقفت أعرابيّة على قبر أبيها فقالت: يا أبتِ ، إنّ في الله ، تبارك وتعالى ، من فَقدِك عِوضاً ، وفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من مُصيبتك أسوة .

ثم قالت : اللهم ، نَزل بك عبدُك مُقْفِراً من الزاد ، مُخْشَوْشِنَ المِهاد ، غَنيّاً عما في أيدي العباد ، فقيراً الى ما في يَديك يا جوّاد ، وأنت اي ربّ خيرُ مَنْ نزل به المُؤمّلون ، واستَغنى بفَضْلِه المُقِلّون ، وولَج في سَعة رَحْمته المُذْنِبون . اللهم فَلْيكُن قِرى عبدك منك رحمتَك ، ومِهادُه جنّتَك .

ثم انصرفت .

•

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلتُ على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خِباء لها وبين يَديها بُنَيّ لها قد نزلَ به الموتُ ، فقامتْ إليه فأغمضَته وعَصَبته وسَجّته ، وقالت : يابن أخي .

قلتُ : ما تشائين ؟

قالت : ما أحَقّ من ألبس النّعمة وأُطيلَت به النّظرة أن لا يدع التوثّق من نَفسه قبل حلّ عُقْدته ، والحُلول بعَقْوَته[1] ، والمَحالة بينه وبين نَفْسه .

---

[1] العقوة : الساحة . والمراد بها هنا القبر .

قال : وما يَقطر من عينها دمعةٌ صبراً واحتساباً . ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لبَطْنه ولا أمره لعِرسه .

ثم أنشدت :

رَحيبُ ذِراعٍ بالتي لا تَشينُه ،
وإن كانت الفَحشاء ضاق بها ذَرْعا

•

وَقفَ عمرُ بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال : رَحمك الله يا بُنيّ ، فلقد كُنتَ سارّاً مولوداً بارّاً ناشئاً ، وما أحسِب أنّي لو دعوتُك أجبْتني .

•

تُوفي رجل كان مُسْرِفاً على نفسه بالذُّنوب ، فتحامى الناسُ جِنازَته ، فبلغ عمرَ بن ذرّ خبرُه ، فاوصى الى أهله أن خُذوا في جِهازه فإذا فرَغتم فآذِنوني ، ففعلوا وشَهِدَه عمر بن ذَرّ وشهده الناسُ معه ، فلما فَرَغ من دَفنه وقفَ عمر بن ذرّ على قبره فقال : يَرْحمك الله أبا فلان ، فلقد صَحِبْتَ عُمرَكَ بالتّوحيد ، وعَفّرْتَ لله وَجهَك بالسُّجود ، فإن قالوا مُذْنب وذو خطايا ، فمن منّا غيرُ مُذْنب وغيرُ ذي خَطايا ؟

•

سمع الحسنُ جاريةً واقفة على قبر أبيهـا وهي تقول : يا أبتِ ، مثلَ يومك لم أرَه .

قال : الذي والله لم يرَ مثلَ يومه أبوك .

•

وسمع عمر بن عبد العزيز خصيّاً للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو يقول : يا مولاي ، ماذا لَقينا بعدك ؟

فقال له عمر : أما والله لو أذِن له في الكلام لأخبر أنه لَقِي بعدكم أكثرَ مما لَقيتم بعده .

•

وقف مُعاوية على قَبر أخيه عُتبة فدعا له وترَحّم عليه ، ثم التفت الى مَن معه ، فقال : لو أنّ الدُّنيا بُنِيت على نِسيان الأحِبة ما نَسيتُ عُتبة أبداً .

المراثي

من رثى نفسه ووصف قبره وما يُكتب على القبر

قال ابنُ قُتَيْبة : بلغني أن أوّل مَن بكى على نفسه وذكَرَ الموت في شِعْره يَزيد بن خَذّاق ، فقال :

هل للفتى من بنات الدهر مِن واقِي،
أم هل له من حِمام الموتِ من راقِي؟

قد رَجّلوني، وما بالشَّعر من شَعَث،
وألبَسوني ثِياباً غيرَ أخلاقِ[1]

وطَيَّبوني، وقالوا : أيّما رَجُلٍ،
وأدْرَجوني كأنّني طَيّ مِخْراق[2]

وأرسَلوا فِتْيَةً من خَيرِهمْ حَسَباً،
ليُسْنِدُوا في ضَريحِ القبرِ أطْباقي[3]

---

١ رجلوني : سرحوا شعري .
٢ ادرجوني : لفوني . المخراق : ثوب او منديل يُلف ثم يُضرب به .
٣ الأطباق : فقار الظهر .

وقَسَّمُوا المال وارفضّت عوائدُهم ،
وقـال قائلُهُم : مـاتَ ابنُ خَدّاق

هوِّن عليـكَ ، ولا تُـولَـع بإشفاقِ ،
فإنّما مـــالُنا للوارثِ البـاقي

•

وقال أبو ذُؤَيب الهُذليّ يَصِفُ حُفرته :

مُطَأطَأةٌ لم يُنْبِطوهـا ، وإنها
ليَرضى بها فُرّاطُها أمّ واحـدِ[1]

قَضَوا ، ما قَضَوا ، من رمّها ، ثم أقبلوا
إليّ بِطاءَ المَشْيِ ، غُبْرَ السّواعـد

فكنتُ ذَنُوبَ البِئر لمّا تَبَسَّلت ،
وأُدرِجتُ أكفاني ، ووُسِّدتُ ساعدي[2]

•

وقال عُروة بن حِزام لما نزل به الموتُ :

مَن كانَ مِن أخَواتي باكياً أبداً ،
فاليومَ إني أراني اليـومَ مَقبُوضا

---

١ مطأطأة : يعني الحفرة . لم ينبطوها : لم يخرجوا ماءها لأنها قبر . الفراط : الذين يحفرونها . أم واحد : اي يدفن فيها واحد .

٢ الذنوب : الدلو ، جعل نفسه ذنوباً للحفرة . تبسلت : كره منظرها .

يُسْمِعُنَنِيهِ ، فإنّي غيرُ سامِعِه ،
إذا عَلوتُ رِقابَ القومِ مَعْروضا

•

وقال الطِرِمّاح بن حَكيم :

فيا ربّ ! لا تَجعل وَفاتيَ ، إن أتَتْ ،
على شَرْجَعٍ ، يُعْلى بخُضْرِ المَطارِفِ[١]

ولكنْ شهيداً ثاوياً في عصابةٍ ،
يُصابون في فَجٍّ من الأرض خائف

إذا فارَقوا دُنياهمُ فارَقوا الأذى ،
وصاروا الى مَوعُود ما في الصّحائف

فأُقْتَلَ قَعْصاً ، ثمّ يُرْمى بأعظُمي
مُفَرَّقةً أوصالُها في التّنائف[٢]

ويُصْبِحَ لَحمي، بطنَ نَسْرٍ مَقيلُه ،
بجَوّ السماءِ في نُسورٍ عواكف

•

---

١ الشرجع : النعش .
٢ القعص : الموت . التنائف ، واحدتها تنوفة : المفازة .

وقال مالك بن الرَّيْب يَرْثي نَفْسه ويصِف قبرَه ، وكان خرَج مع سَعيد بن عثمان بن عفّان لما وَلِيَ خُراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن يَلْبَس خُفّه ، فإذا بأفعى في داخلها فلسعَتْه ، فلما أحسَّ الموتَ استَلقى على قفاه ، ثم أنشأ يقول :

دَعاني الهَوى من أهل أُودَ ، وصُحبَتي
بذي الطَّبَسَين ، فالتفتُّ ورائيا[1]

فما راعني إلاّ سَوابقُ عَبرةٍ ،
تقنَّعتُ منها ، أن ألامَ ، رِدائيا

ألمْ ترَني بِعتُ الضلالةَ بالهُدى ،
وأصبحتُ في جَيشِ ابن عفّان غازيا؟

فللّه دَرّي حين أترُك ، طائعاً ،
بَنيَّ بأعلى الرقمتَين ، وماليا

ودَرُّ كبيرَيَّ ، اللذَين كلاهما
عليَّ شفيقٌ ، ناصحٌ لو نَهانيا

---

١ أود : موضع في ديار بني تميم . الطبسان : بابا خراسان ، وقيل كورتان بها .

وذَرْ الظِّباءِ السانحاتِ عَشيَّةً ،
يُخَبِّرْنَ أني هالكٌ ، مَن أماميا

تقول ابنتي ، لمّا رأت وَشْكَ رِحلتي :
سِفارُكَ هذا تارِكي لا أبا ليا

ألا ليتَ شِعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ ،
كما كنتُ لو عالَوا نَعِيَّكِ باكيا[1]

إذا مُتُّ ، فاعتادي القبورَ وسلِّمي
عليهنَّ ، أُسقِينَ السحابَ الغواديا

على جَدَثٍ ، قد جرّت الرّيحُ فوقَه
تُراباً ، كَسَحْقِ المَرْنبانيّ هابيا[2]

فيا صاحبَيْ رَحلي ! دَنا الموت ، فاحفِرا
برابيةٍ ، إنّي مُقيمٌ لياليا

وخُطّا بأطرافِ الأسنّةِ مَضجعي ،
ورُدّا على عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدائيا

---

١ ام مالك : زوجته .
٢ المرنباني : كساء من خز . هابياً : منتشراً .

وَلَا تَحْسُدَانِي ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ،
مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا

خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا ،
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْباً قِيَادِيَا

تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ ، فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا

وَأَدْهَمَ غِرْبِيبٍ ، يَجُرُّ لِجَامَهُ
الَى الْمَاءِ ، لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا[1]

وَبِالرَّمْلِ لَوْ يَعْلَمْنَ عِلْمِي نِسْوَةٌ ،
بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا

عَجُوزِي ، وَأُخْتَايَ اللَّتَانِ أُصِيبَتَا
بِمَوْتِي ، وَبِنْتٌ لِي تَهِيجُ الْبَوَاكِيَا[2]

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ،
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا

---

١ غربيب : حالك ، وأراد فرسه .
٢ اراد بالعجوز أمه .

تَحَمَّلَ أصحابي عِشاءً ، وغادَرُوا
أخا ثِقَةٍ ، في عَرْصَةِ الدَّار ، ثاوِيا

يقُولون لا تَبْعَدْ ! وهم يَدْفِنُونني ،
وأينَ مَكانُ البُعْدِ إلاَّ مَكانيا ؟

•

وقال رجلٌ من بني تَغْلب يقال له أُفْنُون ، وهو لَقبه ، واسمه صُرَيم بن مَعْشر بن ذُهْل بن تَيْم بن عمرو بن مالك ابن حبيب بن عمرو بن عُثمان بن تَغْلِب ، ولَقِيَ كاهناً في الجاهليّة ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له إلاهَة .

فمكث ما شاء الله ، ثم سافر في رَكْب من قومه الى الشام فأتَوها ، ثم انصرفوا فضلّوا الطّريق ، فقالوا لرجل : كيف نأخذ ؟

فقال : سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظَهَر لكم الطريق ورأيتم إلاهة — وإلاهة قارة بالسّماوة — .

فلما أتَوها نزل أصحابُه وأبى أن يَنزل، فبينما ناقتُه تَرتعي وهو راكبها إذ أخَذتْ بمِشْفَر ناقته حيّة ، فاحتكت الناقةُ بمشفرها فلدغتْ ساقَه ؛ فقال لأخيه وكان معه ، واسمه معاوية : احفر لي فإني ميّت . ثم تغنّى قبل أن يموت يبكي نفسه :

فلستُ على شيءٍ ، فرُوحَنْ مُعاوِيا ،
ولا المُشْفِقاتُ إذ تَبِعْنَ الحوازيا[1]

ولا خيرَ فيما يَكْذِبُ المرءُ نفسَه ،
وتَقْوالِهِ للشيء : يا ليتَ ذا ليا

وإن أعجبَتكَ، الدهرَ، حالٌ من امرىء،
فدَعْه ، وواكِلْ حاله والليّاليا

يَرُحْنَ عليه ، أو يُغَيِّرْنَ ما به ،
وإنْ لم يكُنْ، في جَوفِهِ العَيشُ، وانيا

فطأ مُعرِضاً ، إنّ الحُتوفَ كثيرةٌ ،
وإنّكَ لا تُبْقي بنفسِكَ باقِيا

لعَمرُكَ! ما يَدري امرؤٌ كيف يتّقي،
إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقِيا

كفى حَزَناً أن يَرْحلَ الرَّكبُ غُدوةً ،
وأُتْرَكَ ، في أعلى إلاهةَ ، ثاويا

قال : فمات فدفنوه بها .

●

---

[1] لست على شيء : أي لست أقدر على شيء . الحوازي : الكواهن ، يريد انه لا يستطيع هو ولا النساء المشفقات ولا الكواهن ، ردّ ما كتب عليه .

وقال هُدْبة العُذري لما أيْقن بالموت :

ألا عَلّلاني قبلَ نَوح النوائحِ ،
وقبلَ اطّلاع النّفس بين الجَوانحِ

وقبل غدٍ، يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ،
إذا راح أصْحابي ولستُ برائحِ

إذا راح أصحابي بفَيْض دُموعهم ،
وغُودِرتُ في لَحْدٍ عليّ صَفائحي

يقولون : هل أصلحتمُ لأخيكمُ ؟
وما الرَّمسُ في الأرض القِواء بصالحِ[1]

•

وقال محمد بن بَشير :

ويلٌ لمن لم يَرحمِ اللهُ ، ومَن تكون النارُ مَثواهُ
والويل لي من كلّ يومٍ أتى يُذكِرُني الموتَ ، وأنساه
كأنّه قد قيل في مَجْلسٍ ، قد كنتُ آتيه وأغْشاه :
صار البَشيريّ الى ربّه ، يَرْحَمُنا اللهُ وإيّاه

•

---

[1] القواء : القفر .

ولما حضرت أبا العتاهية الوفاةُ ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، أوصى بأن يُكتب على قبره هذه الأبيات الاربعة :

أذنَ حيٍّ تسمَّعي ، اسمعي ثمَّ عِي وَعِي
أنا رهنٌ بمَضجَعي ، فاحذَري مثلَ مَصرَعي
عِشتُ تِسعينَ حِجَّةً ، ثمَّ وافيتُ مَضجعي
ليس شيءٌ سِوى التُّقى ، فخُذي منه ، أو دَعي

وعارَضه بعضُ الشعراء في هذه الابيات ، وأوصى بأن تُكتب على قبره أيضاً فكُتبت ، وهي :

أصبَح القبرُ مَضجعي ، ومحلّي ، وموْضِعي
صرعَتني الحتوفُ في التُّرْ بِ ، يا ذلَّ مَصرَعي
أينَ إخواني ، الذينَ إليهمْ تطلُّعي ؟
مُتُّ وَحدي ، فلم يمُت واحدٌ منهمُ معي

•

وُجِد على قبر جارية إلى جنبِ قبرِ أبي نواس ثلاثة أبيات ، فقيل انها من قول أبي نواس ، وهي :

أقولُ لقبرٍ زرتُه مُتلثِّماً :
سَقى اللهُ بَرْدَ العفْوِ صاحبةَ القبرِ [1]

---

١ متلثماً : باغياً لثمه.

لقد غيّبوا تحت الثرى قمرَ الدُجى،
وشمس الضحى، بين الصفائح والعَفْرِ [1]

عَجِبتُ لعينٍ بعدَها ملّتِ البُكا،
وقلبٍ عليها يرتجي راحةَ الصبرِ

•

الرِّياشي قال: وُجدتْ تحت الفِراش الذي مات عليه أبو نواس رُقعةٌ مكتوب فيها هذه الأبيات:

يا ربِّ، إنْ عَظُمَتْ ذُنوبي كثرةً،
فلقد علِمتُ بأنّ عفوَكَ أعْظَمُ

إن كان لا يَرْجوكَ إلا مُحسنٌ،
فبمَن يَلوذُ، ويستَجيرُ المُجرمُ؟

أدْعوكَ ربِّ، كما أمرتَ تَضرُّعاً،
فإذا رَدَدْتَ يَدي، فمَنْ ذا يَرْحَمُ؟

ما لي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا،
وجميلُ عَفوكَ، ثم أنّي مُسْلِمُ

•

---

[1] العفر: التراب.

الخُشَنيّ قال : أخبرنا بعضُ أصحابنا ممن كان يَغشى مجلسَ الرِّياشي، قال : رأيتُ على قبرِ أبي هاشم الايادي بواسط :

المَوتُ أخرَجَني من دارِ مملكتي،
والموتُ أضرعَني، من بَعد تشريفي[1]

لله عبدٌ رأى قبري، «فأعبَرَه»،
وخاف من دهره رَيْبَ التّصاريفِ[2]

•

الأصمعيّ قال : أخذ بيدي يحيى بن خالد بن بَرْمك فوقفني على قبر بالحيرة، فإذا عليه مكتوب :

إنّ بَني المُنذر، لمّا انقضَوْا،
بحيثُ شاد البيعةَ الراهبُ

تَنفَحُ بالمسك مَحاريبُهم،
وعنبرٍ يَقطِبه قاطبُ[3]

والخبزُ واللحمُ لهم راهنٌ،
وقهوة راوُوقها ساكِبُ[4]

---

١ أضرعني : أذلني .
٢ اعبره : أراد جعله يعتبر اي يتعظ . ولا وجود لهذه اللفظة في المعاجم التي بين ايدينا .
٣ يقطبه : يمزجه .
٤ الراووق : ناجود الشراب الذي يروق به فيصفى .

والقُطنُ والكتّـان أثوابُهُم،
لم يجلِب الصّوفَ لهم جالِب

فأصبَحوا قُوتاً لدود الثّرى ؛
والدّهرُ لا يَبقى له صاحب

كأنما حياتُهم لُعبَـةٌ،
سَرى إلى بينٍ بها راكبُ

وقال أبو حاتم: بينٍ موضع من الحِيرة على ثلاث لِيالِ .

•

الشّيْباني قال : وُجد مكتوباً على بعض القُبور :

مَلّ الأحِبّةُ زورَتي، فجُفيتُ،
وسكنتُ في دارِ البِلى ، فنُسيتُ

الحيُّ يكْذِب، لا صديقَ لميّتٍ،
لو كان يَصْدُقُ مات حين يموتُ

يا مؤنِساً! سكنَ الثّرى وبقيتُ،
لو كنتُ أصدُق إذ بليتَ بَليتُ

أو كان يَعمى للبُكاء مُفجّعٌ،
من طول ما أبكي عليك، عَميتُ

•

وقال محمدُ بن عبد الله :

وعمّا قليلٍ لن ترى باكياً لنا ،
سيَضحك من يبكي، ويُعرض عن ذِكري

ترى صاحبي يَبكي قليلاً لفُرقتي،
ويَضحكُ من طول الليالي على قبري

ويُحْدِثُ إخواناً ، ويَنسى مَودّتي ،
وتَشْغله الأحبابُ عني ، وعن ذكري

•

من رثى ولده

فمن قولي في ولدي :

بَليتْ عِظامُكَ ، والأسى يتجدّدُ ،
والصّبر يَنفد والبُكا لا يَنْفَدُ

يا غائباً لا يُرْتَجى لإيابه
ولِقائه ، دون القِيامة ، مَوْعد

ما كان أحْسَنَ مُلحَداً ضُمّنْتَه ،
لو كان ضمّ أباك ذاك المُلْحَد

بالبأسِ أسلُو عنكَ ، لا بتجلّدِي ؛
هيهاتَ أينَ من الحَزينِ تجَلُّدُ!

•

ومن قولي فيه ايضاً :

واكَبِدا ! قد قُطِّعت كَبِدي ،
وحَرَّقتها لواعجُ الكَمَدِ

ما ماتَ حيٌّ لميْتٍ ، أسفاً ،
أعذرَ من والدٍ على ولَدِ

يا رَحْمةَ الله جاوِرِي جَدَثاً ،
دَفنْتُ فيه حُشاشتي بيَدي

ونوِّري ظُلمةَ القُبور على
مَن لم يَصِلْ ظُلمُه الى أحد

مَن كان خِلْواً من كلِّ بائقةٍ ،
وطيِّبَ الرُّوحِ طاهرَ الجَسَدِ

يا موتَ يحيى ! لقد ذهبتَ به ،
ليس بزُمَّيْلةٍ ولا نَكِدِ[1]

---

١ الزميلة : الجبان الضعيف .

يا موتَـه ! لو أقلتَ عثرته ؛
يا يومَه ! لو تركتَه لِغَدِ !

يا موتُ ! لو لم تكُنْ تُعاجلـه ،
لكان لا شكَّ بَيْضـةَ البَلَـدِ[1]

أو كنتَ راخيتَ في العنان له ،
حاز العُلا واحتوى على الأمَـدِ[2]

أيَّ حُسام سَلَبتَ رَونَقه ؛
وأيَّ رُوح سَلَلتَ من جَسَـدِ

وأيَّ ساقٍ قَطعتَ من قَدَم ؛
وأيَّ كَفٍّ أزلْتَ من عَضُدِ ؟

يا قمَراً أجْحف الخُسوف به ،
قبل بُلوغ السَّواء في العَـدَدِ[3]

أيُّ حَشى لم تَـذُب له أسَفاً ؛
وأيَّ عينٍ عليه لم تَجُدِ ؟

---

١ بيضة البلد : السيد .
٢ الأمد : الغاية .
٣ اراد بالسواء : الليلة الرابعة عشرة ، اي انه لم يكتمل بدراً .

لا صَبرَ لي، بَعْدَه، ولا جَلَدٌ،
فُجِعتُ بالصَّبرِ فيه والجَلَد

لو لم أمُتْ، عند موته، كمَداً،
لَحَقٌّ لي أن أموت من كَمَدي

يا لوعةً! ما يزال لاعِجُها
يَقدح نارَ الأسى على كَبِدي[1]

•

وقلت فيه أيضاً:

قَصَدَ المَنُونُ له، فمات فقيدا،
ومضى على صَرف الخُطوب حَميدا

بأبي وأمّي هالِكاً أفردتُه،
قد كان، في كلّ العُلوم، فريدا

سُودُ المقابِرِ أصبحتْ بِيضاً به،
وغدت له بِيضُ الضّمائِر سُودا

لم نُرْزَه، لمّا رُزِينا، وَحْدَه،
وإن استقلّ به المَنُونُ وحيدا[2]

---

١ لاعجها: نارها المحرقة.
٢ رزينا، مثل رزئنا: اصبنا.

لكنْ رُزِئنا القاسمَ بنَ محمّدٍ ،
في فَضْله ، والأسودَ بنَ يَزِيدا

وابنَ المُبارك في الرقائق مُخبِراً ،
وابنَ المُسيِّب في الحديث سَعيدا

والأخفَشَينِ فَصاحةً وبلاغةً ،
والأعْشَيَينِ رِوايةً ونشِيدا

كان الوصِيُّ ، إذا أردتُ وصِيّةً ،
والمُستفادَ ، إذا طلبتُ مُفِيدا

ولّى حَفِيظاً في الأذِمّة ، حافظاً ،
ومضى وَدُوداً في الورى مَوْدُودا

ما كان مِثلي ، في الرزيّة ، والداً ،
ظَفِرتْ يَداه بمثله مَولودا

حتى إذا بَذّ السَّوابقَ في العُلا ،
والعِلمِ ، ضُمّنَ شِلوُهُ مَلحُودا[1]

يا مَن يُفنِّد ، في البُكاء ، مُوَلَّهاً ،
ما كان يَسْمع ، في البُكا ، تَفنيدا[2]

---

١ بذّ : فاق . شلوه : اراد جثته .
٢ يفند ، من فنده : خطّأ رأيه .

تأبى القلوبُ ، المستكينةُ للأسى ،
من أن تكون حجارةً وحديدا

إنَّ الذي باد السرورُ بموته ،
ما كان حزني بعده ليبيدا

الآنَ لمّا أن حويتَ مآثراً ،
أعييتَ عدُوّاً في الورى وحسُودا

ورأيتُ فيك من الصلاحِ شمائلاً ،
ومن السّماح دلائلاً وشهودا

أبكي عليك ، اذا الحمامة طرّبت ،
وجهَ الصّباح ، وغرّدت تغريدا

لولا الحياءُ ، وأنْ أُزَنّ ببدعة
مما يعدّه الورى تعديدا[1]

لجعلتُ يومَك في المناحِ مآتماً ؛
وجعلتُ يومَك في الموالدِ عيدا

•

وقلت فيه ايضاً :

لا تَبِتَ بِسَكن، إلاّ فارَق السَّكَنا،
ولا امتلا فرَحاً ، إلا امتلا حزَنَا

---

١ ازن : اتهم .

لَهفي على مَيتٍ ماتَ السُّرور به ،
لو كان حَيّاً ، لأحيا الدينَ والسُّنَنا

واهاً عليك أبا بَكرٍ ، مُرَدَّدةً ،
لو سَكَّنَتْ وَلَهاً ، أو فتَّرت شَجَنا

إذا ذكرتُكَ يوماً قلتُ : واحزَنا ،
وما يَرُدُّ عليَّ القولُ : واحزَنا

يا سيِّدي ، ومَراحَ الرُّوحِ في جَسَدي ،
هلاَّ دَنا الموتُ منّي حينَ مِنْكَ دنا

حتى يعودَ بنا في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ،
لَحْدٍ ، ويُلْبِسَنا ، في واحدٍ ، كَفَنا

يا أطيبَ الناس رُوحاً ، ضَمَّهُ بَدَنٌ ،
أستودع اللهَ ذاكَ الروحَ والبَدَنا

لو كنتُ أُعطى به الدنيا ، معاوضةً
منه ، لما كانت الدُّنيا له ثَمَنا

•

وقال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ ، وكان له أولادٌ سبعة فماتوا كلّهم إلا طفلاً ، فقال يرثيهم :

أمِنَ المَنونِ وَرَيْبِهِ تَتوجّعُ ؟
والدّهرُ ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ[1]

قالت أُمَيمةُ : ما لجِسْمِك شاحباً ،
منذ ابْتُذِلتَ ، ومثلُ مالِك يَنْفع

أم ما لجِسْمِك لا يُلائِم مَضْجَعاً ،
إلا أَقَضّ عليك ذاكَ المَضْجع ؟[2]

فأجبْتُها أنْ ما لجِسمي ، إنّه
أودى بَنِيّ من البلادِ ، فودّعوا[3]

أودى بَنِيّ ، وأعقبُوني حَسْرةً ،
بعد الرُّقاد ، وعَبْرةً ما تُقلِع

سَبَقُوا هَوِيّ ، وأَعنَقُوا لهواهمُ ،
فتُخُرِّموا ولكلّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[4]

فبَقِيتُ ، بعدهمُ ، بعَيْشٍ ناصِبٍ ؛
وإخالُ أنّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

---

١ أراد بالمنون : الدهر .
٢ أقض عليه المضجع : تترب وخشن .
٣ أودى : هلك
٤ هوي : هواي . اعنقوا : تبع بعضهم بعضاً . تخرموا : هلكوا .

ولقد حَرَصْتُ بأن أدافعَ عنهُمُ،
وإذا المَنيَّةُ أقبلتْ لا تُدْفَعُ

وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارَها،
ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنْفعُ[1]

فالعينُ بَعدهمُ كأنَّ حِداقَها
سُمِلتْ بشَوكٍ، فهي عُورٌ تَدْمَعُ[2]

حتى كأنّي للحوادثِ مَرْوَةٌ
بِصَفا المُشرّقِ، كلَّ يومٍ تُقرَعُ[3]

وتَجلُّدي للشامِتينَ أُريهِمُ
أنّي، لِرَيْبِ الدّهرِ، لا أتَضَعضَعُ

•

وقال في الطّفل الذي بقي له :

والنفسُ راغبةٌ، إذا رَغّبْتَها؛
وإذا تُرَدُّ الى قليلٍ تَقنَعُ

---

١ التميمة : عند العرب كالخرزة الزرقاء اليوم تتقى بها الشرور .

٢ سملت : فقئت .

٣ المروة، واحدة المرو: الحجارة البيض. المشرق: سوق بالطائف. وقوله تقرع: أي بأرجل الذين يمرون عليها .

وقال الأصمعي : هذا أبْدع بيت قاله العرب .

•

وقال أعرابيٌّ يَرْثي بَنيه :

أسُكّانَ بَطْنِ الأرض لو يُقْبَلُ الفدا
فَدَيْنا ، وأعطينا بكم ساكِني الظَّهْرِ

فيا ليتَ مَن فيها عليها ، وليت مَن
عليها ثَوى فيها ، مُقيماً الى الحشْرِ

وقاسَمني دهْري بَنيَّ بِشَطره ،
فلما تَقَضَّى شَطْرُه مالَ في شَطْري

فصارُوا دُيوناً للمنايا ، ولم يَكُن
عليهم لها دَيْنٌ ، قَضَوه على عُسْرِ

كأنّهمُ لم يَعرف الموتُ غيرَهم ،
فثُكْلٌ على ثُكل ، وقَبرٌ الى قَبرِ

وقد كنتُ حيَّ الخَوف، قبل وَفاتهم ،
فلمّا تُوفّوا ماتَ خَوفي منَ الدَّهرِ

فللّه ما أعطى ، ولله ما حَوى ؛
وليس لأيّام الرزيّة كالصّبرِ

•

وقيل لأعرابية مات ابنُها : ما أحسنَ عزاءَك ؟

قالت : إنّ فَقْدي إيّاه آمنَني كلَّ فَقْدٍ سواه ، وإن مُصيبتي به هوّنت عليّ المصائبَ بَعدَه . ثم أنشأت تقول :

مَن شاء بعدك فلْيمُتْ ، فعليك كنتُ أحاذِرُ
كنتَ السّوادَ لناظري ، فعَمِي عليكَ الناظِر
ليتَ المنازلَ والدّيا رَ حفائرٌ ومقابر
إنّي وغيري ، لا محا لةَ ، حيثُ صِرتَ لصائر

أخذ الحسنُ بن هانىء معنى هذا البيت الأول ، فقال في الأمين :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمدٍ ،
وليس ، لِما تطْوي المنيّة ، ناشرُ

وكنتُ عليه أحذر الموتَ وحدَه ،
فلم يَبْقَ لي شيءٌ عليه أحاذِر

لئن عمرتْ دورٌ بمن لا أحبّه ،
لقد عمرت ، ممّن أحبّ ، المقابر

•

وقال عبد الله بن الأهتم يرثي ابناً له :

دَعوتُك يا بُنيّ ، فلم تُجبني ،
فرُدّت دعوتي يأساً عليّا

بموتك ماتت اللذّات مني ،
وكانت حيّةً ما دمتَ حيّا

فيا أسفًا عليك وطُولَ شوقي
إليك ، لو ان ذلك ردّ شيّا

•

وأُصيب أبو العتاهية بابن له ، فلما دفنه وقف على قبره وقال :

كفى حزناً بدفنك ، ثم أني
نفضتُ تُراب قبرك من يديّا

وكانت في حياتك لي عِظاتٌ ،
فأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

•

ومات ابن لأعرابيّ فاشتدّ حزنه عليه ، وكان الأعرابيّ يُكنى به ، فقيل له : لو صبرتَ لكان أعظمَ لثوابك ؛ فقال :

بأبي وأمّي من عبَاتُ حنُوطَه
بيـدي ، وفارقَني بمـاء شَبابه

كيف السُّلوُّ، وكيف أنسى ذِكره،
وإذا دُعيتُ ، فإنمـا أدعى به

•

خرج عمرُ بن الخطّاب، رضي الله عنه، يوماً الى بقيع الغرقد[1] ، فإذا أعرابيّ بين يديه ، فقال : يا أعرابيّ ، ما أدخلك دارَ الحق ؟

قال : وَديعة لي هاهنا منذُ ثلاث سنين .

قال : وما وَديعتك ؟

قال : ابنٌ لي حين تَرَعْرَع فقدتُه فأنا أندُبه .

قال عمر : أسْمِعْني ما قلتَ فيه .

فقال :

يا غـائباً مـا يؤوب من سَفَره،
عاجَلـه موتُه عـلى صِغَره

يا قُرّة العين كُنْتَ لي سَكَناً،
في طُول ليلي، نَعم، وفي قِصَره

شَرِبْتَ كأساً ، أبوكَ شاربُها ،
لا بُـدّ يوماً له عـلى كِبَره

---

١ بقيع الفرقد : مقبرة اهل المدينة .

أشربُها ، والأنام كلُّهم ،
مَن كان في بَدوِه وفي حَضَره

فالحمدُ لله لا شريك له ،
الموتُ في حُكمه وفي قَدَره

قد قسّم الموتَ في الأنام ، فما
يَقدِر خلقٌ يَزيدُ في عُمره

قال عمر : صدقتَ يا أعرابي ، غَير أنّ الله خيرٌ لك منه .

•

الشَّيباني قال : لما مات جَعفر بن أبي جعفر المَنصور اشتدّ عليه حزنه ، فلمّا فرغ من دَفنه التفت الى الرّبيع فقال : يا ربيع ، كيف قال مُطيع بن إياس في يحيى بن زياد؟ فأنشد :

يا هل دواءٌ لِقلبيَ القَرِحِ ،
وللدُّموع الذوارِفِ السُّفُحِ

راحُوا بيَحيى ، ولو تُطاوعني
الأقدارُ لم يَبتكر ، ولم يَرُح

يا خيرَ مَن يَحسُن البُكاءُ به
اليوم ، ومن كان أمس لِلمِدَح

قد ظَفِرَ الحُزنُ بالسُّرورِ، وقد
أُديلَ مكروهُهُ مِنَ الفَرَحِ

•

وقالت أعرابيةٌ تَندُبُ ابناً لها :

أبُنيَّ، غَيّبكَ المَحلُّ المُلحَدُ،
إمّا بَعُدتَ، فأينَ من لا يَبعُدُ؟

أنتَ الذي في كلِّ مُمسى ليلةٍ
تَبلى، وحُزنُكَ في الحَشى يَتجدَّدُ

•

وقالت فيه :

لئِن كُنتَ لهواً للعُيونِ وقُرَّةً،
لقد صِرتَ سُقماً للقُلوبِ الصَّحائحِ

وهوَّنَ حُزني أنَّ يومَكَ مُدرِكي؛
وأنّي غداً من أهلِ تلكَ الضَّرائحِ

•

وقال أبو الخطّار يَرثي ابنه الخطّار :

ألا خَبِّراني، باركَ اللهُ فيكما،
متى العَهدُ بالخَطّارِ يا فَتَيانِ؟

فتىً لا يَرى نَومَ العِشاء غَنيمةً ،
ولا يَنثَني من صَولة الحَدَثان

•

وقال جَرير يَرثي ولدَه سَوادَة :

قالوا : نَصيبَك من أجر، فقلتُ لهم :
كيف العَزاء وقد فارقتُ أشبالي؟

ذاكم سَوادَةُ يَجلو مُقلتَيْ لَحِمٍ ،
بازٍ ، يُصَرصِر فوق المَرْقب العالي[1]

فارقتُهُ ، حين غَضّ الدهرُ من بَصَري ؛
وحين صِرت كعَظْم الرِّمّة البالي

•

وقال أبو الشَّغْب يَرْثي ابنه شَغْباً :

قد كان شَغْبٌ ، لو انّ الله عَمّره ،
عِزّاً تُزاد به ، في عِزّها ، مُضَرُ

ليتَ الجبالَ تَداعت ، قبل مَصْرَعه ،
دَكّاً ، فلم يَبقَ ، من أحجارِها ، حَجَر

١ لحِم : يأكل اللحم. يصرصر : يصوّت .

فارقتُ شَغْباً، وقد قُوِّسْتُ من كِبرٍ؛
بِئْسَ الخليطانِ طُولُ الحُزْنِ والكِبرِ

•

ولما تُوفي أيوبُ بن سُليمان بن عبد الملك في حياة سليمان ، وكان وليَّ عهده وأكبر ولده ، رثاه ابن عبد الاعلى وكان من خاصّته فقال فيه :

ولقد أقولُ لذي الشَّماتة ، إذ رأى
جَزَعي؛ ومن يَذُقِ الحوادثَ يجْزَعِ :

أبشِرْ ، فقد قَرَعَ الحوادِثُ مَرْوَتي؛
وافرحْ بِمَرْوَتكَ التي لم تُقْرَعِ

إنْ عِشْتَ تُفْجَعْ بالاحبّة كلِّهم ؛
أو يُفْجَعوا بك ، إنْ بهم لم تُفْجَعِ

أيُّوبُ من يَشْمَتْ بِمَوتك لم يُطِقْ ،
عن نَفْسه ، دَفْعاً ، وهل مِن مَدْفعِ ؟

•

الأصمعيّ عن رجل من الأعراب قال: كُنّا عشرةَ إخوة ، وكان لنا أخٌ يقال له حسن ، فَنُعِي إلى أبينا ، فبقي سَنَتين يَبكي عليه حتى كُفَّ بَصَرُه ، وقال فيه :

أفلحتُ، إن كان لم يَمُتْ حَسَنُ،
وكَفَّ عنّي البُكاءُ والحَزَنُ

بل أكْذَبَ اللهُ مَن نَعى حَسَناً،
ليس لتَكْذِيبِ قَولِه ثَمَن

أجولُ في الدار لا أراكَ، وفي
الدّارِ أناسٌ، جِوارُهم غَبَن

بُدِّلْتُهم منكَ، ليتَ أنهمُ
كانوا، وبَيْني وبَيْنَهم مُدُن

قد عَلِموا، عندما أنافِرُهم،
ما في قَناتي صَدْعٌ ولا أُبَنُ[1]

قد جَرَّبوني، فما ألاوِمُهم؛
ما زالَ بَيني وبَيْنَهم إحَنُ[2]

قد بُرِيَ الجسمُ، مذ نُعيتَ لنا،
كما بُرِي، فَرْعَ نبعةٍ، سَفَنُ[3]

---

١ الابن، واحدتها ابنة: العيب، وعقدة العود.
٢ الاحن، واحدتها احنة: الحقد.
٣ النبعة، واحدة النبع: شجر صلب تتخذ منه السهام. السفن: ما ينحت به الشيء كالقدوم ونحوه.

فإن نَعِش ، فالمُنى حيـاتُك ،
والخُلْد، وأنت الحديثُ والوَسَن

إن تَحْيَ نَحْيَ بخيرِ عَيْشٍ ، وإن
تَمْضِ ، فتِلك السَّبيلُ والسَّنَن[1]

بَريدُك الحمدُ والسَّلامُ معاً ،
فكلُّ حيٍّ بالموت مُرْتَهَن

يا وَيح نَفْسي أن كنتَ في جَدَثٍ ،
دونَكَ فيـه الترابُ والكَفَن

عـلَيَّ لله ، إنْ لقيتُك من
قبل المَمات ، الصِّيامُ والبُدُن[2]

أسوقُها حافيـاً ، مُجلَّلةً ،
أُدْماً ، هِجاناً ، قد كظَّها السِّمَن

فلا نُبالي ، إذا بَقيتَ لنا ،
مَن مات ، او مَن أَوْدى به الزَّمن

---

١ السنن: الطريق.
٢ البدن ، واحدتها بدنة : الجمل والناقة والبقرة ، تسمَّن لتهدى في الحج الى البيت الحرام .

كُنتَ خليلي ، وكنتَ خالِصتي ؛
لكلّ حيٍّ من أهْلِه سَكَن

لا خيرَ لي في الحياة ، بعدَك ، إذ
أصبحتَ ، تحتَ التُّراب ، يا حَسن !

•

وقال أعرابيٌّ يرثي ابنه :

ولمّا دعوتُ الصبر ، بَعدَك ، والاسى ،
أجابَ الأسى طَوْعاً ، ولم يُجِب الصَّبْرُ

فإن يَنْقَطع منك الرَّجاء ، فإنه
سَيَبْقى عليك الحُزْن ما بَقيَ الدَّهر

•

وقال أعرابيٌّ يرثي ابنه :

بُنيَّ ، لئن ضَنَّت جُفونٌ بمائها ،
لقد قَرِحت منّي ، عليك ، جُفُونُ

دَفنتُ بكفّي بَعْضَ نفسي ، فأصبحَتْ ،
وللنفسِ منها دافِنٌ ودَفِين

•

وهذا نظير قولي في طفل أصبْت به :

على مِثْلها من فَجْعةٍ خانني الصَّبْرُ ،
فِراقُ حبيبٍ ، دون أوْبته الحَشْرُ

ولي كَبِدٌ مَشْطُورة في يَدِ الأسى ،
فَتَحْتَ الثَّرى شَطْرٌ ، وفوق الثرى شطر

يقولون لي : صَبْر فُؤادَك بَعدَه ؛
فقلتُ لهم : ما لي فؤادٌ ، ولا صَبْر !

فُرَيخٌ من الحُمرِ الحواصل ما اكتَسى
من الرِّيش ، حتى ضَمّه الموتُ والقبْر

إذا قلتُ أسلو عنه ، هاجت بلابلٌ ،
يُجدِّدها فِكْرٌ ، يُجدِّده ذِكْر

وأنظر حوْلِي لا أرى غير قَبْرِه ،
كأنَّ جَميعَ الأرْض عندي له قَبْر

أفَرْخَ جِنانِ الخُلد ، طِرْتَ بمُهْجتي ،
وليس سِوَى قَعْرِ الضَّريح له وَكر

•

وقالت أعرابيّة ترثي ولدها :

يا قَرْحة القلب والأحشاء والكبِدِ!
يا ليتَ أمّك لم تحْبَل ، ولم تَلِدِ!

لمّا رأيتُك قد أدْرِجْتَ في كَفَنٍ ،
مُطيّباً ، للمنايا آخرَ الأبَدِ

أيقنتُ بعدَك أنّي غيرُ باقيةٍ ؛
وكيف يَبقى ذراعٌ زال عن عَضُدِ!

•

تُوفي ابنٌ لأعرابيّ فَبكى عليه حيناً ، فلما همّ أن يَسلو عنه تُوفي له ابن آخر ، فقال في ذلك :

إنْ أفِقْ مِن حزَنٍ هاجَ حزَنْ ،
فَفؤادي ما له اليومَ سَكَنْ

وكما تَبْلى وُجوهٌ في الثّرى ،
فكذا يَبْلى عليهنّ الحزَن

وقال في ذلك :

عُيونٌ قد بَكَيْنَك مُوجَعات ،
أضرّ بها البُكاء ، وما يَنينا

إذا أنفَدْنَ دمعاً ، بعد دَمعٍ ،
يُراجِعْنَ الشُّؤونَ ، فيَستقينا[1]

•

أبو عَبْد الله البَجَلِي قال : وقفتْ أعرابيةٌ على قبرِ ابن لها يقال له عامر فقالت :

أقمتُ أبكيه على قبرِه ؛
مَنْ لِيَ ، مِن بَعدك ، يا عامرُ ؟

تركتَني في الدّار ، لي وحشةٌ ،
قد ذَلَّ مَن ليس له ناصِر

وقالت فيه :

هو الصّبرُ والتّسليم لله والرّضا ،
إذا نزلتْ بي خطّةٌ لا أشاؤها

إذا نحنُ أبنــا سالمينَ بأنفسٍ
كِرام ، رَجَتْ أمراً ، فخاب رجاؤها

فأنفسُنا خيرُ الغنيمة ، إنّها
تؤوب ، ويَبْقى ماؤها وحياؤها

---

١ الشؤون ، واحدها شأن : العرق الذي تجري منه الدموع .

ولا بِرَّ الا دون ما بَرَّ عامرٌ،
ولكنَّ نفساً لا يَدوم بقاؤها

هو ابنيَ ، أمسى اجره لي، وعزَّني،
على نَفْسِه ، رَبٌّ ، اليه وَلاؤها

فإن أحتَسِب أوجَر ،وإن أبكِه أكنْ
كباكيةٍ لم يُجدِ ميتاً بُكاؤها

•

الشَّيبانيّ قال : كانت امرأة من هُذَيل لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ، فهَلكوا جميعاً في الطاعون، وكانت بِكراً لم تتزوّج ، فخطبها ابن عمّ لها فتزوّجها ، فلم تَلبث أن اشتملت على غلام فولدته، فنَبَت نباتاً كأنما يُمد بناصيته ، وبلغ، فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبقَ الا البناء بأهله أتاه أجله فلم تشُقّ لها جيباً ولم تَدمع لها عين ، فلما فرغوا من جهازه دُعيتْ لتوديعه، فأكبَّت عليه ساعةً، ثم رَفعت رأسها ونظرت اليه وقالت :

ألا تلك المَسرّةُ لا تَدومُ ؛
ولا يَبقى على الدّهرِ النّعيمُ

ولا يَبقى، على الحَدَثان، عُفْرٌ
بِشاهِقَةٍ له أمٌّ رؤومُ[1]

ثم أكبّتْ عليه أخرى، فلم تقطع نَحيبها حتى فاضت نفسُها، فدُفنا جميعاً.

•

خليفة بن خيّاط قال: ما رأيتُ أشدّ كَمَداً من امرأة من بني شَيبان قُتِلَ ابنُها وأبوها وزوجُها وأمُّها وعمّتها وخالتها مع الضّحّاك الحَرُوريّ، فما رأيتُها قطُّ ضاحكةً ولا مُتبسّمةً حتى فارقت الدنيا، وقالت ترثيهم:

مَن لِقلبٍ شَفّهُ الحزَنُ،
ولِنَفسٍ ما لها سَكَنُ؟

ظَعَنَ الأبرارُ، فانقَلبوا
خَيرَهم من مَعشرٍ ظَعَنوا

مَعشَرٌ قَضَّوْا نُحوبَهمُ،
كلُّ ما قد قدّموا حَسَنُ

صبَروا عند السُّيوفِ، فلم
يَنكلوا عنها، ولا جَبُنوا

---

[1] العفر: ولد الأروية.

فِتْيةٌ باعوا نُفوسَهُمُ ،
لا وربِّ البَيْتِ، ما غُبِنوا

فأصاب القومُ، ما طَلبوا ،
مِنَّةً ، ما بعدها مِنَن

•

وقال عبدُ الله بن ثعلبة يَرْثي ولداً له :

أأخضِبُ رَأسي أم أطيِّبُ مَفرِقي،
ورأسُك مَرموسٌ ، وأنتَ سَليبُ ؟

نسيبُك من أمسى يُناجيك طَرْفُه؛
وليسَ لمن تحتَ الترابِ نسيبُ

غريبٌ ، وأطرافُ البيوتِ تُكِنُّه ؛
ألا كلُّ مَن تحت التراب غريب

•

قال العتبي ، محمد بن عُبيد الله ، يَرثي ابناً له :

أضحَتْ بِخَدِّي للدُّموعِ رُسومُ،
أسفاً عليك ، وفي الفؤادِ كُلومُ

والصبرُ يُحْمَد في المواطنِ كلِّها ،
إلاّ عليك ، فإنّه مَذموم

•

خرج أعرابيٌّ هارباً من الطاعونِ ، فبينما هو سائرٌ إذ لدغته أفعى ، فمات ، فقال أبوهُ يرثيه :

طافَ يَبغي نَجوَةً من هلاكٍ ، فهلَكْ
والمَنايا رَصَدٌ للفتى ، حيثُ سلَكْ
ليتَ شِعْري ، ضلَّةً ، أيُّ شيءٍ قتلَكْ ؟
كلُّ شيءٍ قاتلٌ ، حينَ تلقى أجلَكْ

•

لما قتَل عبدُ الله المأمون أخاهُ محمدَ بنَ زُبيدة أرسلت أمه زبيدة بنت جعفر إلى أبي العتاهية أن يقول أبياتاً على لسانها للمأمون ، فقال :

ألا إنَّ رَيبَ الدَّهرِ يُدني ويُبعِدُ ،
وللدَّهرِ أيّامٌ تُذَمُّ ، وتُحْمَدُ

أقول لرَيبِ الدَّهر ، إن ذهبَتْ يدٌ ،
فقد بَقيتْ ، والحمدُ لله ، لي يدُ

إذا بَقيَ المأمونُ لي ، فالرَّشيدُ لي ،
ولي جعفرٌ ، لم يَهلِكا ، ومحمّدُ

وكتبت إليه من قوله :

لخيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ مَعْشَرِ،
وأكرمِ بسّامٍ على عودِ منبرِ

كتبتُ، وعيني تستهلُّ دموعُها،
إليك،ابن يَعْلى،من دموعي ومَحْجِري

فُجِعْنا بأدنى الناسِ منك قرابَةً،
ومَن زلّ عن كبْدي، فقلّ تصبُّري

أتى طاهرٌ، لا طهّرَ اللهُ طاهراً،
وما طاهرٌ، في فِعْله، بمطهّر

فأبرَزَني مَكشوفةَ الوجهِ، حاسراً؛
وأنهبَ أموالي، وخرّبَ أدْوُري

وعزّ على هارونَ ما قد لقيتُه،
وما نابَني من ناقصِ الخَلقِ، أعْوَرِ

فلما نظر المأمونُ إلى كتابها وجّه إليها بحباء جزيل، وكتب إليها يَسألها القُدومَ عليه، فلم تأته في ذلك الوقت وقبِلَتْ منه ما وجّه به إليها. فلمّا صارت اليه بعد ذلك قال لها : مَن قائل الأبيات ؟

قالت : أبو العتاهية .

قال : وبكم أمرتِ له ؟

فقالت : بعشرين الف دِرْهم .

قال المأمون : وقد أمرنا له بمثل ذلك . واعتذر اليها من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لستُ صاحبَه ولا قاتِلَه .

فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ لكما يوماً تجتمعان فيه ، وأرجو أنْ يَغفِر الله لكما إن شاء الله .

•

أبو شاس يَرْثي ابنه شاساً :

وربَّيتُ شاساً لرَيْبِ الزمان، فلله تَرْبيتي والنَّصَبْ

فليتَكَ يا شاسُ فيمن بَقي ، وكنتُ مكانَكَ فيمَنْ ذهَب

•

من رثى اخوته

الرّياشي قال: صَلّى مُتمّم بن نُوَيرة الصُّبح مع أبي بكر الصِّدّيق ، رضي الله تعالى عنه ، ثم أنشد :

نِعْمَ القَتيلُ، إذا الرِّياحُ تَناوحَتْ
بينَ البيوتِ، قَتَلْتَ يابنَ الأزْوَرِ[1]

أدَعَوتَه باللهِ، ثم قَتَلْتَـه،
لو هُوَ دَعاكَ بذِمّةٍ لم يَغدرِ

لا يُضمِرُ الفَحْشاءَ، تحتَ ردائهِ،
حُلوٌ شمائلُه، عفيفُ المِئزرِ

قال: ثم بكى حتى سالت عَينُه العَوْراء. قال أبو بكر: ما دعوتُه ولا قتلتُه. وقال مُتمّم:

ومُسْتَضحِكٍ مني ادّعى كمُصيبتي؛
وليس أخو الشجْوِ الحزينِ بضاحكِ

يَقولُ: أتبكي، مِن قُبورٍ رأيْتَها،
لِقبرٍ بأطرافِ المَلا، فالدّكادِكِ؟[2]

فقلتُ له: إنّ الأسى يَبعَثُ الأسى،
فدَعْني، فهذي كلُّها قبرُ مالكِ

---

١ تناوحت: اشتد هبوبها. ابن الأزور: ضرار بن الأزور الأسدي الذي قتل مالك بن نويرة أخا متمم.

٢ الملا، واحدتها ملاة: فلاة ذات حَرّ. الدكادك، واحدها دكدك: ما تكبّس من الرمل واستوى.

وقال مُتَمّم يَرثي أخاه مالكاً ، وهي التي تُسمّى أمّ المَراثي :

لعَمْري ، وما دَهري بتأبين هالكٍ ،
ولا جَزَعٍ ممّا أَلمّ ، فأوجَعا

لقد غيّبَ المِنْهالُ ، تحت ردائه ،
فتىً غيرَ مِبْطان العَشيّات ، أَروَعا[1]

ولا بَرَماً ، تُهْدِي النّساءُ لعِرْسِه ،
إذا القَشْعُ من بَرْد الشّتاء تَقَعْقَعا[2]

تَراه كنَصْل السيف ، يهتزّ للنّدى ،
إذا لم تَجِد عند امرىء السّوء مَطْمَعا

فعَيْنيّ ! هلاّ تَبْكيان لمالكٍ ،
إذا هزّت الرّيحُ الكَنيفَ المُرفّعا[3]

---

١ المنهال : رجل من بني يربوع ألقى ثوبه على مالك اخي متمم يستره به . المبطان : الضخم البطن . الأروع : الذي يعجبك بحسنه وجماله .

٢ البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، وهو ذم . القشع : البيت من أدم او جلد . التقعقع : صوت الجلد اذا يبس .

٣ الكنيف : حظيرة من شجر تجعل للابل تقيها البرد . المرفّع : المرفوع .

وأرملةٍ ، تَمْشِي بأشعثَ مُحْثَلٍ ،
كفَرْخِ الحُبارى ، ريشُه قد تَمزّعا[1]

وما كانَ وَقّافاً ، إذا الخيل أحجمت ؛
ولا طالباً من خَشْيَة الموت مَفْزَعا

ولا بِكَهامٍ سَيْفُه عن عدوّه ،
إذا هو لاقى حاسراً أو مُقَنَّعا[2]

أبى ، الصّبرَ ، آياتٌ أراها ، وأنّني
أرى كلَّ حبْلٍ ، بعد حَبْلِك ، أقطعا[3]

وأني ، متى ما أدْعُ باسمك لم تُجِبْ ،
وكنتَ حريّاً أن تُجيبَ وتَسْمَعا

تَحِيَّتُه مني ، وإن كانَ نائياً ،
وأمسى تُراباً فوقه الأرضُ بَلْقَعا

فإن تكُنِ الأيام فرّقْنَ بيننا ،
فقد بانَ مَحْموداً ، أخي ، حينَ ودّعا

---

١ المحثل : السيّء الغذاء . تمزع : تفرق .
٢ الكهام : الكليل . المقنّع : الذي عليه بيضة ومغفر . الحاسر : ضد المقنع .
٣ الآيات : الآثار .

فعِشْنا بخَيرٍ في الحياةِ ، وقَبْلَنا
أصابَ المَنايا رَهْطَ كِسْرى ، وتُبَّعا

وكُنَّا كنَدمانَيْ جَذيمةَ ، حِقْبةً
من الدَّهر ، حتى قِيلَ لن يتَصدَّعا[1]

فلمَّا تفرَّقْنا ، كأني ومالِكاً ،
لِطُولِ اجتماعٍ ، لم نَبِتْ ليلةً معا

فما شارِفٌ حَنَّتْ حَنيناً، ورَجَّعَتْ
أنيناً، فأبكى شَجْوُها البَرْكَ أجمعا[2]

ولا وَجْدُ أظْآرٍ ثلاثٍ ، رَوائمٍ ،
رأيْنَ مَجَرّاً من حُوارٍ ، ومَصْرَعا[3]

بأوجَدَ منّي يومَ قامَ بمالكٍ
مُنادٍ، فَصيحٌ ، بالفِراقِ ، فأسمَعا

---

١ ندمانا جذيمة : هما مالك وعقيل ابنا فارح بن كعب ، من بلقين ، نادما جذيمة الأبرش ثم قتلهما .
٢ الشارف : المسنة من الابل . البرك : الألف من الجمال .
٣ الأظآر : النوق يعطفن على حوار واحد فيرضع من اثنتين ويتخلى أهل البيت بواحدة . الروائم : النوق تعطف على ولدها . الحوار : ولد الناقة .

سَقى اللهُ أرضاً حلّها قبرُ مالكٍ،
ذِهابَ الغَوادي المُدْجنات فأمرَعا[1]

قيل لعمرو بن بَحْرٍ الجاحظ: إنَّ الأصمعيّ كان يُسمّي هذا الشعرَ أمَّ المراثي؛ فقال: لم يَسمع الأصمعيُّ:

أيُّ القلوب عليكم ليس يَنْصَدعُ؛
وأيُّ نومٍ عليكم ليس يَمْتَنعُ؟

•

وقال الأصمعيُّ: لم يبتدىء أحدٌ مَرثية بأحسنَ من ابتداء أوس بن حَجَر:

أيّتُها النفسُ، أجْمِلي جَزَعا،
إنَّ الذي تَحذَرين قد وَقَعا

وبعدها قولُ زُمَيل[2]:

أجارَتَنا! مَنْ يَجْتَمعْ يَتفرّقِ،
ومَن يَكُ رهْناً للحوادث يَغْلَقِ

•

١ الذهاب، واحدتها ذهبة: القطعة من السحاب. الغوادي، واحدتها غادية: السحابة التي تغدو بالمطر. المدجنات: السحب الكثيفة السود. أمرع: أخصب.
٢ هو زميل بن ابرد الفزاري.

قال ابن اسحاق صاحبُ المَغازي : لما نزل رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، الصَّفراءَ ، وقال ابنُ هشام : الأثيل[1] ، أمرَ عليٌّ بن أبي طالب بضَرب عُنق النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ابن عَلْقمة بن عبد مَناف ، صَبراً[2] بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت أختُه قُتَيْلة بنت الحارث تَرثيه :

يا راكباً ، إنَّ الأُثَيلَ مَظِنّةٌ ،
من صُبْحِ خامسةٍ ، وأنت مُوَفَّقُ

أبلِغْ بها مَيْتاً بأنَّ تحيّةً ،
ما إن تَزال بها النَّجائبُ تَخفِقُ[3]

منّي إليك ، وعَبرةً مَسفُوحةً ،
جادت بواكفها ، وأخرى تَخنُقُ

هل يَسْمَعنّي النَّضْرُ ، إنْ ناديتُه ،
أم كيف يَسْمع مَيّتٌ لا يَنطِقُ ؟

أمحمدُ ! يا خيرَ ضِنْءِ كَريمةٍ
في قومها ، والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ[4]

---

١ الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء .
٢ قوله صبراً : اي حبس على القتل حتى يقتل .
٣ النجائب : الابل الكريمة . تخفق : تسرع .
٤ الضنء : النسل .

ما كانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ، ورُبَّما
مَنَّ الفتى ، وهو المَغيظُ المُحْنَق

فالنَّضْرُ أقرَبُ من أسَرْتَ قرابةً ،
وأحقُّهم إن كانَ عِتْقٌ يُعتَق

ظَلَّتْ سُيوفُ بني أبيه تَنوشُه !
للهِ أرحامٌ هُناكَ تَشقَّق[1]

صبْراً ، يُقادُ الى المَنيَّة مُتْعَباً ،
رَسْفَ المُقيَّد ، وهو عانٍ مُوثَق[2]

قال ابنُ هشام : قال النبيُّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، لما بلغه هذا الشِّعر : لو بلغني قبلَ قَتْلِه ما قَتلتُه .

•

الأصمعيُّ قال : نَظر عمرُ بنُ الخطّاب الى الخَنساء وبها نُدوب في وَجْهها ، فقال : ما هذه النُّدوب يا خَنساء ؟

قالت : من طُول البُكاء على أخَوَيَّ .

قال لها : أخَواكِ في النار .

---

١ تنوشه : تتناوبه .
٢ رسف المقيد : مشيه . العاني : الأسير .

قالت : ذلك أطوَل لحزْني عليهما ، إني كنتُ أشفق عليهما من النار ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار . وأنشدتْ :

وقائلة ، والنّعشُ قد فاتَ خطوَها ،
لتدْرِكَهُ : يا لَهْفَ نفسي على صخرِ !

ألا ثكِلتْ أمُّ الذين غدوا به
الى القبرِ ، ماذا يَحْمِلون الى القبرِ ؟

•

دخلت الخنساءُ على عائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله تعالى عنها ، وعليها صِدار[١] من شَعَر قد استشعرَته الى جِلدها ، فقالت لها : ما هذا يا خنساء؟ فوالله لقد تُوفّي رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فما لَبِستُه .

قالت : إنّ له معنًى دعاني الى لِباسه ، وذلك أنّ أبي زوّجني سيّد قومه ، وكان رجلًا مِتلافاً فأسرف في ماله حتى أنفده ، ثم رَجع في مالي فأنفده أيضاً ، ثم التفت إليّ فقال : الى أين يا خنساء ؟

قلتُ : الى أخي صخر .

---

١ الصدار : قميص يغشى الصدر ، بلا كمين .

قالت : فأتيناه فقسَّم مالَه شطرَين ، ثم خيَّرنا في أحسن الشَّطرين ، فرَجَعْنا من عنده ، فلم يَزَل زوجي حتى أذهبَ جَميعَه . ثم التفت إليَّ فقال لي : إلى أين يا خنساء ؟

قلت : إلى أخي صخر .

قالت : فرحَلْنا إليه ، ثم قسَّم ماله شطرين وخيَّرنا في أفضل الشَّطرين . فقالت له زوجتُه : أما ترضى أن تُشاطِرَهم مالك حتى تُخيِّرهم بين الشطرين ؟ فقال :

والله لا أمنَحها شِرارَها ،
فلو هَلَكتُ قدَّدَتْ خِمارَها

واتخذتْ من شَعَرٍ صِدارَها ،
وهي حَصانٌ قد كَفَتْني عارها

فآلتْ أن لا يُفارق الصِّدارُ جَسَدي ما بَقيت .

•

قيل للخَنْساء : صِفي لنا أخَوَيك صَخراً ومعاوية .

قالت : كان صَخرٌ والله جُنَّةَ الزمان الأغبر ، وزُعافَ الخميس الأحمر ، وكان والله معاوية القائلَ والفاعل .

قيل لها : فأيهما كان أسْنى وأفخر ؟

قالت : أمّا صخر فحَرُّ الشِّتاء ، وأما مُعاوية فبَرْدُ الهواء .

قيل لها : فأيهما أوجع وأفجَع ؟

قالت : أما صخر فجَمْر الكَبِد ، وأمـا معاوية فسَقام الجسد . وأنشدت :

أسَدان مُحْمَرّا المَخالب نَجْـدَةً،
بَحْران في الزّمن الغَضُوب، الأنْمرِ

قمران في النادي ، رَفيعا مَحْتِـدِ
في المجـدِ ، فرعا سُودَدٍ مُتَخَيّرِ

•

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخر بن الشّريد :

قَـذًى بعَـينكِ أم بالعـينِ عُوّارُ ،
أم أقفرت إذ خَلَتْ من أهْلها الدّارُ؟[1]

كأنّ عَيني لذِكراه ، إذا خَطَرتْ ،
فَيْضٌ يَسيلُ على الخَـدّينِ مِدْرارُ

فالعين تَبْـكي على صخرٍ ، وحُقّ لها ،
ودونه ، من جَديـد الأرض ، أسْتارُ

---

١ القذى : ما يسقط في العين فيؤذيها . العوار : الرمد .

بُكاءَ والهةٍ ضلّتْ أليفتَها ،
لها حَنينان : إصْغار وإكبار

تَرعى ، إذا نَسِيتْ ، حتى إذا ذكرَتْ ،
فإنّما هي إقبالٌ وإدْبار

وإنَّ صخْراً لتأتَمُّ الهُداةُ به ،
كأنّه عَلَمٌ في رأسه نار

حامي الحقيقة ، محمودُ الخَليقة ،
مَهدِيُّ الطّريقة ، نفّاعٌ وضرّار

وقالت أيضاً :

ألا ما لِعَيني ، ألا ما لَها ،
لقد أخضَلَ الدّمعُ سِرْبالَها

أمِن بعد صخرٍ ، مِنَ آل الشريد ،
حَلّتْ به الأرضُ أثقالَها[1]

فآليتُ آسَى على هالكٍ ،
وأسألُ باكيةً ما لها

---

١ حلت : زينت . وقولها اثقالها ، ارادت موتاها .

وهَمّتْ ، بنفسيَ ، كلُّ الهُمـوم ،
فأولى لِنَفسِيَ أولى لها

سأحمِـلُ نَفسِي على خُطّةٍ :
فإمّا عليهـا ، وإمّا لها

وقالت أيضاً :

أعَينيَّ جُـودا ولا تَجمُـدَا ،
ألا تَبْكِيـانِ لِصخرِ النّدى

ألا تَبكيـان الجَريءَ الجَوادَ ؛
ألاَ تَبكيـانِ الفَتى السّيّدا ؟

طويلَ النّجاد ، رَفيعَ العماد ،
سـادَ عَشيرَتَـه أمرَدا

يُحمّلـهُ القومُ مـا غالَهم ،
وإن كانَ أصغـرَهم مَولِدا

جَمُوعَ الضّيوفِ الى بابـه ،
يَرى أفضلَ الكَسْب أن يُحمَدا

وقالت أيضاً :

فما أدركتْ كفُّ امرىءٍ متناولاً
من المجد، إلا والذي نِلْتَ أطْوَلُ

وما بَلغ المُهْدُونَ للمَدْحِ غايةً،
ولو جَهَدوا، إلاّ الذي فيك أفضَلُ

وما الغيثُ في جعد الثَّرى، دَمِثِ الرُّبى،
تَبَعَّق فيها الوابلُ المُتَهلّلُ[1]

بأفضلَ سَيْباً، من يَدَيك، ونِعْمةً
تَجُود بها، بل سَيْبُ كَفّيك أجزل[2]

مِن القوم، مَغشِيِّ الرِّواق، كأنّه،
إذا سِيم ضَيْماً، خادرٌ مُتَبَسِّل[3]

شَرَنْبَثُ أطراف البَنان، ضُبازِمٌ،
له في عَرين الغِيل عِرسٌ وأشبُل[4]

●

١ جعد الثرى : لينه . دمث الربى : سهلها . تبعق : انصبّ شديداً . الوابل : المطر الغزير . المتهلل : المتلألىء بالبرق .

٢ السيب : العطاء .

٣ متبسل : عابس شجاعة .

٤ الشرنبث : الغليظ الكف وعروق اليد . الضبازم : الشديد الخَلق .

وقالت أخت الوليد بن طَريف ترثي أخاها الوليد بن طَريف :

أيا شجرَ الخابُور ، ما لكَ مُورِقاً ،
كأنّكَ لم تَجْزَع على ابن طَريفِ ؟!

فتىً ، لا يُريد العزّ إلاّ من التُّقى ؛
ولا المالَ إلاّ مِن قَناً وسيُوف

ولا الذُّخْرَ ، إلاّ كلّ جرداء صِلْدِمٍ ،
وكلّ رقيقِ الشّفْرتين حليف[1]

فَقَدْناه فِقدانَ الرّبيع ، فليتَنا
فَدَيناه من ساداتنا بألوف

خَفيفٌ على ظَهْرِ الجَوادِ ، إذا عَدا ،
وليس على أعدائه بِخَفيف

عليكَ سلامُ الله وَقْفاً ، فإنّني
أرى الموتَ وَقّاعاً بكلّ شَريف

•

١ الجرداء : القصيرة الشعر . الصلدم : الشديدة الحافر .

وقال آخر يَرْثي أخاه :

أخٌ طالما سرَّني ذِكْرُه ،
فقد صِرتُ أشجى الى ذِكْرِه

وقد كُنْتُ أغدُو الى قصرِه ،
فقد صِرتُ أغدُو الى قَبرِه

وكنتُ أراني غَنِيّاً بـه
عن النـاس ، لو مُدَّ في عُمرِه

وكنتُ ، إذا جِئتُه زائراً ،
فأمْري يَجُوز عـلى أمرِه

•

وقالت الخنساء تَرثي أخاها صَخْراً :

بَكَتْ عَيني ، وعاوَدَها قَذاها ،
بعُوّارٍ ، فما تَقضي كَراها

على صَخرٍ ، وأيّ فتىً كصَخْرٍ ،
إذا ما النّاب لم تَرْأم طَلاها[١]

---

١ الناب : الناقة المسنة . ترأم : تحن وتعطف . طلاها : صغيرها . تصفه بالجود
ايام القحط .

حلفتُ بُوبٍ صُهبٍ، مُعمَّلاتٍ،
الى البيتِ المُحرَّمِ مُنتهاها[1]

لئن جزعت بنو عمرو عليه،
لقد رُزئتْ بنو عمرو فتاها

له كفٌّ يَشُدُّ بها، وكفٌّ
تجود، فما يَجِفُّ ثرى نداها

ترى الشُّمَّ الغطارفَ من سُليمٍ،
وقد بلَّت مدامعُها لِحاها

أحاميكم، ومُطعِمكم تركتم،
لدى غبراءَ مُنهدمٍ رجاها؟[2]

فمَن للضّيفِ ان هبَّت شمالٌ
مُزعزعة، تُناوِحُها صَباها[3]

وألجأ بردُها الأشوالَ، حُدْباً،
إلى الحُجُراتِ، باديةٌ كُلاها[4]

١ الصهب من الابل : التي خالط بياضها حمرة . معملات : مسوقة .
٢ رجاها : ناحيتها .
٣ مزعزعة : شديدة .
٤ الأشوال : النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها لم يبق في ضروعها الا شول من اللبن ، اي بقية .

هنالك ، لو نزلتَ بباب صخرٍ ،
قرى الأضيافَ شحماً من ذُراها[1]

وخيلٍ ، قد دلفتَ لها بخيلٍ ،
فدارتْ بين كبشيْها رحاها[2]

تُكفكفُ فضْلَ سابغةٍ ، دِلاصٍ ،
على خيفانةٍ خفقٍ حشاها[3]

•

وقال كعب يرثي أخاه أبا المِغوار :

تقول سُلَيمى : ما لجسمك شاحباً ،
كأنك يحميك الطّعامَ طبيبُ ؟

فقلتُ : شُجُونٌ من خُطُوبٍ ، تتابعتْ
عليّ ، كِبارٌ والزّمانُ يَريبُ

لعَمْري ، لئن كانت أصابتْ منيّةٌ
أخي ، فالمنايا للرّجال شَعوبُ[4]

١ من ذراها : ارادت من اسنمة النياق .
٢ الكبش : الرئيس والقائد .
٣ سابغة دلاص : درع واسعة . الخيفانة : الفرس ، شبهت بالخيفانة ، وهي الجرادة ، لخفتها وضمورها .
٤ شعوب : مفرقة.

فإني لَباكِيه ، وإني لصادِقٌ
عليه ، وبعضُ القائلين كَذُوب

أخي ، ما أخي ؟ لا فاحشٌ عند بَيْتِه ،
ولا وَرِعٌ عند اللّقاء هَيُوب

أخٌ ، كان يَكفِيني ، وكان يُعينني
على نائباتِ الدّهر ، حين تَنُوب

هو العَسَل الماذيُّ ، لِيناً وشيمةً ؛
وليثٌ ، إذا لاقى الرجالَ ، قَطُوب[1]

هَوَتْ أمُّه ما يَبْعَثُ الصُّبحُ غادياً ،
وماذا يَرُدُّ الليلُ حين يؤوب ؟[2]

كعاليةِ الرُّمحِ الرُّدَيْنيّ ، لم يكُنْ ،
إذا ابتدر الخيلَ الرجالُ ، يَخيب

وَداعٍ دعا : يا مَن مُجيب الى النّدا ،
فلم يَستَجبْه عند ذاك مُجيب

---

١ الماذي : الأبيض .
٢ هوت أمه : دعاء عليه ، اريد به استعظام الحزن عليه .

فقلتُ : ادعُ أخرى ، وارفعِ الصوتَ ثانياً ،
لعلَّ أبا المِغْوارِ منكَ قريبُ

يُجِبْكَ ، كما قد كان يَفعَلُ ، إنّه
بأمثالها رَحْبُ الذِّراعِ ، أريبُ

وحدَّثتُماني أنّما الموتُ بالقُرى ،
فكيفَ ، وهاتي هَضْبَةٌ وكثيبُ ؟

فلو كانت الموتى تُباعُ ، اشتريتُهُ
بما لم تكُنْ عنه النفوسُ تَطيبُ

بعَيْنَيَّ ، أو يُمنى يَدَيَّ ، وخِلْتُني
أنا الغانمُ الجذلانُ ، حينَ يؤوبُ

لقد أفسدَ الموتُ الحياةَ ، وقد أتى ،
على يومِهِ ، عِلْقٌ إليَّ حبيبُ

أتى دون حُلْوِ العَيْشِ ، حتى أمَرَّهُ ،
نُكوبٌ على آثارِهِنَّ نُكوبُ[1]

فواللهِ ! لا أنساهُ ما ذرَّ شارقٌ ،
وما اهتزَّ في فَرْعِ الأراكِ قَضيبُ

---

١ نكوب ، واحدها نكب : المصيبة .

فإنْ تكُنِ الأيّامُ أحْسَنَّ مَرّةً
إليَّ ، لقد عادت لهُنَّ ذُنُوب

•

وقال امرؤ القيس يرثي إخوته :

ألا يا عَينُ جُودي لي شَنينا ،
وبَكّي للملوكِ الذّاهِبينا[1]

مُلوكٌ ، من بني حُجر بن عمرو ،
يُقادُونَ العَشيّةَ يُقتَلونا

فلم تُغسَلْ رُؤوسُهُمُ بسِدْرٍ ،
ولكنْ في الدّماء مُزَمَّلينا[2]

فلو في يَومِ مَعرَكَةٍ أُصيبُوا ،
ولكنْ في ديارِ بَني مَرينا[3]

•

وقال الأبَيرِد بن المُعذَّر الرياحي يَرثي أخاه بُرَيداً :

تَطاوَلَ لَيْلي ، لم أنَمْهُ تقلُّباً ،
كأنَّ فِراشي حالَ ، من دونه ، الجَمْرُ

1 الشنين : قطران الماء .
2 مزملين : ملفوفين .
3 بنو مرين : من حِمير .

أُراقِبُ ، من ليلِ التمام ، نُجومَهُ ،
لدُنْ غاب قَرْنُ الشمس ، حتى بدا الفجر

تَذَكُّرَ عِلْقٍ بانَ منّا بنَصْرِهِ ،
ونائله ، يا حبّذا ذلك الذّكرُ !

فإن تكُنِ الأيامُ فرّقن بينَنا ،
فقد عَذَرَتْنا في صَحابتِه العِذْر[1]

وكنتُ أرى هَجْراً فِراقَكَ ساعةً ،
ألا لا بَلِ الموتُ التفرُّقُ والهَجْر

أحقّاً ، عبادَ الله ، أنْ لستُ لاقياً
بُرَيْداً ، طوالَ الدّهر ، ما لألأ العُفْر ؟[2]

فتىً ، ليس كالفِتيان إلاّ خِيارَهم ،
من القوم جَزْلٌ ، لا ذليلٌ ولا غُمْر[3]

فتىً ، إن هو استغنى تَخَرّقَ في الغِنى ؛
وإن كان فَقْرٌ لم يؤُدْ مَتْنَه الفَقْر[4]

١ العِذَر ، بفتح الذال وسكنت لضرورة الشعر ، واحدتها عذرة ، وهي المعذرة . والمعنى ان معذرتهم ، في ترك صحبته ، تفريق الدهر بينهم .
٢ العفر : الظباء ، الواحد أعفر . ولألأ العفر ، اي حركت أذنابها .
٣ الجزل : القوي . الغمر : الذي لم يجرب الأمور .
٤ تخرق : توسع . لم يؤد : لم يثقل .

وسامى جَسيماتِ الأمور ، فنالها ،
على العُسْر ، حتى يُدْرِكَ العُسرةَ اليُسْر

تَرى القومَ ، في العَزّاء ، ينتظرونه ،
إذا شَتَّ رأيُ القوم أو حَزَبَ الأمر [1]

فليتَكَ كُنتَ الحيَّ في النّاس باقياً ؛
وكُنتُ أنا الميّتَ الذي ضَمّه القبر

فتىً ، يَشتري حُسْنَ الثّناء بماله ،
إذا السَّنَةُ الشّهباء قَلَّ بها القَطْر [2]

كأنْ لم يُصاحِبْنا بُرَيْدٌ بغِبطةٍ ؛
ولم تأتِنا يوماً بأخباره البُشْر [3]

لَعَمْري ، لنِعْمَ المرءُ عالى نَعِيِّه
لنا ابنُ عَرينٍ ، بعدما جَنَحَ العَصْر

تَمَخَّضَتْ به الأخبار ، حتى تَغلغَلَت ،
ولم تَثْنِه الأطباعُ عنّا ولا الجُدْر [4]

---

١ شت : تفرق . العزّاء : ما يعزك ، يغلبك ويقهرك . حزب الأمر : اشتد .
٢ الشهباء : السنة المجدبة لا خضرة فيها ولا مطر ، او الكثيرة الثلج .
٣ البشر ، بضم الشين وسكنت لضرورة الشعر ، واحدها بشير : مبلّغ البشرى .
٤ الاطباع ، واحدها طبع : النهر . الجدر ، واحدها جدار : الحائط .

فلمّا نَعى النّاعي بُرَيداً ، تَغَوَّلَتْ
بِيَ الأرضُ ، فَرْطَ الحُزنِ ، وانقطع الظهر[1]

عَساكِرُ تَغْشى النفسَ ، حتى كأنني
أخو نَشْوَةٍ ، دارت بهامَتِه الخَمْرُ[2]

الى الله أشكو ، في بُرَيْدٍ ، مُصيبتي ،
وبَثّي ، وأحزاناً يَجيشُ بها الصّدر

وقد كُنتُ أستَعفي الإلهَ ، إذا اشتكى ،
من الأجر لي فيه ، وإن سَرّني الأجر

وما زالَ في عينيَّ ، بعدُ ، غِشاوةٌ ،
وسَمعيَ ، عمّا كنتُ أسمعه ، وَقْر[3]

على أنّني أقني الحياءَ ، وأتّقي
شَماتةَ أقوامٍ ، عيونُهُمُ خُزْر[4]

---

١ تغولت بي الأرض : اهلكتني ، وضللتني .
٢ عساكر : أراد بها كثرة الهموم .
٣ الوقر : الثقل .
٤ أقني الحياء : ألزمه . خزر ، واحدها اخزر : الضيّق العين .

فحيّاكَ عنّي الليلُ والصبحُ ، إذ بدا ،
وهُوجٌ من الأرواح ، غدْوَتُها شَهْرُ[1]

سَقى نجدَنا ، لو أستطيع سَقيْتُه ،
بأُودَ ، فروّاه الرّواعِدُ والقطْرُ[2]

ولا زالَ يُسقى ، من بلادٍ ثوى بها ،
نَباتٌ ، إذا صاب الرّبيع بها ، نَضْرُ[3]

حلفتُ بربّ الرّافعين أكُفّهم ،
وربّ الهَدايا حيثُ حلّ بها النّحر[4]

ومُجتَمع الحُجّاج ، حيثُ تَواقفت
رِفاقٌ من الآفاق ، تكبيرها جَأْر[5]

يَمينَ امرىءٍ آلى ، وليسَ بكاذبٍ ،
وما في يمينٍ ، بتّها صادقٌ ، وِزْر

---

١ الهوج : واحدتها الهوجاء ، وهي من الرياح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت .
٢ أود : موضع .
٣ صاب : أمطر .
٤ الهدايا ، واحدتها هدية : الناقة تهدى الى مكة .
٥ الجأر : رفع الصوت .

لَئِنْ كانَ أمسى ابنُ المُعَذِّرِ قد ثَوى ،
بُرَيْدٌ ، لَنِعْمَ المَرءُ غَيَّبَهُ القَبْرُ

هو المَرءُ للمَعْروفِ والدِّينِ والنَّدى ،
ومِسْعَرُ حَرْبٍ ، لا كَهامٌ ولا غُمْرُ[1]

أقامَ ، ونادى أهلَهُ ، فتَحَمَّلوا ،
وصُرِّمَتِ الأسبابُ واختلفَ النَّجْرُ[2]

فأيَّ امرئٍ غادرتُمُ في بُيوتِكُم ،
إذا هي أمسَتْ ، لونُ آفاقِها حُمْرُ[3]

إذا الشَّولُ أمسَتْ ، وهي حُدْبٌ ظُهورُها ،
عِجافاً ، ولم يُسمَعْ لِفَحْلٍ لها هَدْرُ[4]

كَثيرُ رَمادِ النّارِ ، يُغْشى فِناؤهُ ،
إذا نُودِيَ الأيسارُ واحتُضِرَ الجُزْرُ[5]

---

١ مسعر حرب : موقدها . كهام : ضعيف . غمر : لم يجرب الأمور .
٢ النجر : الطبع والأصل .
٣ لون آفاقها حمر : يريد سني جدب وقحط ، لأن آفاق السماء تحمر معها .
٤ الشول ، واحدتها شائلة : الناقة التي جف لبنها وارتفع ضرعها .
٥ الأيسار ، واحدها يسر : القوم المجتمعون على الميسر .

فتىً كان يُغلي اللحمَ نيئاً ، ولحمُه
رَخيصٌ بكفّيه ، إذا تنزلِ القِدْرُ

يُقَسّمه ، حتى يَشبعَ ، ولم يَكُنْ
كآخَرَ يُضحي من غبيبته ذُخْرُ[1]

فتى الحيّ والأضياف ، إن رَوّحَتْهُمُ
بَليلٌ ، وزادُ القوم إن أرْمَل السّفْرُ[2]

إذا جَهَد القومُ المَطِيَّ ، وأدرَجَتْ
من الضُّمْرِ ، حتى يَبْلغَ الحَقَبَ الضَّفْرُ[3]

وخَفّتْ بَقايا زادِهِم ، وتواكلُوا ،
وأكْسَفَ ، بالَ القوم ، مجهولةٌ قَفْرُ[4]

رأيتَ له فضلاً عليهم بقُوتِه ،
وبالعَقْرِ ، لمّا كان زادَهُمُ العَقْرُ[5]

---

١ الغبيبة : اللحم المتغير الريح .
٢ أرمل السفر : نفدت ازوادهم .
٣ الادراج : أن يضمر البعير فيضطرب بطانه حتى يستأخر الى الحقب فيستأخر الحمل . الضفر : حبل مضفور يجعل في اعلى الحمل والحقب في اسفله .
٤ اكسف بالهم : اساء حالهم .
٥ العقر : نحر الابل للضيفان .

إذا القومُ أسْرَوا ليلَهم ، ثم أصبحوا ،
غَدَا ، وهو ما فيه سِقاطٌ ، ولا فَتْرُ[1]

وإن خَشَعَت أبصارُهم ، وتضاءلت
من الأيْنِ ، جَلَّى مثلَ ما يَنظُرُ الصقرُ[2]

وإنْ جارةٌ حَلَّت إليه وَفى لها ،
فباتت ، ولم يُهتَكْ لجارته سِتْرُ

عَفيفٌ عن السوآت ما التبسَتْ به ؛
صَليبٌ ، فما يُلفى بعُودٍ له كَسْرُ

سلَكْتَ سبيلَ العالمين ، فما لهم ،
وراءَ الذي لاقيْتَ ، مَعدًى ولا قَصْرُ

وكلُّ امرىءٍ يوماً مُلاقٍ حِمامَه ،
وإنْ دانَتِ الدُّنيا وطالَ به العُمْرُ

فأبليتَ خيراً في الحياة ، وإنما
ثوابُك ، عندي اليوم ، أن يَنطِقَ الشِّعرُ

---

١ السقاط : التراخي في السير .
٢ الأين : التعب .

لِيَفْقِدَكَ مَولىً، أو أخٌ ذو ذِمامةٍ،
قليلُ الغَناء لا عَطاءٌ ولا نَصْرُ[1]

•

إشبل بن مَعْبَد البَجَلي :

أتى دون حُلْوِ العَيْشِ، حتى أمَرَّه،
نُكُوبٌ على آثارهنَّ نُكوبُ[2]

تتابَعنَ في الأحباب، حتى أبَدْنَهم،
فلم يَبْقَ فيهم في الدّيار قريبُ

بَرَتْني صروفُ الدّهر من كلِّ جانبٍ،
كما يَنْبري دون اللّحاء عَسِيبُ[3]

فأصبحتُ، إلاّ رحمةَ الله، مُفْرَداً
لدى النّاس طُرّاً، والفؤادُ كئيبُ

إذا ذَرّ قَرْنُ الشّمس عُلِّلْتُ بالأسى،
ويأوي إليَّ الحُزْنُ حين تَؤوبُ

---

١ الذمامة : العهد.
٢ ورد هذا البيت ايضاً في قصيدة كعب بن سعد الغنوي في رثاء اخيه ابي المغوار.
٣ العسيب : جريد النخل اذا نحي عنه خوصه.

ونام خليُّ البال عنّي ، ولم أنَم ،
كما لم يَنَم عاري الفِناء غَريب

تَضُرُّ به الأيّامُ ، حتى كأنّه ،
لِطُول الذي أعقَبْن ، وهو رَقُوب

فقلتُ لأصحابي ، وقد قَذَفَت بنا
نَوى غُربةٍ ، عمن نُحِبُّ ، شَطُوب:[1]

مَتى العهدُ بالأهل ، الذين تَركتُهم ،
لهم في فؤادي ، بالعِراق ، نَصيب ؟

فما تَركَ الطاعونُ من ذي قرابةٍ ،
إليه ، إذا حانَ الإيابُ ، نَؤوب

فقد أصبحوا لا دارهم منك غُربةٌ ،
بعيدٌ ، ولا هُمْ ، في الحياة ، قريب

وكُنتَ تُرَجّي أن تَؤوب إليهمُ ،
فغالَتْهمُ من دون ذاك شَعُوب[2]

---

١ شطوب : اي مبعدة .
٢ الشعوب : المنية.

مَقادِيرِ، لا يُغْفِلْنَ مَن حانَ يَومُهُ،
لمَنْ عــلى كلِّ النُّفوسِ رقيب

سَقَيْنَ بكَأسِ المَوتِ من حانَ حَينُهُ،
وفي الحَيِّ، من أنفاسِهِنَّ، ذَنُوب[1]

وإنّا وإيّاهمْ كَوارِدِ مَنْهَلٍ،
عـلى حَوضِهِ بالتّاليات يُهيبُ[2]

إليه تَناهِينا، ولو كانَ دُونَهُ
مِيــاهٌ رَواءٌ، كلّهنّ شَرُوب

فَهَوّنَ عنّي بعضَ وَجدِي أنّني
رأيتُ المَنايا، تَغتَدي وتَؤوبُ

ولَسْنا بأحيَا منهمُ، غيرَ أنّنا
الى أجَلٍ نُدْعى له، فنُجيب

وإنّي إذا ما شئتُ لاقيتُ أُسْوَةً،
تَكاد لها نَفسُ الحَزينِ تَطيب

---

١ الانفاس، واحدها نفس: الجرعة والشربة. الذنوب: الحظ والنصيب، والدلو.
٢ يهيب: يدعو.

فَتىً ، كان ذا أهلٍ ومالٍ ، فلم يَزَل
بـه الدَّهرُ ، حتى صار وهو حَـريب[1]

وكيف عَزاء المرءِ عن أهـل بَيْتِـه ،
وليس له في الغـابرين حَبيب ؟[2]

متى يَذْكروا يَفرَحْ فؤادي لذِكرِهم ،
وتَسجُمْ دُمـوعٌ بَيْنهنّ نَحيب

دُموعٌ مَراهـا الشَّجْوُ ، حتى كأنَّها
جَداولُ تَجْري بَينَهنّ غُروب[3]

إذا ما أردتُ الصبرَ ، هاجَ لِيَ البُكا
فؤادٌ ، الى أهـل القُبور ، طَروب

بَكى شَجْوَه ، ثم ارعَوى بعدَ عَوله ،
كما واتَرَتْ بـينَ الحَنين سَلوب[4]

---

١ الحريب : المسلوب المال .
٢ الغابرون : الباقون .
٣ مراها : استخرجها واستدرها . الغروب ، واحدها غرب : الدمع .
٤ واترت : تابعت . السلوب : الناقة مات ولدها .

دَعاها الهَوى من سَقْبِها ، فهي والِهٌ ،
ورُدَّت الى الأُلاَّفِ ، فهي تَحُوبُ[1]

فوَجْدي بأهْلي وَجْدُها ، غيرَ أنهم
شَبابٌ ، يَزِينون النَّدِيَّ ، وشِيب

من رثت زوجها

قالت أسماء بنتُ أبي بكر ذاتُ النِّطاقين ، رضي الله عنها ، تَوفي زوجها الزُّبير بن العَوَّام ، وكان قتَله عَمْرو ابن جُرْمُوز المُجاشِعيّ بوادي السِّباع ، وهو مُنْصَرِف من وَقعة الجمَل . وتُروى هذه الأبيات لزوجته عاتكة ، التي تزوّجها بعد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه :

غَدَرَ ابنُ جُرْمُوز بفارسِ بُهْمَةٍ ،
يومَ الهياج ، وكان غيرَ مُعَرِّدِ[2]

يا عَمْرُو ، لو نَبَّهْتَه لوَجَدْتَه ،
لا طائشاً ، رَعِشَ الجَنانِ ، ولا اليد

---

١ السقب : ولد الناقة . تحوب : ترقّ له وتتوجع عليه .
٢ البهمة : الجيش . المعرد : المحجم عن خصمه .

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إنْ قَتَلْتَ لمُسْلِماً ،
حَلَّتْ عليكَ عُقوبةُ المُتَعَمِّدِ

•

الهلاليّ قال : تزوّج محمد بن هارون الرّشيد لُبانة بنت علي بن رَيْطة وكانت من أجمل النساء ، فقُتِل محمد عنها ، فقالت ترثيه :

أبْكيكَ لا للنّعيمِ والأُنْسِ ،
بل للمعالي والرُّمْحِ والفَرَسِ

يا فارساً ، بالعَراءِ ، مُطّرَحاً ،
خانته قُوّادُه مع الحَرَسِ

أبْكي على سيّدٍ فُجِعْتُ بهِ ،
أرْملَني قبلَ ليلةِ العُرُسِ

أمْ مَنْ لبِرٍّ أمْ مَنْ لعائدة ،
أم مَن لذِكْرِ الإله في الغَلَسِ ؟

مَن للحُروبِ ، التي تكون لها ،
إنْ أضرمتْ نارُها بلا قبَسِ ؟

•

وقالت أعرابية توفي زوجها :

كنّا كغصنين في جرثومةٍ بسقا
حيناً، على خيرِ ما ينمي به الشجرُ

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما،
وطابَ قِنْواهما، واستُنظِر الثمر[1]

أخنى على واحدٍ ريبُ الزمان، وما
يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يذرُ

كنّا كأنجم ليلٍ، بينها قمر
يَجلو الدُّجى، فهوى من بينها القمر

•

الأصمعيّ قال : دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ، ومعي صاحبٌ لي ، فإذا جاريةٌ على قبر كأنها تِمثال ، وعليها من الحَلْيِ والحُلَل ما لم أرَ مِثله ، وهي تبكي بعينٍ غزيرة وصوت شجيّ . فالتفتُ الى صاحبي فقلتُ : هل رأيتَ أعجبَ من هذه؟ قال : لا والله ، ولا أحسَبني أراه . ثم قلتُ لها : يا هذه ، إني أراكِ حزينة وما عليكِ زيّ الحُزن . فانشأت تقول :

---

١ القنو : العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب .

فإنْ تَسألاني : فيمَ حُزني ، فإنني
رَهينةُ هذا القبرِ ، يا فتيانِ

وإني لأستَحيِيه ، والتُّربُ بيننا ،
كما كنتُ أستَحييه ، حين يَراني

أهابُكَ إجلالاً ، وإن كنتَ في الثرى ،
مخافةَ يومٍ أن يَسُوكَ لِساني[1]

ثم اندفعت في البُكاء وجعلت تقول :

يا صاحبَ القبرِ ، يا مَن كان يَنعَمُ بي
بالاً ، ويُكثِرُ في الدُّنيا مُواساتي !

قد زرتُ قبركَ في حَليٍ وفي حُلَلٍ ،
كأنني لستُ من أهلِ المُصيباتِ

أرَدْتُ آتيكَ فيما كنتُ أعرفُه ،
أنْ قد تُسَرُّ به ، من بَعضِ هيئاتي

فمَن رَآني رأى عَبرى مُوَلَّهَةً ،
عَجيبةَ الزّيِّ ، تَبكي بينَ أمواتِ

•

١ يسوك : مسهل يسوءك .

وقال : رأيتُ بصحراء جاريةً قد ألصقت خَدَّها بقبر وهي تبكي وتقول :

خَدّي تَقيك خُشُونةَ اللَّحْدِ ؛
وقليلةٌ لك سيّدي خَدّي[1]

يا ساكنَ القبر ، الذي بوَفاته ،
عَمِيَتْ عليَّ مسالِكُ الرُّشْد

اسمَع أبُثّك عِلَّتي ، فلعلّني
أطفي بذلك حُرْقةَ الوَجْد

من رثى جاريته

كان لمُعلّى الطائي جاريةٌ يُقال لها وَصْف ، وكانت أديبةً شاعرة ، فأخبرني محمد بن وَضّاح ، قال : أدركتُ معلّى الطائي بمصر ، وأُعْطي بجاريته وَصْف أربعةَ آلاف دينار فباعها . فلما دخل عليها قالت له : بِعتَني يا مُعَلّى؟ قال : نعم . قالت : والله لو مَلَكْتُ منك مثلَ ما تَمْلك مني ما بِعتُك بالدُّنيا وما فيها . فَرَدّ الدَّنانير ، واستقال صاحبَه ، فأصيب بها الى ثمانية أيام ، فقال يَرثيها :

---

[1] انثت الخد وهو مذكر ، ولعلها ارادت وجنة الخد .

يا موتُ! كيف سَلبْتَني وَصْفا،
قدَّمْتَها وتركْتني خلْفا

هلاّ ذَهَبْتَ بنا معاً، فلقد
ظفرَتْ يداك فسُمْتني خَسْفا

وأخذتَ شِقَّ النفس من بَدَني،
فقبرتَه، وتركتَ لي النّصْفا

فعليك بالباقي بلا أجَلٍ،
فالموتُ بعد وفاتها أعْفى

يا موتُ! ما بقّيتَ لي أحداً،
لمّا زففتَ الى البِلى وَصْفا

هلاّ رحِمْتَ شباب غانيةٍ
ريّا العِظام، وشَعْرَها الوَحْفا[1]

ورحِمْتَ عيْنَيْ ظَبْيةٍ، جعلت
بين الرّياض تُناظِرُ الخِشْفا[2]

---

١ الوحف: الأسود.
٢ الخشف: ولد الظبي.

تُغْفِي ، إذا انتصبتْ فرائصه ،
وتَظَلُّ ترْعاه ، إذا أغْفى[1]

فإذا مَشى اختَلَفتْ قوائمُه ،
وَقتَ الرَّضاع ، فيَنطَوي ضَعْفا

مُتحيِّراً في المَشْيِ ، مُرتَعِشاً ،
يَخْطو فيَضْرِب ظِلْفُه الظِّلفا

فكأنّها وَصْفٌ ، إذا جَعلَت
تحوي تُدير مَحاجِراً وُطْفا[2]

يا موتُ ! أنتَ كذا لكلّ أخي
إلْفٍ ، يصُون ، ببِرّه ، الإلْفا

خلّيتني فرْداً ، وبِنْتَ بها ،
ما كنتُ ، قبلَكَ ، حافلاً وَكْفا[3]

فترَكتُها ، بالرَّغْمِ ، في جَدَثٍ ،
للرّيح ، يَنسِف تُرْبَه نَسْفا

---

١ الفرائص ، واحدتها الفريصة : اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع.
٢ الوطف ، واحدها أوطف : الكثير شعر الحاجبين والعينين.
٣ الوكف : الجور والميل .

دونَ المُقَطَّمِ ، لا أُلبِسُها ،
مِن زينةٍ ، قُرْطاً ولا شَنْفا[1]

أَسْكَنْتُها ، في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ،
بيتاً ، يُصافِحُ تُرْبُهُ السَّقْفا

بيتاً ، إذا ما زارهُ أحدٌ ،
عَصَفَتْ به أيدي البِلى عَصْفا

لا نَلتَقي أبداً مُعايَنَةً ،
حتى نَقُومَ لِرَبِّنا صفّا

لَبِسَتْ ، ثيابَ الحَتْفِ ، جارِيَةٌ ،
قد كُنتُ أُلبِسُ ، دونها ، الحَتْفا

فكأنّها ، والنفسُ زاهِقَةٌ ،
غُصْنٌ من الرَّيحانِ قد جَفّا

يا قبرُ أَبْقِ على مَحاسِنِها ،
فلقد حَوَيتَ النُّورَ والظَّرْفا

•

---

١ القرط : ما يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها . الشنف : ما يعلّق في اعلى الاذن من الحلي .

لما هُزِم مَروان بن محمد وخَرج نحو مِصْر، كتب الى جارية له خلّفها بالرّملة :

وما زال يَدعُوني الى الصّبر ما أرى،
فآبى، ويَثنِيني الذي لكِ في صَدري

وكانَ عزيزاً أنّ، بَيني وبينها،
حِجاباً، فقد أمسيتُ منك على عَشر

وأنكاهما للقَلب، واللهِ، فاعلمي،
إذا ازددتُ مِثلَيها، فصِرتُ على شَهر

وأعظمُ من هَذَين، واللهِ، أنَّني
أخافُ بأن لا نَلتقي آخرَ الدّهر

سأبكيك، لا مُستَبقِياً فَيض عَبرةٍ،
ولا طالباً، بالصّبرِ، عاقبةَ الصّبر

•

وَجدوا على قبر جارية الى جَنب قبر ابي نُواس أبياتاً ذَكروا أن أبا نُواس قالها، وهي :

أقولُ لقبرٍ زُرتُه مُتلَثّماً :
سَقى اللهُ بَرْدَ العَفْو صاحبةَ القبرِ

لقد غيَّبوا تحت الثرى قمرَ الدُّجى ،
وشمسَ الضُّحى بينَ الصَّفائح والعفْر

عَجِبتُ لِعَينٍ بَعدها مَلَّتِ البُكا ،
وقلبٍ عَليها يَرْتَجي راحةَ الصَّبر

•

وقال حبيب الطائي يَرثي جارية أُصيب بها :

جفُوفَ البِلى أسرَعتَ في الغُصُنِ الرَّطبِ ،
وخَطْبَ الردى والموتِ أبرحتَ من خَطبِ

لقد شَرِقَت ، في الشَّرق بالموت ، غادةٌ ،
تَبدّلَتْ منها غُرْبة الدّار في الغَرب

وألبسني ثوباً ، من الحُزنِ والأسى ،
هِلالٌ ، عليه نَسجُ ثوبٍ من التُّرب

وكنتُ أرَجّي القُربَ ، وهي بَعيدةٌ ،
فقد ثقُلت ، بَعدي ، عن البُعدِ والقُرب

أقول ، وقد قالوا : استراح بموتها
من الكَرب : رَوحُ الموتِ شرٌّ من الكَرْب

لها مَنزل تحت الثرى ، وعَهِدتُها ،
لها مَنزل بين الجوانح والقلب

وقال يرثيها :

أَلم تَرَني خلّيتُ نفسي وشأنَها ،
ولم أحفِلِ الدُّنيا ولا حدَثانَها ؟

لقد خوّفتني النائباتُ صُرُوفَها ،
ولو أمّنتْني ما قبِلتُ أمانَها

وكيف على نارِ الليالي مُعرَّسي ،
إذا كان شيبُ العارِضَين دُخانَها

أُصِبْتُ بِخَودٍ سوف أغبُرُ بعدها
حليفَ أسًى ، أبكي زماناً زمانَها

عِنانٌ من اللّذات قد كان في يدي ،
فلمّا قضى الإلْفُ استردّت عِنانَها

مَنحْتُ المَها هجري ، فلا مُحسِناتُها
أوَدُّ ، ولا يَهوى فؤادي حِسانَها

يقولون : هلْ يَبكي الفتى لِخَريدةٍ ،
إذا ما أراد ، اعتاضَ عَشراً مكانَها ؟

وهل يَستعيضُ المَرءُ من خَمسِ كفِّه ،
ولو صاغَ مِن حُرِّ اللُّجَينِ بنانَها ؟

•

وقال أعرابيّ يرثي امرأته :

فوالله ما أدري، إذا الليلُ جنَّني،
وذَكَّرَنيها ، أيُّنا هو أوجعُ

أمُنفَصِلٌ عن ثدْيِ أمٍّ كريمةٍ ،
أم العاشقُ النّائي به كلُّ مَضجَعِ[1]

•

وقال محمود الورّاق يرثي جاريته نَشْو :

ومُنتصِحٍ يُردِّدُ ذِكر نَشْوٍ ،
على عَمْدٍ ، لِيَبْعَثَ لي اكتئابا

أقول، وعَدِّ، ما كانت تُساوي ،
سَيَحْسُبُ ذاكَ مَن خَلَقَ الحِسابا

عطِيَّته ، إذا أعطى ، سرورٌ ،
وإنْ أخذ الذي أعطى أثابا

فأيُّ النّعمَتَين أعمُّ نَفعاً ،
وأحسنُ في عواقِبِها إيابا

---

١ في هذا البيت اقواء ، وهو اختلاف حركة رويه من الرفع الى الجر .

أنِعْمتُه ، التي أهدَتْ سُروراً ،
أمِ الأخرى ، التي أهدَت ثَوابا ؟

بل الأخرى ، وإن نَزَلتْ بحُزنٍ ،
أحقُّ بشُكْرِ مَن صَبَرَ احتِسابا[1]

•

أبو جَعفَر البغداديّ قال : كان لنا جارٌ وكانت له جاريةٌ جميلة ، وكان شديدَ المحبّة لها ، فماتت فوَجد عليها وَجْداً شديداً ، فبينا هو ذاتَ ليلة نائمٌ إذ أتَتْه الجاريةُ في نومه فأنشدتْه هذه الأبيات :

جاءت تَزور وسادي ، بعدما دُفِنَتْ ،
في النَّومِ ألثَمِ خدّاً زانَه الجِيدُ

فقلتُ : قُرّةَ عَيني قد نُعيتِ لنا ،
فكيفَ ذا ، وطريقُ القبرِ مسدُود ؟

قالتْ : هُناكَ عِظامي فيه مُلْحَدَةٌ ،
يَنْهَشْنَ منها هَوامُ الأرض والدُّود[2]

---

١ احتساباً ، من احتسب خيراً عند الله : قدّمه .

٢ قوله : ينهشن منها هوام ، جمع فاعلين لفعل واحد ، وقد اعربوا الفاعل الثاني بدلاً من الاول . وقوله هوام بتخفيف الميم المشددة مراعاة لوزن الشعر .

وهذه النفسُ قد جاءتْك زائرةً ،
فاقبَلْ زيارةَ من في القبرِ مَلْحُود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدّث الناس بذلك ويُنشدهم . فما بَقي بعدها إلاّ أيّاماً يَسيرة حتى لَحِق بها .

من رثى ابنة

قال البُحتريّ في ابنة لأحد بَني حُمَيد :

ظَلَم الدّهرُ فيكُمُ وأساءَ ،
فعزاءً بني حُميد ، عزاءَ

أنفُسٌ ما تَزال تَفْقِدُ فَقْداً ،
وصُدورٌ ما تَبْرَح البُرَحاءَ[1]

أصبَحَ السيفُ داءَكم، وهو الدّاءُ
الذي ما يَزال يُعْيِي الدّواء

وانتحى القتلُ فيكم، فبكَينا ،
بدماء الدّموعِ ، تلك الدّماء

يا أبا القاسم المُقسّم، في النّجدةِ ،
والجُودِ والنّدى ، أجزاء

١ البرحاء : الشدة والاذى .

والهِزَبْرُ الذي، إذا دارت الحربُ
به، صَرَّفَ الرَّدى كيفَ شاء

الأسى واجبٌ على الحرِّ: إمّا
نيّةٌ حُرّةٌ، وإمّا رِياء

وسفاهاً أن يجزع الحُرُّ ممّا
كان حتماً، على العِباد، قضاء

أتُبكّي من لا يُنازل، بالسيفِ،
مُشيحاً، ولا يَهُزُّ اللّواء؟[1]

والفتى مَن رأى القُبور لمن طاب
به، من بناته، أكْفاء

لسْنَ مِنْ زينة الحياةِ، لِعدِّ الله
منها الأموال والأبناء

قد وَلَدْنَ الأعداءَ، قِدْماً، ووَرَّثْنَ
التِّلادَ الأقاصِيَ البُعَداء

لم يَئِد، تِرْبُهِنَّ، قَيْسُ تميمٍ،
عَيْلَةً، بل حَمِيّةً وإباء[2]

---

١ المشيح: المانع لما وراء ظهره.

٢ يئد، من الوأد: دفن البنات حيّات. قيس بن عاصم: قيل انه أول من أجرى عادة الوأد لان ابنته التي سبيت أبت ان تترك سابيها وتعود اليه.

وتغشى مُهَلهِلَ الذلُّ فيهنّ،
وقد أعطيَ الأديمَ حِباءَ[1]

وشقيقُ بنُ فاتكٍ حذَرَ العار،
عليهنّ، فارَقَ الدَّهناء

وعلى غيرهنّ أحزنِ يعقوبُ،
وقد جاءَه بنوه عِشاء

وشُعَيبٌ من أجلِهنّ رأى الوحدة
ضعفاً، فاستأجر الأنبياء

وتلفّتْ الى القبائل، فانظُرْ
أمّهاتٍ يُنسَبْنَ أمْ آباء

واستزَلَّ الشيطانُ آدمَ، في الجنّة،
لمّا أغرى به حوّاء

ولعمْري، ما العجزُ عنديَ إلاّ
أن تَبيتَ الرجالُ تبكي النساء

---

١ الاديم : الجلد . يشير الى قصة مهلهل حين نزل بقبيلة يقال لها جنب فزوّج احدى بناته فيها وكان مهرها جلوداً .

مراثي الاشراف

قال حسّان بن ثابت يرثي رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر وعمر ، رضوانُ الله عليهما :

ثلاثةٌ برزوا بسبقهم ،
نضّرهم ربُّهم ، إذا نُشِروا

عاشوا بلا فُرْقةٍ حياتَهم ،
واجتمعوا في المماتِ ، إذ قُبِروا

فليس مِن مُسلمٍ ، له بصرٌ ،
يُنكرهم فضلَهم ، إذا ذُكِروا

•

وقال حسّان يرثي أبا بكر ، رضي الله عنه :

إذا تذكّرتَ شجواً من أخي ثقة ،
فاذكُرْ أخاكَ ، أبا بكرٍ ، بما فعلا

خيرَ البريّة ، أتقاها وأعدلها ،
بعد النبيّ ، وأوفاها بما حملا

الثانيَ اثنين ، والمحمودَ مَشهدُه ،
وأوّلَ الناسِ طُرّاً صَدّق الرُّسُلا

وكان حِبَّ رسول الله ، قد عَلِموا
مِنَ البريّة لم يَعدِلْ بـه رجُلا

•

وقال[1] يَرْثي عُمر بن الخطّاب ، رَضي الله عنه :

عليكَ سَلامٌ من أميرٍ ، وبارَكَتْ
يدُ الله في ذاكَ الأديمِ المُمزَّقِ

فمَن يَجرِ ، أو يَركَبْ جَناحيْ نعامةٍ ،
ليُدرِكَ ما قدّمْتَ ، بالأمسِ ، يُسبَقِ[2]

قضَيتَ أُموراً ثم غادرتَ بعدها ،
نَوافِجَ في أكمامِها ، لم تُفتَّقِ[3]

•

١ ليست هذه الأبيات لحسّان ، وانما تنسب للشماخ بن ضرار ، وقيل بل هي لاخيه جماع ، أو مزرد .
٢ يقال ركب جناحي نعامة : اي جدّ في أمره .
٣ النوافج ، واحدتها نافجة : وعاء المسك .

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاتُه
بكَفَّيْ سَبَنْتَى،أزرقِ العينِ،مُطرقِ[1]

•

وقال[2] يرثي عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه :

من سَرَّهُ الموتُ صِرْفاً ، لا مِزاجَ له ،
فلْيأتِ ما سَرَّهُ في دارِ عُثمانا

إنّي لمنهُمْ ، وإن غابُوا وإن شَهِدوا ،
ما دمتُ حيّاً ، وما سُمّيتُ حسّانا[3]

يا ليتَ شِعري ، وليتَ الطّيرَ تُخبِرُني ،
ما كانَ شأنُ عليٍّ وابنِ عَفّانا

لتَسْمَعنّ وَشيكاً في دِيارِهِمُ :
اللهُ أكبرُ ؛ يا ثاراتِ عُثمانا !

ضَحّوا بأشمطَ ، عُنوانُ السُّجود به
يُقطّعُ الليلَ تَسبيحاً وقُرآنا[4]

•

١ السبنتى : الجريء .
٢ الضمير عائد الى حسان بن ثابت .
٣ اني لمنهم : اي بريء منهم .
٤ الأشمط : الأشيب .

وقال الفرزدق في قَتْل عُثمان، رضي الله تعالى عنه :

إنّ الخِلافَةَ لمّا أظْعِنَت ، ظَعَنَتْ
من أهل يَثرِبَ، إذ غيرَ الهُدى سلكوا

صارتْ الى أهلها منهم ، ووارثِها،
لمّا رأى اللهُ في عثمانَ ما انتهكوا

السافِكِي دَمِه ظُلماً ، ومَعْصِيةً ،
أيّ دمٍ ، لا هُدوا ، من غيّهم سَفكوا

•

وقال السيد الحِميَريّ يَرثي عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه، ويَذكر يوم صِفّين :

إنّي أدينُ بما دان الوَصيُّ به ،
وشارَكتْ كفُّه كفّي بصِفّينا

في سفكِ ما سفكت فيها، إذا احتُضِروا،
وأبرز اللهُ للقِسْطِ الموازينا

تلك الدّماءُ معاً ، يا ربِّ، في عُنقي،
ثم اسْقِني مثلَها آمينَ آمينا

آمينَ من مِثلهم في مثلِ حالِهم،
في فِتيةٍ هاجَروا لله سارينا

لَئِنْ سوا يُريدونَ غيرَ اللهِ رَبَّهُمُ ؛
نِعمَ المُرادُ توخّاه المُريدونا

•

أنشدَ الرِّياشي لرجل من أهل الشام يرثي عمرَ بن عبد العزيز ، رضي الله عنه :

قد غيّب الدّافنون اللحدَ ، إذ دفنوا ،
بديْرِ سمعان قسطاسَ الموازينِ [1]

مَن لم يكُنْ همّه عيناً يُفجّرها ،
ولا النّخيلَ ، ولا ركضَ البراذين [2]

أقول ، لمّا أتاني نعيُ مَهلِكه :
لا تَبْعَدَنّ ! قِوامَ المُلْكِ والدّين

•

وقال الفرزدق يرثي عبدَ العزيز بن مروان :

ظلّوا على قبره يَستغفرون له ،
وقد يقولون تاراتٍ لنا العِبَر [3]

---

١ دير سمعان : بنواحي دمشق في موضع نزه وعنده قبر عمر بن عبد العزيز .
٢ البراذين ، واحدها برذون : دابة الحمل .
٣ العبر : الاعتبار .

يُقبِّلون تُراباً ، فوق أعْظُمِه ،
كما يُقبَّل ، في المَحْجوجةِ ، الحَجَرُ[1]

لله أرضٌ أجنّته ضَريحتُها ،
وكيف يُدفن في الملحودة القَمَرُ[2]!؟

إنّ المنابر لا تَعْتاض عَن مَلِك ،
اليه يَشْخَصُ فوق المِنْبر البَصَر

•

وقال جريرٌ يرثي عمرَ بنَ عبد العزيز:

يَنعى النُّعاة أميرَ المؤمنين لنا ؛
يا خيرَ مَنْ حجَّ بيتَ الله واعتَمَرا

حُمِّلتَ أمراً عظيماً ، فاصْطَبرتَ له ،
وقُمْتَ فيه بأمْرِ الله ، يا عُمَرا

فالشمسُ طالعةٌ ، ليستْ بكاسفةٍ ،
تَبكي عليك ، نجومَ الليل والقَمَرا

•

١ المحجوجة : مكة .
٢ الضريحة : ما كان في وسط اللحد .

وقال جرير يرثي الوليدَ بن عبد الملك:

انّ الخليفة قد وارت شمائله
غبراءُ مَلحودةٌ، في جُولها زَوَرُ[1]

أمسى بنوه، وقد جلّت مُصيبتُهم،
مثلَ النّجوم، هوى من بينها القَمَرُ

كانوا جميعاً، فلم يَدفَعْ، منيّتَه،
عبدُ العزيز، ولا رَوحٌ ولا عُمَرُ

•

وقال غيره[2] يرثي قيس بن عاصم المِنْقَريّ:

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصم،
ورَحمتُه ما شاء أن يترَحّما!

تحيّةَ مَن ألبستَه مِنك نِعمةً،
إذا زارَ، عن شحطٍ، بلادَكَ سلّما

فما كان قيسٌ، هُلكُه هُلكَ واحدٍ،
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

•

---

١ الجول: الناحية. الزور: الميل والانحراف.
٢ هو عبدة بن الطبيب.

وقال أبو عَطاء السِّنْدي يَرثي يزيد بن عمر بن هُبيرة لما قُتل بواسطَ :

ألا إنّ عيناً لم تجُـد ، يومَ واسطٍ ،
عليـك بِجـارِي دَمْعِها ، لَجَمُودُ

عَشِيّـةَ راحَ الدّافِنون ، وشُقّقتْ
جُيوبٌ بأيـدي مأتم ، وخُـدود[1]

فإن تـكُ مَهْجورَ الفِنـاء ، فربما
أقام بـه ، بعد الوُفود ، وُفود

وإنـك لم تَبعـد على مُتعهّدٍ ،
بَلى إنّ مَن تحت التراب بَعيـد

•

وقال منصور النَّمري يَرثي يزيد بن مَزْيد :

مَتى يَبرُدُ الحُزْنُ ، الذي في فُؤاديا ،
أبا خالدٍ ! من بعد أن لا تَلاقِيا

أبا خالدٍ ! مـا كان أدهى مُصيبـةً
أصابت مَعـدّاً ، يومَ أصبَحْت ثاويا

---

١ المأتم : جماعة النساء .

لَعَمْري، لئن سُرّ الأعادي وأظهروا
شَماتاً، لقد سُرُّوا بِرَبعكَ خاليا

وأوتارُ أقوامٍ، لَدَيْكَ، لَوَيْتَها،
وزُرتَ بها الأجداثَ، وهي كما هيا

نُعَزّي أميرَ المؤمنين، ورَهْطَه،
بسَيفٍ لهم، ما كان في الحربِ نابيا

على مِثل ما لاقى يزيدُ بن مَزْيد
عليه المَنايا، فالْقَ إن كنتَ لاقِيا

وإنْ تَكُ أفنَتْهُ الليالي، وأوشكت،
فإنّ له ذِكْراً سَيُفْني اللّياليا

وقال :

سأبكيكَ ما فاضت دُموعي، فإن تَغِضْ
فَحَسْبُكَ منّي ما تُجِنُّ الجَوانِح[1]

كأن لم يَمُتْ حيٌّ سِواك، ولم تَقُم
على أحدٍ، إلاّ عليك، النّوائح

---

١ تغض : تنضب .

لئن حَسُنَتْ فيك المراثي وذكرُها ،
لقد حَسُنَتْ من قبلُ فيك المدائح

فما أنا من رُزْءٍ ، وإن جلّ ، جازعٌ ،
ولا بسرورٍ ، بعد موتك ، فارح

●

وقال زياد الأعجم يرثي المُغيرة بن المهلّب :

إنّ الشّجاعةَ والسّماحةَ ضُمّنا
قبراً بمَرْوَ ، على الطّريق الواضحِ

فإذا مررتَ بقبرِه فاعقرْ به
كُومَ الهجان ، وكلّ طِرْفٍ سابحِ[1]

وانضحْ جوانبَ قبره بدمائها ،
فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

والآنَ ، لمّا كنتَ أكملَ مَن مشى ،
وافترّ نابُكَ عن شَباةِ القارح

وتكاملتْ فيك المُروءةُ كلُّها ،
وأعنتَ ذلك بالفعال الصّالح

●

---

١ الكوم : القطعة من الابل . الهجان : البيضاء الخالصة اللون . الطرف من الخيل : الكريم العتيق .

للمهلّبي من مرثيته للمتوكل :

لا حُزْنَ ، إلا أراه دُونَ ما أجدُ ؛
وهَلْ كمن فقدتْ عيناي مُفتَقَدُ ؟

لا يَبعَدَنْ هالكٌ ، كانتْ منيّته
كما هَوى ، من غِطاء الزُّبْيَة ، الأسد[1]

لا يَدْفع الناسُ ضَيْماً بعد ليلتهم ،
إذْ لا تُمدُّ ، الى الجاني عليكَ ، يَد

لو أنَّ سيفي وعقلي حاضران معي ،
أبليتُه الجُهْدَ ، إذ لم يُبْلِه أحد[2]

هلاّ أتتْه أعاديه مُجاهرةً ،
والحربُ تَسْعَر ، والأبطال تَجتلد

فخرَّ ، فوق سريرِ المُلْك ، مُنجدلاً ،
لم يَحْمِه مُلكُه ، لمّا انقضى الأمد[3]

---

١ الزبية : حفرة تحفر للأسد ثم تغطى فيمر بها الأسد فيهوي فيها فيصاد .

٢ ابليته الجهد : يريد انه كان اظهر بأسه قدر استطاعته ، من ابلى في الحرب بلاء حسناً .

٣ منجدلاً : منطرحاً على الجدالة ، الارض .

قد كان أنصارُه يَحْمون حَوزتَه ،
وللرَّدى دون أرصاد الفتى رَصَد

وأصبحَ النّاسُ فَوضى يَعْجَبون له
لَيثاً صريعاً ، تَنَزَّى حولَه النَّقَد[1]

علتْكَ أسيافُ مَن لا دُونه أحدٌ ،
وليس فَوقكَ إلاّ الواحد الصّمد

جاؤوا عظيماً لدُنيا يَسعدون بها ،
فقد شَقُوا بالذي جاؤوا، وما سَعِدوا

ضَجَّتْ نِساؤُكِ، بعد العزّ، حين رأتْ
خدّاً كريماً ، عليه قارِتٌ جَسِد[2]

أضحى شهيدُ بني العبّاس مَوعظةً ،
لكلِّ ذي عزّةٍ ، في رأسه صَيَد[3]

خَليفةٌ لم ينل ما ناله أحدٌ ،
ولم يكن مثله روحٌ ولا جَسَد

---

١ تنزى ، اي تتنزى : تثب . النقد : جنس من الغنم .
٢ قارت جسد : دم قد يبس .
٣ الصيد : امالة الرأس كبراً .

كَمْ في أديمِكَ من فَوهاءَ هادرةٍ،
من الجَوائفِ يَغلي فوقها الزَّبَدُ[1]

إذا بَكيتُ، فإنَّ الدَّمعَ مُنهمِلٌ؛
وإنْ رَثيتُ، فإنَّ القولَ مُطَّرِد

قد كنتُ أُسرِفُ في مالي، ويُخلِفُ لي،
فعلَّمَتْني الليالي كيفَ أقتصِدُ

لمَّا اعتقدتُم أناساً لا حُلومَ لهم،
ضِعتُم وضَيَّعتُمُ مَن كانَ يُعتقَدُ[2]

فلو جَعلتم، على الأحرار، نعمتَكم،
حَمَتْكم السادةُ المركوزةُ الحُشُدُ

قومٌ هُمُ الجِذْمُ والأنسابُ تَجمعكم
والمَجدُ والدِّينُ والأرحامُ والبَلَدُ[3]

إذا قُريشٌ أرادوا شَدَّ مُلكِهمُ
بغيرِ قَحطانَ، لم يَبرَحْ به أوَدُ

---

١ فوهاء : طعنة واسعة الفم. هادرة : تقذف بالدم. الجوائف ، واحدتها جائفة: الطعنة تبلغ الجوف .

٢ يخاطب بني العباس ويلومهم في موالاتهم للاتراك ومجانبتهم للعرب الاحرار.

٣ الجذم : الاصل والمنبت .

من الأُلى وَهَبوا للمَجد أنفُسَهم ،
فما يُبالون ما نالُوا إذا حُمِدوا

قد وُتِر الناس طُرّاً ، ثم قد صَمَتُوا ،
حتى كأنّ الذي يَبْلونه رَشَدُ[1]

•

وقال آخر :

وفتىً ، كأنّ جَبينَه بَدْرُ الدُّجى ،
قامت عليه نَوادبٌ ورَوامِس[2]

غَرَسَ الفَسيلَ مُؤمّلاً لِبَقائه ،
فنَما الفَسيلُ ، ومات عنه الغارس[3]

•

وقال الأسود بن يَعْفُر :

ماذا أُؤمّلُ بعدَ آل مُحَرِّقٍ ،
تَركوا منازلَهم ، وبَعدَ إيادِ

---

١ وتر الناس ، من وتره : اصابه بظلم او مكروه يجعل له ثأراً عنده .
٢ الروامس : الدوافن ، واحدتها رامسة .
٣ الفسيل ، واحدتها فسيلة : النخلة تقطع من الام لتغرس .

أهل الخَوَرنَق والسَّدير وبارقٍ ،
والقصرِ ذي الشُّرفات من سِنْداد[1]

نَزَلوا بأنقِرة ، يَسيلُ عليهمُ
ماءُ الفرات ، يَجيءُ من أطواد[2]

جَرَت الرّياحُ على محلّ دِيارهم ،
فكأنّما كانوا على ميعاد

ولقد غَنُوا فيها بأنعم عيشةٍ ،
في ظِلّ مُلْكٍ ، ثابتِ الأوتاد

فإذا النّعيمُ وكلُّ ما يُلْهى به
يوماً ، يَصيرُ الى بِلىً ونَفاد

•

وقال عَبيدُ بن الأبرص :

ياحارِ إما راح من قومٍ ، ولا ابتكروا ،
إلاّ وللموتِ في آثارهم حادي

ياحارِ إما طَلَعت شمسٌ ، ولا غَرَبَتْ ،
إلاّ تُقرّبُ آجالاً لميعاد

---

١ الخورنق : قصر كان بالعراق بناه النعمان الاكبر . السدير : قصر آخر كان للنعمان ، ونهر بالحيرة .

٢ أنقرة : موضع بنواحي الحيرة .

هل نحن إلاّ كأرواحٍ يَمُرُّ بها،
تحتَ الترابِ، وأجسادٌ كأجسادِ؟

•

لما مات أسماء بن خارجة الفَزاري قال الحجاج: ذلك رجل عاش ما شاء ومات حين شاء. وقال فيه الشاعر:

إذا مـات ابنُ خارجةَ بن زَيدٍ،
فلا مَطَرَتْ، على الأرض، السماءُ

ولا جاء البَريدُ بغُنْمِ جَيشٍ؛
ولا حُمِلتْ، على الطُهرِ، النساءُ

فيومٌ منكَ خيرٌ من رِجالٍ
كثيرٍ، عنـدهم نَعَمٌ وشاءُ

•

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري:

أمَسعود! هل غاداك يومٌ بفَرحةٍ،
وأمسَيْتَ لم تَعرِضْ لها التَّرحاتُ؟[١]

---

١. الترحات، واحدتها ترحة: الحزن.

وهل نحنُ إلاّ أنفُسٌ مُستعارةٌ ،
تَمرُّ بها الرَّوحاتُ والغدواتُ ؟

بكيتَ ، وأعطتكَ البُكاءَ مُصيبةٌ
مَضتْ ، وهْيَ فَرْدٌ ما لها أخَواتُ

كأنَّكَ فيها لم تَكن تَعرِفُ العزا ؛
ولم تَتعمّد غَيرَكَ النَّكَباتُ

سَقى الضاحكَ الوَسْميُّ أعظُمَ حُفرةٍ ،
طَواها الرَّدى في اللَّحْدِ ، وهْيَ رُفاتُ

أرى بَهْجَةَ الدُّنيا رَجيعَ دوائرٍ ،
لهنَّ اجتماعٌ ، مَرّةً ، وشَتاتُ

طَوى ، أيدِيَ المعروف ، مَصرَعُ مالكٍ ،
فهُنَّ ، عن الآمالِ ، مُنقَبِضاتُ

وقال أيضاً :

أمّا القبورُ ، فإنهُنَّ أوانسٌ ،
بجوارِ قبرِكَ ، والدّيارُ قبورُ

عمَّتْ فواضلُه ، وعمَّ مُصابُه ،
فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

رَدَّتْ صنائعُهُ إليه حياتَهُ
فكأنَّهُ من نَشْرِها منشورُ[1]

•

وقال أشجع بن عمرو السُّلَمي يَرثي منصور بن زياد :

يا حُفْرَةَ الملكِ المُؤمَّلِ رِفْدُهُ،
ما في ثَراكِ مِنَ النَّدى والخيرِ؟

لا زلتِ في ظِلَّيْنِ: ظِلِّ سَحابةٍ
وَطْفاءَ، دانيةٍ، وظِلٍّ حُبورِ[2]

وسقى الوليُّ، على العِهادِ، عِراصَ ما
والاكِ من قبرٍ، ومن مقبورِ[3]

يا يومَ منصورٍ أبَحْتَ حِمى النَّدى،
وفَجَعْتَهُ بوَليِّهِ المذكورِ

يا يومَهُ! أعرَيْتَ راحلةَ النَّدى
من ربِّها، وحرَمْتَ كلَّ فقيرِ

---

١ النشر : الريح الطيبة .
٢ الوطفاء : المسترخية الجوانب لكثرة ما فيها من ماء .
٣ العهاد : المطر الأول . والولي: الذي يليه من الامطار .

يا يومَه ! ماذا صَنعت بمُرمِلٍ
يرجو الغِنى ، ومُكبَّلٍ مأسور ؟

يا يومَه ! لو كنتَ جئتَ بصَيْحةٍ ،
فجَمَعْتَ بين الحيّ والمَقبور

لله أوصالٌ تقسَّمها البِلى
في اللَّحْدِ ، بين صفائحٍ وصُخور

عَجَباً لخمسةِ أذرُعٍ في خَمسةٍ ،
غطَّتْ على جبَلٍ أشمَّ كبير

مَن كانَ يَملأ عَرْضَ كلِّ تَنوفةٍ ،
واراهُ جُولُ مُلحَّدٍ مَحفورِ[1]

ذلَّتْ بمصرعه المكارِمُ والنّدى ،
وذُبابُ كلِّ مُهنَّدٍ ، مأثور[2]

أفَلَتْ نجومُ بَني زِيادٍ ، بعدما
طَلعَتْ بنور أهلَّةٍ ، وبُدور

---

١ التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا انيس . الجول : ناحية القبر .
٢ ذباب السيف : طرفه الذي يُضرب به . المأثور : القديم المتوارث .

لولا بقاءُ محمَّدٍ لتصدَّعت
أكبادُنا، أسفاً، علّى منصور

أبقى مَكارِمَ لا تَبيدُ صِفاتُها،
ومَضى لوقتِ حِمامه المَقدور

أصبَحتَ مَهجوراً بحُفرتك، التي
بُدّلتَها من قَصرك المَعمور

بَليتْ عِظامُكَ، والصَّفاحُ جديدةٌ،
ليس البِلى لفَعالك المشهور

إن كنتَ ساكِنَ حُفرةٍ، فلقد تُرى
سَكناً لعُودَيْ مِنبرٍ وسَريرِ

•

وقال يرثي محمد بن مَنصور:

أنعى فتى الجودِ الى الجودِ،
ما مثلُ مَن أنعى بموجودِ

أنعى فتًى مَصَّ الثّرى، بعده،
بقيّــةَ الماءِ مِنَ العودِ

فانثلم المجدُ به ثلمةً،
جانبُها ليس بمسدودِ

أنعى ابنَ منصور إلى سيِّدٍ،
وأيِّدٍ، ليس برعديدِ[1]

وأشعثٍ يسعى على صِبيةٍ،
مثلِ فِراخِ الطيرِ مجهودِ

وطارقٍ أعيا عليه القرى،
ومُسْلَمٍ في القِدِّ مَصفودِ[2]

اليومَ تُخشى عثراتُ النّدى،
وعَدْوَةُ البُخلِ على الجودِ

أوْرَدَهُ يومٌ عظيمٌ، ثأى
في المجدِ حوضاً غيرَ محمودِ[3]

كلُّ امرئٍ يجري إلى مُدّةٍ،
وأجَلٍ، قد خُطَّ، مَعدود

سينطِقُ الشعرُ، بأيامه،
على لسانٍ غيرِ مَعقودِ

---

١ الرعديد : الجبان .
٢ القدّ : السير يُقد من جلد . مصفود : مقيّد .
٣ ثأى : أفسد .

فكلُّ مَفقودٍ الى جَنْبِهِ ،
وإنْ تعالى ، غيرُ مفقود

يا وافِدَيْ قومِهما ، إنَّ مَن
طَلَبْتُما ، تحت الجلامِد

طلبْتُما الجودَ ، وقد ضمَّه
مُحَمَّدٌ في بطنِ مَلحود

فاتكما الموتُ بمعروفهِ ،
وليس ما فاتَ بمَردودِ

يا عَضُداً للمجدِ مَفتونةً ،
وساعِداً ليس بمعضود

أوْهنَ زَنْدَيْها ، وأكباهما ،
قَرْعُ المنايا في الصّناديدِ

وهَدَّت الرُّكْنَ ، الذي كان
بالأمْس عِماداً ، غيرَ مَهْدود

•

وقال حبيبُ الطائيُّ يَرثي خالدَ بن يزيد بن مَزْيد :

أشَيْبانُ ! لا ذاكَ الهلالُ بطالعٍ
علينا ، ولا ذاكَ الغمامُ بعائدِ

أشَيْبانُ! عَمّت نارُها من رَزيّةٍ،
فما تَشتكي وجْداً الى غَيْرِ واجد

فما جانبُ الدُّنيا بسَهْلٍ، ولا الضُّحى
بِطَلْقٍ، ولا مـاءُ الحياة ببارد

فيا وَحْشَةَ الدُّنيا، وكانت أنيسةً،
ووحدَةَ مَن فيها بِمَصرع واحد

•

وأنشد أبو محمد التَيْمي في يزيد بن مَزْيد:

أحقّاً أنّه أوْدى يَزيدُ؟
تَبَيّنْ أيها النّاعي المُشيدُ[1]!

أتَدْري من نَعَيت، وكيف فاهت
به شَفَتاك؟ واراكَ الصَّعيد!

أحامي المُلْكِ والاسْلام أوْدى؟
فما للأرْضِ، وَيْحكَ، لا تَميد؟

---

١ المشيد، من اشاد بصوته: رفعه.

تأمّلْ ! هل ترى الإسلامَ مالتْ
دعائمُهُ ، وهل شابَ الوليدُ ؟

وهلْ شِيمتْ سيوفُ بني نِزارٍ ؛
وهلْ وُضِعتْ ، عن الخيلِ ، اللّبودُ[1]

وهلْ تسقي البلادَ عِشارُ مُزْنٍ
بدرّتها ؟ وهل يخضرُّ عودُ ؟[2]

أما هُدّتْ لِمَصْرعِهِ نِزارُ ؟
بلى ! وتقوّضَ المجدُ المشيدُ !

وحلَّ ضريحَهُ ، اذ حلَّ فيه ،
طريفُ المجدِ ، والحسبُ التليدُ

وهُدَّ العِزُّ والإسلامُ لمّا
ثوى ، وخليفةُ اللهِ الرّشيدُ

لقد اوفى ، ربيعةَ ، كلُّ نحسٍ
لمهلكهِ ، وغُيّبتِ السّعودُ

---

١ شيمت : سُلّت.
٢ العشار ، واحدتها العشراء : الناقة التي مضى على حملها عشرة اشهر ، استعارها للمزن ، اي السحاب . درتها : ما يسيل من المطر .

وأنصلت الأسنّة من قناها،
وأشرعت الرّماح لِمَن يكيد[1]

نَعِيُّ يَزِيد أنْ لم يبْقَ بأسٌ،
غداةَ مَضى ، وأن لم يبْقَ جود

نَعِيُّ أبي الزُّبير لكلّ يوم
عَبوس الوَجْه، زينَتُه الحَديد[2]

أأودَى عِصْمةُ البادي يزيدُ،
وسَيْفُ الله ، والغيثُ الحميد؟[3]

فمن يحْمي حِمى الإسْلام، أمْ مَن
يَذُبُّ عن المكارم ، أو يذُود ؟

ومَن يدْعو الإمامُ لكلّ خطْبٍ
يُخافُ ، وكلّ مُعضلةٍ تؤود ؟[4]

ومَن تُجلى به الغمَراتُ، أم مَن
يَقوم لها ، إذا اعوجّ العنيد ؟

---

١ انصلت الاسنة : اخرجت نصالها وهذا من علامات الحزن .
٢ أبو الزبير : كنية يزيد .
٣ البادي : الذي يخرج الى البادية طلباً للقرب من الكلأ .
٤ تؤود : تشق وتعي .

ومن يحمي الحميس ، إذا تعايا ،
بحيلة نَفْسه ، البَطَلُ النَّجيد؟[1]

وأين يَوْمُ مُنتَجِعٌ وَلاجٍ ،
وأين تَحُطُّ ، أرْحُلَها ، الوُفود؟[2]

لقد رُزِئَتْ نِزارٌ ، يومَ أودى
عميدٌ ، ما يُقاسُ به عَميد

فلو قُبِلَ الفِداءُ ، فَداهُ مِنّا ،
بِمُهجَتِهِ ، المُسَوَّدُ والمَسود

أبَعْدَ يَزيد تَختَزِن البَواكي
دُموعاً ، أو تُصان لها خُدود؟

أما والله لا تَنفَكُّ عَيني
عليه ، بدَمْعِها ، أبداً تَجود

وإنْ تَجْمُدْ دُموعُ لَئيمِ قَومٍ ،
فليس لِدَمْعِ ذي حَسَبٍ جُمودِ

---

١ تعايا : عي وعجز . النجيد : صاحب النجدة .
٢ لاجٍ : مسهل لاجئ .

وإن يكُ غاله حَيْنٌ ، فأوْدى،
لقد أوْدى وليس لهُ نديدُ[1]

وإنْ يَعثُرْ بهِ دهرٌ ، فكم قد
تفادى ، من مَخافته ، الأسُود

وإن يَهلِكْ يزيدُ ، فكلُّ حيٍّ
فَرِيسٌ للمَنِيّةِ ، أوْ طَرِيدُ[2]

فإنْ يَكُ عن خُلودٍ قد دعَتْه
مآثِرُهُ، فكانَ لها الخُلود

فما أوْدى امرُؤ أوْدى وأبْقى،
لِوارِثِهِ ، مكارِمَ لا تَبيد

ألم تعلم أخي أنَّ المَنايا
غدَرْنَ به ، وهُنَّ له جُنود

قَصَدْنَ له، وكُنَّ يَحِدْنَ عنه،
إذا ما الحرب شُبَّ لها الوَقُود

فهلاّ يومَ يَقدُمها يَزيدُ
الى الأبطال ، والخُلاّن حِيد

---

١ نديد : ند ، مثيل .
٢ فريس : اي فريسة .

ولو لاقى الحُتُوفَ على سِواه
لَلاقاها بــه حَتْفٌ عَنِيـد

أضَرّابُ الفَوارسِ ، كلَّ يومٍ ،
تُرى فيه الحُتُوفُ لها وَعِيد ؟

فمن يُرْضِي القَواطعَ والعَوالي ،
إذا مـا هزَّها فَرَعٌ شَديد؟[1]

لتَبكِـكَ قُبّةُ الاسلام لمّا
وَهَتْ أطنابُها وهي العَمُود

ويَبكِكَ مُرْهَقٌ تَتلُوهُ خَيْلٌ
إبالـةُ ، وهو مَجْدول وَحِيـد[2]

ويَبْكِكَ خامِـلٌ ناداكَ ، لمّا
تَـواكَلَـهُ الأقـارِبُ والبَعِيد[3]

ويَبكِـكَ شاعرٌ ، لم يُبقِ دَهرٌ
له نَشَباً ، وقـد كَسَدَ القَصِيد

---

١ القواطع : اراد بها السيوف . العوالي : الرماح .
٢ ابالة : كثيرة .
٣ تواكله الاقارب : تركوه ولم يعينوه .

تَرَكْتَ المَشْرَفيَّةَ والعَوالي
مُحلأةً ، وقد حانَ الوُرودُ[1]

وغادَرْتَ الجِيادَ ، بكُلِّ لُغْزٍ ،
عَواطِلَ ، بعدَ زِينتِها ، تَرُودُ[2]

فإن تُصبِحْ مُسَلَّبَةً ، فمما
تُفيدُ بها الجَزيلَ وتَستَفيدُ

ألم تكُ تَكْشِفُ الغَمَراتِ عنها
عوابِسَ ، والوُجوهُ البيضُ سُودُ؟

أُصِيبَ المجدُ والاسلامُ ، لمَّا
أصابكَ ، بالرَّدى ، سَهمٌ سديدُ

لقد عَزَّى ربيعةَ أنَّ يوماً ،
عليها ، مثلُ يَومِكَ لا يَعُودُ

ومِثْلُكَ من قَصَدْنَ له المَنايا
بأسْهُمِها ، وهُنَّ له جُنُودُ

---

١ محلأة : محبوسة .
٢ اللغز : ما التوى من الارض واشكل على سالكه .

فيا للدَّهر! ما صَنعَت يَداه،
كأنَّ الدَّهرَ منها مُستَقِيد

سَقى جدَثاً، أقامَ به يزيدُ،
من الوَسْمِيِّ، بَسَّامٌ رَعُود

فإنْ أجْزَع لِمَهْلكه، فإني
على النَّكَبات إذ أودى جَليد

لِيَذْهَبْ مَنْ أراد، فلَسْتُ آسى
على مَن مات، بعدك، يا يزيد!

•

وقال مروان بن أبي حَفصة يَرثي مَعنَ بن زائدة :

زار ابنُ زائدةَ المقابرَ، بَعدَما
ألقَتْ إليه، عُرى الأمور، نِزارُ

إنَّ القبائلَ مِنْ نزارِ أصبَحتْ،
وقلوبُها، أسفاً عليه، حِرار

وَدَّتْ رَبيعَةُ أنَّها قُسِمَتْ له
منها، فعاشَ بِشَطْرِها، الأعمار

فلأبكيَنّ فتى رَبيعةَ ما دَجا
ليلٌ بظُلمتهِ، ولاحَ نَهار

لا زال قبرُ أبي الوَليد تَجودُه،
بعِهادها وبوَبْلِها، الأمطار

قبرٌ يَضُمّ، معَ الشّجاعة والنّدى،
حِلماً، يُخالِطُهُ تُقىً ووَقار

إنّ الرزيّةَ، من رَبيعةَ، هالكٌ
ترَكَ العُيونَ، دُموعُهنّ غِزار

رَحْبُ السّرادق والفِناء، جَبينُهُ
كالبَدْرِ شَقّ، ضِياءَه، الاسْفار

لهفاً عليك، إذا الطّعانُ، بأزرقٍ،
ترَكَ القَنا، وطِوالُهنّ قِصار

خلّى الأعنّة، يومَ ماتَ، مُشيَّعٌ،
بَطلُ اللّقاءِ، مُجرَّبٌ مِغْوار[1]

يُمسي ويُصبحُ مُعْلَماً، تُذكى به
نارٌ بمُعترَكٍ، وتُخمَدُ نار

---

١ المشيع: الشجاع. المغوار: الكثير الغارات.

مهما يُمِرّ ، فليس يَرْجو نقْضَهُ
أحدٌ ، وليس لِنقْضِهِ إمْرارُ[1]

لو كان خلفَكَ ، أو امامكَ ، هائباً
أحداً سِواكَ ، لهابَكَ المِقْدارُ

وقال يرثيه :

بَكى الشامُ مَعْناً ، يومَ خلّى مكانَه ،
فكادت له أرضُ العِراقَيْنِ تَرجُفُ

ثوى القائدُ الميْمونُ ، والذائد الذي ،
به ، كان يُرْمى الجانبُ المتخوَّفُ

أتى الموتُ مَعْناً ، وهو للعِرْضِ صائنٌ ،
وللمجدِ مُبْتاعٌ ، وللمالِ مُتْلِفُ

وما ماتَ ، حتى قلّدَتْهُ أمورَها
ربيعةُ ، والحيّانِ : قيْسٌ وخِنْدِفُ

وحتى فشا ، في كلِّ شرْقٍ ومغْربٍ ،
أيادٍ له ، بالضُّرِّ والنفعِ ، تُعْرفُ

---

[1] يمر : يحكم ويعقد . النقض ، من نقض الحبل المفتول : حله . امرار ، من امرّ الحبل : فتله .

وكم من يدٍ عندي لِمَعْنٍ كريمةٍ،
سأشكُرُها، ما دامتِ العينُ تَطْرِف

بَكَتْهُ الجيادُ الأعوجيّةُ، إذ ثوى،
وحَنّ، مع النّبْع، الوشيجُ المُثقّفُ[1]

وقد غَنِيَتْ ريحُ الصّبا في حياتِه،
قَبولاً، فأمستْ وهي نكباءُ حَرْجَف[2]

•

وقال أبو الشّيص يَرثي هارون الرّشيد ويمدح ابنه محمد ابن زبيدة الأمين:

جرَتْ جوارٍ بالسّعْدِ والنّحْسِ،
فنحنُ في وحْشةٍ، وفي أُنسِ

العينُ تبكي، والسنُّ ضاحكةٌ،
فنحنُ في مأتمٍ، وفي عُرْسِ

يُضْحِكُنا القائمُ الأمينُ، ويُبكينا
وفاةُ الإمامِ بالأمْسِ

---

١ الخيول الأعوجية: نسبة الى أعوج، فحل كريم تنسب الخيل الكرام اليه. النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسيّ، وهو هنا كناية عنها. الوشيج: شجر الرماح، وهو هنا كناية عنها. المثقّف: المقوّم.
٢ الحرجف: الريح الباردة.

بَدْرانِ: بدرٌ اضحى ببغداد في الخُلْد،
وبَدرٌ بطُوس في الرَّمس[1]

•

وأنشد العُتبي:

والمرءُ يجمع مالَهُ مُستهتراً،
فَرِحاً، وليس بآكلٍ ما يَجْمعُ

وليأتينَّ عليك يومٌ، مرَّةً،
يُبكى عليك، مقنَّعاً، لا تَسْمَعُ[2]

•

وقال حارثة بن بَدْر الغُدانيّ يرثي زياداً:

صَلّى الالهُ على قبرٍ، وطهَّره،
عند الثَّويَّةِ، يَسْفي فوقَهُ المُور[3]

زَفَّتْ اليه قريشٌ نَعْشَ سيِّدها؛
فَثَمَّ كلُّ التُّقى والبِرُّ مقبور

---

١ الخلد: قصر الخلافة ببغداد. طوس: البلد الذي مات الرشيد ودفن فيه.
٢ مقنّعاً: مستوراً بالكفن، أو بالتراب.
٣ الثوية: موضع بالكوفة. يسفي: يتذرى. المور: التراب تثيره الريح.

أبا المُغيرة ، والدُّنيا مُغيِّرةٌ ،
وإنَّ من غرَّت الدُّنيا لمَغرور

قد كان عندك للمعروفِ معرفةٌ ؛
وكان عندك للنّكراءِ تَنكير

لو خلَّدَ الخِيرُ والإسلامُ ذا قَدَمٍ ،
إذاً لخلَّدَك الإسلامُ والخِيرُ[1]

قد كنتَ تؤتى ،فتُعْطي المالَ عن سَعَةٍ ،
فاليومَ بيتُك أضحى ، وهو مَهجور

•

وقال نَهار بن تَوْسِعة يرثي المُهلّب :

ألا ذهَبَ الغَزْوُ المُقرِّبُ للغِنى ،
ومات النّدى والحَزم بعد المهلّبِ

أقاما ، بمَرْو الرُّوذِ ، رهن ضَريحِه ،
وقد غيّبا من كلّ شَرْقٍ ومَغرِب[2]

•

[1] الخِير : الشرف والكرم .
[2] مرو الروذ : موضع .

وقال المُهلهل بنُ رَبيعة يرثي أخاهُ كُلَيْبَ وائل، وكان كُلَيب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوتَه :

ذهَبَ الخِيارُ من المعاشرِ كلّهم،
واستبَّ، بعدكَ يا كُلَيبُ، المَجلِس[1]

وتناولوا من كلّ أمرٍ عظيمةٍ،
لو كنتَ حاضِرَ أمْرِهِم لم يَنبِسوا

•

وقال عبد الصَّمد بن المُعذَّل يَرثي سعيد بن سَلم :

كم يَتيمٍ جَبَرْتَه بعد يُتْمٍ،
وعَديمٍ نَعَشْتَه بعد عُدْمِ

كلّما عَضَّ بالحوادث، نادى :
رَضيَ اللهُ عن سَعيدِ بنِ سَلمِ

•

وقال ابن اخت تأبَّط شرّاً يرثي خاله تأبَّط شرّاً الفَهْمي،

---

١ استب المجلس : اي استب اهل المجلس، تشاتموا، وهو مجاز عقلي.

وكانت هُذيل قتلته :

إنّ بالشِّعْبِ، الذي دونَ سَلْعٍ،
لقتيلاً دَمُهُ مــا يُطَــلُّ[1]

قَذفَ العِبْءَ عليَّ، وولّى،
أنا بالعِبْءِ له مُسْتَقِلُّ[2]

وَوراءَ الثّأرِ منّي ابنُ أُخْتٍ
مَصِعٌ، عُقْدَتُهُ ما تُحَلُّ[3]

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَماً، كما أطرَقَ
أفْعى، يَنْفُثُ السَّمَّ صِلُّ[4]

خَبَرٌ مــا نابَنا مُصْمَئِلٌّ،
جَلَّ حتّى دَقَّ فيه الأجَلُّ[5]

بَزَّني الدّهرُ، وكان غَشوماً،
بأبيٍّ، جارُهُ مــا يُــذَلُّ[6]

---

١ الشعب: الطريق بالجبل. سلع : موضع، وقيل جبل قرب المدينة. يطل: يهدر.
٢ مستقل : محتمل .
٣ المصع : الشديد المقاتلة الثابت لها .
٤ الصل : الخبيث من الحيات .
٥ المصمئل : الشديد . دق : صغر .
٦ بزني : سلبني .

شامِسٌ في القُرِّ ، حتى إذا ما
ذَكَتِ الشِّعْرى ، فَبَرْدٌ وظِلُّ[1]

يابِسُ الجَنْبَيْنِ ، من غير بُؤْسٍ ،
ونَديُّ الكَفَّيْنِ ، شَهْمٌ ، مُدِلُّ[2]

ظاعِنٌ بالحَزْمِ ، حتّى إذا ما
حَلَّ ، حلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

وله طَعْمانِ : أرْيٌ وشَرْيٌ ،
وكلا الطَّعْمَيْنِ قدْ ذاقَ كلُّ[3]

رائِحٌ بالمَجْدِ ، غـادٍ ، عليه
من ثِيابِ الحمْدِ ، ثَوْبٌ رِفَلُّ[4]

أفْتَحُ الرّاحـة بالجودِ جوداً ،
عاش في جَدْوى يدَيْهِ المُقِلُّ

---

١ الشامس : ذو الشمس . القر : البرد . يصفه بالكرم والسخاء في الشتاء والصيف . ذكت الشعرى : اشتدت حرارتها . وهي نجم يطلع في الصيف .
٢ يابس الجنبين : هزيل . مدل : فخور بنفسه .
٣ الأري : العسل . الشري : الحنظل ، اراد انه حلو المخالقة ، مر العداوة .
٤ الرفل : الطويل الذيل .

مُسبِلٌ في الحيِّ، أحوى رِفَلٌّ،
وإذا يَغزو فسِمْعٌ أزَلُّ[1]

يركبُ الهَوْلَ وحيداً، ولا
يَصحَبُهُ إلا اليَمانيُّ الأفَلّ[2]

فاحتَسوا أنفاسَ نومٍ، فلمّا
هَوَّموا رُعتَهُمْ، فاشمَعلّوا[3]

كلُّ ماضٍ قد تَرَدّى بماضٍ،
كسَنا البَرْقِ، إذا ما يُسَلّ[4]

فلئِنْ فَلّتْ هُذَيلٌ شَباهُ،
لَبِما كان هُذَيْلاً يَفُلّ[5]

وبِما أبرَكَها في مُناخٍ
جَعْجَعٍ، يَنْقَبُ منهُ الأظَلّ[6]

---

١ مسبل : أي مسبل ازاره ، وهذا مما يمدح به الرجل وقت السكينة والراحة . السمع : ولد الذئب . الأزل : الممسوح العجز .

٢ اليماني الافل : السيف المثلم من كثرة ما يضرب به .

٣ احتسى الشراب : تناوله شيئاً فشيئاً . الأنفاس : الجرع . هوّم الرجل : هز رأسه من النعاس . اشمعلوا : أسرعوا في السير .

٤ تردى : ارتدى . بماض : اي بسيف ماضٍ ، قاطع .

٥ الفل : كسر في حد السيف . الشبا : الحد .

٦ الجعجع : الأرض الغليظة . ينقب : يحفى . الأظل : باطن خف الناقة .

صَلِيَتْ منه هُذَيلٌ بِخِرْقٍ،
لا يَمَلُّ الشرَّ، حتّى يَمَلّوا[1]

يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ، حتّى إذا ما
نَهِلَتْ، كانَ لها مِنهُ عَلُ[2]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلى هُذَيْلٍ،
وتَرى الذِّئْبَ لها يَسْتَهِلُ[3]

وعِتاقُ الطَّيرِ تَغْدو بِطاناً
تَتَخَطّاهُمْ، فما تَسْتَقِلُ[4]

وفُتُوٍّ هَجَّروا، ثم أسْرَوْا
لَيْلَهُمْ، حتّى إذا انجابَ حَلّوا[5]

---

١ صليت منه : ذاقت منه الشدة والويل . الخرق : الشجاع الكريم .
٢ النهل : الشرب الاول . الصعدة : القناة تنبت مستوية . العل : الشرب الثاني .
٣ يستهل : يتهلل فرحاً ، لانه وجد كما وجدت الضبع في قتلى هذيل مطعماً لها .
٤ تستقل : تطير ، اي انها لكثرة ما تقع من اكل لحومهم تقعد لا تستطيع الطيران .
٥ فتو : فتيان . هجّروا : ساروا وقت الهاجرة . اسروا : ساروا ليلاً . انجاب : انكشف .

فاسْقِنيها يا سوادَ بنَ عمرٍو ،
إنّ جِسمي، بَعدَ خالي ، لخَلّ[1]

•

وقال أميّة بن أبي الصّلت يَرثي قتلى بَدر من قريش :

ألا بكيْتِ على الكرامِ ،
بَني الكرام ، أولي المَمادحْ

كبُكا الحَمام على فُروع
الأيْك، في الغُصُنِ الجوانح[2]

يَبكين حرّى، مُستكينات ،
يَرُحْن مــع الرّوائح

أمثالهنّ البــاكيات،
المُعْولات من النّوائــح

مَنْ يَبْكِهم يَبْكِ على
حُزْنٍ ، ويَصْدُقْ كلّ مادح

---

١ سواد : مرخم سوادة . الخل : المهزول .
٢ الجوانح : المواثل ، واحدتها جانحة .

مِن ذا يَبدُرُ، فالعَقَنْقَل،
مِـن مَرازِبـةٍ جَحاجِح[1]

شُمْطٍ وشُبّانٍ بَهاليلٍ،
مَغـــاويرٍ ، وَحـاوِح[2]

ألا تَرَوْنَ لِما أرى،
ولقـد أبان لكـلّ لامِح

أنْ قد تَغَيَّرَ بَطْنُ مكّةَ،
فَهْيَ مُوحِشَةُ الأباطِح[3]

مِن كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْريقٍ
نَقِيِّ اللَّوْنِ، واضِـح[4]

دُعْموصِ أبوابِ المُلوكِ،
وجـائِبٍ لِلخَرْقِ فاتِـح[5]

---

١ العقنقل : الكثيب من الرمل المنعقد. المرازبة : الرؤساء . الجحاجح : السادة.
٢ البهاليل: السادة . الوحاوح، واحدها وحواح : الحديد النفس .
٣ الاباطح : مسايل واسعة فيها رمل ودقاق الحصى ، واحدتها بطحاء .
٤ البطريق : القائد من قواد الروم . واستعاره هنا للسيد من قريش .
٥ الدعموص : الدخال في الامور والزوار للملوك . الخرق : الفلاة الواسعة .

وَمن السَّراطِمة الحلاجِمة،
المَلاوِثـة ، المَناجِـح[1]

القائِلِـين ، الفاعِلِـين،
الآمِرين بكُـلِّ صالـح

المُطْعِمِينَ الشَّحْمَ ، فوقَ
الخُبْزِ شَحْماً كالأنافح[2]

نُقُل الجِفانِ ، مع الجِفان،
الى جِفـانٍ كالمناضِح[3]

ليست بأصْفـارٍ لِمَنْ
يَعْفُو ، ولا رحٍّ رَحارِح[4]

---

١ السراطمة ، الواحد سرطم : الواسع الخلق . الحلاجمة، الواحد حلجم: الضخم الطويل . الملاوثة : السادة ؛ الواحد ملوث . المناجح : الذين ينجحون في سعيهم ويسعدون فيه .

٢ الانافح : شيء يخرج من بطن ذي الكرش داخله أصفر ، شبه به الشحم .

٣ المناضح : الحياض ، شبّه الجفان بها في عظمها .

٤ أصفار : خالية . يعفو : يقصد طالباً المعروف . رح رحارح : واسعة من غير عمق .

للضَّيْفِ ، ثُمَّ الضَّيْفِ ، بعد
الضَّيْفِ ، والبُسْطِ السَّلاطِحِ[1]

وهُبِ المِئينَ ، من المِئينَ ،
إلى المِئينَ ، من اللواقحِ[2]

سَوْقَ المُؤَبَّلِ للمؤَبَّلِ ،
صادراتٍ عن بَلادِحِ[3]

لِكِرامِهم ، فوقَ الكرام ،
مزيَّةٌ ، وَزْنَ الرَّواجحِ

كتثاقُلِ الأرْطالِ بالقِسْطاسِ ،
في الأيدي الموائحِ[4]

لله دَرُّ بَني عَليٍّ ،
أيِّمٍ ، مِنْهم ، وناكِحِ

---

١ السلاطح : الطوال العراض .
٢ اللواقح : الابل الحوامل .
٣ المؤبل : الابل الكثيرة . بلادح : موضع .
٤ الموائح : التي تمايل لثقل ما ترفعه .

إنْ لمْ يُغيرُوا غارَةً
شَعْواءَ، تُجْحِرُ كلَّ نابحْ[1]

بالمُقْرَباتِ، المُبْعِداتِ،
الطّامِحاتِ مع الطّوامِحْ[2]

مُرْداً على جُرْدٍ، إلى
أُسْدٍ، مُكالِبَةٍ، كَوالِحْ[3]

ويُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَهُ،
مَشْيَ المُصافِحِ للمُصافِحْ

بِزُهاءِ ألْفٍ، ثُمّ ألْفٍ،
بينَ ذي بَدَنٍ ورامحْ[4]

الضّارِبينَ التّقْدُمِيّةَ
بالمُهَنّدَةِ الصّفائحْ[5]

•

---

١ تجحره : تلجئه الى جحره .

٢ المقربات: الخيل التي تقرب من البيوت لكرمها. المبعدات: التي تبعد في جريها.

٣ الجرد : الخيل التي لا شعر عليها ، وهي العتاق . المكالبة : هم الذين بهم كلب وحدّة في الحرب . الكوالح : العوابس .

٤ البدن : الدرع .

٥ الضاربين التقدمية : أي الذين يضربون المتقدمين في أول الجيش . المهندة الصفائح : السيوف الهندية العريضة .

روى الأخفش لسهل بن هارون :

ما للحوادث عنكَ مُنصَرَفُ،
إلاّ بنَفْسٍ ما لها خَلَفُ

فكأنها رامٍ على حَنَقٍ؛
وكأنّني لِسِهامِها هَدَف

دَهرٌ سُرِرْتُ به ، فأعْقَبَني
جَرَيانُه ما عِشتُ أُلتَقَفُ[1]

فابْكِ الذي وَلّى، لِمَهْلكِه،
عنكَ السّرورُ،وخُلّفَ الأسف

إذ لا يَرُدُّ عليك، ما أخَذَتْ
منكَ الحوادثُ، دَمْعةٌ تَكِف

قَبْرٌ بمُخْتَلَفِ الرّياح ، به
مَنْ لستُ أبلغه بما أصِف

أنِسَ الثّرى بمحلّه ، وله
قدأوحَشَ المُستأنسُ الألِف[2]

---

١ التقف ، من التقفه : تناوله بسرعة .
٢ الألف : أي المألوف .

فالصبرُ أحسنَ ما اعتصمتَ به،
إذ ليس منه لديَّ مُنتَصف

•

وقال فرْوَة بن نوْفل الحَروري، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج، ويقولون: والله لنَحْرقنّهم ولنفعلنّ ولنفعلنّ، فقال في ذلك فروةُ بنُ نوفل، وكان من الخوارج:

ما إنْ نُبالي، إذا أرْواحُنا قُبِضت،
ماذا فَعلتُمْ بأجْسادٍ وأبْشارِ[1]

تَجْري المَجرّةُ والنّسْران، بَيْنهما،
والشمسُ، والقمرُ الساري، بمِقدار[2]

لقد علمتُ، وخَيرُ العِلم أنفعُه،
أنّ السّعيدَ الذي ينجو من النار

وقال يرثي قومه:

همُ نَصبُوا الأجْسادَ للنّبْل والقنا،
فلم يَبْقَ منها اليومَ إلاّ رَميمُها

---

١ ابشار، واحدها بشر: جلد الانسان.
٢ النسران: كوكبان يقال لاحدهما النسر الطائر وللآخر النسر الواقع.

تَظَلُّ عِتاقُ الطَّيرِ تَحْجِلُ حَولَهم،
يُعلِّلْنَ أجساداً قليلاً نَعيمُها[1]

لِطافاً بَراها الصَّوْمُ، حتى كأنّها
سُيوفٌ، إذا ما الخَيلُ تَدْمى كلومُها

•

١ تحجل : تمشي قفزاً . يعللن : اي يستخرجن ما فيها من بقية لحم .

التعازي

قال عبد الرحمن بن أبي بكر لسليمان بن عبد الملك يُعزّيه في ابنه أيوب وكان وليّ عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين، إنه من طال عمره فَقَدَ أحِبّتَه ، ومن قَصُر عُمره كانت مُصيبته في نفسه . فلو لم يكن في ميزانك لكُنْتَ في ميزانه .

وكَتَبَ الحسنُ بن أبي الحسن الى عُمَر بن عبد العزيز يُعزّيه في ابنه عبد الملك :

وعُوِّضْتَ أجراً مِن فقيدٍ ، فلا يَكُنْ
فَقيدُكَ لا يَأتي ، وأجْرُكَ يَذهَبُ

•

العُتْبي قال : قال عبدُ الله بن الأهتَم : مات لي ابن وأنا بمكة فجزِعتُ عليه جَزَعاً شديداً ، فدَخَلَ عليّ ابنُ جُرَيج يُعَزّيني ، فقال لي : يا أبا محمد ، اسْلُ صَبراً واحتساباً قبلَ أن تَسْلُو غَفْلةً ونِسياناً كما تَسْلُو البهائم .

وهذا الكلامُ لعليّ بن أبي طالب ، كرّمَ الله وجهَه ، يُعزّي

به الأشعثَ بن قيس في ابن له ، ومنه أخذه ابن جُريج . وقد ذكرَه حبيب في شعره فقال :

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ ،
وخاف عليه بعضَ تلك المآثمِ

أتصبِرُ للبلوى عَزاءً ، وحِسبةً ،
فتؤجَرَ ، أمْ تسلو سُلُوَّ البهائمِ ؟

•

أتى عليُّ بنُ أبي طالب ، كرّمَ الله وجهه ، لأشعث يُعزّيه عن ابنه ، فقال : إن تحزَنْ فقد استحقّتْ ذلك منك الرّحم ، وإن تصبر فإن في الله خلَفاً من كلّ هالك ، مع أنّك إن صَبَرت جرى عليك القَدَر وأنت مأجور ، وإن جَزِعتَ جرى عليك القَدَر وأنت آثِم .

•

وعزّى ابن السمّاك رجلا فقال : عليك بالصّبر ، فبه يَعمل من احتسب ، وإليه يَصير مَن جزِع ، واعلم أنه ليست مُصيبة إلاّ ومعها أعظمُ منها من طاعة الله فيها أو مَعصيته بها .

•

الأصمعي قال : عزّى صالحٌ المُرّي رجلا بابنه ، فقال له :

إنْ كانت مُصيبتك لم تُحْدِث لك مَوعظةً فمُصِيبتك بنفسك أعظمُ من مُصيبتك بابنــك ، واعلم أنَّ التَّهنِئَة على آجل الثَّواب أولى من التَّعزية على عاجل المصيبة .

●

العُتْبيّ قال : عزَّى أبي رجلاً فقال : إنما يَستوجب على الله وَعدَه مَنْ صَبَرَ لحقّه ، فلا تَجْمَع الى ما فُجِعت به الفَجيعةَ بالأجر ، فإنها أعظمُ المصيبتين عليك ، ولكلّ اجتماعٍ فرقة الى دار الحُلول .

●

عزَّى عبدُ الله بن عبّاس عمرَ بن الخطّاب ، رضي الله تعــالى عنه ، في بُنيّ له صغير ، فقــال : عوَّضك الله منه مــا عوَّضه الله منك .

وكان عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، إذا عزَّى قوماً قال : عليكم بالصَّبر فإنَّ به يأخذ الحازم وإليه يَرجع الجازع.

●

وكان الحسنُ يقول في المُصيبة : الحمدُ لله الذي آجرَنا على ما لو كلَّفنا غيرَه لعَجزْنا عنه .

●

كتاب تعزية

أما بعد، فانّ أحقّ مَن تعزّى، وأولى مَن تأسّى وسَلّم لأمر الله، وقَبِلَ تأديبَه في الصّبر على نَكَبات الدّنيا، وتجرّع غُصَص البَلوى، مَن تَنَجّز من الله وعدَه، وفَهِم عن كتابه أمرَه، وأخلص له نفسَه، واعترف له بما هو أهلُه.

وفي كتاب الله سَلوةٌ من فَقْدِ كلّ حبيب وإن لم تَطِب النفسُ عنه، وأُنسٌ من كلّ فقيد وإن عَظُمت اللوعةُ به، إذ يقول عزّ وجلّ: « كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وَجهَه له الحُكم وإليه ترجعون. » وحيثُ يقول: « الذين إذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لله وإنّا إليه راجِعُون، أولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئِكَ هُمُ المُهْتَدُون. »

والموتُ سبيل الماضين والغابرين، ومَورِد الخَلائق أجمعين، وفي أنبياء الله وسالفِ أوليائه أفضلُ العبرة، وأحسن الأسوة، فهل أحدٌ منهم إلاّ وقد أخذ من فجائع الدّنيا بأجزل العطاء، ومن الصبر عليها باحتساب الأجر فيها بأوفر الأنصباء؟

فُجع نبيّنا، عليه الصلاةُ والسلام، بابنه إبراهيم، وكان ذُخْرَ الايمان، وقُرّة عَين الاسلام، وعَقِب الطّهارة، وسَليل

الوحي ، ونَتيج الرَّحمة ، وحَضِين الملائكة ، وبقيَّة آل إبراهيم وإسماعيل، صلواتُ الله عليهم أجمعين وعلى عامة الأنبياء والمُرسَلين ، فعمَّتِ الثَّقلَين مُصيبتُه ، وخصَّت الملائكةَ رَزِيَّتُه ، ورضي، صلى الله عليه وسلم ، من فراقه بثواب الله بدلاً ، ومن فِقدانه عِوَضاً ، فشكرَ قضاه ، واتَّبع رِضاه ، فقال : يَحزَنُ القلب وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسخِط الربَّ ، وإنّا بك يا إبراهيم لمَحزونون .

وإذا تأمَّل ذو النَّظَر ما هو مُشْفٍ عليه من غِيَر الدُّنيا ، وانتَصَح نفسَه وفِكرَه في غِيَرها بتنقُّل الأحوال ، وتقارُبِ الآجال ، وانقطاع يسير هذه المُدَّة ، ذلَّت الدُّنيا عنده ، وهانت المصائبُ عليه ، وتسهَّلت الفجائعُ لديه ، فأخَذ للأمر أهبته ، وأعدَّ للموت عُدَّته .

ومن صَحِب الدُّنيا بحُسْن رَوِيَّة ، ولاحَظَها بعين الحقيقة، كان على بصيرة من وشْكِ زَوالها. قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : اذكُروا الموت فإنه هادم اللذات ، ومُنَغِّص الشَّهَوات .

وليس شيء مما اقتصصتُ إلا وقد جعلك الله مُقدَّماً في العلْم به ، ولعَمري إنَّ الخَطْب فيما أُصِبْتَ به لعَظيم ،

غير أن مُعوَّضه من الأجر والمَثُوبة عليه بحُسْن الصَّبر يُهوِّنان الرَّزيَّة وإن ثقُلَت ، ويُسهِّلان الخَطْب وإن عَظُم .

وهب الله لك من عِصْمة الصَّبر ما يُكمل لك به زُلْفى الفائزين ، ومزيد الشاكرين ، وجعلك من المُرتَضين قولاً وفِعلاً ، الذين أعطاهم الحُسْنى ووفَّقهم للصَّبر والتَّقوى .

•

محمد بن الفَضل عن ابي حازم قال : مات عُقْبة بن عِياض ابن غنْم الفِهْريّ ، فعزَّى رجلٌ أباه فقال : لا تَجزع عليه فقد قُتِل شهيداً ؛ فقال : وكيف أجزع على من كان في حَياته زينةَ الدُّنيا ، وهوَ اليومَ من الباقيات الصالحات !

•

ابن الغاز قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل قال : سمعتُ الأصمعيّ يقول : دخلتُ على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزَعاً على أخيه محمد بن سليمان فأنشدته بيتين ، فما برحتُ حتى دعا بالمائدة . فقلتُ للأصمعيّ : ما هما ؟

فسكت ؛ فسألتُه ، فقال : أتدري ما قال الأحوص ؟

قلت : لا أدري .

قال : قال الأحوص :

قد زادَه كَلَفاً بالحُبِّ ، إذ مَنَعت ،
أحبُّ شيءٍ الى الانسان ما مُنِعا

•

قال أبو موسى ، والأبيات لأراكة الثقفي يَرثي بها عمرو ابن أراكة ويُعزّي نفسه حيث يقول :

لَعَمري ! لئن أتبَعْتَ عينَك ما مضى
به الدّهرُ ، أو ساق الحِمامُ الى القَبرِ

لَتَستَنفِدَنْ ماءَ الشؤون بأسْرِه ،
وإن كنتَ تَمرِينْ من ثَبَجِ البَحرِ[1]

تَبَيَّنْ فإنْ كان البُكا ردَّ هالِكاً
على أحَدٍ ، فاجهَد بُكاكَ على عَمْرو

فلا تَبْكِ مَيْتاً ، بعدَ مَيتِ أجَنَّه
عليٌّ وعبّاسٌ ، وآلُ أبي بَكْرِ

•

---

١ مرى الشيء : استخرجه . ثبج البحر : معظمه .

أبو عمر بن يزيد قال : لما مات أخو مالك بن دينار ، بكى مالك ، وقال : يا أخي ، لا تَقَرُّ عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنّة أنت أم في النار ، ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك .

•

وقالت أعرابية ، ورأت ميتاً يُدْفَن : جافى الله عن جَنْبيه الثّرى ، وأعانه على طول البِلى .

•

وعزّى أعرابيٌّ رجلاً فقال : أوصيك بالرّضا من الله بقضائه ، والتنجُّز لما وَعَد به من ثوابه ، فإنّ الدُّنيا دار زوال ، ولا بد من لقاء الله .

وعَزّى أيضاً رجلاً فقال : إنّ من كان لك في الآخرة أجراً ، خيرٌ لك ممن كان لك في الدُّنيا سُروراً .

•

وجزع رجلٌ على ابن له ، فشكا ذلك الى الحسن ؛ فقال له : هل كان ابنُك يَغيب عنك ؟

قال : نَعم ، كان مَغيبُه عنّي أكثرَ من حضوره .

قال : فاترُكه غائباً فإنه لم يَغِب عنك غيبةً الأجرُ لك فيها أعظمُ من هذه الغَيبة .

•

وعزّى رجلٌ نصرانيٌّ مسلماً ، فقال له : إنّ مِثْلي لا يُعزّي مِثْلك ، ولكن انظُر ما زَهِد فيه الجاهل فارغب فيه .

•

وكان عليُّ بن الحُسَين ، رضي الله عنه ، في مجلسه وعنده جماعةٌ ، إذ سمع ناعيةً في بَيْتِه ، فنهض الى منزله فسكّتَهم ، ثم رجعَ الى مجلسه ، فقالوا له : أمِنْ حَدَثٍ كانت الناعية ؟

قال : نعم .

فعَزّوه وعَجِبوا من صَبره . فقال : إنّا أهل بيت نُطيع الله فيما نُحب ، ونَحمَدُه على ما نَكره .

تعزية

التمس ما وَعد الله من ثَوابه بالتّسليم لقضائه ، والانتهاء الى أمره ، فإن ما فات غيرُ مُستَدْرَك .

•

وعزّى موسى المَهْديّ إبراهيمَ بن سَلْم على ابن له مات ، فجَزِع عليه جزعاً شديداً ، فقال له : أيسرُّك وهو بليّة وفِتنَة ، ويَحزُنك وهو صَلوات ورحمة ؟

•

سُفيان الثَّوري عن سعيد بن جُبير قال : ما أُعطِيَت أُمَّة عند المُصِيبة ما أُعطِيَت هذه الأمة من قولها : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون . » ولو أعطيها أحدٌ لأُعْطيها يَعقوب حيثُ يقول : « يا أسفَا على يُوسف ، وابيَضَّت عيناهُ منَ الحُزن فهُوَ كَظيم . »

•

وعزَّى رجلٌ رجلًا بابن له فقال له : ذَهب أبوك وهو أصلُك ، وذهب ابنك وهو فَرعك ، فما بَقاء من ذهب أصلُه وفرعه ؟

•

تعازي الملوك

العُتْبي قال : عَزّى أكْثَمُ بنُ صَيفيّ عمرو بنَ هِنْد ملكَ العرب على أخيه ، فقال له : أيها الملك ، إنّ أهلَ الدار سَفْرٌ لا يَحُلُّون عُقَدَ الرّحال إلاّ في غَيرها ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سَيَظْعَن عنك ويَدَعك، واعلم أنّ الدُّنيا ثلاثة أيّام : فأمسِ ، عِظَةٌ وشاهدُ عَدْل ، فجَعَكَ بنَفسه ، وأبقى لك عليه حُكْمَكَ ؛ واليوم ، غَنيمة وصَديق ، أتاك ولم تأتِه ، طالت عليك غَيبَتُه ، وستُسرع عنك رِحلته ؛ وغَد ، لا تَدْري مَن أهلُه ، وسيأتيك إنْ وَجَدك. فما أحسَنَ الشُّكر للمُنْعم ، والتسليمَ للقادر ! وقد مَضَت لنا أصولٌ نحن فُروعها ، فما بَقاء الفُروع بعد أصُولها ! واعلم أنّ أعظم من المُصيبة سوءُ الخَلف منها ، وخيرٌ من الخير مُعْطيه ، وشرٌّ من الشرّ فاعلُه .

•

لما هَلك أميرُ المؤمنين المَنصور ، قَدِمَت وُفود الأنصار

على أمير المؤمنين المهديّ ، وقَدِمَ فيهم أبو العَيناء المُحَدِّث ، فتقدَّم الى التّعزية ، فقال : آجَرَ الله أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قبلَه ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلَّفه له ، فلا مُصيبة أعظمُ من مُصيبة إمام والد ، ولا عُقْبى أفضَلُ من خِلافة الله على أوليائه . فاقبل من الله أفضلَ العطيّة ، واصبر له على أعظم الرزيّة .

•

ولما مات معاويةُ بن أبي سفيان ، ويزيدُ غائب ، صلّى عليه الضحّاك بن قيس الفِهْري ، ثم قَدِمَ يزيد من يومه ذلك ، فلم يَقْدَم أحدٌ على تَعزيته حتى دخل عليه عبدُ الله بن همّام السّلوليّ ، فقال :

اصبِرْ يزيدُ ، فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ ،
واشكُرْ حِباءَ الذي بالمُلْك حاباكَا

لا رُزْءَ أعظمُ في الأقوام ، قد علِموا ،
مما رُزِئْتَ ، ولا عُقْبى كعُقْباكا

أصبحتَ راعيَ أهل الأرض كلِّهمُ ،
فأنت ترعاهمُ ، والله يَرْعاكا

وفي مُعاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ ،
إذا بقيتَ ، فلا نَسمَع بمَنْعاكا

فافتتح الخُطباء الكلام .

•

عزّى شَبيبُ بن شَيبة المنصورَ على أخيه أبي العبّاس ، فقال : جعل الله ثوابَ ما رُزِئت به لك اجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم لك ذلك بعافية تامّة ، ونعمة عامّة ، فثوابُ الله خير لك منه ، وما عند الله خير له منك ، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس الى تغييره سبيل .

•

وكتب إبراهيم بن إسحاق الى بعض الخُلفاء يُعزّيه : إنّ أحقّ مَن عرف حقّ الله فيما أخذ منه مَن عرف نِعمته فيما أبقى عليه . يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الماضيَ قبلك هو الباقي لك ، والباقيَ بعدك هو المأجور فيك ، وإنّ النعمة على الصابرين فيما ابتُلوا به أعظمُ منها عليهم فيما يُعافَون منه .

•

دخل عبدُ الملك بن صالح دار الرّشيد ، فقال له الحاجبُ : إنّ أمير المؤمنين قد أُصيب بابن له ووُلد له آخر . فلما دخل

عليه قال : سَرّكَ الله يا أمير المؤمنين فيما ساءَكَ ، ولا ساءَكَ فيما سرّكَ ، وجعل هذه بهذه مَثُوبةً على الصبر ، وجزاءً على الشكر .

•

ودخل المأمونُ على أمّ الفضل بن سهل يُعزّيها بابنها الفضل بن سهل، فقال : يا أمّه ، إنّكِ لم تفقدي إلاّ رؤيته ، وأنا ولدُكِ مكانَه .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ رجلاً أفادني ولداً مثلك لَجَديرٌ أن أجزع عليه .

•

لما مات عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر الى عُمّاله : إنّ عبدَ الملك كان عبداً من عَبيد الله ، أحسَنَ اللهُ إليه وإليّ فيه ، أعاشه ما شاء وقبَضَه حين شاء ، وكان ، ما علمتُ ، من صالِحي شباب أهل بَيته قراءةً للقرآن ، وتحرّياً للخير ، وأعوذ بالله أن تكون لي محبّة أخالف فيها محبة الله ، فإن ذلك لا يَحسُن في إحسانه إليّ ، وتتابُعِ نِعَمِه عليّ ، ولأعلمنّ ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ، قد نهينا أهلَه الذين هم أحقُّ بالبكاء عليه .

•

دخل زيادُ بن عثمان بن زياد على سُليمان بن عبد الملك وقد تُوفي ابنه أيّوب ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ عبدَ الرحمن ابن أبي بكر كان يقول : من أحبّ البقاء ، ولا بَقاء ، فليُوطّن نفسه على المصائب .

•

لما مات مُعاوية دخل عَطاء بن أبي صَيفيّ على يَزيد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أصبحتَ رُزِئْتَ خليفةَ الله ، وأُعطيت خلافةَ الله ، فاحتَسِب على الله أعظم الرزيّة ، واشكُره على أحسن العَطيّة .

•

عزّى محمدُ بن الوليد بن عتبة عُمَر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعِدَّ لما تَرى عُدّةً تكن لك جُنّة من الحُزن وسِتْراً من النار .

فقال عمر : هل رأيتَ حُزناً يُحتَجُّ بـه ، أو غَفْلة يُنَبَّه عليها ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين ، لو أنّ رجلاً تَرك تَعزية رجل لِعِلْمِه وانتباهه لكُنتَه ، ولكن الله قضى أن الذّكرى تنفع المؤمنين .

•

وتُوفِّيت أختٌ لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دَفنها دَنا إليه رجلٌ فعزّاه ، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، ثم دَنا إليه آخرُ فعزّاه ، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، فلما رأى الناسُ ذلك أمسكوا عنه ومَشَوا معه . فلما بَلغ البابَ أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركتُ الناس وهم لا يُعزُّون بامرأة إلاّ أن تكون أمّاً ، انقلبوا رحمكم الله .

•

وُجد في حائط من حيطان تُبَّع مكتوب :

اصبِرْ لِدَهرٍ نال مِنْكَ ،
فهكذا مَضَت الدُّهُور

فَرَحٌ وحُزنٌ ، مرّةً ،
لا الحُزن دام ، ولا السُّرور

وهذا نظير قول العتّابي :

وقائلة لمّا رأتْني مُسَهَّداً ،
كأنَّ الحَشا مِنّي تُلَدِّغُه الجَمْرُ :

أباطِنُ داءٍ أم جَوًى بِك قاتلٌ ؟
فقلتُ : الذي بي ما يقوم له صَبْر

تَفرُّقُ أُلّافٍ ، وموتُ أحبّةٍ ،
وفقدُ ذوي الإفضال، قالت: كذا الدهر

•

كتب محمد بن عبد الله بن طاهر الى المتوكل يُعزّيه بابنٍ له :

إنّي أعزّيك ، لا أنّي على ثقةٍ
مِن الحياة ، ولكن سُنّةُ الدّين

ليس المُعزّى بباقٍ ، بعد ميّتهِ ،
ولا المُعزّي ، وإن عاشا الى حين

•

وقال أبو عُيَينة :

فإن أشكُ من ليلي بجُرجان طُولَهُ ،
فقد كنتُ أشكو منه بالبَصرةِ القِصَرْ

وقائلةٍ : ماذا نأى بك عنهمُ ؟
فقلتُ لها : لا عِلمَ لي، فَسَلِي القَدَر

•

وقال بعض الحُكماء لسُليمان بن عبد الملك لما أُصيب بابنه

أيوب : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ مثلَك لا يُوعَظ إلا بـدون علمه ، فإن رأيتَ أن تُقدّم مـا أخَّرتِ العَجَزة من حُسن العَزاء والصّبر على المُصيبـة فترضِي ربّك وتُريح بدنك ، فافعل .

•

وكتب الحسنُ الى عمر بن عبد العزيز يُعزّيه في ابنه عبـد الملك ببيت شعر وهو :

وعُوّضتَ أجراً من فقيد، فلا يكُن
فقيدُك لا يَأتي ، وأجرُك يَذهَبُ

•

ولما حَضرت الاسكندر الوفاةُ كَتَب الى أمّـه : أن اصنَعي طعاماً يحضُره الناسُ ، ثم تَقـدّمي إليهم أن لا يأكل منه مَحزون ، ففَعلت فلم يَبسُط إليه أحدٌ يده ، فقالت : ما لـكم لا تأكلون ؟

فقالوا : إنك تقدّمت إلينا أن لا يأكلَ منـه محزون ، وليس منّا إلاّ من قد أُصيب بحَميم أو قريب .

فقالت : مـــات والله ابني ومـا أوصى إليّ بهذا إلاّ لِيُعَزّيَني به .

•

وكان سهل بن هارون يقول في تَعْزيته : إنّ التّهنِئة بآجل الثّواب أوجبُ من التّعزية على عاجل المُصيبة .

•

دموع الاحزان

٢٠٠ غ.ل.

V.3 (12

العقد الفريد

١٢

انساب العرب

مكتبة صادر
بيروت

١٢

انساب العرب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

أنساب العرب

هو كتاب اليتيمة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

١٢

انساب العرب

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٢/١٢٤

كتاب اليتيمة

في النسب وفضائل العرب

قال أحمدُ بنُ محمَّد بن عبد ربّه : قد مضى قولُنا في النوادب والمَراثي ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النّسب الذي هو سبب التعارُف ، وسُلَّم إلى التواصل ، به تتعاطف الأرحام الواشِجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة .

قال الله تبارك وتعالى : «يا أيُّها الناسُ إنّا خلَقناكم من ذكَرٍ وأنثى وجَعَلْناكم شُعوباً وقبائِلَ لِتعارَفوا . » فمن لم يَعْرِف النّسب لم يعرف الناسَ ، ومن لم يَعْرِفُ الناسَ لم يُعَدَّ من الناس .

وفي الحديث : تَعلّموا من النسَب ما تعرفون به أحسابكم وتَصِلون به أرحامَكم .

وقال عمرُ بن الخطّاب : تعلّموا النّسَب ولا تكونوا كنَبيط السّواد إذا سُئل أحدُهم عن أصْله قال : من قرية كذا وكذا .

اصل النسب

معاوية بن صالح عن يحيى عن سعيد بن المُسيّب ، قال : وَلَدَ نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافِث . فوَلَد سام العَرب وفارس والرُّوم ، ووَلَدَ حامٌ السودان والبربر والنَّبط ، وولد يافثُ التركَ والصَّقالبة ويأجوج ومأجوج .

اصل قريش — كانت قرَيش تُدعى النَّضرَ بن كِنانة ، وكانوا متفرّقين في بني كِنانة ، فجمَعَهم قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك من كلّ أوْب إلى البيت ، فسُمُّوا قرَيشاً . والتَّقَرُّش : التَّجمُّع ، وسُمّي قُصَيّ بن كِلاب مجمّعاً ، فقال فيه الشاعر :

قُصَيّ أبوكم كان يُدعى مُجمّعاً،
بـه جَمّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

وقال حبيب :

غدَوْا في نواحي نَعْشِهِ ، وكأنما
قُرَيشٌ قُرَيشٌ يوم مات مُجَمّعُ

يريد بمجمّع قُصَيٌّ بن كِلاب ، وهو الذي بنى المَشعَرَ الحرام ، وكان يقوم عليه أيام الحج ، فسمّاه الله مَشعراً وأمر بالوقوف عنده .

وإنّما جمّع قُصَيٌّ إلى مكة بني فِهْرِ بن مالك ، فجِذمِ قريش كلّها فِهْرُ بن مالك ، فما دونه قريش ، وما فوقه عرب ، مثل كِنانة وأسد وغيرهما من قبائل مُضر ، وأما قبائل قريش فانما تنتهي إلى فِهر بن مالك لا تُجاوزه .

وكانت قرَيش تُسمّى آلَ الله ، وجيران الله ، وسُكّان حرم الله ، وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذمّتِـه ،
لم نزَلْ فيها على عَهْدٍ قَدُمْ
إنّ للبيتِ لرَبّاً مانِعاً ،
مَن يُرِدْ فيه بإثمٍ يُختَرَمِ[1]
لم تزَلْ للهِ فينا حُرْمَةٌ ،
يَدفَعُ اللهُ بها عنّا النّقَم

وقال الحسنُ بن هانىء في بعض بني شَيْبَةَ بن عُثمان الذين بأيديهم مفتاح الكَعْبَة :

---

١ يختَرم : يموت .

إذا اشتَعَبَ الناسُ البيوتَ ،فأنتُمُ
أولو الله والبيتِ العتيق المُحرّمِ

نسب قريش – قال أبو المُنذِرِ هشام بن محمد بن السائب الكلبي: تَسميةُ من انتهى اليه الشّرف من قرَيش في الجاهلية فوَصله بالاسلام ، عَشرة رَهْط من عشرة أبطنٍ وهم هاشم وأمَيّة ونَوْفل وعبد الدار وأسد وتَيْم ومخزوم وعَديّ وجُمَح وسَهْم .

فكان من هاشم: العبّاس بن عبد المُطّلب، يَسقي الحَجيج في الجاهليّة وبقي له ذلك في الاسلام .

ومن بني أمية : ابو سُفيان بن حرب ، كانت عنده العُقاب رايةُ قريش، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حَميَت الحرب، فاذا اجتمعت قرَيش على أحد أعطَوْه العُقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رَأسوا صاحبها فقدّموه .

ومن بني نوفل : الحارث بن عامر ، وكانت اليه الرّفادة ، وهي ما كانت تُخرجه من أموالها وترفُد به مُنقطِع الحاجّ .

ومن بني عبد الدار : عُثمان بن طَلحة ، كان اليه اللّواء والسّدانة مع الحِجابة ، ويقال : والنّدوة ايضاً في بني عبد الدار .

ومن بني أسد : يزيد بن زَمْعة بن الأسود ، وكانت اليه المَشورة، وذلك أن رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يَعرِضوه عليه ، فان وافقه والاهم عليه وإلاّ تخيّر ، وكانوا له أعواناً ، واستُشهد مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، بالطائف .

ومن بني تَيْم: أبو بكر الصّدّيق، وكانت اليه في الجاهلية الأشناق، وهي الدّيات والمَغرَم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدّقوه وأمْضَوا حمالة مَن نهض معه، وإن احتملها غيره خذَلوه .

ومن بني مخزوم : خالدُ بن الوليد ، كانت اليه القبّة والأعِنّة ، فأمّا القبّة فانهم كانوا يَضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهّزون به الجيش ، وأمّا الأعنّة فإنه كان على خَيل قريش في الحرب .

ومن بني عَدِيّ: عمرُ بن الخطّاب، وكانت اليه السّفارة في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بَعثوه سفيراً ، وإن نافرَهم حيّ لمُفاخرة جعلوه مُنافِراً ورَضُوا به .

ومن بني جُمَح : صَفوان بن أمية ، وكانت اليه الأيسار ، وهي الأزلام ، فكان لا يُسبَق بأمر عامّ حتى يكون هو الذي

تسييره على يديه .

ومن بني سَهْم : الحارث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المُحجَّرة التي سمّوها لآلهتهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهليّة ، وهي السّقاية والعِمارة[1] والعُقاب والرّفادة والسّدانة والحجابة والنّدوة واللّواء والمَشُورة والأشناق والقُبّة والأعِنّة والسّفارة والأيسار والحكومة والأموال المُحجَّرة ، إلى هؤلاء العشرة من هذه البُطون العشَرة على حال ما كانت في أوّليّتهم يتوارثون ذلك كابراً عن كابر .

وجاءَ الإسلامُ فوَصَلَ ذلك لهم ، وكذلك كلُّ شرف من شرَف الجاهلية أدركه الاسلام وَصله ، فكانت سِقاية الحاجّ وعِمارة المسجد الحرام وحُلوان النَّفْر في بني هاشم .

فأمّا السّقاية فمعروفة ، وأمّا العِمارة فهو أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بِهُجْر ولا رَفَث ولا يَرفع فيه صوتَه ، كان العبّاس يَنهاهم عن ذلك .

وأمّا حُلوان النّفر ، فان العرب لم تكن تُملِّك عليها في الجاهليّة أحداً ، فإن كان حَرْب أقرَعوا بين أهل الرّياسة ، فمَن

---

[1] لم تذكر العمارة فيما مرّ من الكلام .

خرَجَت عليه القُرعة أحضَروه صغيراً كان أو كبيراً ، فلمّا كان يوم الفِجار أقرعوا بين بني هاشم فخرَجَ سَهمُ العبّاس ، وهو صغير ، فأجلسوه على المِجَن .

•

أبو الطاهر أحمدُ بن كَثير بن عبد الوهّاب قال : حدّثني أبو ذَكوان عن أحمد بن يزيد الأنطاكيّ أنه سَمع المأمون يقول لأبي الطاهر الذي كان على البحرين : من أيّ قُريش أنت ؟

قال : من بني سامَة بن لؤَيّ .

فقال المأمون : ما سمِعنا بسامةَ بن لؤَي نسَباً في بُطوننا العشرة ، لو عَلِمنا به على بُعْدهِ لكنّا به بَرَرَة .

•

فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعليّ بن أبي طالب : أخبِرنا عنكم وعن بني أمية ؛ فقال : بنو أمية أنكر وأمكر وأفجر ، ونحنُ أصبح وأنصح وأسمح .

وسأل رجلٌ الشعبيّ عن بني هاشم وبني أمية ؛ فقال : إن شئت أخبرتك ما قال عليّ بن أبي طالب فيهم ، قال : أما بنو هاشم فأطعمها للطعام ، وأضربها للهام ، وأما بنو أمية فأسدُّها حِجْراً[1] ، وأطلبها للامر الذي لا يُنال فينالونه .

قيل لمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم ؛ قال : بنو هاشم أشرَف واحداً ونحن أشرَف عدداً ، فما كان إلا كلا وبلا حتى جاؤوا بواحدة بذّت الأوّلين والآخرين ، يريد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم . وبقوله «أشرَف واحداً» : عبدَ المطلب بن هاشم .

•

الرّياشي عن الأصمعيّ قال : تصدّى رجلٌ من بني أمية

---

١ الحجر : العقل .

لهارون الرشيد فانشده :

يا أمينَ الله ، إني قائلٌ
قولَ ذي فهمٍ ،وعلمٍ ،وأدبْ

عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشماً ،
وهُما بعدُ لِأمٍّ ولأبْ

فاحفَظ الأرحام فينا ، إنما
عبدُ شمسٍ جدُّ عبدِ المُطّلِب

لكمُ الفضلُ علينا ، ولنا
بكمُ الفضلُ على كلِّ العرَبْ

فأحسن جائزتَه ووصله .

•

سُفيان الثوريُّ يرفعه الى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إنّ الله خلق الخلقَ فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم أفراقاً فجعلني في خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت ، فأنا خيرُكم بيتاً وخيرُكم نسباً .

وقال، صلى الله عليه وسلم : كلُّ سبب ونسب مُنقطع يومَ القيامة إلا سببي ونسبي .

جماعة بني هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش، عبدُ المطلب ابن هاشم ولدُه عَشَرة بنين، وهم : عبدُ الله أبو محمّد، صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزُّبير ، أُمهم فاطمـــةُ بنت عمر المخزومية ؛ والعبّاس وضِرار، أُمهما نُتَيلـة النَّمرية ؛ وحَمزة والمُقوّم ، أُمّهما هالةُ بنت وَهب ؛ وأبو لهَب ، أُمّه لُبْنى ، خُزاعيّة ؛ والحارث ، أُمّه صَفِيّة ، من بني عامر بن صَعصعة ؛ والغَيْداق ، أمه خُزاعية .

جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أميـة الأكبر : حَرب بن أمية، وأبو حَرب، وسُفيان، وأبو سُفيان، وعمْرو، وأبو عَمرو، وهؤلاء يقال لهم العنابس[1]، والعاصي، وأبو العاصي ، والعِيص ، وأبو العيص ، وهؤلاء يقال لهم الأعْياص. ومِنهم مُعاوية بن أبي سُفيان وعثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية ، وسَعيد بن العاص بن أميّة ، ومَروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة .

جماعة بني نوفل : الحارث بن عامر صاحب الرِّفادة، ومُطعِم ابن نوْفل . ومنهم عَديّ بن الخِيار بن نوفـل ، ومنهم نافع بن

---

١ العنابس : الاسود ، واحدها عنبس .

ظُريب بن عمرو بن نوفل، وهو كاتب المصاحف لعمر بن الخطاب، ومُسلم بن قَرَظة، قُتل يوم الجمل.

جماعة بني عبد الدار: عثمان بن طلحة صاحب الحجابة، وشَيبة بن أبي طلحة، والحارث بن علقمة بن كلدة، كان رهينة قريش عند أبي يكسوم، والنضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله النبيّ، صلى الله عليه وسلم، صبراً، أمر عليّ بن أبي طالب فقتله يوم الأثيل[1].

جماعة بني اسد بن عبد العزى، منهم: الزُّبير بن العوّام ابن خُويلد بن أسد، وأمّه صَفيّة بنت عبد المطلب، ويزيد ابن زمعة بن الأسود، صاحب المشورة، وأبو البَختري، واسمه العاصي بن هِشام بن الحارث بن أسد، وورقة بن نوفل بن أسد، وهو الذي أدرك الايمان بعقله وبشّر خديجة بالنبي، صلى الله عليه وسلم.

جماهير بني تيم بن مرة، منهم: أبو بكر الصّدّيق، وطلحة ابن عُبيد الله، وعمر بن عبيد الله بن معمر، وعبد الله بن جُدعان، وعليّ بن زيد بن عبد الله بن أبي مُليكة، والمهاجر بن قُنفذ ابن عُمير بن جُدعان، ومحمد بن المُنكدر بن عبد الله بن الهُدير.

---

١ الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء

جماهير مخزوم بن مرة، منهم: المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم، وخالدُ بن الوليد بن المُغيرة، وعبد الرَّحمن ابن الحارث، وعمرو بن حُريث، وأبو جَهل بن هِشام بن المُغيرة، وعيّاش بن أبي ربيعة الشاعر، وعبدُ الله بن المُهاجر، وعُمارة ابن الوليد بن المُغيرة، وإسماعيل بن هِشام بن المُغيرة، وليَ ابنه هشامُ بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة المدينة وضرَب سَعيد ابن المسيِّب بن أبي وَهْب الفقيه.

جماهير عدي بن كعب، منهم: عُمر بن الخطّاب، وسعيد ابن زيْد بن عَمرو بن نُفَيل، وهو من أصحاب حِراء، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيْد بن الخطاب، وليَ الكوفة لِعُمَر بن عبد العزيز، وسُراقة بن المُعتَمر، والنَّحام بن عبد الله بن أسِيد، والنُّعمان بن عَديّ بن نَضْلة، استعمله عُمر على مَيْسان[1]، وعبد الله بن مُطيع، وأبو جَهْم بن حُذيفة، وخارجةُ بن حُذافة، وكان قاضياً لِعَمرو بن العاصي بمصر فقتَله الخارجيّ وهو يظُنّه عمرو بن العاصي، وقال فيه: أردتُ عَمراً وأراد الله خارجة.

جماهير جمح، منهم: صَفوان بن أمية، من المؤلّفة

---

١ ميسان: كورة بين البصرة وواسط.

قلوبهم ، وأمية بن خلف ، قتل يومَ بدر ، وأُبيّ بن خلف ، ومحمد بن حاطب ، وجَميل بن مَعمر بن حُذافة ، وأبو عزّة ، وهو عمرو بن عَبد الله ، وأبو محذورة ، مُؤذن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

جماهير بني سهم ، منهم : الحارث بن قيْس ، صاحبُ حكومة قُريش ، وعَمرو بن العاصي ، وقيس بن عَديّ ، وخُنيْس بن حُذافة ، ومُنبّه ونُبَيه ابنا الحجّاج ، ومنهم : العاصي بن مُنبّه ، قُتل مع أبيه ، قتله عليّ يومَ بدْر وأخذ سيفه ذا الفقار فصار الى النبي ، عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لؤي ، منهم : سُهيل بن عَمْرو ، من المؤلّفة قلوبهم ، ومنهم : ابن أبي ذِئْب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرّحمن ، وحُوَيطب بن عبد العُزّى ، من المؤلفة قلوبهم ، وعبدُ الله بن مَخرَمة ، بَدْرِيّ ، ونوفل بن مُساحق ، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبرة الفقيه ، وعبدُ الله بن أبي سَرْح ، بدريّ ، ومنهم : ابن أمّ مكتوم ، مُؤذّن النبي ، عليه الصلاة والسلام .

جماهير بني محارب بن فهر بن مالك ، منهم : الضحّاك بن قيس الفِهْري ، وحبيب بن مَسْلمة .

جماهير بني الحارث بن فهر بن مالك ، منهم : أبو عُبيدة ابن الجرّاح ، أمين هذه الامة ، وسُهيل وصَفوان ابنا وَهْب ، وعِياض بنْ غَنْم بن زُهَير ، وأبو جَهم بن خالد. وبنو الحارث هؤلاء من المُطيِّبين الذين تحالفوا وغَمَسوا أيديَهم في جَفْنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش : بنو الحارث وبنو محارب ابنا فِهْر بن مالك ، وهم قريش الظواهر ، لأنهم نزلوا حول مكة وما والاها. فمن بني الحارث بن فهر: أبو عُبيدة ابن الجرّاح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجرّاح ، من المهاجرين الأوّلين . ومن بني مُحارب بن فِهر : الضحّاك بن قيس الفِهْريّ ، صاحِب مَرج راهِط . وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قُرَيش البِطاح ، لأنهم سَكَنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشَرَة التي ذكرناها قبل هذا الباب .

ومن بطون قريش: بنو زُهْرة بن كِلاب بن كعب بن لؤَيّ. منهم : وَهْبُ بن عبد مَناف بن زُهرة ، أبو آمِنة أمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، ومنهم : عبدُ الرّحمن بن عوف ، خال النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، ومنهم : بنو حبيب بن عبد شمس ، ومنهم : عبدُ الله بن عامر بن كُرَيز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحِب العِراق ، ومنهم: بنو أميّة الأصغر بن عبد

شمس بن عبد مَناف ، وأمه عَبْلة، فيقال لهم العَبَلات . وبنو عبد العُزّى بن عَبْد شَمْس ، ومنهم : أبو العاصي بن الربيع ، صِهْر رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم ، تزوّج ابنته التي قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فيه : ولكنّ أبا العاصي لم يَذمُم صِهْره. ومنهم : بنو المُطّلب بن عبد مناف ، ومنهم : محمد ابن ادريس الشافعي . ومن بني نوفل بن عبد مناف : المُطْعِم ابن عَديّ. ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخوَيْنا ، عَبدَ شَمسٍ ونَوْفلا ،
أُعيذُكما أن تَبْعثا بيننا حَربا

وولَدَ أميةُ الاكبرَ العاصيَ وأبا العاصي والعيص وأبا العيص ، فهؤلاء يقال لهم الأعياص، وحَرباً وأبا حَرب . وهذه البطون التي ذكرناها كلها من قريش ليست من البطون العَشَرة التي ذكَرْناها أولاً وذكرنا جماهيرها .

فضل قريش

قال النبيّ، عليه الصلاة والسلام: الأئمة من قُريش. وقال: وقدّموا قريشاً ولا تَقَدّموها.

ولما قُتل النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَبد مناف، قال: لا يُقتَل قُرَشيٌّ صبراً بعد اليوم. يريد أنه لا يَكفُرُ قُرَشي فيُقتَل صَبراً بعد هذا اليوم.

●

الأصمعيّ قال: قال مُعاوية: أي الناس أفصح؟

فقال رجل من السِّماط: يا أمير المؤمنين، قوم ارتفعوا عن رُتّة[١] العِراق، وتياسَروا عن كشكَشَة[٢] بَكر، وتيامنوا عن شَنشَنة[٣] تغلب، ليست فيهم غَمغَمة[٤] قُضاعة، ولا طُمطُمانيّة[٥] حِمْير.

---

١ الرتة: قيل هي قلب اللام ياء.

٢ الكشكشة: ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث.

٣ الشنشنة: جعل الكاف شيناً مطلقاً.

٤ الغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف.

٥ الطمطمة: أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم.

قال : مَن هُم ؟

قال : قَومُكَ يا أمير المؤمنين .

قال : صَدَقتَ ؛ فممَّن أنت ؟

قال : من جَرْم .

قال الأصمعيّ : وجَرْم فُصْحى العرب .

•

قدم محمد بن عُمير بن عُطارد في نَيِّف وسَبعين راكباً فاستزارهم عَمرو بن عُتبة. قال: فسمعتُه يقول : يا أبا سُفيان، ما بالُ العرب تُطيل كلامَها وأنتمْ تَقصرونه معاشِرَ قُريش ؟

فقال عمرو بن عُتبة : بالجَنْدَل يُرمى الجَنْدَل، إن كلامَنا كلام يَقِلّ لفظُهُ ويَكثر مَعناه ، ويُكتفى بأولاه ويُستَشفى بأخراه ، يَتحدّر تحدُّر الزُّلال على الكَبد الحرّى ، ولقد نقَصوا وأطال غيرُهم فما أخلُّوا ، ولله أقوامٌ أدركتُهم كأنما خُلقوا لتَحسين ما قبُحت الدنيا ، سهُلت ألفاظهم كما سهلت عليهم أنفاسُهم ، فابتذلوا أموالهم وصانوا أعراضهم ، حتى ما يجد الطاعنُ فيهم مَطعناً، ولا المادحُ مَزيداً، ولقد كان آل أبي سُفيان مع قِلّتهم كثيراً منه نَصيبُهُم، ولله دَرُّ مَولاهم حيثُ يقول :

وضَعَ الدهرُ فيهمُ شَفْرتيه،
فَمَضى سالماً ، وأمْسَوْا شُعوبا

شَفْرتان والله أفنَتا أبدانهم ، وأبقتا أخبارهم ، فتركتاهم حديثاً حسناً في الدُّنيا، ثوابُه في الآخرة أحسنُ، وحديثاً سيّئاً في الدُّنيا ، عقابهُ في الآخرة أسوأ ، فيا مَوعوظاً بمَنْ قبْله ، مَوعُوظاً به من بعده ، اربَح نفسَك إذ خسِرَها غيرُك .

قال : فَظَنَنتُ أنه أراد أن يُعلِمه أنّ قريشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلّمت .

•

العُتبيّ قال : شَهِدْتُ مجلس عمرو بن عُتْبة وفيه ناسٌ من القُرَشيّين ، فتشاحُوا[1] في مواريث وتجاحدوا، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال: إنّ لِقُريش دَرجاً تَزْلقُ عنها اقدام الرجال ، وأفعالاً تَخْضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تَقْصُرُ عنها الجياد المَنْسوبة ، وألسنةً تَكِلُّ عنها الشِّفار المَشْحوذة ، ولو احتفلت الدنيا ما تَزَيّنت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أحلامهم .

ثم إنّ قوماً منهم تخلّقوا بأخلاق العَوام فصار لهم رِفق

---

١ تشاحوا : تجادلوا .

باللؤم ، وخُرْق في الحِرْص ، ولو أمكنهم لقاسوا الطيرَ أرْزاقها، وإن خافوا مَكروهاً تعجّلوا له الفقر، وإن عُجّلت لهم النّعم أخّروا عليها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وعَجَزة حَملَة الشكر .

•

قال ابو العيناء الهاشميّ : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز كلام، فلما أصبح رَجع عنه . قالوا له : ألم تقل أمسِ كذا و كذا ؟

قال : تختلف الأقوالُ إذا اختلفت الأحوال .

•

ودخل محمد بن الفضل على والي الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحقُّ ، استوى عندي الهاشميّ والنّبطيّ .

فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالتاهما عندك ، فما ذاك بزائدِ النبطيَّ زينةً ليست له ، ولا ناقصِ الهاشميَّ قدْراً هو له ، وإنما يَلحقُ النّقصُ المُسوّي بينهما .

•

العُتبي قال : قال عمرو بن عُتبة : اختصم قومٌ من قريش عند مُعاوية فمنعوا الحقّ. فقال معاوية: يا معشر قُريش ، ما

بال القوم لأمٍّ يَصلون بينهم ما انقطع، وأنتم لعَلاّت[1] تَقطعون بينكم ما وَصل الله ، وتُباعدون ما قرَّب ، بل كيف تزْجون لغيركم وقد عَجزتم عن أنفسكم! تقولون : كفانا الشَّرف مَن قبْلنا ، فعِندها لزِمتكم الحُجّة ، فاكفوه مَن بعدكم كما كفاكم مَن قبلكم .

أوَتعلمون أنكم كنتم رِفاعاً في جُنوب العرب ، وقد أخرجتم من حَرم ربكم ، ومُنعتم ميراث أبيكم وبَلدكم ، فأخذَ لكم الله ما أُخذ منكم ، وسمّاكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردَّ به كَيد العَجم ، فقال جلَّ ثناؤه : « لإيلاف قُريش إيلافِهمْ . » فارغَبوا في الائتلاف اكرمَكم الله به، فقد حذَّرتكم الفُرقةُ نفسَها، وكفى بالتَّجربة واعظاً .

---

١ العلات : من كانت امهاتهم شتى وأبوهم واحد .

مكان العرب من قريش

يحيى بن عبد العزيز عن أبي الحجّاج رِباح بن ثابت عن بكر ابن خُنَيس عن أبي الأحوص عن أبي الحَصين عن عبد الله بن مَسعود أن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، قال : قُرَيش الجُؤجؤ[1] والعرب الجناحان ، والجُؤجؤ لا يَنهض إلا بالجناحَين .

•

قالَ عمرو بن عُتبة : ما استدرّ لعمّي كلامٌ قطّ فقطعه حتى يَذكر العرب بفضل أو يُوصي فيهم بخير ، ولقد أنشَده مَروان ذات يوم بيتاً للنابغة حيث يقول :

فهم دِرْعي ، التي استَلأمْتُ فيها،
إلى يوم النّسار ، وهُمْ مِجَنّي

فقال معاوية: ألا إن دُروع هذا الحيّ من قُريش إخوانهم من العرب ، المتَشابكة أرحامُهم تشابُكَ حَلقِ الدّرع ، التي إن ذهَبت حَلقة منها فرّقت بين أربع ، ولا تَزال السيوفُ

---

١ الجؤجؤ : الصدر .

تكره مذاق لحوم قريش ما بقيت دروعُها معها ، وشدّت نُطُقَها عليها ، ولم تفكَّ حلقها منها ، فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جَزَراً[1] .

●

العتبي عن أبيه عن عمرو بن عتبة ، قال : عَقُمت النساءُ أن يلدْنَ مثلَ عمّي ، شهدْتُه يوماً وقد قدِمتْ عليه وفود العرب ، فقضى حوائجهم ، وأحسن جوائزَهم .

فلما دخلوا عليه ليشكروه سبقهم الى الشكر، فقال لهم: جزاكم الله يا معشرَ العرب عن قريش أفضل الجزاء بتقدُّمكم إياهم في الحرب ، وتقديمكم لهم في السّلم ، وحقنِكم دماءهم بسفكِها منكم ، أما والله لا يؤثركم على غيركم منهم إلا حازمٌ كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجزٌ لئيم ، شجرة قامت على ساق فتفرّع أعلاها واجتمع اصلها ، عضّدَ[2] الله من عضدها . فيا لها كلمة لو اجتمعت ، وأيدياً لو ائتلفت ، ولكن كيف بإصلاح ما يريد الله إفساده !

---

١ جزراً : قطعاً .
٢ عضد : اعان .

فضل العرب

يحيى بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا أبو الحجّاج رِياح بن ثابت، قال: حدَّثنا بكرُ بن خُنَيس عن أبي الأحوص عن أبي الحصين عن عبد الله بن مَسعود قال: قال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: إذا سألتم الحوائج فاسألوا العرَب فإنها تُعطي لِثلاث خِصال: كَرَمِ أحسابها، واستحياء بَعضها من بعض، والمؤاساة لله.

ثم قال: من أبغَضَ العرَب أبغضه الله.

•

ابنُ الكلبي قال: كانت في العرب خاصةً عشرُ خِصال لم تكن في أمّةٍ من الأمم، خمسٌ منها في الرأس، وخمس في الجسَد. فأمّا التي في الرأس: فالفَرْق والسِّواك والمضْمَضَة والاستِنْثار[1] وقصُّ الشارب. وأما التي في الجسد: فتقليم الأظفار ونَتْفُ الإبط وحَلق العانَة والخِتان والاستِنجاء[2].

---

1 الاستنثار: استنشاق الماء وادخاله في الانف ثم استخراجه بنفس الانف.

2 الاستنجاء: غسل او مسح موضع النجو، اي ما يخرج من البطن.

وكانت في العرب خاصة القيافة ، لم يكن في جميع الأمم أحدٌ ينظر الى رجلين أحدهما قصير والآخر طويل ، او أحدهما أسود والآخر ابيض ، فيقول : هذا القصير ابنُ هذا الطويل ، وهذا الأسود ابنُ هذا الأبيض ، إلا في العرب .

•

أبو العيناء الهاشميّ عن القحذميّ عن شبيب بن شيبة قال : كنّا وقوفاً بالمربد – وكان المربد مألف الأشراف – إذ أقبل ابنُ المقفّع فبششْنا به وبدأناه بالسلام ، فردّ علينا السلامَ ، ثم قال : لو مِلتم الى دار نَيروز[1] ، وظلّها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعوّدتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابّكم من جهد الثقل ، فإنّ الذي تطلبونه لن تفاتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه .

فقبلنا وملنا ، فلما استقرّ بنا المكانُ ، قال لنا : أيُّ الأمم أعقل ؟

فنظرَ بعضُنا إلى بعض ، فقلنا : لعلّه أراد أصله من فارس ، قلنا : فارس .

---

١ دار نيروز : موضع بالبصرة .

فقال : ليسوا بذلك ، إنهم مَلكوا كثيراً من الأرض ، ووجدُوا عظيماً من المُلك ، وغَلبوا على كَثير من الخَلق ، ولبثَ فيهم عَقد الأمر ، فما استَنبَطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقي حِكم بنُفوسهم .

قلنا : فالرُّوم .

قال : أصحابُ صَنعة .

قلنا : فالصِّين .

قال : أصحاب طُرفة .

قلنا : الهند .

قال : أصحابُ فلسفة .

قلنا : السُّودان .

قال : شرُّ خَلق الله .

قلنا : التُّرك .

قال : كلاب ضالة .

قلنا : الخزَرُ .

قال : بَقر سائمة .

قلنا : فقُل .

قال : العرب .

قال : فضَحِكنا .

قال : أما إنّي ما أردت مُوافقتكم ، ولكنْ إذا فاتني حظّي من النّسْبة فلا يَفوتني حظّي من المعْرفة ، إنّ العرب حَكمت على غير مِثال مُثّل لها ، ولا آثار أُثِرَت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شَعر وأدَم ، يجودُ أحدُهم بقوته ، ويتفضَّل بمَجْهوده ، ويُشارك في مَيْسوره ومعْسوره ، ويصِف الشيء بعَقله فيكون قُدوة ، ويَفعله فيَصير حُجَّة ، ويحَسِّن ما شاء فيَحْسن ، ويُقبِّح ما شاء فيَقبُح ، أدَّبتْهُم أنفسُهم ، ورَفعتهم هِممهم ، وأعْلتهم قُلوبهم وألسِنتهم ، فلم يزل حِباء الله فيهم وحِباؤهم في أنفسهم حتى رَفع الله لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذِّكر ، وختَم لهم بمُلكهم الدُّنيا على الدَّهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحَشْر ، على الخير فيهم ولهم . فقال تعالى : « إنّ الأرْضَ لله يُورِثُها مَن يَشاء مِنْ عِبادِه والعاقبَةُ للمُتَّقين . » فمن وَضع حَقَّهم خَسِر ، ومَن أنكر فضلهم خُصِم ، ودَفعُ الحَقّ باللّسان أكْبَتُ للجَنان .

•

ذكر الأصمعي عن ذي الرُّمة ، قال : رأيتُ عبداً أسودَ لبني أسد قَدم علينا من شِقّ اليمامة ، وكان وحشيًّا لطول تعزُّبه في الإبل ، وربما كان لقي الأكرة فلا يَفهم عنهم ولا يَستَطيع إفهامَهم ، فلما رآني سَكن إليّ ، ثم قال لي : يا

غَيْلان ، لعن الله بلاداً ليس فيها قريب ، وقاتـل الله الشاعرَ حيثُ يقول :

حُرُّ الثّرى مُسْتَعْرَبُ التُّرابِ

وما رأيتُ هذه العرَب في جميع النّاس إلا مِقدار القرْحة في جلد الفرس ، ولولا أنّ الله رَقّ عليهم فجَعلهم في حَشاه ، لطمَستْ هذه العُجْمان آثارهم . واللهِ ما أمر الله نبيّه بقتْلِهم إلا لضنّه بهم ، ولا ترَكَ قَبُول الجِزية منهم ألا لِترْكِها لهم .

الأكرَة : جمع أكّار ، وهم الحُرّاث. وقوله : جعلهم في حَشاه ، أي استبْطنهم ، يقول الرجل للعربيّ إذا استبطنه : خبأتك في حَشاي . وقال الراجز[١] :

وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ ،
جعلْتُه في رُقْعَةٍ من جِلدي

وقال آخر :

لقد كنتَ في قَوْم عليك أشِحّة ،
بحبِّك ، إلا أنّ ما طاحَ طائحُ

يَوَدُّونَ لو خاطُوا عليك جُلودهم ،
ولا يدفع الموتَ النفوسُ الشّحائحُ

١ هذا البيت من قصيدة لبشار .

علماء النسب

كان أبو بكر ، رضي الله عنه ، نسّابة ، وكان سَعيد بن المُسيِّب نسّابة ، وقال له رجل : أُريد أن تعلّمني النسبَ .

قال : إنما تُريد أن تُسابَّ الناس .

•

عِكرِمة عن ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب ، قال : لما أمر رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يَعْرِض نفسَه على القبائل خَرج مرّة وأنا معه وأبو بكر ، حتى رُفِعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدّم أبو بكر فسلّم — قال عليّ : وكان أبو بكر مُقدَّماً في كل خير وكان رجلاً نسّابة — فقال : ممّن القوم ؟

قالوا : من ربيعة .

قال : وأيّ ربيعة أنتم ؟ أمن هامتَها ؟

قالوا : من هامتها العُظمى .

قال : وأي هامتَها العظمى أنتم ؟

قالوا : ذُهل الأكبر .

قال أبو بكر : فمنكم عَوْف بن محلّم الذي يقال فيه : لا حُرّ بوادي عَوْف ؟

قالوا : لا .

قال: فمنكم جسّاس بن مُرّة الحامي الذمار والمانعُ الجار؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم أخوالُ الملوك من كِنْدة ؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم أصهار المُلوك من لَخْم ؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فلستم ذُهْلاً الأكبر ، أنتم ذُهْل الأصغر .

فقام اليه غلام من شَيْبان حين بَقَل وَجْهه[1] ، يُقال له دَغْفل ، فقال :

إنّ على سائلنا أن نَسْأله
والعِبْءُ لا تَعْرِفه ، أو تَحمِلَه

يا هذا ، إنّك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتُمْك شيئاً ، فممّن الرجل ؟

---

١ بقل وجهه : خرج شعره .

قال أبو بكر : من قُريش .

قال: بَخٍ بَخٍ أهل الشّرف والرّياسة؛ فمن أيّ قُريش أنت؟

قال : من ولد تيم بن مُرّة .

قال : أمكنتَ والله الرامي من سَواء الثُّغرة[1] ، أفمنكم قُصيّ بن كلاب الذي جَمّع القبائل فسُمّي مُجمّعاً ؟

قال : لا .

قال : أفمنكم هاشم الذي هَشم الثريدَ لقومه ، ورجال مكة مُسنِتون عِجاف[2] ؟

قال : لا .

قال : أفمنكم شَيْبة الحَمْدِ وعبدُ المُطلب مُطْعم طَير السماء الذي وجْهه كالقمر في الليلة الظّلماء ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل الإفاضة بالنّاس أنت ؟

قال : لا .

---

١ الثغرة : نقرة النحر . وسواء الثغرة : وسطها .

٢ مسنتون : اصابتهم سنة وقحط وأجدبوا . عجاف : لحقهم الهزال . وهذا عجز بيت لعبدالله بن الزّبعري ، صدره : عمرو العلا هشم الثريد لقومه .

قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا .

فاجتَذب أبو بكر زِمام الناقـة ورَجع إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال الغلام :

صادف دَرُّ السيـل دراً يدفعـه،
يَهيضُـه حِيناً ، وحِيناً يَصْدَعـه

قال : فتبسّم النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام .

قال عليّ : فقلتُ له : وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابيّ على بائِقة[1] .

قال : أجل ، ما من طامّة[2] إلا وفوقها أُخرى ، والبـلاء مُوَكّل بالمَنْطق ، والحديث ذو شُجون .

•

قال ابنُ الأعرابي : بَلغني أنّ جماعـةً من الأنصار وقفوا على دَغْفَل النسابة بعدما كُفّ، فسلّموا عليه، فقال: مَن القوم؟

قالوا : سادةُ اليَمن .

---

١ البائقة : الداهية.
٢ الطامة : الداهية تفوق سواها .

فقال :أمن أهل مجْدها القديم وشَرفها العَميم كِنْدة ؟

قالوا : لا .

قال: فأنتم الطِّوالُ قَصَباً المُمَحَّصون نسَباً بنو عبد المَدان؟

قالوا : لا .

قال: فأنتم أفوَدُها للزُّحوف، وأخْرَقُها للصُّفوف، وأضْربها بالسُّيوف رهطُ عمرو بن مَعْديكرب ؟

قالوا : لا .

قال: فأنتم أحضرها قِراء[1] وأطيبُها فِناء وأشدُّها لِقاءً رَهْط حاتم بن عبد الله ؟

قالوا : لا .

قال : فأنتم الغارسون للنَّخْل ، والمُطْعِمون في المَحْل ، والقائلون بالعَدْل الأنصار ؟

قالوا : نعم .

●

مَسلَمة بن شَبيب عن المِنقريّ قال : ذكروا أنَّ يزيد ابن شَيْبان بن عَلْقمة بن زُرارة بن عُدَس قال : خرجتُ حاجّاً حتى إذا كنتُ بالمُحصَّب من مِنىً إذا رجلٌ على راحلة

---

١ القراء : القرى ، الضيافة .

معه عَشَرة من الشباب مع كل رجل منهم مِحْجَن[1]، يُنحُّون الناس عنه ويوسعون له ، فلما رأيتُه دنوتُ منه، فقلتُ : ممّن الرجلُ ؟

قال : رجلٌ من مَهْرة ممن يَسكن الشِحْر .

قال : فكرهتُه وولّيتُ عنه فناداني من ورائي: ما لكَ؟

فقلتُ : لستَ مِن قومي ولستَ تَعرفني ولا أعرفك .

قال : إن كنتَ من كِرام العرب فسأعرفك .

قال: فكَرَرْتُ عليه راحلتي فقلت: إنّني من كِرام العرب.

قال : فممّن أنت ؟

قلت : مِن مُضَر .

قال : فمن الفرْسان أنت أم من الأرْحاء[2] ؟

فعلمتُ أنه أراد بالفرْسان قيْساً وبالأرْحاء خِنْدفاً، فقلت: بل من الأرحاء .

قال : أنت امرؤٌ من خِنْدف ؟

قلت : نعم .

قال : من الأرنبة[3] أنت أم من الجُمْجمة ؟

---

١ المحجن : العصا المنعطفة الرأس .

٢ الارحاء ، واحدتها رحى : القبيلة التي لا تنتجع ولا تبرح مكانها .

٣ الارنبة : طرف الانف .

فعلمتُ أنه أراد بالأرنبة مُدركة وبالجُمْجمة بني أُدّ بن طابخة، قلتُ : بل من الجُمْجمة .

قال : فأنت امرؤ من بني أُدّ بن طابخة ؟

قلت : أجل .

قال : فمن الدواني أنت أم من الصّميم ؟

قال : فعلمتُ أنه أراد بالدّواني الرّباب وبالصّميم بني تميم، قلتُ : من الصّميم .

قال : فأنت إذاً من بني تَميم ؟

قلت : أجل .

قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلّين أم من إخوانهم الآخرين ؟

فعلمتُ أنه أراد بالأكثرين ولد زَيْد مَناة، وبالأقلّين ولد الحارث ، وبإخوانهم الآخرينَ بني عمرو بن تميم ، قلتُ : من الأكثرين .

قال : فأنت إذاً من وَلد زيْد ؟

قلتُ : أجل .

قال : فمن البحور أنت أم من الجدود[1] أم من الثّماد[2] ؟

فعلمت أنه أراد بالبُحور بني سعد ، وبالجُدود بني مالك بن حَنْظلة ، وبالثّماد بني امرىء القَيْس بن زيد ، قلت : بل من الجُدود .

قال : فأنت من مالك بن حنظلة ؟

قلت : أجل .

قال: فمن اللّهاب[3] أنت أم من الشّعاب أم من اللّصاب[4]؟

فعلمتُ أنه أراد باللّهاب مُجاشعاً، وبالشّعاب نَهْشَلاً، وباللّصاب بني عبد الله بن دارم ، فقلتُ له : من اللّصاب .

قال : فأنت من بني عبد الله بن دارم ؟

قلت : أجل .

قال : فمن البُيوت أنت أم من الزّوافر[5] ؟

---

١ الجدود : شواطىء البحار .

٢ الثماد : الحفر يكون فيها الماء القليل .

٣ اللهاب ، واحدها لهب : الشعب الصغير في الجبل .

٤ اللصاب ، واحدها لصب : شق في الجبل اضيق من اللهب وأوسع من الشعب .

٥ الزوافر : العمد التي يقوم عليها البيت .

فعَلِمتُ أنه أراد بالبيوت ولد زُرارة، وبالزَّوافر الأحلاف، قلت: من البُيوت.

قال: فأنت يزيدُ بن شَيبان بن عَلقمة بن زُرارة بن عُدَس، وقد كان لأبيك امرأتان فأيتهما أمّك؟

قول دغفل في قبائل العرب : الهَيثم بن عَديّ عن عوانة قال: سأل زِيادٌ دَغفلًا عن العَرب، فقال: الجاهليّة لليَمن، والإسلامُ لِمُضر، والفَينَة[1] بينهما لرَبيعة.

قال: فأخبرني عن مضر.

قال: فاخِرْ بكِنانة وكاثِر بِتَميم وحارِبْ بقَيْس، ففيها الفُرسان والأنجاد، وأما أسَد ففيها دَلٌّ وكِبر.

وسأل مُعاوية بن أبي سُفيان دَغفلًا، فقال له: ما تقولُ في بني عامر بن صَعْصعة؟

قال: أعْناق ظِباء وأعجاز نِساء.

قال: فما تقول في بني أسد؟

---

١ الفينة: الحين.

قال : عافَة قافَة[1] ، فُصحاء كافَة[2] .

قال : فما تقول في بني تميم ؟

قال: حَجَرٌ أخشن إن صادفتَه آذاك، وإن تركته أعفاك.

قال : فما تقول في خُزاعة ؟

قال : جُوع وأحاديث .

قال : فما تقول في اليمن ؟

قال : شِدَّة وإباء .

قال نَصْر بن سيّار :

إنّا وهذا الحيّ من يَمَنٍ لنا،
عِنْد الفَخار ، أعِزَّةٌ أكْفاءُ

قومٌ لهم فينا دِماءٌ جَمَّةٌ؛
ولنا لديهم إحْنَةٌ ودِماءُ

ورَبيعة الأذناب ، فيما بَيْننا،
لا هُم لنا سَلْمٌ، ولا أعْداءُ

---

١ العافة، واحدهم عائف: الذي يزجر الطير ويتفاءل بأسمائها وأصواتها وممرها.
القافة ، واحدهم قائف : الذي يعرف الآثار .

٢ خفف الفاء المشددة في كافة لتستقيم السجعة .

إن يَنْصُرونا لا نعِزُّ بنصْرِهم،
أو يَخْذُلونا ، فالسَّماء سَماء

مفاخرة يمن ومضر: قال الأبرش الكَلْبي لخالد بن صَفوان: هَلُم أفاخِرْك ، وهما عنــد هشام بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : قُل .

فقال الأبرش : لنا رُبع البَيْت – يُريد الرُّكْن اليماني – ومنّا حاتمُ طَيّىء ، ومنا المُهلَّب بن أبي صُفْرة .

قال خالدُ بن صَفوان : منّا النبيّ المُرْسَل، وفينا الكِتاب المنزّل ، ولنا الخليفة المؤمَّل .

قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضريّاً بعدك .

•

ونزل بأبي العبّاس قومٌ من اليمن مِن أخواله من كَعْب، ففَخروا عنـده بقديمهم وحَديثهم ، فقـال أبو العبّاس لخالد بن صَفوان : أجب القومَ .

فقال : أخوالُ أمير المؤمنين .

قال : لا بُدّ أنْ تقول .

قال : وما أقول لقوم يا أميرَ المؤمنين هم بين حائك بُرْد،

وسائس قِرْد ، ودابغ جِلد ، دَلَّ عليهم هُدْهد ، وملكتْهم امرأة ، وغرّقتهم فأرة . فلم تَثْبُت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج: الخُشني يَرْفعه إلى أنَس قال : تَفاخرت الأوسُ والخَزْرج ، فقالت الأوس : منا غَسيلُ الملائكة حَنْظلةُ بن الرّاهب، ومنّا عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الذي حَمَت لَحْمَه الدَّبْر[١] ، ومنا ذو الشّهادتين خُزَيمة بن ثابت ، ومنّا الذي اهتز لِمَوْته العرشُ سعدُ بن مُعاذ .

قالت الخزرجُ : منا أربعة قرأوا القُرآن على عَهْد رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، لم يقرأه غيرُهم : زيدُ بن ثابت ، وأبو زيد ، ومُعاذ بن جَبل ، وأبيّ بن كَعْب سيّد القرّاء ، ومنا الذي أيّدهُ الله برُوح القُدس في شِعْره حسّان بنُ ثابت .

١ الدبر : الزنابير والنحل .

البيوتات

قال أبو عبيدة في كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مَرْوان في سَمَره علمــاء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فاتفقوا على خمسة أبيات : بيت بني معاوية الأكرمين في كِنْدة ، وبيت بني جُشَم بن بكر في تَغْلب ، وبيتِ ابن ذي الجَدَّين في بَكْر، وبيت زُرارة بن عُدَس في تميم، وبيت بني بَدْر في قيس. وفيهم الاحرز بن مجاهد التَّغلبي ، وكان أعلمَ القَوْم ، فجعل لا يَخُوض معهم فيما يَخُوضون فيه، فقال له عبدُ الملك: ما لكَ يا أُحَيرز ساكناً منذُ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم عِلماً .

قال : وما أقولُ؟ سَبق أهلَ الفَضْل في فضلهم اهلُ النقص في نُقصانهم، والله لو أنَّ للناس كلّهم فَرساً سابقاً لكانت غُرَّته بنو شيبان ، ففيم الاكثار ؟ وقد قال المُسيَّب بن عَلَس :

تَبيتُ المُلوكُ على عَتْبها ، وشَيبانُ إنْ عَتبت تُعتِب
فكالشَّهْد بالرَّاح أخلاقُهم؛ وأحلامُهم مِنهما أعذَب
وكالمِسك تُرْبُ مَقاماتِهم؛ وتُربُ قُبورِهمُ أطيَب

بيوتات مضر وفضائلها : قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وسُئل عن مُضر فقال : كِنانة جُمْجُمتها وفيها العَيْنان ، وأسَد لسانُها ، وتميم كاهلُها .

●

وقالوا : بيتُ تميم بنو عبدالله بن دارم ، ومركزُه بنو زُرارة ، وبيتُ قيس فزَارة ، ومركزُه بنو بَدْر بن عمرو ، وبيتُ بَكْر بن وائل شَيْبان ، ومركزه بيت بني ذي الجَدَّيْن .

●

وقال مُعاوية للكَلْبي حين سأله عن أخبار العرب ، قال : أخْبِرْني عن أعزّ العَرب .

فقال : رجلٌ رأيتُه بباب قُبّته فَقَسَّم الفيء بين الحَليفين أسد وغَطفان معاً .

قال : ومَن هو ؟

قال : حِصْن بن حُذَيفة بن بدر .

قال : فأخبرني عن أشرف بيت في العرب .

قال : والله إني لأعرفه وإني لأبغضه .

قال : ومن هو ؟

قال : بيتُ زُرارة بن عُدَس .

قال : فأخبِرْني عن أفصح العرب .

قال : بنو أسد .

والمُجتمع عليه عند أهل النّسب ، وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج ، ان أشرف بيت في مُضر غير مُدافَع في الجاهلية بيتُ بَهْدَلة بن عَوْف بن كعب بن سَعد بن زَيْد مَناة بن تميم .

•

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم وعنده وجوه العرب ووُفود القبائل ودعا ببُرْدَيْ مُحرّق ، فقال : لِيَلبس هذين البُرْدين أكرمُ العَرب وأشرفُهم حَسَباً وأعزُّهم قبيلة ، فأحجم الناس، فقام الأحَيْمر بن خَلف بن بهدلة بن عوْف بن كَعْب ابن سعد بن زيد مَناة، فقال : أنا لهما .

فائتَزَر بأحدهما وارتدى بالآخر .

فقال له النعمان : وما حُجّتك فيما ادعيتَ ؟

قال : الشرفُ من نِزار كلّها في مُضر ، ثم في تميم ، ثم في سَعْد ، ثم في كَعْب ، ثم في بَهْدلة .

قال : هذا أنتَ في أهلك فكيف أنت في عَشيرتك ؟

قال: أنا أبو عَشَرة وعمُّ عشَرة وأخو عَشرة وخالُ عَشرة.

قال : فهذا أنت في عَشيرتك فكيف أنت في نَفْسك ؟

فقال : شاهدُ العيْنِ شاهدي ، ثم قام فوَضع قَدَمه في الارض ، وقال : مَن أزالها فله من الابل مائة .

فلم يَقُم اليه أحدٌ ولا تَعاطى ذلك . ففيه يقول الفرزدق:

فما ثَمّ ، في سَعْدٍ ولا آل مالكٍ ،
غلامٌ إذا ما سِيلَ لم يَتَبَهْدَلِ[1]

لهم وَهَبَ النعمانُ بُرْدَي مُحرّق ،
بِمَجْد مَعَدٍّ والعَديدِ المُحَصَّل

•

ومن بيت بَهدلة بن عوف كان الزِّبْرِقان بن بَدْر ، وكان يُسمّى سعد بن زيد مناة بن تميم : سعدَ الأكرمِين ، وفيهم كانت الافاضة في الجاهليّة في عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سعد ، ثم في آل كَرِب بن صَفْوان بن عُطارد ، وكان إذا اجتمع الناسُ أيامَ الحج بمِنى لم يَبرح أحدٌ حتى يجوز آلُ صفوان ومَن وَرِث ذلك عنهم ، ثم يَمُرّ الناسُ أرسالاً .

وفي ذلك يقولُ أوسُ بنُ مَغْراء السّعديّ :

---

١ سيل : مسهَّل سئل .

ولا يرِبُون في التَّعْرِيف مَوْقِفَهُم،
حتى يُقال أجِيزُوا آل صَفْوانا

ما تَطْلُعُ الشمسُ إلا عند أوّلنا،
ولا تَغيبنّ إلا عند أُخْرانا

وقال الفَرَزْدق :

ترى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا؛
وإن نحنُ أوْمأنا الى الناس وَقّفوا

بيوتات اليمن وفضائلها : قال النبيُّ، صلى اللهُ عليه وسلم : إنّي لأجد نَفَس رَبكم من قِبَل اليمن .

معناه والله أعلم : أن الله يُنفّس عن المُسلمين بأهل اليمن، يريدُ الأنصار، ولذلك تقول العربُ : نَفّسني فلانٌ في حاجتي، إذا رَوّح عنه بعضَ ما كان يَغُمّه من أمر حاجته .

•

وقال عبدُ الله بن عباس لبعض اليمانيّة : لكم مِن السماء نَجْمُها ومن الكَعْبَة رُكْنُها ومن الشَّرف صَميمه .

•

وقال عمرُ بن الخطاب : مَن أجودُ العَرَب ؟

قالوا : حاتم طيء .

قال : فمَن فارسُها ؟

قالوا : عَمرو بن مَعدِيكرب .

قال : فمن شاعرُها ؟

قالوا : امرؤ القيس بن حُجْر .

قال : فأيّ سُيوفها أقطع ؟

قالوا : الصَّمْصامة .

قال : كَفَى بهذا فَخْراً لليمن .

•

وقال أبو عُبيدة : مُلوك العَرب حِمْير ، ومَقاولها غسّان ولَخم ، وعَددُها وفُرسانها الأزْد ، وسِنانُها مَذحِج ، ورَيْحانتها كِنْدة ، وقُرَيشها الانصار .

وقال ابن الكَلْبي : حِمْير مُلوكٌ وأرداف الملوك ، والأزْدُ أُسْد ، ومَذحج الطُّعّان ، وهَمْدان أحْلاس الخَيل[1] ، وغَسّان أربابُ الملوك . ومن الأزْد : الأنصار ، وهم الأوْس والخَزْرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم أعزُّ الناس انفساً

---

[1] أحلاس الخيل : اي أنهم فرسان يلزمون ظهورها لزوم الحلس لها . والحلس : ما يكون تحت الرحل والقتب والسرج .

وأشرفهم هِمَماً ، لم يُؤَدُّوا إتاوةً قطُّ إلى أحد من الملوك .
وكتب اليهم أبو كَرِب تُبَّع الآخِر يَسْتَدْعيهم الى طاعته ويتوعّدهم إنْ لم يَفعلوا أنْ يَغزُوَهم ، فكتبوا اليه :

العَبْدُ تُبّعكم يُريد قِتالَنا،
ومكانُهُ بالمَنْزِلِ المُتَذَلِّلِ

قال : فَغزاهم أبو كَرِب، فكانوا يُحاربونه بالنّهار ويَقرُونه بالليل ، فقال ابو كرب : ما رأيتُ قوماً أكرمَ من هؤلاء ، يُحاربوننا بالنّهار، ويُخرجون لنا العَشاء بالليل، ارتحِلوا عنهم، فارتحلوا .

•

ابنُ لَهيعة عن ابن هُبيرة عن عَلقمة بن وَعْلة عن ابن عباس : أن رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، سُئل عن سبإ ما هو ، أبلدٌ أم رَجُل أم امرأة ؟

فقال : بل رجل وُلد له عشرة فَسَكن اليمنَ منهم ستةٌ والشامَ أربعةٌ ، أما اليمانيّون فكِنْدة ومَذْحج والأزد وأنمار وحِمْيَر والأشعريون، وأما الشاميّون فلَخْم وجُذام وغسّان وعامِلة .

•

ابنُ لهيعة قال : كان أبو هُريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممّن هو ؟ فاذا قال : من جُذام ، قال : مرحباً بأصهار موسى وقوم شُعَيب .

•

ابن لَهيعة عن بَكير بن سَوادة قال: أتى رجلٌ من مَهْرة إلى عليّ بن أبي طالب ، قال : ممن أنت ؟

قال : من مَهْرة .

قال : « واذكر أخا عادٍ إذ أنذَر قومَه بالأحقاف . »

•

وقال ابنُ لهيعة : قبرُ هود في مَهرة .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب : قال ابن الكلبي : الشَّعب أكبرُ من القبيلة ثم العِمارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ ثم العَشيرة ثم الفَصيلة . وقال غيرُه : الشّعوب العجم والقبائل العرب ، وإنما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلُها وتناظُرها ، وأن بعضَها يُكافىء بعضاً ، وقيل للشّعْب شَعْب لأنه انشعَب منه أكثر مما انشعب من القَبيلة ، وقيل لها عَمائر ، من الاعتمار والاجتماع ، وقيل لها بُطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أفخاذ لأنها دون البُطون ، ثم العَشيرة ، وهي رهط الرّجل ، ثم الفصيلة ، وهي أهلُ بيت الرجل خاصة . قال تعالى : « وفَصيلتُه التي

تُؤويه . » وقال تعالى : « وأنذرْ عشيرتَك الأقرَبين . »

تفسير الارحاء والجماجم : وقال أبو عُبيدةَ في التــاج : كانت أرحاء العَرب سِتًّا وجَماجمها ثماني ، فالارحاء الستّ ، بمُضَر منها اثنتان ، ولِرَبيعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ؛ واللتان في مُضَر تميم بن مُرّ وأسد بن خُزَيمة ، واللتان في اليمن كَلْب ابن وَبْرة وطَيّىء بن أُدَد.

وإنما سُمّيت هذه أرحاء لانها أحرزت دُوراً ومياهاً لم يكن للعرب مثلُها . ولم تَبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها إلاّ أنْ يَنتجع بعضها في البُرَحاء وعام الجَدْب ، وذلك قليلٌ منهم .

وقيل للجماجم جماجم لأنها يَتفرّع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب اليها ، فصارت كأنها جَسَدٌ قائم وكلّ عُضْو منها مُكتَفٍ باسمه مَعروف بموضعه .

والجماجمُ ثمانٍ : فاثنتان منها في اليَمنْ ، واثنتان في ربيعة ، وأربع في مُضَر. فالأربع التي في مضر : اثنتان في قَيْس ، واثنتان في خِنْدف ، ففي قيس : غَطَفان وهَوازن ، وفي خِندفَ : كِنانة وتميم ، واللتان في رَبيعة بَكْر بن وائل وعبدُ القَيس ابن أفصى ، واللتــان في اليمن : مَذحج وهو مالك بن أُدَد بن زَيد بن كَهْلان بن سبأ ، وقُضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن

حِمْيَر بن سَبأ .

ألا ترى أن بَكْراً وتَغْلِب ابني وائل قبيلتان مُتكافئتان في القدر والعَدَد فلم يَكُن في تَغْلِب رجالٌ شُهِرت أسماؤهم حتى انتُسِب اليهم واستجزىء بهم عن تغلب، فاذا سألتَ الرجلَ من بني تغلب لم يَسْتَجْزِىء حتى يقول تَغْلَبي .

ولِبَكْر رجالٌ قداشتهرت اسماؤُهم حتى كانت مثلَ بكر، فمنها شَيبان وعِجْل ويَشكُر وقَيْس وحنيفة وذُهْل، ومثلُ ذلك عبدُ القيس، ألا ترى ان عَنَزة فوقها في النَّسب ليس بينها وبين رَبيعة إلا أبٌ واحد، عَنَزة بن أسد بن رَبيعة ، فلا يَسْتجزىء الرجل منهم إذا سُئل ان يقول عَنَزِيّ .

والرجل من عبد القيس يُنسب شَيبانيًا وجَرْميًّا وبَكْريًّا .

ومثلُ ذلك أن ضَبّة بن أد ، عم تميم ، فلا يستجزىء الرجلُ منهم أن يقول ضَبيّ ، والتَّميميّ قد ينتسب فيقول مِنْقَريّ وهُجَيميّ وطُهَويّ ويَرْبوعيّ ودارميّ وكَلْبيّ .

وكذلك الكِناني يَنْتَسب فيقول لَيْثيّ ودُؤَليّ وضَمْريّ وفِراسيّ ، وكل ذلك مَشهور مَعروف .

وكذلك الغَطَفاني ينتسب فيقول: عَبْسي وذُبياني وفَزاري ومُرّي وأشجعي وبَغيضيّ .

وكذلك هَوازن منها ثقيف والأعْجاز وعامِر بن صَعْصعة

وقُشَيْر وَعقَيل وجَعْدَة، وكذلك القبائل من يَمن التي ذكرنا.

فهذا فرق ما بين الجماجم وغيرها من القبائل، والمعنى الذي به سميت جماجم.

وجمرات العرب أربعة وهم: بنو نُمير بن عامر بن صَعْصعة، وبنو الحارث بن كَعْب، وبنو ضَبَّة، وبنو عَبْس بن بَغيض، وإنما قيل لهم الجَمَرات لاجتماعهم، والجَمْرة الجَماعة، والتجمير التجميع.

أسماء ولد نزار

قال أبو عَبد الله محمد بن عبد السّلام الخُشَني : لما احتُضِر نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان ترك أربعةَ بَنين : مُضَر ورَبيعة وأنمار وإياد وأوْصى أن يُقَسِّم ميراثهم بينهم سَطيحُ الـكاهِن .

فلما مات نِزار صَفّهم سَطيح بين يَديه ، ثم أعطاهم على الفِراسة ، فأعْطى ربيعة الخَيْلَ ، فيُقال له رَبيعـة الفَرَس ، وأعْطى مُضر الناقـةَ الحَمْراء ، فيُقـال له مُضَر الحَمْراء ، وأعْطى أنماراً الحِمارَ ، وأعْطى إياداً أثاثَ البيت .

قال : فقِيل لسَطِيح : مِن أين عَلِمْتَ هذا العِلم ؟

قال : سَمِعْتُه من أخي حين سَمِعه من مُوسى يوم طُورِ سيناء .

•

الأصمعيّ قال : أخبرني شيخٌ من تَغْلب ، قال : أرْدَفني أبي ، فلما أصْحَر رَفَع عَقيرَته فقال :

رأتْ سِدْرةً ، مِن سِدْرِ حَوْمَلَ ، فابْتَنَتْ
به بيتَهـــا ، ألاّ تُحاذِرَ رامياً[1]

---

[1] السدرة : شجرة النبق. حومل : موضع .

إذا هي قامتْ فيه قامتْ ظليلةٌ،
وأدْرَكَ رَوْقاها الغُصونَ الدَّوانيا[1]

تَطَلَّعُ منــه، بالعَشيّ وبالضُّحى،
تَطَلُّعَ ذاتِ الخِدْرِ، تَدْعو الجَوارِيا

ثم قال: أتَدْري من قائلُ هذه الأبيات يا بُني؟

قلت: لا أدري.

قال: قالها رَبيعةُ بن نِزار.

فقلت: وما يَصِف؟

قال: البَقرة الوَحْشيَّة.

---

١ روقاها: قرناها.

أنساب مضر

ولد مُضَر بن نِزار اليأس والناس ، وهو عَيْلان ، أمهما الرَّباب بنت حَيْدة بن مَعدّ . فولد الناس ، الذي هو عَيْلان ابن مُضَر ، قَيْسَ بن عَيْلان بن مُضر ، وولد اليأس بن مُضر عَمْراً ، وهو مُدْركة ، وعامراً ، وهو طابخة ، وعُميراً ، وهو القَمَعة .

ويقال إن القَمَعة هو الجُزَعة ، وأمهم خِنْدف ، وهي لَيْلى بنت حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ، فجَميع ولد اليأس بن مُضر بن نِزار من خِنْدف ، ولذلك يُقال لهم خِنْدف ، لأنها أمهم وإليها يُنْسبون . فجَميع ولد مُضر بن نِزار قيس وخِنْدف .

ومن بُطون خِنْدف : بنو مُدْركة بن اليأس بن مُضر ، وهم هُذيل بن مُدركة ، وكِنانة بن خُزيمة بن مُدْركة ، وأسد ابن خُزيمة بن مُدْركة ، والهُون بن خُزيمة بن مُدْركة ، وهم إخوة أسد .

ومن بني طابخة بن اليأس بن مُضر : ضَبَّة بن أُدّ بن

طابخة، ومُزَينة ، وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نُسبوا الى أمهم مُزَينة بنت كلب بن وبرة، والرّباب، بنو أُدّ بن طابخة ، وهم عَديّ وتَيْم وثَوْر وعُكل ، وإنما سُمّيت الرّباب لأنها اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الرّبابة[1] . ويقال إنّهم كانوا إذا تحالفوا وَضعوا أيْديهم في جَفْنة فيها رُبّ .

وصُوفة ، وهو الرّبيط بن الغَوْث بن أُدّ بن طابخة ، وكانوا أصحابَ الاجازة ، ثم انتقلت في بني عُطارد بن عَوْف ابن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم ، وتميم بن مُرّ ابن ادّ بن طابخة .

فجميع قبائل مُضر تجمعها قيْس وخِندف ، وقد تُنسب ربيعة في مُضر وإنما هم إخوة مُضر ، لأن ربيعة ابنُ نزار ومُضَر ابنُ نزار .

---

١ الربابة : خرقة تجمع فيها القداح .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لِحْيان بن هُذَيل ، بَطْن ؛ وخُناعة بن سَعد بن هُذَيل ، بَطْن ؛ وحُرَيْث بن سَعد بن هُذيل ، بَطْن ؛ وصاهِلة بن كاهل بن الحارث بن سَعْد بن هُذيل ، بطن ؛ وصُبْح بن كاهل ، بطن ؛ و كَعْب بن كاهل ، بطن .

فمن بَني صاهلة : عبدُ الله بن مَسْعود ، صاحِبُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شَهِد بدراً .

ومن بني صُبْح بن كاهل : أبو بكر الهُذَليّ الفقيه ، ومنهم : صَخْر بن حبيب الشاعر ، الذي يقال له صَخْر الغَيّ ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن عبد شَمْس ؛ ومنهم : أبو ذُؤَيب الشاعر ، وهو خُوَيلد بن خالد .

وبُطون هُذَيل كلّها لا تَنْتَسب الى شيء منها ، وإنما تَنْتَسب الى هُذَيل لأنها ليست جُمْجُمَة .

بطون كنانة وجماهيرها

كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة ، منهم : قُرَيش ، وهم بنو النَّضْر بن كِنانة .

ومنهم : بَكْر بن عبد مَناة ، بَطْن .

وجُنْدَع بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة ، بَطن ، منهم : نصْر بن سَيّار صاحب خُراسان .

وغِفار بن مُلَيْل بن ضَمْرة ، بطن ، منهم : أبو ذَرّ الغِفاريّ صاحب النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام .

ومُدْلج بن مُرّة بن مَناة ، بطن ، منهم : سُراقة بن مالك ابن جُعْشُم المُدلِجيّ الذي تصوَّرَ إبليسُ في صُورته يوم بَدْر ، وقال لقُرَيش : إني جارٌ لكم .

وبنو مالك من كِنانة ، بَطْن ، منهم : جِذْل الطِّعان ، وهو عَلقمة بن أوْس بن عَمْرو بن ثَعْلبة بن مالك بن كِنانة ، ومن ولد جِذْل الطِّعان : رَبيعة بن مُكدَّم ، وهو أشجَع بيت في العَرَب ، وفيهم يقول عليُّ بن أبي طالب لأهل الكُوفة : وَدِدْتُ والله لو أن لي بمائةِ ألفٍ منكم ثلثمائةٍ من بني فِراس ابن غَنْم بن ثَعْلبة .

وبنو الحارث بن مالك بن كِنانة ، منهم : القلمّس ، وهو أبو ثُمامة الذي كان يُنسِيء الشهور حتى أنزل الله فيه : «إنما النَّسِيءُ زيادةٌ في الكُفْر . »

وبنو مُخدِج بن عامر بن ثعلبة ، بَطْن .

وبنو ضَمْرة بن بكر ، في كِنانة ، منهم : البَرّاض بن قيس الذي يُقال فيه : أفْتَك من البَرّاض ؛ وعُمارة بن مَخْشيّ الذي عاقَد النبيّ، عليه الصلاة والسلام، على بني ضَمْرة.

ومن بني كِنانة : الأحابيش : مَبْذول وعَوْف وأحمر وعَوْن ، وهم بنو الحارث بن عبد مَناة ، ومنهم : الحُلَيْس ابن عَمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش يوم أُحد .

وبنو سَعْد بن لَيْث، منهم: أبو الطُّفيل عامر بن واثِلة ، وواثلة بن الأسْقع ، كانت له صُحْبة مع النبيّ ، عليه الصلاة والسلام .

بطون أسد وجماهيرها

أسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن اليأس بن مُضَر ، منهم : دُودان الذي يقول فيه امرؤ القَيْس :

قُولا لدُودان ، عَبِيدِ العَصا ،
ما غرَّكم بالأسَدِ الباسلِ ؟

ومنهم : كاهلُ بن عَمْرو بن صَعْب ، وحُلمة . فأما بنو حُلمة فأفناهم امرؤ القيس بن حُجْر بأبيه .

ومنهم : غَنْم بن دُودان وثعلبة بن دُودان ، ومنهم : فَعَيْس بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ، ومنهم : بنو الصَّيْداء بن عَمْرو بن فُعَيْس ، ومنهم : فَقْعَس بن طَريف ابن عَمْرو بن فُعَيْس ، ومنهم : جَحْوان بن فَقْعَس ودِثار ونوفل ومُنْقذ وهو حَذْلم بنو فَقْعس .

فمن بني جَحْوان : طُلَيْحة بن خُوَيلد الأسدِيّ .

ومن بني الصَّيْداء : شَيْخ بن عُمَيرة القائِد ، والصامت ابن الأفقم الذي قتل رَبيعةَ بن مالك ، أبا لَبيد بن رَبيعة الشاعر ، يوم ذي عَلَق . وفي بني الصَّيْداء يقول الشاعر :

يا بَني الصَّيْداء رُدُّوا فرَسي،
إنَّما يُفعَلُ هذا بالذَّليلْ

ومن بني قُعَيْس: العَلاء بن محمد بن مَنظُور، ولي شُرطة الكُوفة، ومنهم: ذُؤَاب بن رُبَيِّعة الذي قتل عُتَيْبة ابن الحارث بن شهاب اليَربُوعيّ، ومنهم: قَبِيصة بن بُوْمة، ومنهم: بِشْر بن أبي خازم الشاعر.

ومن بني سَعْد بن ثَعْلبة بن دُودان: سُوَيد بن رَبيعة، وعَبِيد بن الأبرص، وعَمْرو بن شَأس أبو عِرار، والكُمَيت ابن زيد، ومنهم: ضِرار بن الأزور صاحب المُختار، ومنهم: بنو غاضِرَة بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودان، ومن بَني غاضِرَة: زِرُّ بن حُبَيْش الفقيه، ومنهم الحَسْحاس بن هِنْد، الذي يُنسب إليه عَبْد بَني الحَسْحاس.

ومن أسد: بنو غَنْم بن دُودان، ومنهم: زَينب بنت جَحْش زوج النبيّ، صلى الله عليه وسلم، ومنهم: أيْمَن بن خُرَيْم الشاعر، والأُقَيْشر الشاعر.

ومن بني كاهل بن أسد: عِلْباء بن الحارث، الذي يقول فيه امرؤ القيس:

وأفلَتَهنّ عِلْبـاءٌ ، جَرِيضاً ،
ولو أدْرَكْنَه صَفِرَ الوِطـابُ[1]

الهون بن خُزيمة بن مدركة ، منهم : القارَة ، وهم عائـذة ويَبَيْثَع بنو الهُون بن خُزيمة بن مُدْرِكة ، والقارَة أرْمَى حَيٍّ في العرب ، ولهم يُقال :

قـد أنْصَفَ القارةَ من راماها

فهذه قبائـل بني مُدركة بن الياس ، وهي هُذَيـل بن مُدركة ، وكِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة ، وأسد بن خُزيمـة ابن مُدركة ، والهُون بن خُزَيمة بن مُدركة .

ومن قبائل طابخة بن الياس بُطون ضَبّة وجماهيرها : ضَبّة ابن أدّ بن طابخة بن الياس . وَلَدَ ضَبّةُ بنُ أدّ سَعْداً وسَعِيداً وباسلاً ، وله المثلُ الذي يُقال فيه : أسَعْدٌ أمْ سَعِيد . فقُتل سعيد ولم يُعقِب ، ولَحِق باسِلٌ بأرض الدَّيلم فتزوّج امرأةً من أرض العَجَم ، فوَلدت له الدَّيـلم . فيُقال إن باسلَ بنَ ضَبّة أبو الدَّيلم . وفي ذلك يقول أبو بجَير يَعِيب به العَرب :

زَعمتم بأنّ الهِنْـد أولادُ خِنْـدفٍ ،
وبَيْنكمُ قُرْبى ، وبين البَرابِرِ

[1] جريضاً : مجهوداً . صفر الوطاب : مات .

وديْلمَ مِن نسْل ابنِ ضبّةَ باسلٍ ؛
وبُرجانَ من أولادِ عمْرو بن عامرِ

فقد صار كلُّ النّاس أولادَ واحدٍ ؛
وصارُوا سواءً في أصول العنَاصرِ .

بنو الأصفر الأمْلاكُ أكرمُ منكمُ ،
وأوْلى ، بقُرْبانا ، مُلوكِ الأكاسرِ

فمن بني سَعد بن ضبّة : بنو السّيد بن مالك بن بَكْر ابن سَعْد بن ضبّة ، بَطن .

وبنو كُوز بن كَعْب بن بَجالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضبّة ، بطن .

وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذُهْل بن مالك بن بَكر ، بطن .

وبنو عائذة بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبّة ، بطن ؛ ومنهم : عبدُ مناة بن سَعد بن ضَبّة ، وبنو ثعْلبة بن سَعْد ابن ضبّة .

فمن بني كُوز : المسيّب بن زُهَير بن عَمْرو ؛ ومن بني زيد : ضِرار بن عمرو بن مالك بن زَيْد بن كَعْب ، وكان سيّداً مُطاعاً ، ووُلد له عبدُ الحارث وحُصَين وعَمْرو وأدهم

ودُلَجَة وعامر وقَبيصة وحَنْظلة وخيار وحارث وقَيْس وشَيْبَة ومُنْذر ، كل هؤلاء شريف قد رَأس ورَبَع — يعني قد أخذ المِرْباع —وكان الرئيس إذا غنم الجيش معه أخذ الرُّبع.

ومن ولد الحُصين بن ضِرار : زيْد الفوارس ، وله يقول الفرَزْدق :

زيْدُ الفوارِس ، وابنُ زيْد منهم ،
وأبو قَبيصة ، والرئيسُ الأوّلُ

الرئيس الأوّل : مُحلّم بن سُوَيْط ، رَبع ضَبّة وتَميم والرّباب .

ومن بني زَيد الفوارس : ابنُ شُبْرُمة القاضي .

ومن بني عائذة بن مالك: شِرْحاف بن المثَلّم الذي قتل عُمارة بن زِياد العَبْسي .

ومن بني السّيد بن مالك: زيد بن حُصَين، وَلي أصبهان، وعبدُ الله بن عَلْقمة الشاعر الجاهليّ، ومنهم عُمَيرة بن اليثربي، قاضي البصرة ، وهو الذي قتل عِلْباء وهِنْد الجَمَليّ ، وقال في قتلهما يوم الجمل :

إني أنا عُمَيرة بن اليثربيّ،
قتلتُ عِلْباء وهِنْد الجَمَليّ

ومن بني ثعلبة بن سعد بن ضَبَّة: عاصم بن خليفة بن يَعْقل الذي قتَل بِسْطام بن قَيس .

مُزينة : مُزَينة بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن اليأس ، نُسبوا إلى أمهم مُزَينة بنت كلب بن وَبْرة . منهم : النّعمان ابن مُقرّن ، ومنهم : مَعْقِل بن سِنان بن نُبَيشة صاحب النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، وزُهَير بن أبي سُلْمى الشاعر ، ومَعْن بن أوْس الشاعر ، ومنهم: إياسُ بن مُعاوية القاضي . وإنما مُزَينة كلّها بنو عُثمان وأوْس ابني عمرو بن أدّ بن طابخة . وفي ذلك يقول كَعْب بن زُهير :

مَتى أدْعُ ، في أوْسٍ وعُثمانَ ، تأتني
مَساعيرُ قَومٍ ، كلّهم سادةٌ دِعَمْ[1]

هم الأسْد عند البأس، والحَشْدُ في القُرى،
وهم عند عَقْد الجار يُوفون بالذّمم

الرِّباب ، وهم: عَديّ وتَيم وثَور وعُكْل. وإنما سُمّيت هذه القبائل الرِّباب لأنهم تحالفوا فوَضعوا أيديهم في جَفْنة فيها رُبّ . وقال بعضهم : إنما سُمّوا الرِّباب لأنهم إذ تَحالفوا

---

١ دعم ، واحدتها دعمة : الدعامة .

جمعوا أقداحاً ، من كلّ قبيلة منهم قدَح ، وجعلوها في قِطْعة أدَم ، وتُسَمّى تلك القطعة الرُّبة ، فسُمّوا بذلك الرّباب .

فمن بني عَديّ بن عَبد مَناة بن أدّ بن طابخة : ذو الرُّمّة الشاعر ، وهو غَيْلان بن عُقبة

ومن بني تَيم بن عبد مَناةَ : عُمَر بن لجأ الشاعر الذي كان يُهاجي جريراً .

ومن بني عُكْل بن عبد مناة: النَّمِرُ بن تَوْلَب الشاعر.

ومن بني ثور بن عبد مَناة : سُفيان الثّوري الفقيه. فهذه الرّباب ، وهم بنو عَبد مَناة .

صُوفة : هم بنو الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة ، وفيهم كانت الاجازةُ في الجاهليّة ، هم كانوا يَدفعون بالناس من عَرَفات ، ثم انتقلت الإجازة في بني عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَناة بن تميم .

فمن الغَوْث : شُرَحْبيل بن عبد العُزّى الذي يقال له : شُرَحْبيل بن حَسَنة .

بطون تميم وجماهيرها

تَمِيم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر . كان لتميم ثلاثةُ أولاد : زَيْدُ مَناة وعمرو والحارث بنو تميم .

فمن الحارث بن تميم : شَقِرة ، واسمه مُعاوية بن الحارث ابن تميم ، وإنما قِيل له شَقِرَة لبيتٍ قاله وهو :

وقد أحمل الرُّمحَ الأصمّ كُعُوبه،
به من دِماء القوْم كالشَّقِراتِ

• والشَّقِرات : هي شقائق النُّعمان ، شَبّه الدّماء بها في حمرتها . ومن بني شَقِرة : المُسيّب بن شَريك الفقيه ، ونَضر ابن حَرْب بن مخرمة .

ومن عمرو بن تميم : أُسَيّد بن عمرو بن تميم ، ومنهم : أكثم بن صَيْفي حكيم العرَب ، وأبو هالة زوج خديجة زوج النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وأوْس بن حَجَر الأسَيْديّ الشاعر ، وحَنْظلة بن الرَّبيع صاحب النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، الذي يقال له : حَنْظلة الكاتب .

بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، منهم : سَوّار بن عَبد الله

القاضي، وعُبيد الله بن الحَسَن القاضي، وعامر بن قيس الزاهد .

ومنهم : بنو دُغَة بنت مِغْنَج التي يُقال فيها : أحمق من دُغَة ، وهي من إياد بن نِزار ، تزوّجها عمرو بن خِندِف ابن العَنْبَر ، فولدت له بني الهُجَيم بن عمرو بن تَميم ، ويقال لهم : الحِبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم، منهم: عَبّاد بن أخْضَر، وحاجب ابن ذُبيان ، الذي يعرف بحاجب الفِيل ، ومالك بن الرَّيْب الشاعر، ومنهم: قَطَريّ بن الفُجاءة، صاحب الأزارقة ، وسَلم وأخوه هِلال بن أحْوَز .

الحَبطات : وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أن أباهم الحارث أكل طَعاماً فحَبِطَ منه ، اي وَرِمَ بَطنه . منهم : عَبّاد بن الحُصَين ، من فُرْسان العرَب ، كان على شُرطة مُصْعَب بن الزُّبير .

غَيْلان وأسْلم وحِرْماز بنو مالك بن عمرو بن تميم ، فمن بني غَيْلان : أبو الجَرباء، شَهِد يوم الجمل مع عائشة ، وقُتل يومئذ . ومن بني حِرْماز : سَمُرة بن يزيد ، كان من رجال البصرة في أول ما نزلها الناس .

بنو سَعد بن زيد مَناة بن تَميم : الأبناء ، وهم ستة من

ولد سَعْد بن زيد مناة ، يقال لهم : عَبد شَمس ومالك وعَوْف وعُوافة وجُشَم وكَعب . فبنو سَعد بن زيد مناة وأولاد كَعْب بن سعد يُسمَّون مُقاعس والأجارب إلاّ عَمْراً وعوفاً ابني كعب .

فمن بني عَبد شَمْس بن سَعْد : نُمَيلة بن مُرَّة ، صاحب شُرْطة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، وإياس بن قَتادة ، حامل الدِّيات في حرب الأزْد لتميم ، وهو ابن أخت الأحنف بن قيس ، وعَبَدة بن الطَّبيب الشاعر ، وحِمّان ، وهو عبد العُزّى ابن كعب بن سَعْد .

الأجارب : هم بَطنان في سَعْد ، وهم : ربيعة بن كَعب ابن سعد ، وبنو الأعرج بن كعب بن سعد ، وفيهم يقول أخْمر بن جَندل :

دُودا قليلاً تَلْحقِ الجلائبُ ،
يَلحقنا حِمّان والأجارِبُ

فمن بني الأجارب : حارثة بن قُدامة ، صاحبُ شُرْطة عليّ بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، وعَمْرو بن جُرمُوز ، قاتل الزُّبير بن العَوّام .

مُقاعس ، وهو الحارث بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد ،

ومن أفخاذ مُقاعس: مِنْقر بن عُبَيد بن مُقاعس؛ ومنهم: قيس بن عاصم، سيّد الوَبَر، وعمرو بن الأهتم، وخالد بن صَفْوان بن عَمْرو بن الأهتم، وشَبيب بن شَيْبة بن عبد الله ابن عمرو بن الأهتم.

ومن بني عُبيد بن مُقاعس، وهم إخوة مِنْقر: الأحنف بن قيس، وسَلامة بن جَنْدل، والسُّلَيك بن السُّلَكة، رَجَلي[1] العرب، ويقال له الرِّئبال، لأنه كان يُغير وحدَه، ومنهم: عبدُ الله بن صَفّار، الذي تُنسب اليه الصُّفْريّة، وعبد الله بن إباض، الذي تُنسب اليه الاباضيّة. فهذه مقاعس وجماهيرُها.

بنو عُطارد بن عَوف بن كَعْب بن سَعد، منهم: كَرِب ابن صَفوان بن حُباب، صاحب الافاضة إفاضة الحاج، يَدْفع بهم من عَرَفات، وله يقول أوسُ بن مَغراء:

ولا يَرِيمون في التَّعْريف مَوقِفَهم،
حتى يُقالَ أجيزُوا آل صَفْوان

قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد، منهم: الأضْبط بن قُريع، رئيس تميم يومَ مَيْط، وبنو لؤَي بن أنف الناقة الذين مَدَحهم

---

١ رجلي: عدّاء، اي يعدو على رجليه.

الحُطيئة ، فقال فيهم :

قَوْمٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ ،
ومنْ يُسَوِّي بأنْف النّاقة الذّنبا!

ومنهم: أوْس بن مَغْراء الشاعر، وهذا أشرفُ بَطْن في تَميم.

بَهدلة بن عوف بن كَعب بن سَعد، منهم : الزِّبْرقان بن بَدر، واسمه حُصَيْن ؛ ومنهم : الأَحَيْمر بن خَلَف بن بهدلة ، صاحب بُرْدَيْ محرّق ، والذي يقول فيه الفرزدق :

فيابنةَ عبـد الله ، وابنةَ مالك ،
ويابنةَ ذي البُرْدَيْن ، والفرَس النَّهْدِ

جُشَم بن عوف بن كعب بن سعد : يقال لبني جُشم وعطارد وبهدلة : الجِذاع .

حنظلة بن مالك الأحمق بن زَيْد مناة : البراجم خَمسة من بني حنظلة بن مالك بن زَيْد مَناة وهم : غالب وعمرو وقَيْس وكُلْفة وظُلَيم بنو حَنظلة بن مالك الاحمق بن زيد مَناة بن تميم ، منهم : عمير بن ضابىء الذي قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، من ولده: رِياح بن يربوع بن حنظلة ، منهم : عَتّاب بن ورقاء الرِّياحي،

والي اصبهان وأحدُ أجْواد الاسلام، ومَطَر بن ناجية ، الذي غلَب على الكوفة أيام ابن الأشعث، وسُحَيم بن وثيل الشاعر، والحارث بن يَزيد ، صاحب الحَسن بن عليّ ، وأبو الهِندي الشاعر ، واسمه أزهر بن عبد العزيز ، ومَعْقِل بن قيس ، صاحب عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والأبَيْرد بن قُرّة.

غُدانة بن يَربوع ، منهم : وَكيع بن أبي سُود ، وحارِثة ابن بدر ، وكان فارساً شاعراً.

ثَعْلبة بن يربوع، منهم: مالك ومُتَمِّم ابنا نُوَيرة، وعُتَيبة ابن الحارث بن شِهاب ، الذي يقال له صَيّاد الفوارس.

بنو سَليط بن يَرْبوع ، منهم : المُساور بن رِئاب.

كلب بن يربوع ، منهم : جَرير بن الخَطَفى الشاعر.

العَنْبر بن يربوع ، منهم : سَجاح بنت أوس التي تَنَبأت في تميم.

زيد بن مالك ، و كَعْب الضّرّاء بن مالك ، ويَرْبوع بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناة أمهم العَدَويّة ، وبها يُعْرَفون ، ويقال لهم بنو العَدَويّة ؛ وطُهيّة، وهم بنو أبي سُود بن مالك وعَوف بن مالك أمهم طُهيّة، وبها يُعْرفون، ويقال لبني طُهيّة وبني العَدَوِيّة الجِمار ، ومن بني طُهيّة :

بنو شَيْطان .

ومنهم : دارم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، فولدُ دارمِ بن مالك : عبدُ الله ومجاشع وسَدُوس وخَيْبَرِيّ ونَهْشل وجرير وأبان ومَناف .

فمن وَلَد عبد الله بن دارم : حاجبُ بنُ زرارة بن عُدس بن عبد الله بن دارم ، وهو بَيْتُ بني تميم وصاحب القوس ، ومحمد بن جُبير بن عُطارد ، وهِلال بن وَكيع ابن بِشْر .

مُجاشع بن دارم ، منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع ابن حابِس ، وأعْيَن بن ضُبَيعة بن عِقال ، والحُتات بن يزيد ، والحارث بن شُرَيح بن زيد صاحب خُراسان ، والبَعيث الشاعر ، واسمه خِداش بن بِشْر ، والأصْبغ بن نُباتة ، صاحب عليّ .

نَهشَل بن دارم ، منهم : خازم بن خُزَيمة ، قائد الرشيد ، وعبّاس بن مَسْعود ، الذي مَدَحه الحُطيئة ، وكُثيِّر عَزّة الشاعر ، والأسْود بن يَعفُر الشاعر .

أبان بن دارم ، منهم : سَورة بن بحر ، كان فارساً ، صاحب خُراسان ، وذو الخِرَق بن شُرَيح الشاعر .

سدوس بن دارم : وهؤلاء قد بادوا .

وربيعةُ بن مالـك بن زيد مناة ، وربيعةُ بن حَنْظلة بن مالك بن زيد منـاة ، وربيعة بن مالك بن حنظلـة يقال لهم الرَّبائع .

فمن رَبيعة بن حنظلة : أبو بِلال الخارجيّ ، واسمه مِرداس ابن أُديَّة .

ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : عَلْقمة بن عَبَدة الشاعر وأخوه شأس .

ومن ربيعة بن مالك بن حَنْظلة : الحُنَيف بن السِّجْف .

جُشَيْش بن مالك : وامـه حُطَّى ، على مثال حُبْـلى ، وبها يُعرَفون . منهم : حُصَين بن تميم ، الذي كان على شُرطة عُبيد الله بن زياد ، ويقال لجُشَيش وربيعة ودارم و كعب بني مالك بن حنظلة بن مالك : الجِشاب .

انقضى نسب الرِّباب وضَبّة ومُزَينة وتميم .

بطون قيس وجماهيرها

نسب قيس بن عيلان بن مضر : قيس بن الناس ، وهو عَيْلان بن مُضر . فمن بُطون قيس : عَدْوان وفَهْم ابنا عمرو بن قيس بن عَيْلان ، وأمهما جَديلة بنت مُدركة بن اليأس بن مُضر ، نُسِبوا إليها .

فمن عَدْوان : عامر بن الظَّرِب ، حَكَم العرب بعُكاظ ؛ ومنهم : أبو سَيَّارة ، وهو عُميلة بن الأعزل ؛ ومنهم : تأبَّطَ شرّاً ، وهو ثابت بن عَمَيْثَل .

غَطفان بن قيس بن عَيْلان وأعْصُر بن سعد بن قيس ابن عيلان .

فمن بطون غَطفان : أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان، منهم : نَصْر بن دُهْمان ، وكان من المُعمَّرين ، عاش مائتي سنة ؛ ومنهم : فَرْوة بن نَوفل .

عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان وهي إحدى جَمَرات العرب ، منهم : زُهَير بن جَذِيمة ، كان سيّد عَبْس كلّها حتى قتله خالدُ بن جعفر الكِلابي. وابنه قيس بن زهير،

فارس داحس ، وعنترة الفوارس ، والحُطيئة ، وعُروة بن الوَرْد، والرَّبيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم الكَمَلة ، ومروان بن زِنْباع ، الذي يُقال له مَروان القرَظ ، وخالد ابن سِنان ، الذي ضَيَّعه قومُه .

ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ، منهم : فزارة ابن ذُبْيان بن بغيض، وفيهم الشرف؛ ومنهم: حُذَيفة بن بَدر؛ ومنهم : مَنْظور بن زبّان بن سَيّار ، وعُمر بن هُبَيرة ، وعَدِيّ بن أرْطاة .

مُرّة بن عَوف بن سَعْد بن ذُبيان ، منهم : هَرِم بن سِنان المُرّي الجَواد الذي كان يَمْدَحه زُهير؛ ومنهم : زِياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم : الحارث بن ظالم الذي يُقال فيه : أمنع من الحارث ؛ ومنهم : شَبيب بن البَرصاء ، وأرْطاة ابن سُهَيّة ، وعَقيل بن عُلّفة المُرّي ، وابن مَيّادة الشاعر ، ومُسلم بن عُقبة ، صاحب الحَرّة ، وعثمان بن حيّان ، وهاشم ابن حَرْملة ، الذي يقول فيه الشاعر :

أحْيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمله ،
يَقتُل ذا الذَّنبِ ، ومَن لا ذَنْبَ لَهْ

والشمّاخ الشاعر وأخوه مُزَرّد ابنا ضِرار .

ومن بطون أعصُر : غَنيّ بن أعصُر بن سَعد بن قيس بن الناس بن مُضر . منهم : طُفَيل الخيل ، وقد رَبَع[1] غَنيّاً ؛ ومنهم : مَرثد بن أبي مَرثد، وقد شَهِدَ بَدْراً .

باهلة : هم بنو مَعْن بن أعصُر ، نُسبوا الى أمهم باهلة ، وهم قُتَيبة ووائل وأود وجاوَة ، أمهم باهلة وبها يُعرَفون . منهم : حاتم بن النُّعمان، وقتيبة بن مُسْلم، وأبو أمامة صاحب رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم ، وسَلمان بن ربيعة، ولاه أبو بكر الصِّدّيق ، وزيد بن الحُباب .

بنو الطُّفاوة بن أعصُر: وهم ثعلبة وعامر ومُعاوية ، أمهم الطُّفاوة ، إليها يُنسَبون ، وهم إخوة غَنيّ بن أعصُر . فهذه غَطفان وأعصُر .

بنو خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان : مُحارب بن زِياد بن خَصَفة بن قَيس بن عَيْلان ، منهم : الحَكم بن مَنيع الشاعر، وبَقيع بن صَفّار الشاعر الذي كان يُهاجي الأخطل . ووَلَدَ مُحارب : ذُهْل وغَنْم ، وهم الأبناء ، والخُضْر ، وهم بنو مالك بن مُحارب .

---

١ ربع القوم : اخذ ربع اموالهم .

سُليم بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصَفة ، منهم : العبّاس ابن مِرْداس ، كان فارساً شاعراً ، وهو من المُؤلَّفة قلوبهم ، والفُجاءة ، الذي أحرقه أبو بكر في الرِّدّة . ومنهم : صَخر ومُعاوية ابنا عَمرو بن الحارث بن الشَّريد ، وهما أخَوا الخَنساء ، وخُفاف بن عُمير الشاعر ، ونُبَيْشة بن حَبيب ، قاتل رَبيعة بن مُكَدَّم ، ومُجاشع بن مَسعود ، من أهل البَصرة ، وعبدُ الله بن خازم ، صاحب خُراسان .

ذَكْوان وبَهز وبُهثة بنو سُليم ، منهم : أبو الأعْوَر السُّلَمي ، صاحب مُعاوية ، وعُمير بن الحُباب ، قائد قيس ، والجحّاف بن حُكَيم . فهذه بطون سُليم ومُحارِب .

قبائل هوازن

هو هَوازن بن مَنْصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان .

سَعْد بن بَكْر بن هَوازن : فيهم استُرْضع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

نَصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، منهم: مالك بن عَوْف النّصري ، قائدُ المُشْركين يوم حُنَين.

جُشم بن معاوية بن بكر ، منهم : دُرَيد بن الصِّمّة ، فارس العَرب .

ثَقيف : وهو قَسِيّ بن مُنَبّه بن بكر بن هَوازن . منهم : مَسْعود بن مُعتّب ، والمُخْتار بن أبي عُبيد. ومنهم: عُرْوة بن مَسْعود ، عظيم القَرْيتين ، والمُغيرة بن شُعْبة ، وعبدُ الرّحمن بن أمّ الحَكم .

عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوازن ؛ فمن بطُون عامر : بنو هِلال بن عامر بن صَعْصعة، منهم: مَيْمونة، زوج النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، ومنهم : عاصمُ بن عبد

الله صاحبُ خُراسان ، وحُمَيد بن ثَور الشاعر ، وعَمْرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ، فارس الضَّحْياء[1] ، ومن وَلده : خالدٌ وحَرْملة ، ابنا هَوْذة ، صَحِبا النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وخِداش بن زُهير .

نُمير بن عامر بن صَعْصعة ، منهم : الرّاعي الشاعر ، وهو عُبيد بن حُصَين ، وهَمّام بن قَبيصة ، وشَريك بن خُباشة ، الذي دَخل الجنّة في الدُّنيا في أيام عُمَر بن الخطّاب .

بنو كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة : وهم ستة بُطون ، منهم :

عَقيل بن كَعْب ، رَهْط تَوْبة بن الحُمَيّر ، صاحب لَيْلى الأخْيَلية ، ومنهم : بنو المُنْتَفق .

بنو الحَريش بن كَعْب ، رَهْط سَعيد بن عُمر ، وَلي خُراسان ، وهو صاحبُ رأس خاقان .

بنو العَجْلان بن كَعْب ، رهط تميم بن مُقبل الشاعر .

ومنهم : بنو قُشَير بن كعب ، رهطُ مالك بن سَلَمة ، الذي أسر حاجبَ بن زُرارة .

---

[1] الضحياء : اسم فرسه .

ومنهم : بنو جَعْدة بن كعب ، رهطُ النابغة الجَعْدي ، وهو أبو ليلى . فهذه بطون كعب بن رَبيعة بن عامر ابن صَعْصَعَة .

ومن أفخاذ ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة : كِلاب بن ربيعة ابن عامر بن صَعْصعة ؛ منهم: المُحلّق بن حَنْتَم بن شَدّاد ؛ ومنهم : زُفَر بن الحارث الكِلابي ، ويزيد بن الصَّعِق ، ووكيع بن الجَرّاح الفقيه .

جَعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم : الطُّفيل ، فارس قُرْزُل[1] ، وعامر بن الطُّفَيل ، وعلقمة بن عُلاثة ، وأبو بَراء عامرُ بن مالك ، مُلاعب الأسنّة .

الضِّباب بن كِلاب ، منهم : شَمِر بن ذي الجَوشن . هؤلاء بنو عامر بن صعصعة .

بنو سَلول ، وهم : بنو مُرّة بن صَعْصعة نُسبوا الى أمهم سَلول .

غاضرة، وهم : غالب بن صَعصعة ومالك وربيعة وغويضرة ،

---

١ قرزل : اسم فرسه .

وحارث وعبد الله وهما عادية[1] ، وعَوف وقيس ومُساود ، وسيّار وهو غَزِيّة .

لَوذان وجَحْوش وجَحّاش وعَوف ، وهم الوَقَعة ، بنو مُعاوية بن بكر بن هَوازن. وبنو صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن يقال لهم الأبناء. هذا آخر نسب مُضر بن نِزار.

١ عادية : أمهما .

نسب ربيعة بن نزار

وَلَدُ ربيعة بن نِزار: أسَد وضُبَيْعة وعائشة، وهم باليمن في مُراد، وعَمْرو وعامر وأكْلُب، وهم رَهْط أنَس بن مُدْرِك. فمن قبائل ربيعة بن نزار:

ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار، وفيهم كان بيتُ ربيعة وشرفها. ومنهم: الحارث الأضجم، حكَم ربيعة في زُهْرة، وفيه يقول الشاعر:

قَلُوص الظُّلامةِ مِن وائلٍ،
تُرَدُّ الى الحارِثِ الأضْجَمِ

فمَهْما يَشأ يأتِ منه السَّدادُ؛
ومهما يَشأ منْهُمُ يَهْضِمِ

ومنهم: المُتلمِّس، وهو جَرير بنُ عبد المسيح الشاعر، صاحب طَرَفة بن العَبْد، الذي يقول فيه:

أودى الذي عَلِق الصَّحيفةَ منهما،
ونَجا حِذارَ حِمامه المُتلمِّسُ

ومنهم : المُسَيَّب بن عَلَس الشاعر ؛ ومنهم : المُرَقِّش الأكبر والمُرَقِّش الأصغر ، وكان المُرَقِّش الأكبر عمّ المُرَقِّش الأصغر ، والمُرَقِّش الأصغر عمّ طَرَفة بن العَبْد ابن سُفيان بن سَعد بن مالك بن ضُبَيعة .

عَنَزة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار ، له وَلَدان : يَقْدُم ويَذْكُر ، فمنهما تفرّقت عَنَزة . فمِن يَذْكُر : بنو جِلاّن ابن عَتيك بن أسلم بن يَذكر ، وبنو هِزّان بن صُباح بن عَتيك بن أسلم بن يَذكُر ، وبنو الدُّول بن صُباح بن عَتيك ابن أسلم بن يَذكُر ، وهم الذين أسَرُوا حاتم طَيِّىء ؛ وكعب ابن مامة ، والحارث بن ظالم ، وفي ذلك يقول الحارث ابن ظالم :

أَبْلِغْ سَراةَ بني غَيْظٍ مُغَلْغَلَةً ،
أَنّي أَقَسِّمُ في هِزّانَ أرباعا

ومنهم : كِدام بن حَيّان ، من بني هُمَيم ، كان من خِيار التابعين ، وكان من خِيار أصحاب عليّ ، ولهما يقول عبد الله ابن خَليفة :

فيا أخَوَيَّ مِن هُمَيم هُدِيتُما ،
وبُشِّرْتُما للصالحاتِ فأبْشِرا

ومن بني يَقْدُم بن عَنَزَة : رشيد بن رميض الشاعر ، وعِمْران بن عِصام الذي قتله الحجّاج بديرِ الجماجم .

عَبْد القَيْس بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن رَبيعة : وُلد لعبد القيس أفصى واللَّبْوْ . ووُلد لأفصى عبدُ القَيْس وشَنّ ولُكَيْز .

اللَّبْوْ بن عبد القَيْس، منهم: رِئاب بن زَيد بن عَمرو بن جابر بن ضُبَيْب ، كان ممن وَحّد الله في الجاهلية ، وسأل عنه النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، وَفْدَ عَبْد القَيس ، وكان يُسْقى قَبْرُ كلّ مَن مات مِن وَلده ، وفي ذلك يقول الحُجَين بن عبد الله :

ومنّا الذي المَبْعوث يَعْرف نَسْلَه ،
إذا ماتَ منهم مَيّتٌ جِيد بالقَطْرِ

رِئاب ، وأنّى للبرية كلّها
بمثل رِئاب ، حين يُخطَر بالسُّمْر؟

لُكَيْز بن عَبد القَيس ، منهم : بنو نُكْرة بن لُكَيز ابن عَبْد القَيس، منهم : المُمزّق الشاعر، وهو شأس بن نَهار ابن أسْرج الذي يقول :

فإنْ كنتُ مأكولاً، فكُنْ خيرَ آكلٍ ،
وإلاّ فأدْرِكْني ولمّا أُمزَّقِ

وصُباح بن لُكَيز ، منهم : كَعْب بن عامر بن مالك ، كان ممن وَفَد على النبيّ ، عليه الصلاة والسلام .

وبنو غَنْم بن وَدِيعة بن لُكيز ، منهم: حَكيم بن جَبلة، صاحب عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وَجهَه . وفيه يقول :

دَعا حَكيمٌ دَعْوَةً سَمِيعَه ،
نالَ بهـا المَنْزِلة الرّفيعَـه

وبنو جَزِيمة بن عَوْف بن بكر بن أنمار بن وَديعة بن لُكيز ، منهم : الجارود العَبْديّ ، وهو بِشْر بن عَمرو .

وعَصَر بن عَوْف بن بَكْر بن عَوْف بن أنمار بن وَديعة ابن لُكيز ، منهم : عمرو بن مَرْجوم الذي يمدحه المُتلمّس .

وبنو حُطَمة بن مُحارب بن عَمْرو بن أنمار بن وَديعة بن لُكيز ، اليهم تُنْسب الدروع الحُطَمية .

وعامر بن الحارث بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لُكيز ، منهم : مِهْزَم بن الفِزْر ، الذي يقول فيه الجِرْمازيّ :

يَحْمِلْن بالمَوْماة بَحراً ، يَجْري ،
العامرَ بن المِهْزَم بن الفِزْرِ

العُمُور من عَبْد قيس : الدّيل وعِجْـل ومحارب ، بنو

عمرو بن وَديعة بن لُكيز . فمن بني الدّيل : سُحَيم بن عبد الله بن الحارث، كان أحدَ السبعة الذين عَبروا الدّجلة مع سَعْد ابن أبي وقّاص .

ومن بني مُحارب : عبدُ الله بن هَمّام بن امرىء القيس بن رَبيعة ، وَفد على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عِجْل : صَعْصَعة بن صُوحان وزَيد بن صُوحان ، من أصحاب عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه . فهذه عبدُ القَيس وبُطونها وجماهيرها .

النمر بن قاسط

النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة ابن أسد بن رَبيعة بن نِزار . فمن ولد النَّمر بن قاسط : تَيم الله وأوْس مَناة وعبدُ مَناة وقاسِط ومُنَبِّه ، بنو النَّمر بن قاسط .

أوس مَناة بن النمر ، منهم : صُهَيب بن سِنان بن مالك صاحب النبي، عليه الصلاةُ والسلام ، كان أصابه سِباء في الروم، ثم وافَوا بـه المَوسم فاشتَراه عبدُ الله بن جُدْعان فأعْتقـه ، وقد كان النُّعمـان بن المنذر استعمل أباه سِناناً على الأبُلَّة . ومنهـم : حُمْران بن أبان ، الذي يقـال له مَولى عثمان ابن عَفّان .

ومن تَيم الله : الضَّحْيان بن النَّمر ، وهو رئيس ربيعـةَ قبل بني شَيْبان . وإنما سُمي الضَّحْيان لأنـه كان يجلس لهم وقت الضُّحى فيَقضي بينهم ، وقد ربَع رَبيعة أربعين سنة ، وأخوه عَوف بن سعد ، ومن ولده ابنُ القِرِّية البليغ ، واسمه أيّوب بن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج ، ومنهـم : ابنُ الكَيِّس النَّسّابة ، وهو عُبيد بن مالك بن شَراحيل بن الكَيِّس . فهذا النَّمر بن قاسِط .

تغلب بن وائل

تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسَد بن ربيعة بن نِزار ؛ فمن بُطون تَغلب : الأراقم ، وهم جُشَم وعَمْرو وثعلبة ومعاوية والحارث ، بنو بَكْر بن حبيب بن غَنْم بن تَغْلب ، وإنما سُمُّوا الأراقم لأنّ عُيونهم كعُيون الأراقم .

ومن بطون تَغلب : كُلَيب وائل ، الذي يقال فيه أعزُّ من كُلَيب وائل ، وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشم ، وأخوه مُهَلْهِل بن ربيعة .

ومن بني كِنانة بن تيم بن أسامة : إياس بن عَيْنان بن عَمْرو بن مُعاوية قاتل عُمَير بن الحُباب ، وله يقول زُفَر ابن الحارث :

ألا يا كلب ، غيرُكِ أرْجَفُوني ،
وقد ألصقتُ خَدَّكِ بالتُّرابِ

ألا يا كلب ، فانتشِري وسُحّي ،
فقد أودى عُمير بن الحُبابِ

رِماحُ بني كِنانة أقصَدَتْني؛
رمــاحٌ في أعاليها اضطراب[١]

ومن بني حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهُذَيل بن هُبَيرة ، وهو الذي تقول فيه نَهيشة بنت الجَرّاح البَهْراني تُعيِّر قُضاعة :

إذا ما مَعشرٌ شَرِبُوا مُدامـاً ،
فلا شَرِبتْ قُضاعةُ غيرَ بَولِ

فإمّا أن تَقُودوا الخيـلَ شُعثاً ؛
وإمّـا أن تَدِينُوا للهُذَيـلِ

وتَتّخِذوه كالنُّعمان رَبّاً ،
وتُعْطوهُ خَراج بني الدُّمَيلِ

الدُّمَيلُ ابنُ لَخْم .

ومن عَدِيّ بن معاوية بن غنم بن تَغْلب : فارس العَصا ، وهو الأخنَس بن شهاب .

ومن بني الفَدَوكس بن عمرو بن الحارث بن جُشَم : الأخطل الشاعر النّصراني . ومنهم : قَبيصة بن والق ، له

١ في هذا البيت اقواء .

هِجرة ، فقتله شَبيب الحَرُوريّ ، وكان جواداً كريماً ، فقال شبيب حين قتله : هذا أعظمُ أهل الكوفة جَفْنَة ، فقال له أصحابه : أتُطري المُنافقين ؟ فقال : إن كان مُنافقاً في دِينه ، فقد كان شريفاً في دُنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جُعَيل الذي يقول فيه جَرير :

وسُمّيتَ كَعْباً بشرّ الطعام ،
وكان أبوك يُسمّى الجُعَل

وكان محلّك ، من وائل ،
محلّ القُراد من استِ الجَمَل

فهذه تغلب ليس لها بطون تُنسب إليها كما تُنسب الى بُطون بَكر بن وائل ، لأن بكراً جُمْجمة ، وتغلب غير جُمْجمة .

بكر بن وائل

القبائل من بَكر بن وائل: يَشكُر بن بكر بن وائل ، وعِجْل وحَنيفة ابنا لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، وشَيبان وذُهْل وقَيس ، بنو ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ، وأُمهم البَرْشاء ، من تَغْلب .

يَشكُر بن بكر ، منهم : الحارث بن حِلزة الشاعر ؛ ومنهم: شِهاب بن مَذعور بن حِلزة، وكان من علماء الأنساب؛ ومنهم : سُوَيد بن أبي كاهل الشاعر .

عِجْل بن لُجَيم، منهم : حَنظلة بن ثَعْلبة بن سَيّار، كان سيّد بني عِجْل يوم ذي قار ؛ ومنهم: الفُرات بن حَيّان ، له صُحْبَة مع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : إدريس بن مَعقِل، جدّ أبي دُلَف ؛ ومنهم: شَبابة بن المُعتمر بن لَقيط، صاحب الدّيوان ؛ ومنهم : الأغلب الرّاجز ؛ ومنهم : ابجر بن جابر بن شَريك، وَفَد على عُمَر بن الخطّاب، رضي الله عنه .

حَنيفة بن لُجيم : وُلد له الدّيل وعَديّ وعامر . فمن بني الدّيل بن حَنيفة : قَتادةُ بن مَسْلمة ، كان سيّداً شريفاً ؛

ومنهم : ثُمامة بن أثال بن النُّعمان بن مَسلمة ؛ ومنهم : هَوْذة ابن عليّ بن ثُمامة ، الذي يقول فيه أعشى بكر :

مَن يَلقَ هَوْذة يَسجُدْ غيرَ مُتئَبٍ ،
إذا تَعَصَّبَ فوقَ التاج أو وَضَعا[1]

ومن بني الدّيل بن حنيفة : شَمِر بن عَمْرو ، الذي قتل المُنذرَ بن ماء السماء يومَ عَين أُباغ ؛ ومنهم : بنو عِفّان بن الحارث بن ذُهْل بن الدّيل ، وبنو عُبيد بن ثعلبة ، ويَرْبوع ابن ثعلبة بن الدّيل . وبنو أبي ربيعة في شَيْبان ، سيّدهم هانئ ابن قَبيصة .

شَيْبان بن ثعلبة بن عُكابة ، منهم : جسّاس بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان، قاتل كُليب بن وائل ، وهَمّام بن مُرّة بن ذهل بن شيبان ، وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجَدَّين، وابنه بِسْطام بن قيس، فارس بني شيبان في الجاهليّة، وقد رَبَع الذُّهْلَين واللّهازم اثني عشر مِرباعاً .

ومنهم : هانئ بن قَبيصة بن هانئ بن مَسعود بن المُزدلف عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، الذي أجار عِيال النعمان

---

١ متئب : مستحيٍ.

ابن المنذر وماله عن كِسرى، وبسَبَبه كانت وَقعة ذي قار؛ ومنهم : مَصْقلة بن هُبَيرة ، كان سيّداً شريفاً ، وفيه يقول الفَرزدق :

وبَيت أبي قابوس مَصْقَلةَ ، الذي
بنى بيت مجْـدٍ ، إسمُه غير زائلِ

وفيه يقول الأخطل :

دَعِ المُعمّر لا تقتُل بِـمَصرعه ،
وسَلْ بِـمَصقلة البَكْريّ ما فَعلا

بمُتلفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ، ولا
يُعنّفُ النفسَ ، فيما فاته عَذَلا

إنّ ربيعة لا تَنفكُّ صالحةً ،
ما دافع الله عن حَوبائِك الأجلا

ومن ذُهل بن شيبان : عَوف بن مُحلّم ، الذي يُقال فيه : لا حُرّ بوادي عوف ؛ والضحّاك بن قيس الخارجيّ ، والمُثنّى ابنُ حارثة ، ويزيد بن رُزَيم .

ومنهم : الغَضْبان بن القَبَعْثَري ، ويزيد بن مِسْهَر أبو ثابت ، الذي ذكره الأعشى ؛ والحَوْفزان ، وهو حارثةُ بن

شَرِيك ، ومَطَر بن شَرِيك . ومن وَلده : مَعن بن زائدة ، وشَبِيب الحَرُورِيّ .

ذُهل بن ثَعلبة بن عُكابة، منهم: الحارثُ بن وَعلة، وكان سيِّداً شَريفاً ؛ ومن وَلده : الحُضَيْن بن المُنْذر بن الحارث ابن وعْلة ، صاحب راية رَبيعة بصِفّين مع عليّ بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه ، وله يقول عليّ :

لِمَن رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها،
إذا قِيل قَدِّمها حُضَيْنُ تَقَدَّما

ومنهم : القَعْقاع بن شَوْر بن النُّعمان ، كان شَريفاً ؛ ومنهم : دَغْفَل بن حَنْظلة العَلاّمة ، كان أعلَمَ أهل زمانه . وهؤلاء من بني ذُهْل بن ثَعْلبة بن عُكابة ، أُمهم رَقاشِ ، واليها يُنسبون ، ومنها، يقال، الحُضَيْن بن المُنْذر بن الحارث ابن وَعْلة الرَّقاشيّ .

قَيس بن ثعلبة بن عُكابة ، منهم : الحارث بن عَبّاد بن ضُبَيعة بن ثَعْلبة بن حارثة ، كان على جَماعة بَكْر بن وائل يوم قِضَة، فأسر مُهلهل بن رَبيعة وهو لا يَعْرفه فخلّى سبيله.

ومنهم : مالك بن مِسْمَع بن شَيبان بن شِهاب ، يُكنى أبا غسّان .

ومنهم : الأعشى أعشى بَكر ، وهو من بني تَيْم اللات من قَيس بن ثعلبة بن عُكابة .

ومن بني تَيم اللات أيضاً : مَطر بن فِضّة ، وهو الجَعْد ابن قَيس ، كان شريفاً سيداً ، وهو الذي أسر خاقان الفارسيّ بالقادسيّة ، ومن ولده : عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان .

سدُوس : من شيبان بن ذُهل بن ثَعلبة بن عُكابة ، منهم : خالدُ بن المُعَمّر ، ومَجْزأة بن ثَوْر ، وأخوه شَقيق بن ثور ، وابن أخيه سُويد بن مَنجوف بن ثَوْر ، وعِمران بن حِطّان .

اللهازم : وهم عَنزة بن أسد بن ربيعة ، وعِجْل بن لُجيم ، وتَيْم الله وقيس ابنا ثَعْلَبة بن عكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ، وهم حُلفاء .

والذُّهلان : شيبان وذُهْل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل ابن لجيم يقال لها حَذامِ ، وفيها يقول لُجَيم :

إذا قالت حَذامِ ، فَصدّقوها ،
فإنّ القول ما قالت حَذامِ

انقضى نسب رَبيعة بن نِزار .

اياد بن نزار

وَلَدَ إيادُ بن نِزار زُهْراً ودُعمياً ونِمارة وثعلبة . فولد نمارةُ الطَّمّاحَ ، ولهم يقول عَمْرو بن كُلثوم :

ألا أبلِغْ بني الطَّمّاح عنّا ،
ودُعْمِيّاً ، فكيف وَجَدْتمونا

ووَلَدَ زُهر بن إياد حُذافةَ ، رَهْط أبي دُواد الشاعر .

وأمّا أنمار بن نِزار بن مَعَدّ فلا عَقِب له إلا ما يُقال في بَجيلة وخَثْعم ، فإنه يقال انهما ابنا أنمار بن نِزار ، وتأبى ذلك بَجيلة وخَثعم ويقولون : إنما تزوّج إراش بن عَمرو بن الغوث ، ابن أخي الأزْد بن الغوث ، سَلامةَ بنت انمار ، فولدت له أنمار ابن إراش ، فنحن وَلده . وقال حَسّان بن ثابت :

وَلَدْنا بَني العَنْقاء وابنَ مُحرّق

أراد بالعَنْقاء ثعلبة بن عمرو مُزَيْقياء ، سُمّي العَنقاء لطول عُنقه ، ومحرّق هو الحارث بن عمرو مُزَيقياء ، وكان أوّل الملوك أحْرَق الناس بالنّار ؛ والوِلادة التي ذَكرها حَسّان ، أنّ هنداً بنت الخَزْرج بن حارثة كانت عند العنقاء فوَلدت له وَلَده كلّهم ، وكانت أختُها عند الحارث بن عمرو فَولدتْ له أيضاً .

انقضى نَسب بني نِزار بن مَعدّ .

القبائل المشتبهة

الدُّئِل ، في كِنانة ؛ والدُّئل بن حنيفة ، في بَكْر بن وائل ؛ منهم : قتادة بن مَسْلمة ، وهَوْذة بن عليّ ، صاحب التاج الذي يمدحه أعشى بكر بن وائل.

سَدوس ، في ربيعة ، وهو سَدوس بن شيبان بن بكر بن وائل ؛ منهم: سُويد بن مَنجوف؛ وسُدوس ، مرفوعة السين، في تميم ، وهو سُدوس بن دارم .

مُحارب بن فِهر بن مالك، في قريش ؛ ومحارب بن خَصَفة ، في قيس ؛ ومحارب بن عمرو بن وَديعة ، في عبد القيس

غاضِرة ، في بني صَعْصعة بن معاوية ؛ وغاضرة، في ثقيف.

تَيم بن مرّة، في قريش، رَهط أبي بكر ؛ وتيم بن غالب بن فِهر ، في قريش أيضاً ، وهم بنو الأدرَم ؛ وتيم بن عبد مَناة ابن أدّ بن طابخة في مُضر ؛ وتيم بن ذُهْل ، في ضبّة ؛ وتيم ، في قيس بن ثعلبة .

وتيم، في شيبان؛ وتيم الله بن ثعلبة بن عُكابة، في النَّمِر بن قاسط .

كِلاب بن مُرّة ، في قُرَيش ؛ وكِلاب بن رَبيعة بن عامر ابن صَعْصَعة ، في قيس .

عَديّ بن كعب ، في قُرَيش ، رَهْط عُمر بن الخَطّاب ؛ وعَدِيّ بن عَبْد مَناة ، من الرِّباب ، رَهْط ذي الرُّمّة ؛ وعَدِيّ ، في فزارة ؛ وعَدِيّ ، في بني حَنيفة .

ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة ، وذُهْل بن شيبان ، وذهل بن مالك ، في ضَبّة .

ضُبَيْعة ، في ضَبّة ؛ وضُبَيعة ، في عِجْل ، وضُبَيعة ، في قيس بن ثعلبة ، وهم رَهْط الأعشى .

مازِن ، في تَميم ؛ ومازِن ، في قيس عَيلان ، وهم رَهْط عُتْبة بن غَزوان ؛ ومازن ، في بني صَعْصعة بن مُعاوية ؛ ومازن ، في شَيْبان .

سَهْم ، في قُرَيش ؛ وسَهْم ، في باهلة .

سعدُ بن ذُبيان ؛ وسَعْد بن بَكر ، في هَوازن ، أظآر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ وسَعْد ، في عِجْل ؛ وسعد ابن زيد مناة ، في تميم .

جُشَم ، في مُعاوية بن بَكْر ؛ وجُشَم ، في ثقيف ؛ وجُشَم ، في الأراقم .

بنو ضَمْرة ، في كِنانة ؛ وبنو ضَمْرة ، في قُشَير .

دُودان ، في بني أسَد ؛ ودودان ، في بني كِلاب .

سُلَيم ، في قَيس عَيْلان ، وسُليم ، في جُذام ، من اليمن .

جَديلة ، في رَبيعة ؛ وجَديلة ، في طَيِّىء ؛ وجَديلة ، في قيس عَيْلان .

الخَزرَج ، في الأنصار ؛ والخَزرج ، في النَّمر بن قاسط .

أسَد : ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة ؛ وأسد : ابن ربيعة ابن نِزار .

شَقْرة بن ربيعة ، في ضبَّة ، وشَقِرة ، في تميم .

ربيعة ، ربيعة الكُبرى ، وهو رَبيعة بن مالك بن زيد مناة ، ويُلقَّب رَبيعة الجُوع ؛ وربيعة الوُسْطى ، وهو ربيعة ابن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة ؛ وربيعة الصُّغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حَنظلة ، وكل واحد منهم عَمُّ الآخر .

مفاخرة ربيعة

قال عبد الملك بن مَرْوان يوماً لجُلسائه : خَبِّروني عن حيّ من أحياء العَرَب ، فيهم أشدُّ النـاس وأسخى الناس وأخطب الناس وأطْوع الناس في قومه ، وأحلم النـاس وأحْضَرهم جواباً .

قالوا : ياأميرَ المؤمنين ، ما نَعرف هذه القبيلة ، ولكن يَنْبغي لها ان تكون في قريش .

قال : لا .

قالوا : ففي حِمْير ومُلوكها .

قال : لا .

قالوا : ففي مُضر .

قال : لا .

قال مَصقلة بن رُقَيّة العبـدي : فهي اذاً في ربيعة ونحن هم .

قال : نعم .

قال جلساؤه : ما نَعْرِفُ هـذا في عَبْد القَيْس إلاّ أنْ تُخبرنا به يا أمير المؤمنين .

قال : نعم ، أمّا أشدُّ الناس ، فحَكيم بن جَبَـل ، كان مع عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقُطعت ساقُه فَضمّها إليه حتى مَرّ به الذي قَطعها فرماه بها فجدّله عن دابّته ، ثم جثا عليه فقتله واتّكأ عليـه ، فمرّ به النّاسُ ، فقالوا له : يا حَكيم ، من قَطع ساقك ؟

قال : وِسادي هذا ، وأنشأ يقول :

يا ساقُ لا تُراعي

إنّ معي ذِراعي

أحْمي بها كُراعي

وأما أسخى الناس ، فعبدُ الله بن سَوّار ، استعمله مُعاوية على السِّنْد ، فسار اليها في أرْبعة آلافٍ من الجُنْد ، وكانت توقَد معه نارٌ حيثما سار ، فَيُطْعم الناس ، فبينما هو ذات يومٍ إذ أبصر ناراً فقال : ما هذه ؟

قالوا: اصلح اللهُ الاميرَ ، اعتلّ بعضُ اصحابنا فاشتهى خَبيصاً فعَمِلنا له .

فأمر خبّازه أن لا يُطعم الناس إلا الخبيص ،حتى صاحوا وقالوا:

أصلح الله الأميرَ، رُدّنا إلى الخُبز واللّحم، فسمّني: مُطعِم الخبيص.

وأما أطوع الناس في قومه، فالجارود بِشر بن العلاء، إنه لما قُبض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وارتدّت العربُ خطب قومَه فقال: أيها الناس، إنْ كان محمدٌ قد ماتَ فإنّ الله حيٌّ لا يموت، فاستمسكوا بدينكم، فمن ذهب له في هذه الرّدة دينار أو درهم أو بعير أو شاة فله عليّ مثلاه، فما خالفه منهم رجل.

وأما أحضر الناس جواباً، فصَعْصعة بن صوحان، دَخل على معاوية في وَفد أهل العراق، فقال مُعاوية: مَرحباً بكم يا أهل العراق، قَدِمتم أرض الله المقدّسة، منها المَنشر واليها المَحشر، قَدِمتم على خير أمير يَبَرُّ كَبيركم، ويرحم صَغيركم، ولو أن الناسَ كلّهم ولدُ أبي سُفيان لكانوا حُلَماء عُقلاء.

فأشار الناسُ الى صَعْصعة، فقام فحَمِد الله وصلى على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أمّا قولك يا مُعاوية إنا قَدِمنا الأرضَ المُقدّسة، فلَعَمري ما الأرضُ تُقدّس الناسَ، ولا يُقدّس الناسَ إلا أعمالهم، وأما قولك منها المَنشر وإليها المَحشر، فلَعمري ما يَنفع قُربُها ولا يَضرّ بُعدها

مُؤمناً ، وأمّا قولُك لو أنّ النّاس كلّهم وَلد أبي سفيان لكانوا حُلماء عُقلاء ، فقد وَلدهم خَيرٌ من أبي سُفيان ، آدمُ ، صَلواتُ الله عليه ، فمنهم الحَليم والسّفيه والجاهلُ والعالم .

وأمّا أحلم النّاس ، فإنّ وَفد عبد القيْس قدِموا على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، بصَدَقاتهم وفيهم الأشجّ ، ففرّقها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في أصحابه ، وهو أول عَطاء فرّقه في أصحابه ، ثم قال : يا أشج ، ادنُ منّي .

فدَنا منه ، فقال : إنّ فيك خَلّتين يُحبهما الله ، الأناة والحِلم ، وكفى برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شاهداً .

ويُقال إنّ الأشج لم يَغضَب قطّ .

جمرات العرب

وهم بنو نُمَير بن عامر بن صَعصعة، وبنو الحارث بن كعب ابن عُلة بن جَلد، وبنو ضَبَّة بن أُدّ بن طابخة، وبنو عَبْس بن بَغيض ، وإنما قيل لهذه القبائل جَمَرات ، لأنها تجمّعت في أنفُسها ولم يُدخِلوا معهم غيرَهم. والتَّجْمير: التَّجْميع ، ومنه قيل : جَمْرة العَقبة ، لاجتماع الحَصى فيها ، ومنه قيل : لا تُجمّروا المُسلمين فتَفتِنوهم وتَفتنوا نساءهم ، يعني لا تَجْمعوهم في المغازي .

وأبو عُبيدة قال في كِتاب التاج : أُطْفِئت جَمْرتان من جَمَرات العرب : بنو ضَبّة، لأنها صارت إلى الرِّباب فحالفتها، وبنو الحارث ، لأنها صارت الى مَذْحج فحالفَتها ، وبقيت بنو نُمير إلى الساعة لم تُحالف ولم يَدْخل بينها أحد، وقال شاعرُهم يَردّ على جَرير :

نُمَيرٌ جَمْرةُ العَرب ، التي لم
تزَلْ في الحَرب تَلْتَهِب التِهابا

وإنّي إذْ أَسُبُّ بها كُلَيْباً،
فتحتُ عليهِمُ للخَسْفِ بابا

فلولا أن يُقالَ هجا نُميراً،
ولم نَسْمَع لشاعرها جَوابا

رَغِبْنا عن هِجاء بَني كُلَيب،
وكيفَ يُشاتِمُ النّاسُ الكلابا!

•

أنساب اليمن

قَحْطان بن عابَر ، وعابَر هو هُود النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ابن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نُوح ، عليه السلامُ ، ابن لَمْك بن مَتُو شَلَخ بن أخنُوخ ، وهو إدْرِيس النبيّ ، عليه السلامُ ، ابن يَرْد بن مَهْلابيل بن قَيْنان بن أنُوش بن شِيث، وهو هِبَة الله، ابن آدم أبي البَشر، صلى الله عليه وسلم.

فولد قَحْطان : يَعرُب ، وهو المُرعف . وسَبأ والمسلف والمِرْداد ودِقلي وتَكْلا وأبِيال وعُوبال وأزال وهَدورام وهو جُرهم . وأوفير وهُوَيلا ودَوْح وإرَم ونُوبت ، فهؤلاء ولد قَحْطان فيما ذَكر عبدُ الله بن مَلاذ .

وقال الكَلبي مُحمد بن السَّائب : وَلَدَ قَحْطانُ المُرعف ، وهو يَعْرُب ، ولأي وجابر والمُتلمِّس والعاصي والمُتَغَشّم وعاصِب ومُعوّذ وشِيم والقُطامي وظالم والحارث ونُباتة ، فَهَلك هؤلاء إلا ظالماً فإنه كان يَغزو بالجُيوش .

وقال الكَلبي : وَلَدَ قحطانُ أيضاً جُرهماً وحَضْرموت ، فمن أشراف حَضرموت بن قحطان : الأسْود بن كَبير ، وله

يقول الأعشى قصيدته التي أولها :

ما بُكاء الكبير بالأطلالِ

ومنهم : مَسروق بن وائل ، وفيه يقول الأعشى :

قالت قُتَيْلة : مَنْ مَدَحتَ ؟
فقلتُ : مَسْروقُ بن وائـلْ

فولدَ يَعرب بن قَحْطان: يَشْجُب ، وولَد سَبأ : حِمْيراً وكَهْلان وصَيْفِياً وبِشْراً ونَصْراً وأفْلَح وزيدان والعَود ورُهْماً وعبد الله ونُعمان ويَشْجُب وشدّاداً وربيعة ومالكاً وزيداً ، فيُقال لبني سَبإٍ كلهم : السَّبَئِيّون ، إلا حِمْيراً وكَهْلان ، فإنَّ القبائل قد تفرّقت منهما ، فإذا سألتَ الرجلَ : ممن أنت ؟ فقال : سَبئيّ ، فليس بحِمْيَريّ ولا كَهْلانيّ .

حمير

حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

فولدَ حِمْيَر بن سَبأ : مَسْرُوحاً ومالكاً والمَمَيْسَع وزيداً وأوساً وعريباً ووائلاً ودِرْمباً وكَهْلان وعميكرب ومُرة رَهْط مَعْديكرب بن النُّعمان القَيْـــل الذي كان بحضرَموت .

فمن بُطون حِمْير : مَعْدان بن جُشَم بن عبد شَمْس ابن وائل بن الغَوث بن قَطَن بن عَريب ، ومِلحان بن عَمْرو بن قيس بن مُعاوية بن جُشَم بن عَبد شَمس بن وائل، رهْطُ عامر الشَّعْبي الفَقيه ، وعِداد بني مِلحان وشَيبان في هَمْدان ، فمن كان منهم باليَمن فهو حِمْيري ، ويقال له شَيْباني .

ومن بطون حِمْير: شَرْعَب بن قيس بن معاوية بن جُشَم ابن عبد شَمْس ، وإليه تُنْسب الرِّماح الشرعبية .

ومن بطون حِمْير : الذُّرون ، وقد يقال لهم الأذواء، وأيضاً : رَمْدد ، فمنهم: بنو فَهْد وعبدُ كُلال وذو كَلاع ،

وهو يَزيد بن النُّعمان ، وهو ذو كَلاع الأكبر . يقال : تكلّع الشيء ، إذا تجمّعَ ، وذو رُعَين ، وهو شَراحيل ابن عمرو ، القائل :

فإن تكُ حِمْيَرٌ غدَرت وخانَتْ ،
فمَعْذِرَةُ الاله لِذي رُعَينِ

ذو أَصبَح ، واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغَوْث ، وهو أوّل من عُمِلت له السِّياط الأصبَحية ، ومن وَلده : أبرهة ابن الصَّبّاح ، كان مَلِك تِهامة ، وأمه رَيحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحَبَشة ، وابنه ابو شَمِر ، قُتِل مع عليّ بن أبي طالب يوم صِفّين ؛ وأبو رُشْدين كُرَيب بن أبرهة ، كان سيّد حمير بالشام زَمَن مُعاوية ؛ ومنهم : يَزيد بن مُفرّغ الشاعر .

ذو يَزَن ، واسمه عامر بن أَسْلم بن زيدبن الغَوث بن قطَن ابن عَريب ؛ ومنهم : النعمان بن قيس بن سَيْف بن ذي يَزَن ، الذي نَفى الحَبَشة عن اليَمن ، وجاء في الحديث عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أنه اشترى حُلّة ببِضْع وعشرين قلوصاً ، فأعطاها لذي يزن ، والى ذي يزن تُنْسب الرِّماح اليَزَنية .

ذو جَدَن ، وهو عَلَس بن الحارث بن زيد بن الغوث . ومن وَلده : علقَمة بن شَراحيل ذو قَيفان ، الذي كانت له

صَمْصامة عمرو بن مَعْدِيكرب ، وقد ذكره عمرو في شعره حيث يقول :

وسَيْفٌ لابن ذي قَيْفان عِندي،
تُخُيِّرَ نَصلُه من عَهد عادِ

حَضور بن عَدي بن مالك بن زيد بن سَهْل بن عَمرو بن قيس بن مُعاوية ، وهم في هَمْدان . فمن حَضور : شُعَيب بن ذي مِهْدَم، النبيّ الذي قتله قومُه، فسلّط الله عليهم بُخْتَنَصَّر فقتلهم ، فلم يبقَ منهم أحدٌ ، فاصطلمت حَضور ، ويقال : فيهم نزلت : «فلمّا أحسُّوا بَأسَنا إذا هُمْ مِنها يَرْكُضونَ» الى قوله «خامدينَ» . فيقال إن قبر شُعَيب هذا النبيّ في جبل باليمن في حَضور يقال له ضِين، ليس باليَمن جَبل فيه مِلح غيرُه، وفيه فاكهة الشام ، ولا تَمُرّ به هامَة من الهام .

الأوزاع، وهو مَرْثد بن زَيْد بن زُرْعة بن سَبأ بن كَعْب، وهم في هَمْدان إلاّ جُرَش بن أسلم بن زَيْد بن الغَوث الأصغر بن أسْعد بن عوف : نُجَيج بن عَديّ بن مالك بن زَيْد بن سَهْل بن عَمْرو، وصَيْفي بن سَبأ الأصغر بن كَعْب ابن زَيْد بن سَهْل بن تُبَّع ، وهو أسعد أبو كَرِب .

التَبابعة : تُبَّع الأصغر أسعد أبو كَرِب ، واسمه تِبان بن

مَلْكيكَرِب، وهو تُبَّع الأكبر بن قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار، وتُبَّع بن الرائش بن قيس ابن صَيفي ، ومَلْكيكرب تُبَّع الأكبر يُكنى أبا مالك ، وله يقول الأعشى :

وخان الزمانُ أبا مالك،
وأيُّ امرىءٍ لم يَخُنْهُ الزَّمنّ؟

ومن بني صَيفي بن سَبأ : بِلْقيس ، وهي بَلْقَمة بنت آل شَرْخ بن ذي جَدَن بن الحارث بن قيس بن سَبأ الأصغر، ومنهم : التَّبابعة وهم تِسعة ، منهم : تُبَّع الأصغر وتُبَّع الأكبر ، ومنهم: المثامِنة ، وهم ثمانية رَهط وُلاة العُهود بعد الملوك ، ومن المثامِنة أربعة آلاف قَيل، والقَيل الذي يكلّم الملِك فيَسمع كلامَه ولا يكلّم غيرَه، ومنهم: أبو فُرَيقيش بن قيس بن صَيفي ، الذي افتتح إفريقية فسُمّيت به ، ويومئذ سُمّيت البرابرة ، وذلك أنهم قالوا إنه قال لهم : ما أكثر بَرْبَرَتكُم .

قضاعة : هو قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد ابن مالك بن حِمْير، واسم قُضاعة عمرو . فمن قبائل قُضاعة وبطونها وجماهيرها : كَلْب بن وَبرة بن ثَعْلب بن حُلوان ابن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ، وذلك أنّ وَبرة وُلد له

كَلْب وأسد ونَمِر وذِئْب وثَعْلَب وفَهْد وضَبُع ودُبّ وسِيد وسِرْحان .

فمن أشراف كَلْب : الفُرافِصة بن الأحْوص بن عَمْرو ابن ثَعْلبة، وهو الذي تزَوَّج عثمانُ بن عفّان ابنتَه نائلةَ بنت الفُرافصة ؛ ومنهم : زُهير بن جَناب بن هُبل بن عبد الله بن كِنانة ؛ ومن أسلافهم في الاسلام : دِحْية بن خَليفة الكلْبي، وهو الذي كان جبريلُ ، عليه السلامُ ، يَنزِل في صُورته ؛ ومنهم : حسّان بن مالك بن جَدِيعة .

ومن قُضاعة : القَيْن بنُ جَسْر بن شَيْع اللات بن أسَد ابن وَبرة. فمن أشراف القَيْن : دَعْج بن كُنَيف، وهو الذي أسر سِنان بن حارثة المُرّي؛ ومنهم: نديما جَذيمة وهما : مالك وعَقيل ابنا فارج ، ولهما يقول المُنخّل :

ألم تَعلَمي أنْ قد تَفرّقَ قَبلَنا، خَليلا صَفاءٍ : مالكٌ وعَقيلُ ؟

ومنهم: سَعْد بن أبي عمرو، وكان سيّد بني القَيْن ورئيسَهم.

ومن قُضاعة : تَنوخ ، وهم ثلاثة أبطُن ، منهم : بنو تَيم الله بن أسد بن وبرة؛ ومنهم : مالك بن زُهير بن عَمْرو بن فَهْم بن تَيم الله بن ثَعلبة بن مالك بن فَهْم ؛ ومنهم : أذينة

الذي يقول فيه الأعشى :

أزالَ أُذينَةَ عن مُلكه،
وأخرج من قصره ذا يَزَن

ومن بني قُضاعة: جَرْم، وهو عَمرو بن عِلاف بن حُلوان ابن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة، وإلى عِلاف تُنسب الرّحال العِلافيّة ، وقال الشاعر :

مُجُوفٌ عِلافيٌّ ونِطْعٌ ونُمرُقٌ[1]

ومن جَرْم : الرَّعْل بن عُرْوة ، وكان شريفاً ؛ ومنهم : عِصام بن شَهْبَر بن الحارث ، وكان شُجاعاً شديداً ، وله يقول النابغة :

فإني لا أَلومك في دُخُولٍ ،
ولكنْ : ما وراءك يا عِصامُ ؟

وله قيل :

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدت عِصاما ،
وعَلّمتْه الكرَّ والإقداما
وجعلته مَلِكاً هُماما

---

١ المجوف : الضخم الجوف.

ولجَرْم أربعة من الوَلَد : قُدامة وجُدّة ومِلْكان وناجية.

فمن بني قُدامة : كِنانة بن صَريم الذي كان يُهاجي عمرو بن معديكرب ، ووَعْلة بن عبد الله بن الحارث الذي قتل الحارث ابن عَبْد المَدان ؛ ومنهم : بنو شَنّ ، وهم باليمامة مع بني هِزّان بن عَنَزة؛ ومنهم : أبو قِلابة الفقيه عبدُ الله بن زيد، والمُساور بن سَوّار ، وليَ شُرطة الكُوفة لمحمد بن سُليمان ؛ ومن بني جُدّة بن جَرْم : بنو راسب ، وهم بنو الخَزْرج بن جُدّة بن جَرْم .

ومن قُضاعة: سَليح، وهو عمرو بن حُلوان بن عِمْران. ومن بني سَعْد بن سَليح : الضّجاعمة الذين كانوا مُلوك الشام قبل غسّان .

ومن بني النّمر بن وَبْرة : خُشَين ، منهم : أبو ثعلبة الخُشني صاحب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم. ومن بني النّمر بن وَبْرة : غاضِرة وعاتِبة ابنا سُليم بن مَنصور .

ومن بني أكثم بن النّمر : مَشْجعة بن الغَوث ، منهم: مُعاوية بن حِجار الذي يُقال له ابنُ قارب ، وهو الذي قتل داود بن هَبُولة السّليحي وكان مَلِكاً .

بَهْراء بن عَمْرو بن الحافِ بن قُضاعة ، فوَلد بَهْراء :

أَهْوَدَ وفاسِطاً وعَبَدة وقَسْراً وعَدِيّاً ، بُطون كلّها ؛ ومنهم : قَيْس وشَبيب، بَطْنان عَظيمان ؛ ومنهم : المِقْداد ابن عَمْرو صاحبُ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يُقال له المِقْداد بن الأسود لأن الأسْود بن عَبْد يَغُوث كان تَبنّاه، وقد انتسب المِقْداد إلى كِنْدة ، وذلك أنّ كِنْدة سَبتْه في الجاهليّة فأقام فيهم وانْتَسَب اليهم .

ومن قُضاعة : بَلِيّ بن عَمْرو بن الحاف بن قُضاعة، منهم: المُجذّر بن ذِياد ، قاتل أبي البَخْتَرِيّ العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى في يوم بَدْر وهو يقول :

بَشّرْ بيُتْمٍ من أبيه البَخْتَرِي ؛
أو بَشّرَنْ بِمثلها مِنّي أبي

أنا الذي أزْعُم أصْلي من بَلي ،
أضرِبُ بالهِنْديّ حتى يَنْثَني

وفيهم : بنو إراشة بن عامر ، منهم : كَعْب بن عُجْرة الأنصاريّ صاحب النبيّ ، عليه الصلاة والسلام ، وسَهْل بن رافع صاحبُ الصّاع ؛ وفيهم : بنو العجلان بن الحارث ، منهم : ثابت بن أرقم، شَهِد بدراً ، وهو الذي قتله طَلحة في الرِّدة ؛ ومنهم : بنو وَاثلة بن حارثة أخي بني عِجْلان، منهم: النُّعمان بن أعْصر شَهِد بدراً .

ومن قُضاعة : مَهْرة بن حَيْدان بن عَمْرو بن الحافِ بن قُضاعـة ، وهو الذي تُنْسب اليه الإبـل المَهْرية . ومنهم : كُرْز بن رُوعان، من بني المُتَنسّم، الذي صار إلى مَعْديكرب ابن جَبلة الكِنْدي ، وهو الذي يقول :

تَقول بُنَيَّتي لمّا رَأتْني
أكُرُّ عليهمُ ، وأذُبُّ وَحْدي:

لَعَمْرُك إنْ وَنَيْتَ اليومَ عنهم،
لَتَنْقَلِبَنَّ مَصرُوعاً بِجَدْ

ومنهم : دَهْبَن بن فِرْضِم بن العُجَيل ، وهو الذي كان وَفَد على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وكَتَب له كِتاباً وردّه إلى قومه .

جُهينَة بن لَيْث بن سُود بن أسْلم بن الحافِ بن قُضاعة ، منهم : سُوَيد بن عَمرو بن جَذيمة بن سَبرة بن خُدَيج بن مالك ابن عَمرو بن ثَعْلبة بن رِفاعة بن مُضر بن مالك بن غَطَفان ابن قيس بن جُهينة ، وكان شريفاً .

ومن قُضاعة : نَهْد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحافِ بن قُضاعة، منهم: الصَّعِق ، وهو جُشم بن عمرو بن سَعْد ، وكان سيّد نَهد في زمانه ، وكان قَصيراً أسود دميماً، وكان النُّعمان

قد سَمِع شَرَفه فأتاه، فلما نَظر اليه نَبَتْ عنه عينه ، فقال: تَسْمع بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه ؛ فقال : أبيتَ اللعن، إنّ الرجال ليست بمُسوك يُستَقى فيها الماء ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نَطق نَطق ببَيان ، وإن صال صال بجَنان .

قال : صدَقتَ . ثم قال له : كيف علمك بالامور ؟

قال : أبغِض منها المقبول ، وأبرم المَسحول[1]، وأحيلها حتى تحول ، وليس لها بصاحب مَن لم يَنظر في العواقب .

ومنهم : وَدَعة بن عمرو صاحب بَسْبَس ، طليعة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

عُذْرة بن سَعْد هُذَيم بن زيد بن لَيْث ، منهم : خالد بن عَرْفطة ، ولاّه سعد بن أبي وقّاص مَيمنة الناس يوم القادسيّة، ومنهم: عروة بن حزام صاحب عَفراء، ومنهم: رَزاح بن ربيعة أخو قُصيّ لأمه ، وهو الذي أعان قُصيّاً حتى غَلب على البَيت، ومنهم: جميل بن عبد الله بن مَعْمر بن نَهيك صاحب بُثَينة ، وبنو الحارث بن سعد إخوة عُذرة .

فهؤلاء بُطون قُضاعة بن مالك بن عُمر بن مُرّة ، وهؤلاء أولاد حِمْيَر بن سبأ .

---

١ المسحول : الحبل المبرم على طاقته .

كهلان بن سبأ

الأزد بن الغوث بن نَبْت بن زيد بن كَهلان . فمن قبائل الأزد : الأنصار ، وهم الأوْس والخَزْرج ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ، وأمهما قَيْلة ، وهؤلاء الأوس والخَزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ، وهو العَنقاء بن عمرو بن ثعلبة ، وهو المُزَيقياء بن عامر ، وهو ماء السَّماء .

فمن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عَمرو بن عَوف بن مالك بن أوْس ، وهم بنو السُّمَيعة ، بها يُعرفون ، وهم عَوْف وثعلبة ولَوْذان بنو عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس .

ضُبَيعة بن زيد بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس ، منهم : عاصم بن أبي الأقلح الذي حمت لحمَه الدَّبْر ، والأحوص بن عبد الله الشاعر ، وحَنْظلة بن أبي عامر ، غسيل الملائكة ، وأبو سفيان بن الحارث ، بَدْرِيّ ، وأبو مُليل بن الأزعر ، بدريّ .

حَبيب بن عَمرو بن مالك بن الأوس ، ومنهم : سُويد ابن الصامت ، قتله المجذَّر بن ذِياد في الجاهلية فوثب أبوه على

المُجذّر فقَتَله في الإسلام ، فقَتَله النبيّ ، عليه الصلاة والسلام.

عَبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن خَزْرج بن عَمرو ابن مالك بن الأوْس، منهم : سَعْد بن مُعاذ الذي اهتزّ لموته العَرْش، بدريّ، حَكم في بني قُرَيظة ؛ والنَّضر بن عَمرو ، أخو سعد بن مُعاذ ، شَهِد بَدْراً وقُتل يوم أُحُد ؛ والحارث ابن أنَس، شهد بَدْراً وقُتل يوم أُحُد ؛ وعمّار بن زِياد، قُتل يوم بَدْر؛ وأُسَيْد بن الحُضَير بن سِماك، شَهِد العقَبة وبَدْراً؛ ورَبيعة بن زيد ، شهد العقَبة وبدْراً .

رَبيعة بن عَبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن خَزْرج بن عَمرو بن مالك بن الأوس، منهم: رِفاعة بن وَقش، قُتل يوم أحد؛ وسلَمة بن سَلامة بن وَقش، شَهِد بَدْراً وقُتل يوم أحد؛ وأخوه عمرو بن سلامة، قُتل يوم أحد؛ ورافع بن يزيد، بَدري.

زَعوراء بن جُشم بن الحارث بن خَزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، منهم : مالكُ بن التَّيّهان أبو الهيثم، نقيب بَدْري عَقَبي، وأخوه عُتْبة بن التَّيِّهان، بَدري، قُتل يومَ أحد .

خَطْمة ، هو عَبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوْس ، منهم : عديّ بن خَرَشة ، وعمرو بن خَرَشة ، وأوْس بن خالد ، وخُزيمة بن ثابت ذو الشّهادتين ، وعبدُ الله بن زَيْد

القارىء ، وَلِيَ الكُوفة لابن الزُّبير .

واقف، هو مالك بن امرىء القَيْس بن مالك بن الأوس، منهم : هِلال بن أُميّة ، وعائشة بن نُمير ، الذين يُنسب اليهم بئر عائشة بالمدينة ، وهَرِم بن عبد الله .

السَّلْم بن امرىء القَيْس بن مالك بن الأوس ، ومنهم : سَعْد بن خَيْثمة بن الحارث ، بَدري عَقَبي نَقيب ، قُتل يومَ احد .

عامرة ، هُم أهْل رابِخ بن مُرة بن مالك بن الأوْس ، منهم : وائل بن زَيْد بن قَيْس بن عامرة ، وأبو قيس بن الأسْلت .

•

الخزرج

فمن بُطون الخزرج : النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج ، وغَنْم بن مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، منهم: أبو أيّوب خالدُ بن زيد، بدري، وثابت بن النّعمان ، وسُراقة بن كعب، وعُمارة بن حزم، وعمرو بن حزم، بدريّ عقبي؛ وزيد بن ثابت صاحبُ القرآن والفرائض، بدري؛ ومعاذ ومعوّذ وعوف بنو الحارث بن رفاعة ، وأمهم عفراء ، بها يُعرفون ، شهدوا بدراً ؛ وأبو أُمامة أسعد بن زُرارة، نقيب عقبيّ بدريّ ؛ وحارثة بن النّعمان ، بدريّ .

مَبذول : اسمه عامر بن مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج ، منهم : حبيب بن عمرو، قُتل يوم اليمامة، وأبو عمرة، وهو بَشير بن عمرو، قُتل مع عليّ بن أبي طالب بصِفّين ؛ والحارث بن الصّمّة ، بَدْري ؛ وسَهْل بن عتيك، بدري .

حُدَيلة : هو مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، أمه حُدَيلة وبها يُعرفون ،

منهم : أُبيّ بن كعب بن قيس بن عُبيد بن مُعاوية ؛ وأبو حبيب بن زيد ، بدريّ .

مَغالة : هو عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، منهم : حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرام ، شاعر النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام؛ وأبو طَلْحة ، وهو زيد بن سَهل بن الأسود ابن حَرام .

مِلحان بن عدي بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن خَزرج؛ منهم : سُليم بن مِلْحان ، وحَرام بن مِلْحان ؛ بدريّان قُتلا يوم بئر مَعُونة .

غَنم بن عدي بن النجار ، ومنهم : صِرْمة بن أنس بن صِرْمة ، صَحِب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومُحْرِز بن عامر ، بدريّ ؛ وعامر بن أميّة ، بدريّ ، قُتل يوم أُحد؛ وأبو حَكيم ، وهو عمرو بن ثعلبة ، بدري؛ وأبو خارجة ، وهو عمرو ابن قَيْس ، بدريّ ؛ وابنه سَبرة أبو سَليط ، بدريّ ؛ وثابت ابن خنساء ، بدريّ ، قُتل يوم أُحد ؛ وأبو الأعور ، وهو كعب بن الحارث ، بدري ؛ وأبو زيد ، أحد الستّة الذين جَمعوا القرآن على عَهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الخَشْخاش الذين ذَكرهم حسّان في قوله :

دِيارٌ مِن بَني الحَسْحاس قَفْرٌ

مازن بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج ، منهم : حَبيب بن زَيْد ، قَطع مُسيلمةُ يده ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعثه اليه ؛ وعبدُ الرحمن بن كَعْب ، من الذين تولّوا وأعيُنهم تفيض من الدّمع ، بَدريّ ؛ وقَيْس بن أبي صَعْصعة ، بدريّ ؛ وغَزيّة بن عمرو ، عَقبيّ .

بنو الحارث بن الخزرج ، منهم : عبدُ الله بن رَواحة الشاعر ، بَدْريّ عَقَبي نَقيب ؛ وخَلاد بن سُوَيد ، بَدريّ ، قُتل يوم قُرَيظة ؛ وسَعد بن الرّبيع ، بدريّ عَقَبي نَقيب ، قُتل يوم أُحد ؛ وخارجة بن زيد ، بدريّ عَقَبي نقيب ، قُتل يوم أحد ؛ وابنُه زَيْد بن خارجة ، الذي تكلّم بعد موته ؛ وثابتُ ابن قيس بن شَمّاس ، خَطيب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، قُتل يوم اليمامة وهو على الانصار ؛ وبَشير بن سَعد ، بَدريّ عَقبي ؛ وابنه النّعمان بن بَشير ؛ وزيْد بن أرْقم ؛ وابن الاطْنابة الشاعر ، ويزيد بن الحارث الشاعر ، بدريّ ؛ وأبو الدّرداء ، وهو عُوَيْمر بن زَيد ؛ وعبد الله بن زيد ، الذي أُري الأذان ؛ وسُبَيع بن قيس ، بَدْريّ ؛ وعامر بن كَعب الشاعر .

بنو خُدْرة بن عَوف بن الحارث بن الخَزرج ، منهم : أبو مَسعود عُقبة بن عمرو ، بدريّ عَقَبي ؛ وعبدُ الله بن

الرَّبيع ، بَدريّ ؛ وأبو سَعيد الخُدريّ ، وهو سَعد بن مالك .

بنو ساعدة بن كَعْب بن الخزرج ، منهم : سعد بن عُبادة ابن دُليم ، كان من النُّقباء ، وهو الذي دَعا إلى نفسه يوم سَقيفة بني ساعدة ؛ والمُنذر بن عَمْرو ، بدريّ عقَبيّ نَقيب ، قُتل يومَ بئر مَعونة ؛ وأبو دُجانة ، وهو سِماك بن أوْس بن خرَشَة ؛ وسَهْل بن سَعد ؛ وأبو أسيد ، وهو مالك بن رَبيعة ، قُتل يوم اليمامة ؛ ومَسْلمة بن مَخْلد .

سالم بن عَوْف بن الخَزرج ، منهم : الرَّمَق بن زَيد الشاعر ، جاهليّ ؛ ومالك بن العَجْلان بن زَيْد بن سالم سيِّد الانصار الذي قتل الفِطْيَون[1] .

القوقَل ، هو غَنْم بن عَمرو بن عَوْف بن الخَزْرج ، منهم : عُبادة بن الصّامت ، بَدْريّ نَقيب ؛ ومالك بن الدُّخْشُم ، بدريّ ؛ والحارث بن خُزَيْة ، بدري .

بنو بَياضة بن عامر بن زُريق ، منهم : زِياد بن لَبيد ، بدريّ ؛ وفَرْوة بن عَمْرو ، بدريّ عقَبي ؛ وخالد بن قَيْس ، بَدْري ؛ وعَمرو بن النُّعمان ، رأس الخَزْرج يومَ بُعاث ؛ وابنه

---

١ كان الفطيون قد تملك يثرب .

النُّعمان ، صاحبُ رايةِ المُسْلمين بأحد .

العَجْلان بن زيد بن سالم بن عَوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ومن بني العَجْلان : عبدُ الله بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان البدريّ ، قُتل يوم أُحد ؛ وعَيَّاش بن عُبادة بن نَضلة ؛ ومُلَيل بن وَبَرَة ، بدري ؛ وعِصْمة بن الحُصين بن وَبَرة ، بدريّ ؛ وأبو خَيْثَمة ، وهو مالك بن قَيس .

الحُبْلى: وهو سالم بن غَنْم بن عَوف بن عمرو بن عَوف ابن الخزرج ، سُمّي الحُبلى لِعظم بطنه ، منهم : عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول رأسُ المنافقين ؛ وابنه عبدُ الله بن عبد الله ، شَهد بدراً وقُتل يومَ اليمامة ؛ وأوس بن خَوليّ ، بدريّ .

بنو زُريق بن عامر بن زُريق بن حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزْرج ، منهم : ذَكْوان بن عَبْد قَيْس ، بَدري عَقَبيّ ، قُتل يومَ أُحد ؛ وأبو عُبادة سَعْد بن عثمان ، بدريّ ؛ وعُقْبة بن عثمان ، بدريّ ؛ والحارث بن قَيْس ، بدري ؛ وأبو عَيّاش بن مُعاوية ، فارس جُلوة[1] ، بدري ؛ ومسعود ابن سَعد ، بَدريّ ؛ ورفاعة بن رافع ، بدري ؛ وأبو رافع ابن مالك ، أوّل من أسْلم من الأنصار .

---

١ جلوة : اسم فرسه .

بنو سَلِمَة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن شارِدة بن جُشَم بن الخَزْرج ، منهم : جابر بن عبد الله، صاحبُ النبيّ، عليه الصلاة والسلام ؛ ومُعاذ بن الصِّمَّة ، بدريّ ؛ وخِراش بن الصِّمَّة ، شهد بدراً بفَرَسين ؛ وعُتْبة بن أبي عامر ، بدريّ ؛ ومُعاذ بن عمرو بن الجَموح ، بدريّ، وهو الذي قَطع رِجْل أبي لهَب، وأخوهُ مُعَوِّذ بن عمرو ، قُتلا يومَ بدر ؛ وأبو قَتادة، واسمُه النُّعمان بن رِبْعيّ ؛ وكَعْب بن مالك الشاعر ؛ وأبو مالك ابن أبي كَعْب الذي يقول :

لَعَمْر أبيها ! ما تَقول حَليلتي ،
إذا فَرّ عنها مالكُ بن أبي كَعْبِ ؟

وبِشْر بن عبد الرحمن، والزُّبير بن حارثة، وأبو الخطّاب، وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ومَعْن بن وَهْب، هؤلاء الخمسة شُعراء ؛ وعبدُ الله بن عَتيك ، قاتلُ ابن أبي الحُقيق . هذا نسب الأنصار .

خزاعة

هو عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وإنما قيل لها خُزاعة لأنهم تَخزّعوا[1] من وَلد عمرو بن عامر في إقبالهم من اليمن، وذلك أن بَني مازن من الأزد لما تفرّقت الأزد من اليَمن في البلاد، نَزل بنو مازن على ماء بين زَبيد ورِمَع يُقال له غَسّان، فمن شَرِب منه فهو غَسّانيّ، وأقبل بنو عمرو فانخزَعوا من قَومهم فنزلوا مكةَ، ثم أقبل أسْلم ومالك ومَلكان بنو أفصى بن حارثة فانخزَعوا، فسُمّوا خُزاعة، وافترق سائرُ الأزد.

فالأنصار وخُزاعة وبارق والمُجن وغَسّان كلّها من الأزد، فجميعُهم من عمرو بن عامر، وذلك انّ عمرو بن عامر وُلد له جَفْنة والحارث، وهو مُحرّق، لأنه أوّل من عذّبَ بالنار، وثَعلبة العَنقاء، وهو أبو الأنصار، وحارثة، وهو ابو خُزاعة، وأبو حارثة ومالك وكَعْب ووَداعة وهو في همدان، وعَوف وذُهل، وهو وائل، وعِمران؛ فلم يَشرب أبو حارثة ولا عِمران ولا وائل من ماء غَسّان، فليس يُقال لهم غَسّان.

---

١ تخزعوا، وانخزعوا: انقطعوا.

بطون من خزاعة

حُلَيل بن حُبشية بن سَلُول بن كعب بن رَبيعة بن خُزاعة ، وهو كان صاحبَ البيت قبل قُريش ، منهم : المُحترش بن حُليل بن حُبشية ، الذي باع مِفتاح الكعبة من قُصيّ بن كِلاب ؛ وهِلال بن حُليل ؛ وكُرْز بن عَلْقمة ، الذي قفا أثر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حتى دخل الغار ، وهو الذي أعاد معالمَ الحَرم في زمن مُعاوية فهي إلى اليوم ؛ وطارق بن باهية الشاعر .

قُمير بن حُبشية بن سَلول بن كعب بن رَبيعة بن خزاعة ، فمن بني قُمير : بُشر بن سُفيان ، الذي كتب اليه النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ وجَلْجلة بن عمرو ، الذي ذكره أبو الكَنُود في شِعْره ، ومن ولده : قبيصة بن ذؤيب بن جَلجَلة ؛ ومالك بن الهَيثم بن عَوْف .

كُليب بن حُبشية بن سَلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة ، منهم : السَّفّاح بن عَبْد مَناة الشاعر ؛ وخِراش بن أمية ،

حَليف بني مَخزوم ، وهو الذي حلَق النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام .

ضاطِر بن حُبشية بن سَلول بن كَعْب بن رَبيعة بن خزاعة ،منهم: حَفْص بن هاجِر الشاعر؛ وقُرّة بن إياس الشاعر، وكان ابنُه يحيى بن قُرّة سيّد قومه ؛ وطَلْحة بن عُبيد الله ابن كَرَيز ؛ وابن الحُداديّة الشاعر، واسمه قَيْس بن عمرو .

حَرام بن عمرو بن حُبشية بن سَلول بن كَعب بن رَبيعة ابن خُزاعة ، منهم : أكثم بن أبي الجَوْن؛ وسُليمان بن صُرَد ابن الجَون ؛ ومُعتِّب بن الأكوع الشاعر ؛ وأُم مَعْبد ، وهي عاتكة بنت خُليف ، التي نزل بها النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، في مُهاجرته الى المدينة .

غاضرة بن عمرو بن حُبشية بن سَلول بن كعب بن ربيعة ابن خُزاعة ، منهم : عِمْران بن حُصين، صاحبُ النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام؛ وسعيد بن سارية ، وَلِيَ شُرطة عليّ بن أبي طالب ؛ وأبو جُمعة ، جَدّ كُثيِّر عَزّة ، وجَعْدة وأبو الكَنُودِ ابنا عبد العُزّى .

مُليح بن خُزاعة ، منهم : عبدُ الله بن خَلَف، قُتل مع عائشة يومَ الجمل ، وأخوه سليمان بن خَلَف ، كان مع عليّ

يومَ الجمل ، وابنهُ طَلحة بن عبد الله بن خلف ، يُقال له طَلحة الطَّلحات ، وهو أجود العَرب في الاسلام ، وعمرو بن سالم الذي يقول :

لأهُمَّ إنّي ناشدٌ مُحمّدا،
حِلْفَ أبينا ، وأبيه ، الأتْلدا

ومنهم : كثيِّر عَزّة الشاعر ، وكُنيته أبو عبد الرحمن .

عَدي بن خزاعة ، منهم : بَديل بن وَرْقاء، الذي كتب اليه النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، يدعوه الى الاسلام ، وابنه عبدُ الله بن بَديل ، قُتل يوم بئر مَعونة ، ومحمد بن ضَمْرة، كان شريفاً ، والحَيْسُمان بن عمرو ، الذي جاء بقَتْلى أهل بدر إلى مكة وأسْلم بعد ذلك .

سَعد بن كَعب بن خُزاعة ، منهم: مَطْرود بن كعب ، الذي رَثى بني عَبْد مَناف؛ وعَمرو بن الحَمِق، صاحب النبيّ، عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد ، وهو أسد بن عَبد الله ؛ والحُصين بن نضلة ، كان سيّد أهل تهامة ، ماتَ قبلَ الإسلام؛ والحارث بن أسد، صَحِب النبيّ، صلى الله عليه وسلم.

المُصْطلِق بن سعد بن خُزاعة، منهم: جُويرية بنت الحَرث، زوج النبي ، عليه الصلاةُ والسلام .

وإخوة خُزاعة ، وهم يُنسبون في خزاعة : أسلم بن أفصى ابن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : بُريدة بن الحُصَيب ، صاحبُ النبيّ ، عليه الصلاة والسلام ، وسَلَمة بن الاكوع ، صاحبُ النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام .

ومَلَكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، ومنهم : ذو الشمالين ، وهو عُمَير بن عبد عَمرو ، شهد بدراً مع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ومالك بن الطُّلاطلة ، كان من المُستهزئين من النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، ونافع بن الحارث ، وَليَ مكة لعمرَ بن الخطاب .

مالك بن أفصى بن عمرو بن عامر ، منهم : عُوَيمر بن حارثة ، وسُليمان بن كُثَيِّر ، من نُقباء بني العبّاس ، قتله أبو مُسلم بخُراسان .

سَلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرْهَد بن رِزاح ، كان شريفاً ، وأبو بُرْدة ، صاحب النبيّ ، عليه الصلاة والسلام . فرغت خزاعة .

بارق والهجن

وَلدَ عديُّ بن حارثة بن عمرو بن عامر، سَعداً، وهو بارق، وعَمْراً ، وهم الهُجن ، فخزاعة وبارق والهُجُن من بني حارثة ابن عمرو بن عامر .

فمن بارق : سُراقة بن مِرْداس الشاعر ، وجَعفر بن أوس الشاعر ؛ ومنهم : النُّعمان بن خَميصة ، جاهليٌّ شريف. وبارق والهُجُن لا يُقال لهما غسّان، وغسّان ماء بالمشَلّل، فمن شَرب منه من الأزد فهو غسّاني، ومن لم يَشرب منه فليس بغسّاني. وقال حسّان :

إمّا سألْتَ ، فإنّا معشرٌ نُجُبٌ،
الأزْدُ نِسْبَتُنا ، والماءُ غَسّانُ

ومن الهُجن : عَرْفجة بن هَرْثمة ، الذي جَنّدَ الموصل ، وعِداده في بارق ؛ ومنهم : رَبْعة ومُلادِس وثَعلبة وشَبيب وألْمَع ، بنو الهُجن .

حُجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثَعلبة بن امرىء القَيس ابن مازن بن الأزد ، ومنهم : أبو سَبْرة بن حُجْنة ، هاجَر

مع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : صَيفيّ بن خالد بن سَلَمة بن هُرَيم .

والعَتِيك ، هو ابن الأزد بن عِمران بن عَمرو ، منهم : المُهلّب بن أبي صُفرة ، واسم أبي صُفرة ظالم بن سُراقة ، وجُديع بن سَعيد بن قَبيصة. ومن العَتِيك: عمرو بن الأشرف، قُتل مع عائشة يومَ الجَمل، وابنه زِياد بن عَمرو، كان شريفاً؛ وثابت قُطنة الشاعر. ويقال : إنّ العَتيك بن عِمران بن عمرو ابن أسد بن خُزيمة. فهؤلاء بنو عِمران بن عَمرو بن عامر ، وهم الحُجْر والأزْد والعَتِيك .

ومن بطون الازد

بنو ماسخة بن عبد الله بن مالك بن النّصر بن الأزْد، اليهم تُنسب القِسيّ الماسخيّة ، كان أولَ مَن رمى بها زهرانُ بن كَعب بن الحارث بن كَعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر ، من الأزْد . ومنهم : حُممَة بن رافِع .

وفيهم: بنو النّمِر بن عُثمان بن النّصر بن هوازن. ومنهم: أبو الكَنود، صاحب ابن مَسعود، قُتل يوم الفجار؛ وأبو الجهْم ابن حَبيب ، كان والياً لأبي جَعفر ؛ وأبو مَريم ، وهو حُذيفة ابن عبد الله، صاحبُ رايتهم يومَ رُستم ؛ والحارث بن حَصيرة، الذي يُحدّث عنه ؛ ومَخلد بن الحسن ، كان فارساً بخُراسان؛ وفَهم بن زَهْران ، بَطن ؛ وحُدّان، بَطْن ؛ وزِيادة، بَطن؛ ومَعْولة ، بنو شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عُثمان بن نَصر بن هوازن .

فمن بني حُدّان : صَبْرة بن شَيْبان ، كان رأس الأزْد يومَ الجمل وقُتل يومئذ .

ومن بني مَعْولة بن شَمْس : الجُلَنْدي بن المُستكبر ،

صاحبُ عُمان، وابنه جَيفر، وكتب النبيّ، عليه الصلاة والسلام، الى جَيفر وعُبيد ابني الجُلَنْدي . ومنهم : الغِطريف الأصغر والغِطريف الأكبر، من بني دُهمان بن نَصر بن زهران؛ ومنهم: مُبالة وحُذْروج ورَسْن بنو عَمرو بن كَعب بن الغِطريف، بُطون كلّهم ، وبنو جِعثِمة بن يَشكر بن مَبشر بن صَعب ابن دُهمان .

بنو راسب بن مالك بن مَيدعان بن مالك بن نَصر بن الأزد ، منهم : عبدُ الله بن وَهب ، ذو الثَّفِنات ، رئيس الخوارج ، قتله علي بن أبي طالب يوم النَّهْروان. ومن الناس من يَنسب بني راسِب في قُضاعة .

ثُمالة، وهو عَوْف بن أسلَم بن أحجر بن كَعب بن الحارث ابن كَعب بن عبد الله بن مالك بن نَصر بن الأزد ، وثُمالة مَنزلهم قَريب من الطّائف وهم أهلُ رويّة وعقول . منهم : محمد بن يَزيد النّحوي المعروف بالمبرّد صاحب الروضة. وقال فيه بعض الشعراء :

سَألْنا عن ثُمالةَ كلَّ حَيٍّ ،
فقال القائلُون : ومَنْ ثُماله؟

فقلتُ : محمدُ بنُ يزيدَ منهم ،
فقالوا : الآنَ زِدتَ بهم جَهاله

بنو لِهْب بن أبنجر بن كَعْب بن الحارث بن كعب ، وهم أعيف كلّ حيّ في العَرَب ، العائف : الذي يَزْجُر الطيرَ ، ولهم يقول كُثَيِّر عَزّة : ؟

تَيَمَّمْتُ لِهْباً أبْتَغي العِلْمَ عِندهم،
وقد رُدّ عِلْمُ العائفين الى لِهْبِ

دَوْس بن عُدْثان بن عبدالله بن زَهران، ومنهم : حُمَمَة ابن الحارث بن رافع ، كان سَيِّد دَوْس في الجاهليّة وكان أسْخى العرب ، وهو مُطْعِم الحجّ بمكّة. ومنهم : ابو هُرَيْرة صاحب النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، واسمه عُمَيْر بن عامر. ومنهم : جَذِيمة الأبرش بن مالك بن فَهْم بن غَنْم بن دوس، وجَهْضَم بن عوف بن مالك بن فَهْم بن غنم بن دوس. ومنهم: الجَراميز ، جمع جُرْموز ، والقَراديس ، جمع قُرْدوس ، والقَسامِل ، جمع قَسملة ، والأشاقِر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دوْس وفيهم يقول الاعجم :

قالوا : الأشاقرُ تهجوكم ، فقلتُ لهم :
ما كنتُ أحسَبهم كانوا ولا خُلِقُوا

وهم ، من الحَسَب الزّاكي ، بمَنْزِلةٍ
كطُحْلُب الماء لا أصْلٌ ولا وَرَق

لا يَكْبَرُون ، وإنْ طالَتْ حياتُهم ،
ولو يَبُول عليهم ثَعْلبٌ غَرِقوا

عَكٌّ بن عُدثان بن عبدالله بنْ زَهْران. وعكٌّ أخو دوس ابن عدثان بن عبد الله بن زهران ، عند مَن نَسبهم الى الأزد، ومَن قال غير ذلك، فهو عَكُّ بن عُدثان أخو مَعَدّ بن عدنان. وفي عكّ : قَرْن ، وهو بطْن كبير؛ منهم : مُقاتل بن حَكيم، كان من نُقَباء بني هاشم بخُراسان .

غَسّان ، وهم بنو عَمْرو بن مازن ، وفيهم : صُريم وبنو نُفَيل ، وهم الصَّبْر ، سُمّوا بذلك لِصَبْرهم في الحرب .

وفي بني صُريم : شَقْران ونَمْران ابنا عمرو بن صريم ، وهما بطْنان في غسّان .

وبنو عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عمرو بن عَدِيّ بن عمرو ابن مازن بن الأزْد ، منهم : الحارث بن أبي شَمِر الأعرج ، ملك غسّان ، الذي يقال فيه الجَفْني ، وليس بجَفْني ولكنّ أمه من بني جفنة .

ومن بني عمْرو بن مازن: عبدُ المَسيح بن عمرو بن ثعلبة، صاحبُ خالد بن الوليد؛ ومنهم: عبدُ المسيح الجُهْبِذ؛ ومنهم: سَطيح الكاهن ، وهو رَبيعة بن ربيعة .

ومن بني غسّان : بنو جَفْنة بن حارثة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الازد ؛ ومنهم: مُلوك غسّان بالشام، وهم سبعة وثلاثون ملكاً مَلَكوا ستّمائة سنة وستّ عشرةَ الى ان جاء الاسلام .

بَجيلة ، وهم عَبقر والغَوث وصُهيب ووَداعة وأشهل ، نُسبوا الى أُمهم بَجيلة بنت صَعب بن سَعْد العشيرة ، وهم بنو أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث ، أخي الأَزْد بن الغوث. منهم : جَرير بن عبد الله، صاحب النبيّ ، عليه الصلاة والسلام، وكان يُقال لجرير : يُوسف هذه الامة ، لحُسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هَلَكتْ بَجيله ؛
نِعْمَ الفَتى ، وبِئْستِ القَبيلَه

ومنهم: الضّبين بن مُضَر، الذي وقع ببني كِنانة؛ ومنهم: القاسم بن عُقيل، أحد بني عائذة بن عامر بن قُداد، كان شريفاً، وهو الذي ابتدأ مُنافَرة بجيلة وقُضاعة .

وفي بجيلة: قَسر بن عَبقر، منهم : خالد بن عبدالله القسري صاحبُ العِراق . ومنهم : بنو أحمس ، وهم بنو عَلقمة بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ؛ وبنو زيد بن

الغوث بن أنمار ؛ وبنو دَهْن بن مُعاوية بن أسْلم بن أحمس ، رَهط عمّار الدّهْني .

ومن قبائل بَجيلة : هُذم وهَديم وأحْمس وعادية وَعدِيّة وقينان وعُرَيْنة بن زيْد .

خثعم: هو خَثْعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخي الأزد بن الغوث. ففي خَثْعم: عِفْرِس وناهِس وشَهْران، فيها الشرفُ والعَدد .

فمن بني شَهْران : بنو قُحافة بن عامر بن رَبيعة ، منهم : أسماءُ بنت عُميس ؛ ومالكُ بن عبد الله ، الذي قاد خَيْل خَثْعم للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم . ومن رَبيعة بن عِفرِس : نُفيل بن حَبيب ، دليل الحبشة على الكَعبة ، وهو القائل :

وكلُّهمُ يُسائل عن نُفَيل ،
كأنّ عليّ للحُبْشانِ دَيْنا

وما كانَت دَلالتُهم بِزَيْن !
ولكنْ كانَ ذاكَ عليّ شَيْنا

فإنكِ لو رأيتِ ، ولم تَرَيْه ،
لدَى جَنْب المُحصّب، ما رأيْنا

إذاً لم تفرحي أبداً بشيء ،
ولم تأسَيْ على ما فات عَيْنا

حَمِدتِ الله إذ أبصرتِ طيراً ،
وحُصْبَ حِجارة تُرْمى علينا

ومن خَثعم : عَثعث بن قُحافة ، وهو الذي هزم همْدان ومَذْحج ، وله يقول الشاعر :

وجُرْثومةٍ لم يَدْخل الذُّلُّ وسْطَها ،
قَريبةِ أنسابٍ كَثيرٍ عَديدُها

مُلمْلَمَةٍ فيها فَوارِسُ عَثْعَثٍ ،
بَنوه ، وأبناء الأقيصر ، جِيدُها

ومنهم : حُمران الذي يقول :

أقسمتُ لا أموتُ إلا حُرّا ،
وإنْ وجدتُ الموتَ طَعْماً مُرّا

أخافُ أنْ أُخْدَعَ ، أو أُغَرّا

ويقال : إنّ خَثعم اسمه أفْتَل ، وإنما خَثعم جمل كان لهم نُسبوا اليه .

همدان

وهو هَمدان بن مالك بن زيد بن اوْسَلة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان . فولدت هَمْدان حاشداً وبكيلاً ، ومنهما تفرّقت هَمْدان .

فمن بُطون هَمدان : شِبام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد ؛ ومنهم : ناعِط ، وهو رَبيعة بن مَرْثد بن حاشِد بن جُشَم بن حاشد ؛ ومنهم : وَداعة بن عمرو بن عامر رَهْط مَسروق بن الأجدع ، ومن الناس من يَزعُم أنه وَداعة بن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنّهم انتسبوا الى همدان .

ومن هَمْدان : بنو السُّبَيع بن الصَّعْب بن مُعاوية بن كَثير بن مالك بن جُشَم بن حاشِد ؛ منهم : سَعيد بن قَيْس بن زَيْد بن حَرب بن مَعْديكرب بن سَيف بن عَمرو السُّبَيعي .

ومن بني ناعط : الحارث بن عُميرة الذي يَمدحه أعشى هَمدان بقوله :

إلى ابن عُميرةَ تُخْدى بنا ،
علـى انهـا القُلُصُ الضُمَّــرُ

ومن بني بَكيل بن جُشَم بن خَيوان بن نَوف بن هَمدان: بنو جَوب – وهم الجَوبيّون – ابن شِهاب بن مالك بن رَبيعة بن صَعْب بن دَومان بن بكيل، وبنو ارحب بن دُعام بن مالك ابن معاوية بن صَعْب، وبنو شاكر، وهم أبو رَبيعة بن مالك ابن مُعاوية بن صَعب، وهم الذين قال فيهم عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، يومَ الجمل: لو تمّت عِدّتهم ألفاً لَعُبِدَ اللهُ حقّ عِبادته . وكان إذا رآهم تمثّل بقول الشاعر :

ناديتُ هَمْدانَ ، والأبوابُ مُغْلَقةٌ ،
ومِثْلُ هَمْدانَ سَنّى فَتْحة البابِ

كالهُنْدوانيّ ، لم تُفْلَل مَضاربُهُ ،
وَجْهٌ جَمِيلٌ، وقَلْبٌ غيرُ وَجّابِ

وقال فيهم عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه :

لِهَمْدانَ أخلاقٌ ودِينٌ يَزِينُهم ،
وأُنسٌ ، إذا لاقَوْا ، وحُسْنُ كلامِ

فلو كنتُ بَوّاباً على باب جَنّـة
لقلتُ لِهَمْدان : ادخُلوا بِسَلام

ومن أشراف هَمدان : مالك بن حُريم الدّالانيّ ، وكان فارساً شاعراً . ومنهم : محمد بن مالك الخَيْوانيّ ، وكان يُجير قُريشاً في الجاهليّة على اليمن .

وفي هَمدان : جُشم ، وهم رهط أعشى همْدان ؛ وفيهم : خَيْوان ، وهو مالك بن زيد بن جُشم بن حاشد ، وفيهم : دالان بن سابقة بن ناشِج بن دافع ؛ منهم : مالك بن حُريم الذي يقول :

وكُنتُ، إذا قَوْمٌ غَزَوني غَزَوتُهم،
فَهل أنا في ذا ، ايا لَهمدان ، ظالمُ؟

متى تَجْمَعِ القلبَ الذّكيّ، وصارِماً
وأنْفاً حَمِيّاً ، تَجتنِبْكَ المَظالمُ

ومنهم : أرْحب بن دُعام بن مالك بن مُعاوية بن صَعْب ابن دَوْمان بن بَكيل؛ منهم : أبو رُهْم بن مُطْعم الشاعر، الذي هاجرَ الى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، وهو ابن خَمْسين ومائة سنة .

وفي هَمْدان: الهان بن مالك، وهو أخو هَمدان بن مالك؛ منهم : حَوشب ، قُتل بصفّين مع مُعاوية .

كندة

كِنْدة بن عُفير بن عَديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كَهلان .

فمن بُطون كِنْدة : الرّائش بن الحارث بن معاوية بن كِندة ؛ منهم : شُرَيح بن الحارث القاضي ؛ ومنهم : بنو معاوية الأكْرَمين ، الذين مَدَحهم الأعشى ؛ ومنهم : الأشعث ابن قيس بن مَعديكرب ، والصّباح بن قَيْس ، وشُرَحْبيل ابن السِّمْط ، وَلِيَ حِمْص ، وحُجْر بن عَدِيّ الأدْبر ، صاحب عليّ ، وهو الذي قتله معاوية صَبراً .

ومنهم : بنو مُرّة بن حُجْر ، لهم مَسْجد بالكوفة .

ومنهم : الأسود بن الأرْقم ، ويزيد بن فَروة ، الذي اجار خالدَ بنَ الوليد يوم قَطع نخل بني وَليعة .

وفي كِنْدة : مُعاوية الوَلاّدة ، سُمّي بذلك لكَثْرة وَلده . ومنهم : حُجْرُ الفَرْد ، سُمّي بذلك لجُوده ، وأهلُ اليمن يُسمّون الجَواد الفَرْد .

ومنهم: معاوية مُقطّع النّجد، كان لا يتقلّد أحدٌ معه سيفاً الا قطع نجاده .

فمن بني حُجر القَرْد الملوك الأربعة : مِخْوَس ومِشْرح وجَمْد وأبْضَعة، وأختهم العَمَرّدة، بنو معديكرب بن وليعة ابن شُرَحْبيل بن حُجر القَرد، وهم الذين يقول فيهم الشاعر :

نحن قتلنا بالنُّجَيْر أربعه :
مِخْوَسَ، مِشْرَحاً، وجَمْداً، أبضعه

ومن بني امرىء القيس بن مُعاوية : رَجاءُ بن حَيْوة الفقيه، وامرؤ القيس بن السِّمْط .

ومن أشراف بني الحارث بن معاوية بن ثَوْر : امرؤ القيس الشاعر بن حُجْر بن عمرو بن حُجر آكِل المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور، وهم مُلوك كِندة . ومنهم: حُجْر ابن الحارث بن عمرو، وهو ابن أم قَطام بنت عَوْف بن مُحلّم الشيباني .

ومن بُطون كِنْدة : السّكاسك والسّكون ابنا أشرس ابن كِندة ؛ ومنهم : مُعاوية بن حُدَيج ، قاتِل محمد بن أبي بَكْر .

ومنهم: الجَوْن بن يزيد ، وهو أوّل من عقد الحِلف بين

كندة وبين بكر بن وائل .

ومنهم: حُصَيْن بن نُمير السَّكونيّ ، صاحب الجيش بعد مُسلم بن عُقْبة صاحب الحَرّة.

ومن السَّكون : تُجيب، وهما عَديّ وسَعْد ابنا أشرس ابن شَبيب بن السَّكون، وأُمهما تُجيب بنت ثَوبان بن مَذحِج، اليها يُنسبون .

فمن أشراف تجيب : ابن غَزالة الشاعر، جاهلي، وهو رَبيعة ابن عبد الله، وحارثة بن سَلَمة، كان على السَّكون يوم مُحيَّاة، وهو يوم اقتتلت مُعاوية بن كِنْدة ؛ وكِنانةُ بن بِشْر ، الذي ضَرب عُثمان يوم الدّار .

والسَّكاسك بن أشرس بن كندة ، منهم : الضَّحّاك بن رَمل بن عَبد الرَّحمن ؛ وحُوَيّ بن مانع ، الذي زَعم أهلُ الشام أنه قَتل عمّار بن ياسِر ؛ ويَزيد بن أبي كَبشة ، صاحب الحجّاج . انقضى نَسبُ كِنْدة .

مذحج

ومن بني أدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرب بن قَحْطان : مالك بن أدَد ، وهو مَذْحِج ، وطيِّىء بن أدد ، والأشعَر بن أدد .

وقال ابن الكلْبي : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام، وله ثلاثةُ نَفر : مالك بن مَذْحج ، وطيِّىء بن مذحج ، والأشْعر ابن مذحج .

فمن قبائل مذحج : سَعْد العَشيرة بن مالـك بن أدَد ، وولده الحَكَم بن سَعد العَشيرة ، وهو قَبيل كَبير؛ منهم : الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمي ، قتله التُّرك أيام عمر بن عبد العزيز ، وهم موالي أبي نُواس . وفي بَعْضهم يَقول :

يا شَقيقَ النَّفس مـــن حَكَم!
نِمْتَ عن لَيْـــلي ، ولم أنَم

وإنما سُمِّي سعدَ العشيرة لأنه لم يَمُت حتى رَكِب معه من ولده ووَلد ولده ثلثُمائة رجل .

ومنهم : عُمَير بن بِشر ؛ ومنهم : بُنْدُقة بن مَظَّة .

ومن بطون سَعد العَشيرة : جُعْف بن سَعد العشيرة بن مالك بن أُدَد ؛ وصَعْب بن سعد العشيرة ، دَخل في جُعف ، وجَزْء بن سعد العشيرة .

فمن ولد جَزء بن سعد : العَدْل والحَمْد ، وكان العدل على شُرطة تُبَّع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يَدي عَدْل ، وهو قولُ النّاس : فلانٌ على يَدَيْ عَدْل ، إذا كان مُشْرِفاً على الهَلاك .

ومن أشراف جُعف : أبو سَبْرة ، وهو يزيد بن مالك ، كان وَفد الى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فدعا له ؛ ومنهم : شَراحيل بن الأصْهب ، كان أبعدَ العَرب غارةً ، كان يَغزو من حَضْرَموت الى البَلْقاء في مائة فارس من بني أبيه ، فقتله بنو جَعدة ، ففيه يقول نابغةُ بني جَعدة :

أرَحْنا مَعدًّا مِن شَراحيل ، بعدما
أراها، مع الصُّبح، الكَواكبَ مَظْهرا

وعَلقَمةَ الحَرّاب أدْرك رَكْضُنا ،
بذي الرِّمْث، إذ صام النهارُ وهَجَّرا[1]

---

[1] الرمث : وادٍ لبني أسد .

وعَلقمة الحرّاب كان رأسَ بني جُعف بعد شراحيل .

ومن بني جُعفٍ : زَحْر بن قَيْس صاحب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . ومنهم : الأشعر بن ابي حُمْران الذي يقول :

أريد دِماء بني مازنٍ ،
وراقَ المُعَلّى بَياضُ اللّبَنْ

خليلان مُختلفٌ بَيْننا ،
أريد العَلاة ، ويَبغي السِّمَن

ومنهم : عبيد الله بن مالك الفاتك الجُعفي .

ومن بني سَعد العَشيرة : أوْد وزُبيد ، واسمه مُنبه ، وهما ابنا صَعْب بن سَعد العشيرة ، وزُبيد الأصغر ، وهو مُنبّه الأصغر ابن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن زُبَيْد بن صَعْب ابن سعد العشيرة .

ومنهم : أبو المَغراء الشاعر ؛ ومنهم : الزّعافر ، وهو عامر ابن حَرْب بن سعد بن منبّه بن أود .

ومنهم : عبد الله بن إدريس الفقيه ؛ ومنهم : الأفوه الشاعر ، واسمه صَلاءة بن عمرو .

ومنهم : بنو رَمّان بن كعب بن أود ، من وَلده :

عافيةُ بن يَزيد القاضي ؛ وبنو قَرْن ، لهُم مَسْجد بالكوفة .

زُبيد بن صَعْب بن سعد العشيرة ، واسمه مُنبه ، وهو زبيد الأكبر ، من ولده : زبيد الأصغر ، وهو زُبيد بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زبيد بن صعب .

ومن بني زُبيد الأصغر : عمرو بن مَعديكرب ، وعاصِم ابن الأصْقع الشاعر ، ومعاوية بن قيْس بن سَلَمة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمي الأفكل لأنه كان إذا غضب أرعد ؛ ويقال : الأفكل من بني زُبيد الاكبر .

ومنهم : الحارث بن عمرو بن عبد الله بن قَيْس بن أبي عمرو بن رَبيعة بن عاصم بن عمرو بن زُبيد الأصغر . فهذه سعدُ العَشيرة .

ومن مَذْحج : جَنب وصُداء ورُهاء ، فمن بن جَنب : مُنبِّه والحارث والغَلِيّ ، وشَيْحان وشِمْران وهِفّان . فهؤلاء الستة ، وهم جنب ، بنو يَزيد بن حَرب بن عُلة بن جَلد بن مالك بن أدد ، وإنما قيل لهم جَنْب لأنهم جانبوا أخاهم صُداء وحالفوا سَعد العَشِيرة ، وحالفت صُداء بني الحارث بن كَعْب .

فمن جَنب : أبو ظَبْيان الجَنْبيّ الفقيه ؛ ومنهم : مُعاوية الخَيِر بن عَمرو بن مُعاوية ، صاحب لواء مَذْحج ، وهو الذي

أجار مُهلهلَ بن ربيعة التَّغلبي على بكر بن وائل ، فتزوَّج ابنة مهلهل، وفي ذلك يقول مُهلهل بن ربيعة أخو كُلَيب وائل:

هانَ على تَغْلِبٍ ، بما لَقِيَتْ،
أختُ بني الأكرمينَ ، من جُشَمِ

أنكَحها فَقْدُها الأراقمَ في
جَنْبٍ، وكان الحِباءُ من أدَمِ[1]

لو بأبانَينِ جاء يَخْطُبُها ،
رُمِّل ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ[2]

قوله : وكان الحباء من أدم ، أي أنّه ساق اليها في مَهرها قُبّة من أدم .

صُداء بن يزيد بن حَرْب بن عُلة بن جَلد بن مالك بن أدد ، وهم حُلفاء بني الحارث بن كعْب بن مَذحج . رُهاء بن مُنبّه بن عُلة بن جَلد بن مالك ، ومنهم: هِزّان بن سعيد بن قَيْس بن سَرمح ، كان من أشراف أهل الشام .

---

١ الاراقم : حي من تغلب ، وهم قبيلة .
٢ أبانان : جبلان ، يقال لاحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : ابان الاسود . ما زائدة بين الفعل ونائب الفاعل . رمّل : ضرّج .

بنو الحارث بن كعب بن حَرب بن عُلة بن جَلد بن مالك ابن أُدد ، وهو بيت مَذحج ، منهم : زَعْبل ، بطن في بني الحارث ، وهو الذي يقال فيه : لا يُكلّم زَعْبل ، وكان شريفاً .

ومنهم: المُحجّل بن حَزن؛ ومنهم: بنو حِماس بن ربيعة، منهم : النّجاشي ، واسمُه قَيْس بن عمرو .

ومنهم : بنو المَعْقِل بن كعْب بن رَبيعة ، منهم : مَرثد ومُرَيثد ابنا سلمة بن المعقل ، قيل لهم المَراثد .

ومنهم : المأمون بن مُعاوية ، اجتمعت عليه مَذحج ؛ ومُزاحم بن كعب .

ومنهم : اللجْلاج ؛ وأخوه مُسْهر ، الذي فقأ عين عامر بن الطُّفيل يوم فَيْف الرّيح ؛ وعبد يَغوث بن الحارث الشاعر ، قَتيل التّيم يومَ الكُلاب ، وهو القائل :

أقولُ ، وقد شَدّوا لِساني بنِسْعة :
ألا يا آلَ تَيمٍ أطْلقُوا من لِسانيا !

وتَضحكُ مِني شَيْخَةٌ عَبْشَميّةٌ ،
كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً يمَانيا[1]

---

[1] في البيت التفات من الغائب الى المخاطب .

ومنهم : بنو قَنان بن سَلَمة ، منهم : الحُصَين ذو الغُصّة ابن مَرثد بن شدّاد بن قَنان ، وهو رأس بني الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يُقال لأبنائه : فوارس الأرباع ، فقتله هَمدان ؛ ومن ولده : كثير بن شِهاب بن الحُصين .

ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث ، وفي بني الحارث بن كعب : الضِّباب ، منهم : هِند بن أسماء ، الذي قتل المُنتشر الباهليّ .

وفيهم : بنو الدّيّان ؛ وفيهم : زياد بن النّضر ، صاحب عليّ ، والرّبيع بن زِياد ، وَليَ خُراسان أيامَ مُعاوية ؛ والنابغة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبان . هؤلاء بنو الحارث بن كَعْب .

الضباب في بني الحارث بن كعب ، مفتوحة الضّاد ، وفي عامر بن صَعصعة مكسورة الضاد .

ومن بُطون مَذحج : مُسْلية بن عامر بن عَمرو بن عُلة ابن جَلد بن مالك ، فولد مُسْلية كِنانة وأسداً ، منهما تفرّقت مسْلية .

كنانة وأسد ابنا مُسْلية : فمن بني كِنانة بن مُسْلية : بنو صُبْح وثعلبة ابنا ناشرة ، وامهما حَبابَة ، بها يُعْرفون ؛ منهم : أُبَيّ بن معاوية بن صُبْح ، الذي يقول له عمرو بن مَعْديكرب :

تَمَنّاني لِيَلْقاني أُبَيٌّ ،
وَدِدْتُ ، وأَيْنَما مِنّي وِدادي

ومن بني حَبابة : عامر بن اسماعيل القائد ، وابن الحَبابة الشاعر ، جاهليّ .

ومن مَذْحِج : النَّخَع بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أُدَد .

فمن بُطون النَّخَع : عَمْرو ، بطن ؛ وصُهبان ، بطن ؛ ووَهْبيل ، بطن ؛ وعامر ، بطن ؛ وجَذيمة ، بطن ؛ وحارثة ، بطن ؛ وكعب ، بطن .

فمن بني جَذيمة بن سعد بن مالك بن جَلْد بن النَّخَع : الأشتر ، واسمه مالك بن الحارث ، وثابت بن قَيْس بن أبي المُنَقّع .

ومن بني حارثة بن سَعد بن مالك بن النَّخَع : إبرهيم بن يَزيد الفقيه ، والحجّاج بن أَرْطاة .

ومن بني وَهْبيل بن سَعد بن مالك بن النَّخَع : سِنان ابن أَنَس ، الذي قتل الحُسين بن علي ؛ وشريك بن عَبْد الله القاضي .

ومن بني صُهْبان بن سعد بن مالك بن النَّخَع : كُمَيْل

ابن زياد ، صاحب عليّ بن أبي طالب ، قتله الحجّاج .

وفي النّخع : جُشَم وبكر . فمن بني جُشَم : العُرْيان ابن الهَيْثم بن الأسْود .

ومن بني بَكْر بن عَوْف بن النّخع : يزيد بن المكفف، وعَلْقمة بن قَيْس ، وأخوه أُبَيّ بن قَيْس ، قُتل مع عليّ بصِفّين ، وأخوهما يَزيد بن قَيْس ، وابنه الأسود بن يزيد العابد .

ومن مَذْحج : عَنَس بن مالك بن أُدَد . فولد عَنَس سَعْداً الأكبر وسَعْداً الأصغر ومالكاً وعَمراً ومُخامِراً ومُعاوية وعَرِيباً وعَتيكاً وشِهاباً والقِرْيَة وياماً .

فمن بني مالك بن عَنَس : الأسود بن كعب ، الذي تنبأ باليَمن .

ومن بني يام بن عَنَس : عمّار بن ياسر ، صاحبُ النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام .

ومن بني سَعْد الأكبر : الأسود بن كَعْب ، تبنّاه سعد الأكبر وكان كاهناً .

ومن أشْراف عَنَس : عامر بن ربيعة ، شهد بدراً مع

النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو حَليف لِقُريش .

ومن بُطون مَـذْحِج : مُراد بن مالك بن مَذْحِج بن أدَد ، ويُسمى يُحابر .

فمن بطون مُراد : ناجية وزاهر وأنـعَم . فمن بني ناجية ابن مُراد : فَرْوة بن مُسَيْك ، كان والياً لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على نَجْران .

ومن بني زاهر بن مُراد : قَيس بن هُبيرة بن عبد يغوث .

ومنهم : أُويس القرنيّ بن عمرو بن مالك بن عَمْرو بن سعد ابن عمرو بن عُصْوان بن قَرْن بن رُدْمان بن ناجية بن مُراد، وهو الذي يُقال إنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، قال فيه: يدخل بشفاعته الجنة مثلُ رَبيعة ومُضَر ، وكان من التابعين ، وقد أتى عمرَ بن الخطّاب ، رضي الله عنه .

وفي ناجية بن مُراد : بنو غُطَـيف بن عَبد الله بن ناجية ، ويُقال إنّهم من الأزْد . ومنهم : هانىء بن عُرْوة ، المقتول مع مُسلم بن عَقِيل .

وفي ناجية بن مُراد : بنو جَمَل بن كِنانة بن ناجيـة ، منهم : هِنْد بن عَمْرو ، قتله عبدُ الله بن اليَثْربي يوم الجَمل ،

وقال في ذلك :

إنّي لِمَن يَجْهلني ابنُ اليَثْرِبي ، قَتَلْتُ عِلْباءَ وهِنْدَ الجَمَلي

وابناً لصَوْحانَ على دين عَلي

ومن بني زاهر بن مُراد : قَيْس بن هُبَيرة بن عَبْد يغوث ، وهو قَيْس بن مَكشُوح .

طيىء

هو طَيِّىء بن أُدد بن زَيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زَيْد بن كَهْلان ، أخو مَذْحِج ، ويُقال : ابن مَذْحِج ، في رواية ابن الكلْبي . فوَلد طيِّىء الغَوْثَ وفُطرة والحارث .

فمن بُطون طيِّىء: جَدِيلة ، وهم بنو جُندب وبنو حُور، وأمهما جديلة وبها يُعرفون ، وهي جَدِيلة طيىء ، فأما بنو حُور بن جَديلة فسَهْلِيّون وليسوا من الجَبَليين ، وأما بنو جُندب بن جَديلة فهم من الجبليّين ، وفيهم الشّرف والعَدد، وفيهم الثّعالب ، وهم بنو ثَعْلبة بن جَدْعاء بن ذُهْل بن رُومان بن جُندُب.

فمن بني ثعلبة بن جَدْعاء : المُعلّى بن تيم بن ثَعْلبة بن جَدعاء ، عليه نَزل امرؤ القَيس بن حُجْر الشاعر إذ قُتل أبوه حُجر بن الحارث ، وقال في المُعلى :

كأنّي ، إذ نَزلتُ على المُعلّى ،
نَزلتُ على البَواذخ مِن شَمامِ

فما مُلْكُ العِرَاق على المُعَلَّى
بمُقْتَـدِرٍ ، ولا مُلْكُ الشَّآم

أفَرَّ حِشَا امرِىءِ القَيْس بن حُجْر،
بنو تَيْـم مَصابيـحُ الظَّـلام

فسُمِّي بنو تَيم بن ثعلبة مصابيحَ الظَّلام . فمن ثعلبة بن جَدعاء : الحُرّ بن مَشْجعة بن النُّعمان ، كان رئيس جَديلـة يوم مُسَيْلمة الكذّاب .

ومنهم : اوس بن حارثة بن لأم ، سيّد طيّىء .

ومنهم : حاتم بن عبد الله الجواد ، وابنه عديّ بن حاتم ، وفَد على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فألقى له وِسادةً وأجلسه عليها وجَلَس هو على الأرض . قـال عديّ : فما رِمْتُ حتى هداني الله للإسلام وسرّني مـا رأيتُ من إكرام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وفي بني عَمْرو بن الغَوْث بن طَيىء : ثُعَـل ، بطن ؛ ونَبْهـان ، بَطْن ؛ وبَولان ، بَطْن ؛ وسلامـان ، بطن ؛ وهَنِيّ ، بطن .

فمن هَنِيّ : إياسُ بن قَبيصة ، وأبو زبيد الشاعر ، واسمه حَرْملة بن المُنْذر .

ومن بني سَلامان : بنو بُحتُر ، بطن في طَيء . ومن بني بُحتر : معرِّض بن صالح ، اجتمعت عليه جَديلة والغوث .

ومن بني ثُعل : عمرو بن المُسبِّح ، كان أرمى العرَب ، وإيّاه يَعني امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رامٍ من بَني ثُعَل ،
مُخرِجٌ كَفّيه من قُتَرِه[1]

وأدرك النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .

ومن بني ثُعَل أيضاً : أبو حَنبل ، الذي يُعَدّ في الاوفياء ، نزَل به امرؤ القيس ومَدحه .

ومنهم : زيد الخَيل ، وفَد على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فسمّاه زيد الخَير ، وقال : ما بلغني عن أحد الا رأيته دون ما بَلغني إلا زيدَ الخَيل .

وفي طَيء : سُدوس ، وهي مَضمومة السّين ، والتي في رَبيعة مفتوحة السّين .

---

١ القتر ، واحدتها قترة : بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه .

الاشعر

هو الاشعر بن أدد أخو مَذحج ، ويقال : ابن مَذحج، في رِواية ابن الكَلبي .

فَولد الأشعر الجُماهِر والأرْغم والأذْغم والأتْغم وجُدّة وعبد شَمس وعبد الثُريا .

فمن بُطون الأشعريين : مُراطة وصُنامة وأسد وسَهلة وعُكابة والشَراعبة وعُسامة والدّعالج .

ومن أشراف الاشعريّين: أبو موسى الأشعريّ عبد الله بن قيس ، صاحب النبيّ ، عليه الصلاة والسلام ، ومنهم : مالك ابن عامر بن هانىء بن خِفاف ، وفَد على النبيّ، صلى الله عليه وسلم ، وشَهِد القادسيّة، وهو اوّل من عَبر دِجلة يومَ المدائن وقال في ذلك :

امضوا فإن البَحْرَ بَحرٌ مأمُور ،
والأوّل القاطعُ منكم مأجُور
قد خاب كِسْرى وأبوه سابور ،
ما تَصْنَعون والحديثُ مَأثور!

وابنه سَعْد بن مالك ، كان من أشراف أهل العراق .

ومنهم : السائبُ بن مالك ، كان على شُرْطة المُختار ، وهو الذي قَوّى أمره .

ومنهم : أبو مالك الأشعري ، زَوّجه النبيُّ ، عليه الصلاة والسلام ، إحْدى نساء بني هاشم وقال لها : ما رَضِيتِ أن زَوّجتُك رجلاً هو وقومُه خيرٌ من طلعت عليهم الشمس .

وقال النبي ، عليه الصلاة والسلام : يا بني هاشم ، زَوّجوا الأشْعريين وتَزوجوا إليهم فإنهم في الناس كصُرّة المِسْك وكالأُترجّ الذي إن شممتَه ظاهراً وجدتَه طيّباً ، وإن اختبرت باطنَه وجدْتَه طيباً .

فهؤلاء بنو أدد ، وهم مَذْحج وطيء والأشْعر ، بنو أدد ابن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

•

لخم

هو مالك بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد . فوَلد لَخم جَزِيلة ونُمارة، ومنهما تفرّقت بُطون لَخم .

فمن بني نُمارة : بنو الدّار ، وهو هانِيء بن حَبيب بن نُمارة ، منهم : تميم الداريّ ، صاحبُ النبي ، عليه الصلاةُ والسلام .

وفي نُمارة : الأجْوَد ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زِياد ابن نُمارة ، رَهْط الطِّرِمّاح بن حكيم الشاعر . ويقال : إن الطّرمّاح من طَيّىء .

ومنهم : قَصِير بن سَعد ، صاحب جَذِيمة الأبرش .

ومن بني نُمارة : مُلوك الحيرة اللّخميون ، رَهْط النّعمان ابن المُنْذر بن امرىء القَيس بن النعمان .

وفي جَزِيلة بن لَخم بُطون كثيرة ، منهم : إراش وحُجْر ويَشْكُر وأدب وخالِفة ، وهو راشِدة ، وغَنم ، وجَدِيس ، بَطن عَظِيم .

وفي جَزِيلة بن لخم أيضاً : العَمَرَّط ؛ وفيهم : عِبَاد الحيريّ، منهم : رَهْط عَدِيّ بن زيد العباديّ .

ومنهم : بنو مَنَارة ، وفيهم : جَدَس بن إدريس بن جَزِيلة بن لَخْم .

ومنهم : مالك بن دُعْر بن حُجْر بن جَزِيلة بن لَخْم ، يقال : إنه الذي استخرج يُوسف بن يَعقوب ، صلوات الله وسلامُه عليه ، من الجُبّ .

جذام

هو جُذَام بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد . فَوَلَدَ جُذَام حَراماً وحِشْماً ، منهما تفرّقت جُذام .

فمن بني حِشْم بن جُـــذَام : بنو عُتَيب بن أسْلم بن خالد بن شَنُوءة بن تَدِيل بن حِشْم بن جُـذَام ، وهم الذين يُنْسبون في بني شَيْبان .

وفي حَرَام بن جُذام : بنو غَطَفان وأفْصَى ابنا سَعْد ابن إياس بن حَرَام ، وفيهما عَدد جُذام وشَرفُها ، ويُقال إنّ غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان هو هذا .

فمن بني أفْصَى بن سَعْد : رَوْح بن زِنباع ، وزير عبد الملك بن مَرْوان ، وقَيْس بن زيد ، وفَد على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم .

ومن بني غَطَفان بن سَعْد : عَنْبس ونَفْرة وأبَامة وعَبدة وحَرْب ورَيْث وعَبد الله ، بُطون كلّهم . فانتَسب رَيْث وعَبد الله في غَطفان بن قَيْس ، وغيرُهم في جُذام .

عاملة

هم بنو الحارث بن عَديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد ابن يَشجُب بن عَريب بن زيْد بن كَهلان بن سَبأ .

ولد الحارث الزُّهد ومعاوية ، وأُمهما عاملة بنت مالك بن رَبيعة بن قُضاعة، فنُسبا الى أُمهما. ويُقال : عاملة هو الحارث نفسُه .

فمن بني مُعاوية بن عامِلة : شَعْل وسَلَبة وعِجْل، بُطون كلّهم ؛ ومن أشراف عاملة : قَوّال بن عَمرو ، وشِهاب بن بُرهم ، وكان سيّداً، وهَمّام بن مَعْقل ، وكان شَريفاً مع مَسْلمة بن عبد الملك .

ومنهم : عَديّ بن الرّقاع الشاعر ؛ ومنهم : قُعَيْنِس ، الذي أَسر عديّ بن حاتم الطائيّ، فأخذه منه شُعَيب بن الرَّبيع الكَلبيّ فأطلقه بغير فِداء .

فهؤلاء بنو عَديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيْد بن يَشجُب بن عَريب بن زَيْد بن كَهلان بن سَبأ ، وهم لَخْم وجُذام وعامِلة بنو عَديّ بن الحارث ، وكِنْدة بن عُفَير ابن عَدِيّ بن الحارث .

خولان

هو خَوْلان بن عمرو بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد ، فولد خولان حبيباً وعَمراً والأصْهب وقيْساً ونَبْتاً وبَكراً وسعْداً . منهم : أبو مُسْلم عبد الرحمن بن مِشْكم الفقيه .

جرهم

هو من القبائل القديمة ، وهو جُرْهم بن يَقْطَن بن عابر ، وعند عابر تجْتمعُ يمن ومُضر ، لأنّ مُضر كلها بنو فالَغ بن عابر ، واليَمن كلها بنو قَحْطان بن عابر .

حضرموت

هو ابن عَمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عَبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حَيْدان بن قُطَنٍ بن عَريب بن زُهير ابن أيمن بن الهَمَيسع بن حِمْيَر.

منهم: ذو مَرحب، وذو نحْو؛ ومنهم: الأعدل؛ ومنهم: بنو مَرثد، وبنو ضَجْعَ، وبنو حُجْر، وبنو رَحَب، وبنو أقرن، وبنو قلْيان.

•

قول الشعوبية وهم اهل التسوية

ومن حُجّة الشُّعوبية على العَرَب أنْ قالت : إنّا ذهبنا إلى العَدل والتّسوية ، وإلى أنّ الناس كلّهم من طِينة واحدة وسُلالة رَجُل واحد ، واحتججنا بقول النبيّ ، عليه الصلاة والسلام: المؤمنون إخوة تتكافأ دِماؤهم ويَسعَى بذمّتهم ادناهم وهم يَدٌ على من سواهم .

وقوله في حِجّة الوَداع ، وهي خُطبته التي وَدّع فيها أُمته وختَم بها نُبوّته : أيها الناس ، إنّ الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلّكم لآدم وآدم من تُراب ، ليس لعربيّ على عَجَمي فضل إلا بالتّقوى .

وهذا القولُ من النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، مُوافق لقَول الله تعالى : « إنّ أكرمَكم عِند الله أتقاكم . »

فأبَيتم إلا فَخراً ، وقلتم لا تُساوينا العَجمُ وإنْ تقدّمتْنا إلى الاسلام ، ثم صَلّت حتى تَصير كأحناء ، وصامت حتى تصير كأوتار .

ونحن نُسامحكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه

نبيّنا ونبيّكم ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أبيتم إلا خِلافه ، وإنما نجيبكم إلى ذلك لاتباع حَديثه وما أمر به ، صلى الله عليه وسلم ، فنرد عليكم حُجتكم في المُفاخرة ونقول :

أخبرونا إن قالت لكم العجم : هل تَعدُّون الفخر كلّه أن يكون مُلكاً أو نُبُوّة ؟

فإن زعمتم أنه مُلك قالت لكم : فإن لنا مُلوكَ الأرض كلهم من الفراعنة والنّماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة ، وهل يَنبغي لأحد أن يكون له مِثل مُلك سُليمان الذي سُخّرت له الإنس والجنّ والطّير والرّيح ، وإنما هو رَجل منّا ؛ أم هل كان لأحد مثلُ مُلك الإسكندر الذي ملك الأرض كلها وبَلغَ مَطلع الشّمس ومَغربها ، وبَنى رَدْماً من حَديد ساوى به بين الصّدَفين وسَجن وراءه خَلْقاً من الناس تُرْبي على خَلق الارض كلها كثرة .

يقول الله ، عز وجل : « حتى إذا فُتِحَت يَأجُوج ومأجوج وهُم مِن كلّ حَدَب يَنسِلون . » فليس شيءٌ أدلّ على كثرة عَددهم من هذا ، وليس لأحد من وَلد آدم مثلُ آثاره في الأرض ، ولو لم يكن له إلا مَنارة الإسكندرية التي أسّسها في قَعْر البحر وجعل في رأسها مِرآة يَظهر البحر كله في زُجاجتها لكفى .

وكيف ومنّا مُلوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن

عبد العزيز: من مَلك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك، والذي تحته بِنتُ ألف ملك، والذي في مَربطه ألف فيل، والذي له نهران يُنبتان العود والفوه والجَوز والكافور، والذي يوجد ريحه على اثني عشر ميلاً، الى ملك العرب الذي لا يُشرك بالله شيئاً. أما بعد، فإني أردتُ أن تبعث اليّ رجلاً يُعلّمني الاسلام ويوقّفني على حُدوده والسلام.

وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنُبوّة فإنّ منّا الانبياء والمُرسلين قاطبةً من لدن آدم ما خلا أربعة: هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً، ومنّا المُصطفَون من العالمين: آدمُ ونوح، وهما العُنصران اللذان تفرّع منهما البَشر، فنحن الأصل وأنتم الفَرْع، وإنما أنتم غُصن من أغصاننا، فقولوا بعد هذا ما شئتم وادّعوا.

ولم تزل للأمم كلها من الأعاجم في كل شَقّ من الأرض ملوك تجمعها، ومدائن تضمّها، وأحكام تدين بها، وفلسفة تُنتجها، وبدائع تفتقها في الأدوات والصّناعات، مثل صَنعة الدّيباج وهي أبدع صَنعة، ولعب الشّطرنج وهي أشرف لِعبة، ورُمّانة القبّان التي يوزن بها رِطل واحد ومائة رطل، ومثلُ فلسفة الرُّوم في ذات الخالق، والقانون، والأسطرلاب، الذي

يُعدّل به النجوم ، ويُدْرك به عِلم الأبعاد ودَوران الأفلاك ، وعلم الكسوف .

ولم يكن للعرب مَلِك يجمع سَوادَها ، ويَضُم قواصيها ، ويقمع ظالمَها ، ويَنْهى سَفيهها ، ولا كان لها قطُّ نَتيجة في صِناعة ، ولا أثر في فلسفة ، إلا ما كان من الشّعر ، وقد شاركَتها فيه العَجم ، وذلك أن للرّوم أشعاراً عجيبة قائمة الوَزْن والعَروض .

فما الذي تَفْخر به العرب على العَجم ، وإنما هي كالذئاب العادية والوُحوش النّافرة ، يأكل بعضُها بعضاً ، ويغير بعضها على بعض، فرجالُها مَوثوقون في حَلَق الأسر، ونِساؤها سبايا مُرْدَفات على حَقائب الابل، فإذا ادركهنّ الصّريخُ فاستُنقِذن بالعشيّ، وقد وُطِئْن كما تُوطأ الطّريقُ المَهيع ، فَخَر بذلك الشاعر فقال :

وألحَقُ رَكْبَ المُرْدفات عَشيّةً

فقيل له : وَيحك ، وأي فَخْر لك في أن تَلْحقهن بالعشي وقد امتُهِنّ !

وقال جَرير يُعيِّر بني دارم بغَلبة قَيس عليهم يومَ رَحْرَحان:

وبرَحرَحانَ ، غداةَ كُبِّلَ مَعْبَدٌ ،
نُكِحتْ نِساؤُكم بغيرِ مُهورِ

وقال عَنترة لامرأته :

إنّ الرِّجالَ لهم اليكِ وَسيلةٌ ،
إنْ يأخذُوكِ تَكحّلي وتَخضَّبي

وأنا امرؤٌ ، إن يأخذوني عَنْوَةً ،
أُقْرَنْ الى سَيرِ الرِّكاب وأُجْنَبِ

ويكونُ مَركبَكِ القَعودُ ورحلُه ،
وابنُ النَّعامة عند ذلك مَرْكبي

أراد بابن النعامة : باطنَ القَدم . وسَبى ابنُ هَبولة الغسّاني امرأةَ الحارث بن عَمرو الكِنْديّ ، فلحِقه الحارث فقتَله وارتَجع المرأة وقد كان نال منها ، فقال لها : هل كان أصابَكِ؟ قالت : نعم والله ، فما اشتملت النّساء على مِثله ؛ فأوثقها بين فرَسين ، ثم استَحضَرَهما[1] حتى قطّعاها ، وقال في ذلك :

كلُّ أُنثى وإنْ بدا لكَ مِنها
آيةُ الوُدّ ، عَهدُها خَيْتَعور[2]

١ استحضرهما : اعداهما .
٢ خيتعور : لا يدوم على حال .

إنَّ مَن غرَّه النساءُ بوُدٍّ،
بعد هِنْدٍ، لجاهلٌ مَغْرور

وسَبَت بنو سُليم رَيحانة أختَ عمرو بن معدِيكرب فارسِ العَرب ، فقال فيها عمرو :

أمِنْ رَيْحانة الدَّاعي السَّميعُ،
يُؤرِّقني ، وأصحابي هُجوعُ

وفيها يقول :

إذا لم تَستَطع أمراً فَدَعه ،
وَجاوِزْه إلى ما تَستَطيع

وأغار الحَوْفزان على بني سَعْد بن زَيد مَناة ، فاحتمل الزَّرقاءَ من بني رَبيع بن الحارث فأعجبته وأعجبها ، ثم لحقه قيس بن عاصم، فاستَنْقذها وردّها الى أهلها بعد أن وُقِع بها .

فهذا كان شأنُ العرب والعَجم في جاهليّتها ، فلما أتى الله بالاسلام كان للعجم شَطْر الاسلام ، وذلك أن النبيّ، صلى الله عليه وسلم ، بُعث الى الاحمر والأسود من بني آدم ، وكان أوَّل من تَبعه حُرٌّ وعَبْد ، واختلف الناس فيهما ، فقال قَوم : أبو بَكر وبلال ، وقال قوم : عليّ وصُهَيب .

ولما طُعِن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قَدَّم صُهَيباً

على المهاجرين والأنصار، فصلى بالناس وقيل له: استخلف؛ فقال: ما أجد من أستخلف، فذكر له الستة من أهل حِراء، فكلّهم طَعن عليه، ثم قال: لو أدركت سالماً مولى أبي حُذيفة حيّاً لما شككت فيه؛ فقال في ذلك شاعر العرب:

هذا صُهَيب أمّ كلّ مُهاجر،
وعَلا جَميعَ قبائل الأنصارِ

لم يَرضَ منهم واحداً لصلاتنا؛
وهم الهُداة وقادةُ الاخيار

هذا، ولو كان المُتَرَّمُ سالمٌ
حيّاً لنال خِلافة الامْصار

ما بال هذي العُجْم تحيا دوننا،
إنّ الغَويّ لَفي عَمى وخَسار

وقال مُجير يُعيّر العرب باختلافها في النّسب واستلحاقها للأدعياء:

زَعمتم بأنّ الهند أولاد خِندف،
وبَينكمُ قُربى وبينَ البَرابر

وَدَيلَم مِن نَسْل ابن ضَبّة باسل،
وبُرْجان من أولاد عمرو بن عامر

فقد صار كلُّ الناس أولادَ واحد ،
وصاروا سواءً في أصول العناصر

بنو الأصفر الأملاك أكرمُ منكمُ ،
وأولى ، بقُربانا ، ملوكُ الأكاسِرِ

أتُطْمِعُ بي صِهْراً دَعِيّاً ، مُجاهراً ،
ولم ترَ سِتْراً من دَعيٍّ مُجاهر

وتَشتِمُ ، لؤماً ، رَهْطَه وقبيله ،
وتَمدَحُ ، جهلاً ، طاهِراً وابن طاهر[1]

وقد ذكرتُ هذا الشعر تاماً في كتاب النساء والأدعياء والنجباء . وقال الحسن بنُ هانىء على مَذهب الشعوبية :

وجاورتُ قوماً ، ليس بيني وبَيْنَهم
أواصرُ ، إلاّ دَعْوةٌ وظُنُونُ

إذا ما دعا باسمي العريفُ أجبتُه
إلى دَعْوةٍ ، ممّا عليّ تَهون

لأَزْدِ عُمانٍ بالمُهلّب نَزْوَةٌ ،
إذا افتخر الاقوامُ ، ثمّ تَلين

---

١ طاهر : اراد به طاهر بن الحسين .

وبكرٌ ترى أنَّ النبـوَّةَ أُنزِلت
على مِسمَعٍ، في البَطْنِ، وهو جَنينُ

وقالت تَميم لا نَرى أنَّ واحداً،
كأحْنَفِنا، حتى المماتِ، يَكون

فلا لُمْتُ قَيْساً بعدها في قُتَيبة،
إذا افتخروا، إنَّ الفَخار فُنون

•

رد ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قُتيبة في كتاب تفضيل العرب : وأما أهلُ التّسوية فإنّ منهم قوماً أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث فقضَوْا به ولم يُفتّشوا عن مَعناه ، فذَهبوا الى قوله عزّ وجلّ : «إنّ أكرَمَكم عِندَ الله أتقاكم» ، وقوله : «إنّما المؤمِنونَ إخوَةٌ فأصلِحُوا بَين أخَويكم» ، والى قول النبيّ ، عليه الصلاة والسلامُ ، في خُطبته في حِجّة الوَداع : أيها الناس ، إنّ الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهليّة وتَفاخرها بالآباء ، ليس لِعرَبيّ على عجميّ فَخر إلا بالتّقوى ، كُلّكم لآدمَ وآدمُ من تُراب . وقوله : المُؤمنون تتكافأ دِماؤُهم ويَسعى بذِمّتهم أدناهم وهم يدٌ على من سِواهم .

وإنما المَعنى في هذا أنّ الناس كلّهم مِن المؤمنين سَواء في طَريقِ الأحكام والمَنزلةِ عند الله ، عزّ وجلّ ، والدّار الآخرة ، ولو كان النّاس كلّهم سواء في امور الدنيا ليس لأحد فَضل إلا بأمر الآخرة ، لم يكن في الدُّنيا شَريف ولا مَشروف ، ولا فاضِل ولا مَفضول .

فما مَعنى قوله، صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريمُ قَوم فأكرِموه ؛ وقوله ، صلى الله عليه وسلم : أقيلوا ذوي الهيئات عَثراتهم ؛ وقوله ، صلى الله عليه وسلم ، في قَيس بن عاصم : هذا سيّد الوَبر ؟

وكانت العرب تقول : لا يَزال الناسُ بخير ما تباينوا فإذا تساوَوا هَلكوا. تقول : لا يَزالون بخَير ما كان فيهم أشراف وأخيار ، فإذا جُمّلوا كلّهم جملة واحدة هَلكوا .

وإذا ذمّت العربُ قوماً قالوا: سَواسية كأسنان الحِمار. وكيف يستوي الناس في فضائلهم، والرجلُ الواحد لا تَستوي في نفسه اعضاؤه ولا تتكافأ مَفاصله ، ولكن لبعضها الفضلُ على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البَدن بالعَقل والحواس الخمس .

وقالوا : القلبُ أمير الجسد ، ومن الاعضاء خادمُه ومنها مَخدومه .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ما ادّعت الشّعوبية فخرُهم على العرب بآدم، عليه السلام ، وبقول النبيّ، عليه الصلاة والسلام: لا تُفضّلوني عليه فإنما أنا حَسنة من حسناته؛ ثم فَخرُهم بالأنبياء أجمعين ، وأنهم من العَجم غيرَ أربعة: هُود وصالح واسماعيل ومحمد ، عليهم الصلاة والسلام، واحتجّوا بقول الله، عز وجل:

« إنَّ الله اصطفى آدمَ ونُوحاً وآل إبراهيمَ وآل عِمْران على العالمين . ذُرِّيَّة بَعضُها مِنْ بَعْض واللهُ سَميعٌ عَليم . » ثم فخَروا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لِسارة وأن إسماعيل لأمَة تُسمّى هاجَر . وقال شاعرهم :

في بَلدة لم تَصِل عُكْلٌ بها طُنُباً ،
ولا خِباءً ، ولا عَكٌّ وهَمْدانُ

ولا لجَرْم ولا بَهراء من وَطَن ،
لكنّها لِبَني الأحرار أوطان

أرضٌ يُبنّي بها كِسْرى مَساكِنَه ،
فما بها من بَني اللَّخْناء إنْسان

فبنو الاحرار عندهم العَجم ، وبنو اللَّخناء عندهم العرب ، لأنهم من وَلد هاجرَ ، وهي أمَة .

وقد غَلِطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللَّخناء، إنما اللخناء من الإماء المُمْتَهنة في رَعْي الإبل وسَقيها وجمع الحطب . وإنما أُخذ من اللَّخن ، وهو نَتَن الرِّيح ؛ يُقال : لخِنَ السِّقاء ، إذا تغيّر ريحُه . فأما مِثْلُ التي طَهّرها الله من كل دَنس، وارتضاها للخليل فِراشاً، وللطيِّبَين إسماعيل ومحمدٍ أمّاً ، وجعلهما لها سُلالة ، فهل يجوز لملحد فضلاً عن مُسلم أن يُسمّيها لخناء ؟

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعضُ مَن يَرى رَأيَ الشعوبية فيما يَرُد به على ابن قُتيبة في تبايُنِ الناس وتفاضلهم، والسّيد منهم والمَسود: إننا نحن لا نُنكر تباينَ الناس ولا تفاضلهم، ولا السّيد منهم ولا المسود، ولا الشّريف ولا المشْروف، ولكنّا نزعم أن تفاضل الناس فيما بَينهم ليس بآبائهم ولا بأحسابهم، ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم، وشَرَف أنفسهم وبُعْد هِممهم، ألا ترى أنه مَن كان دَنيء الهمّة، ساقِط المروءة، لم يَشرُف وإن كان مِن بني هاشم في ذؤابتها، ومن أمية في أرُومتها، ومن قيْس في أشرف بَطن منها ؟

إنما الكَرِيم مَن كرُمت أفعاله، والشّريف مَن شرُفت همّته، وهو مَعنى حديثِ النبيّ، عليه الصلاةُ والسلام: إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه؛ وقوله في قيس بن عاصم: هذا سيّد أهْل الوَبر. إنما قال فيه هذا لسُؤدَده في قَومه بالذّبّ عن حَريمهم، وبَذْله رِفده لهم، ألا ترى أنّ عامر بن الطّفيل، وكان في أشرف بَطن في قيس، يقول:

وإنّي، وإنْ كُنْتُ ابنَ سيّد عامرٍ،
وفارسَها المَشهور في كلّ موْكبِ

فما سوّدتْني عامرٌ عن وراثةٍ،
أبى اللهُ أنْ أسْمُو بأمٍّ ولا أَب

ولكنّني أحْمي حِماها، وأتّقي
أذاها، وأرْمي مَن رماها بِمَنْكب

وقال آخر :

إنّا، وإنْ كَرُمتْ أوائلنا،
لَسْنا على الأحْسابِ نَتّكِلُ

نَبْني، كما كانت أوائلُنا
تَبْني، ونَفْعل مثلَ ما فَعَلُوا

وقال قيْس بن ساعدة: لأقضِيَنّ بين العَرب بقضيّة لم يَقض بها أحدٌ قَبلي ولا يردّها أحدٌ بعدي، أيّما رجلٍ رَمى رجلاً بمَلامة دُونها كَرم فلا لُؤم عليه، وأيّما رجل ادّعى كَرماً دونه لُؤم فلا كَرم له.

ومثله قولُ عائشة أم المُؤمنين : كل كَرم دونه لُؤم فاللّؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرمُ أولى به. تَعني بقولها : أن أولى الأشياء بالانسان طبائعُ نفسه وخِصالها، فإذا

كَرُمت فلا يَضُرُّه لؤم أوّليته ، وإذا لَؤُمت فلا يَنفعه كرم أوّليته .

وقال الشاعر :

نَفسُ عِصامٍ سَوَّدت عِصاما ،
وعَلَّمته الكَرَّ والإقداما

وصَيَّرته مَلِكاً هُماما

وقال آخر :

مالِيَ عَقلي ، وهِمّتي حَسَبي ،
ما أنا مَولىً ، ولا أنا عرَبي

إنِ انتَمى مُنتمٍ إلى أحدٍ ،
فإنّني مُنتمٍ إلى أدَبي

وتكلّم رجلٌ عند عبد الملك بن مَرْوان بكلام ذَهب فيه كلَّ مَذهب ، فأعجب عبدَ الملك ما سمع منه ، فقال : ابنُ مَن أنت يا غلام ؟

قال : ابنُ نَفسي يا أميرَ المؤمنين التي نِلْتُ بها هذا المَقعد منك .

قال : صدقتَ .

وقال النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام : حَسَبُ الرجل مالُهُ وكَرَمُه دِينه .

وقال عُمر بن الخطّاب : إن كان لك مالٌ فلك حَسَب ، وإن كان لك دِينٌ فلك كَرَم .

وما رأيتُ أعجبَ من ابن قُتيبة في كتاب تَفضِيل العرب ، إنه ذهب فيه كلّ مَذهب من فضائل العرب ، ثم خَتَم كتابه بمذهب الشُعوبية ، فنَقَضَ في آخره كلّ ما بَنى في أوّله ، فقال في آخر كلامه : وأعدلُ القول عندي أنّ الناس كلّهم لأب وأمّ ، خُلِقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجَرَوْا في مَجْرى البَوْل ، وطُوُوا على الأقْذاء ، فهذا نَسبهُم الأعلى الذي يُرْدع به أهلُ العُقول عن التّعظُّم والكِبرياء والفَخر بالآباء ، ثم إلى الله مَرْجعهم فتَنقطع الأنساب ، وتَبْطل الأحْساب ، إلا من كان حَسَبُه التّقوى ، أو كانت ماتّتُه[1] طاعة الله .

قالت الشُعوبية : إنما كانت العرب في الجاهليّة يَنكِح بعضُهم نِساء بعض في غاراتهم بلا عَقْد نِكاح ولا استبراء من

---

١ المائة : الحرمة والوسيلة .

طَمِثَ ، فكيف يَدْري أحدُهم مَن أبوه ؟ وقد فَخر الفرزدق ببني ضَبّة وأنهم يَبتزّون العيال في حروبهم في سَبيّة سَبَوْها من بني عامر بن صَعْصعة :

فَظَلَّتْ ، وظَلّوا يَرْكبون هَبيرَها ،
وليس لهم إلاّ عواليهمُ سِتْرُ

المتعصبون للعرب

قال أصحابُ العصبيّة من العرب : لو لم يكن منّا على المولى عَتاقة ولا إحسان إلا استنقاذنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشّرك إلى دار الايمان كما في الأثر : إنّ قوماً يقادون إلى حُظوظهم بالسّواجير[1] ، وكما قالوا : عَجِب ربُّنا مِن قَوم يُقادون إلى الجنّة في السّلاسل ، يريد إخراجهم من أرض الشرك إلى أرض الاسلام ، لكفى.

على أنّا تَعرّضنا للقَتل فيهم . فمن أعظَمَ عليك نعمةً ممّن قتل نفسَه لحياتك ، فالله أمرنا بقتالكم ، وفرَض علينا جِهادكم، ورَغّبنا في مُكاتبتكم .

وقدّم نافعُ بن جُبير بن مُطعِم رجلًا من أهل الموالي يُصلي به ، فقالوا له في ذلك ؛ فقال : إنما أردتُ أن أتواضع لله بالصّلاة خلفه .

---

[1] السواجير ، جمع ساجور : القلادة توضع في عنق الكلب .

وكان نافعُ بن جُبير هذا إذا مرّت به جِنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا : قُرشي ؛ قال : واقوْماه ! واذا قالوا : عربيّ ؛ قال : وابَلدتاه ! واذا قالوا : مَولى ؛ قال : هو مالُ الله يَأخذ ما شاء ، ويَدَع ما شاء .

قال : وكانوا يَقولون : لا يَقطع الصلاةَ الا ثلاثة : حمار أو كلب او مَولى .

وكانوا لا يَكنونهم بالكُنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يَمشون في الصّف معهم ، ولا يُقدّمونهم في الموكب ، وان حَضروا طعاماً قاموا على رؤوسهم ، وإن أطعموا المولى لسنّه وفضله وعِلمه أجلسوه في طرف الخِوان ، لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العَرب ، ولا يدعونهم يُصلّون على الجنائز إذا حَضر أحد من العرب ، وإن كان الذي يحضُر غريراً .

وكان الخاطب لا يخطب المرأةَ منهم الى أبيها ولا الى أخيها وإنما يخطُبها الى مَواليها ، فإن رضي زُوّج وإلاّ رُدّ ، فإن زوّج الأب والأخ بغير رأي مواليه فُسخ النّكاح ، وإن كان قد دَخل بها ، وكان سِفاحاً غيرَ نِكاح .

وقال زِياد : دعا مُعاوية الأحنف بن قَيس وسَمُرة بن

جُندب فقال: إني رأيتُ هذه الحَمْراء قد كَثُرت، وأراها قد طعنت على السَّلف ، وكأني أنظر إلى وَثْبة منهم على العرب والسُّلطان ، فقد رأيتُ أن أقتل شَطْراً وأدع شطراً لإقامة السُّوق وعِمارة الطريق ، فما تَرَوْن ؟

فقال الاحنف : أرى أن نَفْسي لا تَطيب ، يُقتَل أخي لأمي وخالي ومَولاي ! وقد شارَكْناهم وشاركونا في النَّسب، فظننتُ أني قد قُتلتُ عنهم ؛ وأطرق .

فقال سَمُرة بن جُندب: اجعلْها اليّ أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبْلُغ الى ما تريد منه .

فقال : قوموا حتى أنظر في هذا الأمر .

قال الأحْنف: فَقُمْنا عنه وأنا خائفٌ، وأتيت أهلي حَزيناً. فلما كان بالغَداة أرسل إليّ ، فعلمتُ أنه أخذ برأيي وتَركَ رَأي سَمُرة .

•

ورُوي أنّ عامرَ بن عبد القَيس في نُسكه وزُهده وتَقشُّفه وإخباته وعِبادته كَلَّمه حُمران مولى عثمان بن عفّان عند عبد الله بن عامر صاحب العِراق في تَشْنيع عامر على عثمان وطَعنه عليه، فأنكر ذلك، فقال له حُمْران: لا كَثَّر الله فينا مثلَك.

فقال له عامر : بل كَثَّرَ الله فينا مثلك .

فَقيل له : أيدعو عليك وتَدعو له ؟

قال : نعم ، يَكنسحون طُرقنا ويَخرِزون خِفافنا ويَحوكون ثيابنا .

فاستوى ابنُ عامر جالساً وكان مُتكئاً ، فقال : ما كنتُ أظنُّك تَعرِف هذا البابَ لِفَضلك وزَهادتك .

فقال : ليس كلُّ ما ظننتَ أني لا أعرفُه لا أعرفه .

وقالوا: إنَّ خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما وجَّه أخاه عبدَ العزيز الى قتال الأزارقة هَزموه ، وقتلوا صاحبه مُقاتِلَ ابن مِسمَع، وسَبَوا امرأته أم حَفص بنت المُنذر بن الجارود العَبْدي، فأقاموها في السُّوق حاسِرَةً باديةَ المحاسن، وغالَوْا فيها ، وكانت من أكمَل الناس كمالاً وحُسناً ، فتَزايدت فيها العَرب والمَوالي، وكانت العرب تَزيد فيها على العَصبيّة والموالي تَزيد فيها على الوَلاء ، حتى بَلّغتها العربُ عِشرين ألفاً ، ثم تزايدوا فيها حتى بَلّغوها تسعين ألفاً.

فأقبل رجلٌ من الخوارج من عبد القَيس من خَلفها بالسيفِ فضَرَب عُنقها ، فأخذوه ورَفعوه الى قَطريّ بن الفُجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين، إن هذا استهلك تِسعين ألفاً من بيت

المال ، وقتل أمَةً من إماء المؤمنين .

فقال له : ما تقول ؟

قال : يا أمـــير المؤمنين ، إني رأيتُ هؤلاء الاسماعيلية والاسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الاصوات واحمرّت الحدق ، فلم يبقَ إلاّ الخبْط بالسّيوف، فرأيتُ أنّ تسعين الفاً في جَنْب ما خشيتَ من الفِتنة بين المسلمين هَيّنة .

فقال قطريّ : خلّوا عنه، عَين من عُيون الله أصابتها.

قالوا : فأقِد منه .

قال : لا أقِيد من وَزَعَة[1] الله .

ثم قَدِم هذا العَبْديّ بعد ذلك البَصرةَ وأتى المنذرَ بن الجارود يَستَجْديه بذلك السبب ، فوَصَله وأحسن اليه .

•

قال أبو عُبيدة : مرّ عبد الله بن الأهتم بقوم من الموالي وهم يتذاكرون النّحو ، فقال: لئن أصلحتموه إنّكم لأولُ مَنْ أفسده .

---

١ وزعة ، واحدهم وازع : الذي يكف الناس عن الشر .

قال أبو عُبيدة : ليته سَمع لحن صَفوان وخاقان ومؤمل ابن خاقان .

•

الاصمعي قال : قَدِمَ أبو مَهدِيّة الأعرابيّ من البادية ، فقال له رجل : أبا مَهدية، أتتوضّأون بالبادية ؟

قال : والله يابن أخي ، لقد كُنّا نتوضأ فيكفينا التّوضّؤ الواحد الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلتْ علينا هذه الحمراء، يعني الموالي ، فجعلت تُليق مؤخرانها بالماء كما تُلاق الدّواة .

•

ونظر رجلٌ من الاعراب إلى رجل من الموالي يَستنجي بماء كثير ، فقال له : إلى كم تَغسلِها، ويلك! أتريد أن تشربَ بها سَويقاً ؟

•

وكان عَقيل بن عُلّفة المُرّي أشدّ الناس حَميّة في العرب، وكان ساكناً في البادية ، وكان يُصْهر اليه الخلفاء . وقال لعبد الملك بن مَروان إذ خطب اليه ابنته الجرْباء : جَنّبني هُجناء ولدك . وهو القائل :

كُنّا بنو غَيظ رجالاً ، فأصبحت
بنو مالِك غَيْظاً ، وصِرْنا لمالكِ

لحَى اللهُ دهراً دَعْدَعَ المالَ كُلَّهُ،
وسوّدَ أشباهَ الإماءِ العَوارِكَ[1]

•

وقال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بنُ موسى، وكان جائراً شديد العصبيّة: مَن كان فقيه البصْرة؟

قلتُ: الحسنُ بن أبي الحسن.

قال: ثم من؟

قلت: محمد بن سيرين.

قال: فما هما؟

قلت: مَوليان.

قال: فمن كان فقيه مكّة؟

قلت: عَطاء بن أبي رَباح ومجاهد بن جَبر وسَعيد بن جُبير وسُليمان بن يسار.

قال: فما هؤلاء؟

قلت: مواليْ.

قال: فمن فقهاء المدينة؟

---

[1] دعدع المال: فرقه وبدده. عوارك: حيّض، الواحدة: عارك.

قلت: زيد بن أسلم ومحمد بن المُنْكدر ونافع بن أبي نجيح.

قال: فما هؤلاء؟

قلت: مَوالي.

فتغير لونُه، ثم قال: فمن أفقه أهل قُباء؟

قلت: رَبيعة الرأي وابن أبي الزّناد.

قال: فما كانا؟

قلت: من الموالي.

فاربدَّ وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟

قلت: طاووس وابنه وهمّام بن مُنبّه.

قال: فما هؤلاء؟

قلت: من الموالي.

فانتفخت أوداجه وانتصب قاعداً ثم قال: فمن كان فقيه خُراسان؟

قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني.

قال: فما كان عطاء هذا؟

قلت: مَولى.

فازداد وجهُه تربّداً واسودَّ اسوداداً حتى خِفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟

قلت: مَكْحول.

قال : فما كان مكحول هذا ؟

قلت : مولى .

فازداد تغيظاً وحنَقاً ، ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟

قلت : ميمون بن مِهران .

قال : فما كان ؟

قلت : مولى .

قال : فتنفَّس الصُّعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة؟

قال : فوالله لولا خوفهُ لقلت : الحَكم بن عُيَيْنة وعمّار ابن أبي سليمان ، ولكن رأيتُ فيه الشرَّ ، فقلت : إبراهيم والشّعبي .

قال : فما كانا ؟

قلت : عَربيَّين .

قال : الله أكبر ! وسكن جأشه .

•

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ ، في كتاب الموالي والعرب : ان الحجاج لما خرج عليه ابنُ الأشعث وعبدُالله بن الجارود ، ولَقي ما لقي من قُرى أهل العراق ، وكان أكثر مَن قاتله وخَلعه وخرج عليه الفُقهاء والمُقاتلة والموالي من أهل البصرة ،

فلما عَلِم أنهم الجمهور الاكبر ، والسَّواد الأعظم ، أحَبَّ أن يُسقِط ديوانَهم، ويفرّق جماعتهم حتى لا يتألّفوا ، ولا يتعاقدوا، فأقبل على المَوالي ، وقـال : أنتم عُلوج وعَجم ، وقُراكم أولى بكم .

ففرّقهم وفضّ جمعهم كيف أحبّ، وسيّرهم كيف شاء، ونَقش على يد كلّ رجل منهم اسمَ البلدة التي وَجّهه إليها ، وكان الذي تولى ذلك منهم رجلٌ من بني سَعْد بن عِجْل بن لُجَيم ، يقال له خِراش بن جابر . وقال شاعرهم :

وأنتَ مَنْ نَقَش العِجْليُّ راحتَه ،
وفَرَّ شيخُكَ ، حتى عاذ بالحَكَمِ

يُريد الحَكم بن أيوب الثّقَفيّ عامل الحجّاج على البصرة .

وقال آخر، وهو يعني أهل الكوفة، وقد كان قاضيَهم رجلٌ من الموالي يقال له نوح بن دَرّاج :

إنّ القيـامة فيما أحْسب اقتربتْ،
إذ كان قاضيَـكم نوحُ بن دَرّاجِ

لو كان حيّاً له الحجّاج ما بَقِيَتْ،
صحيحةً ، كفُّه من نَقْش حَجّاج

وقال آخر :

جاريةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الابلْ ،
أخْرَجَها الحجّاجُ من كِنٍّ وظلّ

لو كان شاهداً حُذَيف وحَمَل ،
ما نُقِشَتْ كَفّاك من غير جَدَلْ

•

ويُرْوى أن أعرابياً من بني العَنبر دخل على سَوّار القاضي، فقال : إنّ أبي مات وتركني وأخاً لي ، وخَطّ خطّين ، ثم قال : وهَجيناً ، ثم خط خطّاً ناحية ، فكيف يُقسّم المال ؟

فقال له سَوّار : ها هنا وارثٌ غيركم ؟

قال : لا .

قال : فالمالُ بينكم أثلاثاً .

قال : ما أحْسَبُك فهمت عني، إنه تركني وأخي وَهجيناً، فكيف يأخذ الهجينُ كما آخذ أنا وكما يأخذ أخي ؟

قال : أجل .

فغضب الأعرابي ، ثم أقبل على سَوّار ، فقال : والله لقد علمت أنك قليل الخالات بالدّهناء .

قال سَوّار : لا يَضُرّني ذلك عند الله شيئاً .

انساب العرب

العقد الفريد